مجلة مجمع اللغة العربية

بحوث مؤتمر الدورة
الرابعة والستين
القسم الثانى

العدد الثامن والثمانون
المحرم ١٤٢١هـ
مايو ٢٠٠٠م

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

العدد الثامن والثمانون

(القســم الثاني)

المحرم ١٤٢١ هـ / مايو ٢٠٠٠م

المشرف العــام :

الأستاذ الدكتور **شوقي ضيف**

رئيس التحــرير:

الأستاذ الدكتور **كمال بشــر**

أمين التحــرير :

سعــد توفيــق

مساعدة أمين التحرير :

سميرة شعلان

محررا المجلة :

جمال عبد الحى أحمد

خالد محمد مصطفى

الفهرس

الموضوع	ص
•• بحوث ألقيت في المؤتمر	
• من ألفاظ الحضارة في الأندلس والمغرب كلمة (ظهير) مثالاً . للأستاذ الدكتور محمد بن شريفة.	١
• " كان بعض هذا في حديث طائف" . قصيدة للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي.	١٧
• الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة . للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح.	٢١
• طه حسين في المغرب دوره في صحوة الفكر من خلال محاضراته وندواته. للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي.	٥٣
• القول الفصل في ترتيب الكتاب المقتضب للمبرد . تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة. للأستاذ الدكتور أمين علي السيد.	١٣١
• التعبير عن معاني ودلالات السوابق (Prefixes) في اللغة العربية. للأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان.	١٦١
• دواعي التطور اللغوي في قضايا اللغة العربية . للأستاذ الدكتور عباس محمد الصوري.	١٧٧
• العامي الفصيح من المعجم الوسيط (باب الغين وباب الفاء). للأستاذ الدكتور أمين علي السيد.	١٩١

الفهرس

الموضـــوع	ص
• الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة . للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني.	٢٢٣
• اللغة العربية لغة الإسلام . للفريق يحيى بن عبد الله المعلمي .	٢٣٧
• أصل الكلمة العربية "هرم" والتي تعني " Pyramid " . للأستاذ الدكتور اسكندر فودور .	٢٤١
•• أبحاث لم تلق في المؤتمر	٢٤٩
• مقدمـــة لدراسة الحداثة الشعرية العربية. للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد.	٢٥١
• الـــنص المعجمـــي في المعجـــم الوسيط. حرف الباء عينة(١). للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمراوي.	٢٦٣

الموضـــوع	ص
•• شخصيات مجمعية :	٢٧٥
أولاً – اســـتقبال تســـعة مـــن الأعضاء الجدد وهم :	٢٧٧
١- الأســـتاذ الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل .	
• كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضـــيف رئيس المجمع في استقبال الأســـتاذ الدكـــتور أحمد هيكل عضو المجمع الجديد .	٢٨١
• كـــلمة الأستاذ الدكتور أحمد هـــيكل في حفل استقباله عضوًا جديدًا بالمجمع.	٢٨٦
٢- الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط .	

الفهرس

الموضوع	ص
• كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع في استقبال الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط عضو المجمع الجديد.	٢٩٥
• كلمة الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط في حفل استقباله عضوًا جديدًا بالمجمع.	٣٠٠
٣- الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي .	
• كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع في استقبال الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي عضو المجمع الجديد .	٣٠٣
• كلمة الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي في حفل استقباله عضوًا جديدًا بالمجمع .	٣٠٨
٤- الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع .	
• كلمة الأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع في استقبال الأستاذ الدكتور شفيق بلبع .	٣١٦
• كلمة الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالمجمع .	٣٢٢
٥- الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي .	
• كلمة الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم في استقبال الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي عضوًا عاملاً بالمجمع .	٣٣٠

الفهرس

الموضوع	ص
• كلمة الدكتور محمد عماد فضلي في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالمجمع .	٣٢٣
٦- الدكتور أحمد مختار عمر .	
٧- الدكتور أحمد علم الدين الجندي.	
٨- الأستاذ فاروق شوشة .	
• كلمة الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع في استقبال الأعضاء الثلاثة الجدد :	٣٤١
- الدكتور أحمد مختار عمر.	
- الدكتور أحمد علم الدين الجندي.	
- الأستاذ فاروق شوشة .	
• كلمة الدكتور أحمد مختار عمر في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالمجمع.	٣٥٩
• كلمة الدكتور أحمد علم الدين الجندي في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالمجمع .	٣٦٤
• كلمة الأستاذ فاروق شوشة في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالمجمع.	٣٧٦
٩- الدكتور الطاهر أحمد مكي .	
• كلمة الدكتور محمود علي مكي في حفل استقبال الدكتور الطاهر أحمد مكي عضوًا عاملاً بالمجمع .	٣٨٦
• كلمة الدكتور الطاهر أحمد مكي في حفل استقباله عضوًا عاملاً بالمجمع .	٣٩٩

أولاً: بحوث

ألقيت في المؤتمر

بحوث ومحاضرات

من ألفاظ الحضارة في الأندلس والمغرب

كلمة (ظهير) مثالاً *

للأستاذ الدكتور محمد محمد بنشريفة

موضوع النُّظم والرُّسوم من الموضوعات الكبرى في كتابة التاريخ ، ولكنَّ تناوله بأسلوب عصري ومنهج علمي شيء حديث في كتابة التاريخ الإسلامي عامّة ، والتاريخ المغربي خاصّة ، بل إن تناول هذا الموضوع عندنا ما يزال محدودًا ، وما نزال في حاجة إلى عمل يتتبع تطور نظم الدولة المغربية منذ قيامها إلى وقتنا ، ونظنُّ أن المادَّة التاريخية المساعدة على إنجاز هذا العمل أصبحت موفَّرة وميسَّرة . وقد كان الأستاذ الصديق/هوبكنز Hopkins الأستاذ بجامعة كمبردج طبع أطروحته في هذا الموضوع سنة ١٩٥٨، وترجمها الأستاذ الصديق أمين الطيبي بعنوان: (النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى) وهذه الأطروحة حصيلة بحث علمي دقيق ومركّز ، وكان يمكن أن تكون أكثر غنًى وأوفر مادّةً لو أن صاحبها تمكن من قراءة مجموعة من المخطوطات التي لها صلة بالموضوع .

ويعتبر كتاب (العز والصولة،في معالم نظم الدولة) للشريف النقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان عملا رائدًا في هذا الباب ، وقد قام زميلنا الأستاذ عبد الوهاب بن منصور بالوقوف على إخراجه وطبعه مع التقديم له والتعليق عليه ، ويقول الشريف النقيب في مقدمة الكتاب ما نصّه: "وأما نظم الدولة، ذات العز والصولة ، فقد اخترته لغرابته ، وجدّته وطرافته ، وجدارته بالبحث وأهميته، وهو موضوع مع شدّة الحاجة إليه قد أغفله المؤرخون والكتاب ، فما رفعوا عنه القناع ولا وضعوا النقاب ، ولا كشفوا الحجاب ، حتى تَوَهَّم الأغمار والأغرار

* ألقي هذا البحث في الجلسة التاسعة من جلسات مؤتمر الدورة الربعة والستين يوم الأحد ١٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م .

أنه لم تكن لدولة المغرب نُظُمٌ مقرَّرة ولا قواعد محرَّرة ، ولا طرق في الحكم والإدارة معروفة ، ولا مناهج في تدبير الملك مألوفة " ، أتيت بهذه الفقرة لأنها صريحة في ريادة مؤلِّف الكتاب في تناول هذا الموضوع في عصرنا وبلدنا، غير أن قوله بأنه موضوع " قد أغفله المؤرخون والكتاب " فيه نظر ، فإن كان يقصد ما يخصُّ الدولة العلوية التي هي موضوع كتابه فلعلَّ الأمر كذلك ، ولاسيما العوائد المخزنية في هذا العهد، وأما إن كان يقصد العموم فإنه حكم يحتاج إلى مراجعة سأقصرها على النظم الكتابية ؛ وأوجزها فيما يلي : إذا كنا لا نجد شيئًا يذكر مما قد يكون ألف في هذا الموضوع في زمن الأدارسة فإن بروز التأليف فيه في عهد المرابطين وازدهاره في عهد الموحدين قد يدل على وجود شيء منه قبل ذلك ، ونحسب أن بعض الكتب الوافدة من المشرق كأدب الكاتب لابن قتيبة، وأدب الكتاب للصولي، كان لها أثر في نشأة التأليف في نظم الكتابة الديوانية ورسومها في الغرب الإسلامي ، وظهر هذا في الأندلس عند صاحب العقد وغيره ، وبلغت نظم الدولة ذروتها في زمن الخلافة الأموية عمومًا وعهد الخليفتين الناصر والمستنصر خصوصًا، ويبدو ذلك بوضوح في كتابات المؤرخ ابن حيان . وأما في المغرب فقد برزت النظم كما قلت في عهد المرابطين ، وسأقتصر على ذكر ثلاثة كتب في الموضوع ؛ وهي: كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة لأبي بكر المرادي ، الذي كان في خدمة الأمير المرابطي أبي بكر يحيى بن عمر، ولعله أول كتاب مغربي ألف في نظم الدولة ، وقد طبع مرتين ، وكتاب إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي ، وهو من كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، وهو مطبوع ، وكتاب منهاج الكتاب لأبي عامر السالمي ، وتوجد منه نسخ خطية ، ومما جاء في ديباجته قوله : " أما بعد فإني طالعت تراسيل أهل هذا العصر فرأيتها ترد على لفظ واحد لا يعرف بها الطالب كيف يخاطب بها من فوقه ومن مثله ومن دونه ، وقد قال أبو محمد بن قتيبة في أدب الكاتب : "ويستحب له أن

ينـــزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتـــب والمكـــتوب إليه وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس وضيع الكلام " ، فلما رأيت هذا الكتاب قـــد أهمِـــل في هـــذا العصر أنشأتُ هذا الكـــتاب المترجم بمهاج الكُتّاب، وبَوَّبته عـــلى خمسة عشر بابًا " . فهذه كتب في قوانـــين الكتابة الديوانية وغيرها ، وإلى جانـــبها توجد رسائل ديوانية وغيرها في مجامـــيع عامّـــة كـــالقلائد لابن خاقان والذخـــيرة لابن بسّام ، أو مجاميع خاصة وهـــي متعددة؛ ومنها مجموع رسائل ابن أبي الخصال أشهر كتّاب الديوان في عهد على بن يوسف بن تاشفين .

ويـــبدو أن المُوَحِّدين أحدثوا أمورًا كثيرة في نظم الدولة المغربية ورسومها ؛ ومن هذه الرسوم ما يتعلق برسوم الكتابة الديوانية ، وكان من أثر ذلك تَميُّز النظم المغربـــية عن النظم الشرقية والأندلسية ، ونجـــد عـــددًا مـــن هذا النظم لدى ابن صـــاحب الصلاة وعبد الواحد المراكشي وابن عبد الملك وابن عَذاري وابن خلدون الجـــد وابن خلدون الحفيد والقلقشندي والنويري والعُمَري وغيرهم من المؤرِّخين، وممـــا أُلِّـــف فيها على حدة كتاب أدب الكُـــتَّاب لأبي بكر ابن خلدون جدِّ عبد الـــرحمن بـــن خلـــدون ، وهو مخطوط، وكـــتاب الحُلَـــى الكُتَّابية لأبي الحجاج يوســـف بن غمر مؤرِّخ الخليفة يعقوب المنصور .

وقد عُني المُوَحِّدون بحفظ السجلات والرسائل والوثائق فكلّفوا بعض مؤرِّخيهم وكُـــتَّابهم بهذا العمل ، ومنهم أبو عمرو محمد بن عبد ربه الحفيد ولعله هو جامع مجموع رسائل مُوَحِّدية ، من إنشاء كُتَّاب الدولة المومنية ، وأبو الحجَّاج يوسف بن غمر مؤلِّف المجموع المسمَّى بالوجيز ، في رسائل الأمر العزيز ، وهو مفقود ، وذَيَّل هـــذا المجموع أحمد البلوي بمجموع كبير سمَّـــاه : تشـــبيب الإبريز، والمزيد الأحَقّ بالتـــبريز ، عـــلى ما جاء من الترسيل في كتاب ابن غمر المسمَّى بالوجيز ، ويسمَّى أيضًـــا : العطاء الجزيل ، في كشف غطاء الترســـيل ، وهـــو يقع في عشرين بابًا لم يصـــل إليـــنا مـــنها إلا الأبواب الخمسة الأخيرة . وكان بعض كتّاب دار الخلافة

المُوَحِّديـة – وعددهم كبير – يجمعون رسائلهم الديوانية والإخوانية في مجاميع أو يجمعها غيرهم كما هو الشأن في رسائل ابن مغاور الشاطبي وابن عميرة الشقري وأبي بكر ابن خطاب على سبيل المثال .

وقد ظلّت نظم الدولة المغربية تتطور وتتنوّع في عهد المرينيين . وأكتفي – للاختصار – بالإشارة إلى كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي الذي اختصره رفاعة الطهطاوي ووسّعه الشيخ عبد الحي الكتاني بكتابه التراتيب الإدارية وقدّم له بمقدمة ضافية ، وكتاب الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي ، وكتاب نصح ملوك الإسلام لابن السكاك ، وكتاب هداية مَنْ تولى ، غير الربِّ المَوْلى للرجراجي ، وثمة غيرها ، أما أشهر كتاب أُلّف في نُظُم الدولة في العهد السعدي فهو الذي أَلّفه السلطان أحمد المنصور وسمّاه : كتاب العارف ، في كل ما تحتاج إليه الخلائف ، وتوجد كتب أخرى أُلِّفت بعده ورسائل متعددة تتناول بعض القضايا العامّة أو الخاصّة في نظم الدولة كرسالة المولى سليمان التي شرحها الفقيه اليازغي وكالرسائل المؤلفة في تنظيم بيت المال وتنظيم الجيش على سبيل المثال.

أعود بعد هذا التقديم إلى القول بأن عددًا من نظم الدولة المغربية ورسومها ترجع إلى عهد المُوَحِّدين ؛ فمن ذلك مصطلح (المخزن) ومصطلح (المشور) ومصطلح (أفراق) ومصطلح (ظهير) الذي هو موضوع هذا الحديث .

لقد مرَّ على استعمال هذا المصطلح ما يقرب من تسعة قرون ، وكفى بهذا شاهدًا على أصالة المغرب وعراقته ، ودليلا على محافظته على رسومه وتقاليده، ومن الغريب أن هذه القرون التسعة التي مرّت على استعمال هذا المصطلح لم تكن كافية في دخوله إلى المعاجم العربية ، فكلها تقتصر عند ذكر كلمة ظهير على المعنى اللغوي؛ وهو :مُعين . وقد كنت أقدِّر أن صاحب تاج العروس سيأتي بالمعنى الاصطلاحي في المستدرك،ولكنه لم يفعل، وإذا كنا نعذره فإننا لا نعذر شيخه ابن الطيب الفاسي الذي لم يذكر هذا المعنى في حاشيته.كما أن المعاجم العربية الحديثة لم تُشِرْ إليه ، وقد عجبتُ لصنيع

المعجم الوسيط الذي ذكر الظهير الأيمن والظهير الأيسر في الكرة ولم يُشِرْ إلى الظهير بالمعنى الذي نحن بصدده .

وإذا كانت المعاجم التقليدية قد أغفلت الاستعمال المغربي فإنّ معاجمَ مزدوجة قديمة نصّت عليه ؛ ومنها المعجم اللاتيني العربي للراهب القطلاني (رمند مرتين) ، فقد أثبت هذا الاستعمال، وهو من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) ؛ ففي هذا المعجم مقابل كلمة Privilegium : ظهير = ظهائر ، سجل = سجلات . وورد المصطلح أيضًا في القاموس العربي الإسباني Vocabulista in Arabico الذي ألّفه الراهب بطرس القلعي Pedro de Alcala من أهل القرن الخامس عشر الميلادي إلا أنه كتبه هكذا : ظاهر ، ظواهر وفسّره بقوله:" Previlegio Ley Para uno Vertit " .

ثم جاء بعد هذين المذكورين المستعرب الهولندي دوزي فذكر أيضًا مصطلح : ظهير، ظهائر ، وأمامها المقابلات الفرنسية التالية : Privilége, Brevet, Diplôme وفسّر الظهير بأنه مرسومٌ يتضمن إنعامًا على مَنْ كُتِبَ له ، وسردَ عددًا من المصادر التي وردت فيها كلمة ظهير ، ومنها ما يرجع إلى عهدَي المُوَحِّدين والمرينيين.

ظهر من هذا أن مصطلح (ظهير) ظهر لأول مرّة في عهد المُوَحِّدين ، وكان المرابطون يستعملون مصطلح (صَكّ) الذي كان مستعملا لدى ملوك الطوائف قبلهم.

ذكر ابنُ عبد الملك في ترجمة الشاعر الجراوي الوادي آشي أنه مدح أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بقصيدة طويلة تنفك منها ثلاث قصائد فأجازه عليها بصك يشتمل على التنويه به وتحرير أملاكه، ووصف ابن خاقان يوم عيد مع الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وقال: " وكان ابن خفاجة حاضرًا لاستنجاز وعده ، بالتوقيع على صك يحذي نعاله من عنده" ، وكان الأمويون في الأندلس يستعملون مصطلح (سجل) ، ذكر ابن عبد الملك أيضًا في ترجمة الشاعر الخطيب أحمد بن أضحى أنه وفد على

عبد الرحمن الناصر وألقى بين يديه خطبة وشعرًا فسجل له على قرية أرجنة وما حولها ، أي كتب له سجلا بذلك ، وقد وجدت الزميل الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في العدد الأول من مجلة الوثائق يطلق كلمة ظهير على عدد من السجلات التي ولي بها الخليفة الحكم المستنصر الأموي بعض زعماء القبائل المغربية على قبائلهم ، ولعله فعل ذلك على سبيل التقريب والمقابلة، وإلا فإنّ الاسم الاصطلاحي والتاريخي لتلك الكتب هو السّجلات وبذلك سماها المؤرّخُ ابنُ حيان، واسم السِّجلات معروفٌ عند العباسيين ثم عند الفاطميين .

وقد وردَ في كتاب تاريخ افتتاح الأندلس ما يلي :" وزعم عبد الرحمن بن عبد الله أن ولاية جَدِّهم عبد الرحمن (الغافقي) الأندلسي كانت من قِبَل يزيد ابن عبد الملك لا من قِبَل عامل إفريقية " ولكني أخشى أن تكون هذه الفقرة مقحَمة في هذا الكتاب لأن استعمال كلمة (ظهير)بالمعنى الاصطلاحي المعروف إنما وُجِد بعد ابن القوطية بزمن .

وقد وجدنا كلمة ظهير في كتاب توصية وتنويه من عبد الرحمن الناصر لعُزَيْز ابن محمد فقيه مالقة، هذا نصه: "من عبد الرحمن أمير المؤمنين إلى محمد بن قاسم . سلام عليك . فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإن عزيز ابن محمد من ساكني مالقة رفع إلى أمير المؤمنين يَمُنُّ بطاعته وما كان أيام الميل عليه من خالص البصيرة والحض على جهاد الكَفَرة المنتزين بحصن ببشتر وغيره وذكر كِبَر سنّه وضعف بدنه وسأل الكتب إليك في حُسْنِ الوصاية والحيطة له وحَمْله له على ضيعة بقرية شارس وقرية بلجليش ما لم يزل عليه منها من الجزية . فأجابه أمير المؤمنين فيما سأل وأسعفه فيما رغب إذ تحقّق عنده ما وصف به نفسه واستبان لديه جميل مذهبه وحسن طريقته . فأحْسِن الوصاة به في جميع أسبابه ونفِّذْ له ما عهد إليك به في أمره، واصرف كتاب أمير المؤمنين إليه لِيَكُونَ ظَهيرًا بيده وشرفًا لِعَقِبه إن شاء الله والله المستعان ، والسلام عليك ورحمة الله". وكتب يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي

القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة" (تاريخ أعلام مالقة — مخطوط).

فمن عبارة : "لِيَكُونَ ظهيرًا بيَدِه" أي مُعيـنًا ، تطوَّرَ الأمر إلى الاصطلاح الذي عُرِف في العصور التالية .

أما مصطلح (ظهير) فإنّا نجده يُذكر منذ الخليفة المُوَحِّدي الأول عبد المؤمن بن علـيّ مـع العلامة المُوَحِّدية المشهورة : "والحمـد لله وَحْدَه " . فقد ذكر المؤرِّخُ / ابـن القطـان حكاية تاجرٍ إسكندراني أقرضـه عبد المؤمن في شبابه خمسة عشر درهمـا ، ثم فرقـت بينهما الأيام إلى أن التقيا بعد ثلاثين سنة ، وعبد المؤمن أصبح خليفة ، فأطلعه التاجر على زمامه وفيه أن الخمسة عشر درهما نمت حتى بلغت ألف دينـار . قـال ابن القطان : "وكتب له ظهيرا بالأمان في أهله وماله ونفسه وأمر بصرف كل ما ثقف له عليه ".

وذكـر عـدد مـن المؤلفين أبيات الشـاعرة حفصـة التي خاطبت بها عبد المؤمن ، وفي رواية الزركشي أنها قدمت عليه مع وفد الأندلس عندما كان في سلا [أو الرباط] فقالت تستدعي منه ظهيرًا :

يا سيد الناس يا من
يؤمل الناس رفده
امنن علي بصك
يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه :
"والحمد لله وحده"

فوقـع لها بقرية ركونة التي تنسب إلـيها، ويبدو أنها عارضت بهذه الأبيات أبياتا لشاعر عباسي يقول فيها مخاطبًا أبا سلمة الخلال :

أطلت حبس كتابي
وحملـــه ثم رده
يا واحد الناس وقع:
"آمنت بالله وحده"

وثمـة ذكر لظهائر موحدية من هذا الـنوع الذي يقصد به الإنعام والإكرام والتنويه والتحرير من الكلف المخزنية في المـن بالإمامـة وروض القرطاس والبيان المعـرب وبهجـة الناظرين ورسائل ابن عميرة وغيرها، ولا يتسع الوقت للوقوف عندها .

ولم تكـن ظهائر الموحدين مقصورة عـلى خدامهم من رعيتهم ، وإنما كانوا

ينعمون بها أيضًا على بعض السفراء والتجار الوافدين عليها ، وقد ذكرت قبل قليل ظهير عبد المؤمن للتاجر الإسكندري، وظهير يعقوب المنصور لابن حمويه بتمليكه بستانا بناحية أغمات كما أن ظهائر إنعامهم لم تكن خاصّة بالمسلمين ، فقد كانت تُمنَح أحيانًا لنصارى ويهود ، ويُعتبر الظهير الذي أنعم به يوسف المستنصر الخليفة المُوَحِّديُّ على رهبان دير بوبلات المجاور لدار الإسلام في الأندلس دليلا صريحًا على رَعْي الجوار وروح التسامح في زمنٍ لم يكن يسمح بذلك ، وقد عجب الباحثون المسيحيون لهذه الالتفاتة إلى رهبان دير مصدر عَيْشهم ما شيتهم التي لا تجد مرعى في فصل الشتاء إلا في أرض المسلمين المجاورة، بسبب الثلوج التي تغطي جهات الدير المذكور ، ومصدر عجبهم أنها تأتي بعد مرور خمس سنوات فقط على معركة العقاب ، وهذا نصُّ الظهير:

" بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد نبيِّه الكريم ، وعلى آله وسلم تسليمًا، والحمد لله وحْدَه

هذا ظهيرٌ كريمٌ أمرَ به أميرُ المؤمنين بنُ أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين . أيَّدهم الله بنصره وأمدَّهم بمعونته – لرهبان بوبلات التي بجهة لاردة ، وَفَّقَهم الله وسدَّدَهم ، وأنار بصائرهم وأرشدهم ، وجعل ما يقرِّب من رحمة الله معتملَهم ومعتمدَهم ، أباح به لماشيتهم وللقائمين عليها أن لا يُذادوا في بلاد المسلمين في زمن حرب أو سلم عن مكرع ولا مرعى ، رعيًا لما سعوا له وانتدبوا إليه من المأخذ الذي حببوا له أنفسهم والمسعى ، فَلْيُحفظ حفظتُها في إيرادها وإسامتها ، ولا يتعرَّض أحدٌ من المسلمين لتنغيص إناختها، تأمينًا مدَّ به عليهم كثيف ظلاله، وأوْرَدَهم غير مرَّنق ولا مصرَّد ناقع زلاله ، فمن وقف عليه فليمتثل حدَّه ، ولا يتجاوز رسمه الكريم ولا يتعدَّه ، إن شاء الله تعالى ، وهو المستعان لا رب غيره ولا خير إلا خيره . وكتب في الموفي عشرين من شهر ربيع الآخر بسنة أربع عشرة وستمائة ".

ومن جهة ثانية فقد أمر يعقوب المنصور كاتبه أبا عبد الله بن عياش أن يكتب ظهيرًا ليهودي ، فكان مما كتب فيه العبارة التالية : "ويُحْمَل على البر والكرامة" وذلك جريًا على الرسم المتبع في كتابة الظهير ، فلما قرأها المنصور قال له من أين لك أن تقول في كافر : "ويُحْمَل على البر والكرامة " قال ابن عياش : ففكّرت ساعة وقلت له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه " وهذا عامٌ في الكافر وغيره ، فقال لي : نعم ! هذه الكرامة فالمبرَّة من أين أخذتها؟ قال : فسكتُّ ولم أحر جوابا . فقال المنصور من قوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ". قال ابن عياش فسُررت بذلك كثيرًا وشكرته عليه" وقد كان لهذا الكاتب مكانة كبيرة حسبما يُستفاد من حكاية رواها ابن عبد الملك عن شيخه أحمد البلوي ، فقد ذكر هذا أنه دخل على ابن عياش عائدًا وكانت له حاجة ورغب منه في الشفاعة عند السلطان في شأنها ، قال البلوي : "وكان مضطجعًا فاستوى جالسًا وقال لي : جَهِل الناس قدري يا أبا القاسم ، وكرَّرها ثلاثًا : أفي مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين ؟ هات المدواة والقرطاس فناولته إياهما ، فكتب برغبتي ظهيرًا ورفعه إلى السلطان فصُرِف في الحين إليه مُعْلَمًا عليه فاستدعاني ودفعه إليَّ " .

ويبدو أن بعض السادة من أولاد الخلفاء كانوا يمنحون كذلك صكوك الإنعام وتحرير الأملاك ، نجد هذا في قصيدة للشاعر أبي الفضل العباسي الهمداني المالقي يمدح بها السيد أبا إسحاق ابن عبد المؤمن ويطلب منه صكًّا بتحرير أملاكه فيقول :

ومَطْلَبي منكُمُ صَكٌ مَواقِعُه
كالماءِ بَيْنَ ضُلُوعٍ كُلُّها وَهَجُ
صَكٌ إذا لَحَظَتْه المُقْلَةُ انْقَشَعَتْ
عَنْها سَحابُ القَذَى واسْتُدْرِكَ الفَرَجُ

ويقول أيضًا :

صَكٌ كريمٌ به الدُّنيا قد ابتهجت
في مُقْلَتيَّ وأَحْبابي قد ابْتَهجوا

وقد سمّى هذا الشاعر الظهير صكًّا كما سمّته الشاعرة حفصة في رواية كذلك تبعًا للتسمية القديمة ، وهي تسمية وردت أيضًا في شعر يوسف بن هارون الرمادي من شعراء عصر الخلافة الأموية ، قال متحدثًا عن الكُتّاب :

مِنْ مَعْشَرٍ تَنْطِقُ أيْدِهِم
بِحِكْمَةٍ تَلْقَنُها الأعْيُنُ
تَلْفِظُها في الصَّكِّ أقْلامُهُمْ
كأنّما أقْلامُهُمْ ألْسُنُ

وقال أيضًا :

كاتِمٌ للأسْرارِ عَنْ كُلِّ واشٍ
غَيْرَ ما في الصُّكُوكِ مِنْ أسْرارِ
كَالمُحِبِّ الذي يَبُوحُ لإلْفِ
ثُمَّ يَطْوي عَنْ كاشِحٍ ويُداري

وهكذا ظلّت كلمةُ الصَّكّ تُذكر إلى أن حلَّ محلَّها كلمةُ ظهير .

يقول أبو بكر ابن خلدون في كتابه أدب الكُتّاب في دَرْجِ كلامٍ له عن طريقة المخاطبات في عهد أبي زكرياء الحفصي فيقول: "هذا إذا كان كتابًا، وإذا كان صكًّا ويُسَمّى الآن ظهيرًا .. " . ويقول القلقشندي في صبح الأعشى تحت عنوان:

"الطرف الرابع فيما كان يُكتب عن مُدَّعي الخلافة! ببلاد المغرب والأندلس" : "وكانوا يعبّرون عما كان يُكتب من ذلك بالظهائر والصّكوك ، فالظهائر جمع ظهير ، وهو المُعين ، سُمِّيَ مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيرًا لما يقع به من المعاونة لمَن كُتب له ، والصكوك جمع صكٍّ ، وهو الكتاب .قال الجوهريُّ : وهو فارسيٌّ مُعرَّبٌ والجمع أصُكٌّ وصِكاك وصُكوك ، ثم تحامَى المتأخرون منهم لفظ الصَّكِّ لما جرى به عُرْف العامّة من غلبة استعماله في أحد معنيي الاشتراك فيه ، وهو الصفع ، واقتصروا على استعمال لفظ الظهير" .

وها هو نصٌّ آخر لابن عبد الملك المراكشي تَرِد فيه ألفاظٌ متعددةٌ لمعنى واحد، قال : "هَمَّ المنصورُ وهو بإشبيلية بانتزاع الأملاك التي بأيدي أهلها بإقطاع أبيه وجدّه إياها لهم ، وتقدَّم إليهم في إحضار الصُّكوك التي تَسَوَّغوها بها ، فاشتدَّ قلقُهم لذلك واستشعروا خلل أحوالهم ، إذ كانوا كلهم أو أكثرهم قد عُني بما صار إليه منها فشيّدوا المباني

وأحكموا الغراسات ، ومنهم من صارت لهم إرثًا عن بعض سلفه فقصدوا الحافظ أبا بكر ابن الجدّ ورغبوا منه النظر في دفع هـذه النازلة عنهم فأشار عليهم بإحضار مناشيرهم بذلك وجمعها عنده والتفويض إلـيه في أمرها فبعضهم وثق برأيه وعمل عـلى إشارته ، وبعضهم توقّف ولم يثق بباطن الحافظ ، ثم أجمعوا على التسليم إليه فـيما رآه ودفعوا إليه صكوكهم وكانت كثيرة فحملها من الغد إلى مجلس المنصور للـنظر في ذلك فاستدعى المنصور تلك المكتوبات يتصفّحها أو تُتصَفّح بين يديه ، فوضـعها الحـافظ أمامه ثم قال المنصور مسـتفهمًا ابنَ الجدّ والحاضرين من أهل العـلم : هل يجوز للإمام نقض حُكْم مَنْ تَقَدَّمــه مِن الأئمة ؟ فتوقّف الفقهاء عن الجـواب قلـيلا ، فأشـار على الحافظ بالإجابة، فقال له : ذلك جائز للإمام إذا سجل على نفسه بتجوير مَنْ تقدَّمه فيما فعله، فكفَّ المنصورُ عن النظر في ذلك ، وأمـر بصـرف تلك الظهائر إلى أربابها وتمكيـنهم من أملاكهم فدفع الحافظ إلى كـلّ واحـدٍ منهم ما كان قد دفع إليه مـنها". فكـلمة "الظهائر" في آخر هذا النص عُبِّر عنها أيضًا بالصكوك والمناشير وذلك على سبيل التجوُّز .

- ويـبدو أن " الظهـير" في استعمال المُوَحِّديـن كـان خاصًا بظهائر الإنعام والإسـهام ؛ أي بتملـيك المنعَم عليهم أملاكًـا أو تحريرها من الكُلَف المخزنية سواء أكان هذا للأفراد — كما سبق — أم للجماعات كظهير الرشيد المُوَحِّدي لأهل شرق الأندلس بسكنى مدينة رباط الفتح وتعميرها ، وهو من إنشاء الفقيه الكاتب ابـن عميرة ، ومثله ظهير يغْمُراسن لأهل الأندلس باستيطان مدينة تلمسان والإذن لهـم بالحراثة والغراسة وغير ذلك ، وهو من إنشاء أبي بكر ابن خطاب تلميذ ابن عمـيرة ، ومن هذا أيضًا ظهائرُ مُوَحِّدية لأهـل زاويـة تـيط الأمغاريين ، وهي موجـودة في بهجـة الناظرين لابن عبد العظيم الزموري.

ولم يكـن مصـطلح ظهير في عصر المُوَحِّديـن يُستعمَل في تعيينات موظفي الدولة ، وإنما كان يُستعمَل مصطلح آخر هـو الـتقديم ، وهو عبارة عن مكتوب

صادر عن الخليفة المُوَحِّديّ يُقدّم به شخصًا لولاية ما ، كتقديم قاضٍ أو عامل أو قائد عسكر أو قائد أسطول أو ناظر في الجبايات ، وقد وصلت إلينا نصوص تقاديم متعددة ومتنوعة جمعها أديب من عصر الموحّدين هو يحيى الخدوج ، ومنها تقاديم صادرة عن مأمون الموَحِّدين وأخرى عن رشيدهم ومعظمها من إنشاء أبي الحسن الرُّعيني.

قال يحيى وَفّقه الله : "انتهى ما في أثناء هذا المجموع من المكتوب في تقاديم الولاة على البلاد ، وإقرار من فيه المصلحة لسد الثغور وضبطها من القوّاد ، ومما ألفيت أنا من هذه التقاديم مما لم تكن في المجموع ، ولم تُتحصَّل من ذلك الموضوع، ما أثبته إن شاء الله تعالى مع هذه ليكون هنا متصلا، ولها مكملا ، حتى تتساوى اتساقا، وترتبط مساقا ، وتلتئم انتظاما واتساقا لتختص هذه التقاديم بمكانها ، وتتبين ببيانها ، وتجري في التماثل ملء عنانها، ثم آتي بعد ذلك بالصكوك والظهائر وغيرهما مما لم ترتبط بهذه الفنون، ولا تدخل في هذه العيون ، وتكون مستعارة وحدها ، ومعطاة ما عندها ، حتى لا يقع في الكتاب غلط ، ويكون بعضه ببعض مرتبط ".

وقد كان الرسم المتّبع في كتابة الظهير أن يُفتتح بالبسملة والتصلية وبعدهما وتحتهما تكون العلامة المُوَحِّدية وهي : "والحمد لله وحده" ، ولا يكون في الظهير صَدْرٌ ، وإنما يُبدأ مباشرة هكذا: " هذا ظهيرٌ كريمٌ أمَرَ به ... " ولا يُذكَرُ الخليفةُ باسمه أو كنيته أو لقبه ، وإنما يُذكَر بأمير المؤمنين كما في حال عبد المؤمن ، أو أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين كما في حال يوسف ، وهكذا ولو طال النسب ، ثم يكون هذا الدعاء: "أيَّدَهم الله بنصره ، وأمدَّهم بمعونته " وبعد هذا يُكتَب إلى كذا ، مع دعاء مناسب ثم يُذكر موضوع الإنعام "فمَن وَقَفَ عليه فليمتثل " ... أو "وعلى مَنْ وقفَ عليه ..." أو "فمَنْ وقفَ عليه فليعملْ بحسبه" ، ولا يكون في الظهير المُوَحِّدي اسمُ المكان الذي كُتِبَ منه ، ويتفاوت الظهير الموَحِّدي طولا وقصَرًا بحسب المكتوب إليه أو إليهم :

لقد ورث المرينيون عن الموحّدين استعمال كلمة ظهير ، وإن وجدنا كلمة الصُّكوك في عهدهم على سبيل التجوّز كما في قول مؤلف بيوتات فاس في الحديث عن عبد الله ابن أبي مدين : "فلزم عبد الله بن أبي مدين القعود بمشور السلطان لكَتْب الصكوك من أول النهار إلى آخره " والقلقشندي يذكر الصكوك والظهائر عند الحديث عن رسوم بني نصر وبني مرين ، وينص على العدول عن استعمال الصكّ ويذكر سبب ذلك ، ومن المعروف أن مظاهر الحضارة كانت متشابهة في زمن بني مرين وبني الأحمر، ويعنينا هنا مصطلح الظهير الذي أصبح في هذا الزمن يُكْتَبُ للتعيينات والتقادم كما يُكتب للإنعام والإكرام ، وقد أثبت القلقشندي وابن الخطيب عددًا من الظهائر النصرية والمرينية في النوعين ، وتتميز الظهائر التي حررها ابن الخطيب بطول النفس وبسط العبارة وفخامة الأسلوب ، وهي موجودة في بعض كتبه وفي نفح الطيب، وكنّا ننتظر من ابن الأحمر أن يحدّثنا في كتابه : (مُستودَع العلامة) عن رسوم الكتابة الديوانية في العهد المريني لكنه اقتصر على جزئية مُعيَّنة هي العلامة التي تُكتب في صدر المكتوب أو في آخره ، واهتمّ بذكر كتّاب هذه العلامة عند بني مرين والحفصيين ، ولم يكن دقيقًا في تسمية المصطلح ، إذ نجده يتحدّث عن اختلاف آراء الملوك في العلامة ؛ فيذكر أن بعضهم يضعها بيده في الصكّ كملوك الموحّدين وملوك بني الأحمر ، وبعضهم يكتبها بنفسه أو يكلّف بها رئيس كتّابه كبني مرين؛ قال: "فإذا رأيت الصكّ المريني وعلامته:" وكتب في التاريخ المؤرخ به" فهي بخطّ يد السلطان ، وإذا كانت : " وكتب في التاريخ" فهي بخطّ يد صاحب العلامة وهكذا يكرر ابنُ الأحمر ذكرَ الصكّ والصكوك مع أن المستعمل حينئذ هو مصطلح الظهير الذي نجده كثيرًا عند ابن الخطيب وابن خلدون وابن بطوطة وغيرهم.

لقد أشرتُ إلى بعض المُلَح الأدبية المتعلّقة بالعلامة الموحّدية في شعر حفصة وشعر ابن مرج الكحل وغيرهما ،

وأضـيف إلى ذلـك الآن بعض ما قيل في علامـة "صَـحَّ هـذا " التي اتخذها أمـراء بـني نصـر ؛ فمـن ذلك قول أحمـد بن قُطْبة الغرناطي وقد طلب من بعضـهم أن يَمُـنَّ بظهـيرٍ في شـأن حاجة :

تقولُ ليلَى وقد رأتْني
كَـيفَ بـالٍ ، فُديتَ ماذا ؟
فقُلْتُ مَهْلا فَعَنْ قريبٍ
يصـحُّ هـذا بـ "صحَّ هذا"

ويقول ابنُ زَمْرَك متفائلا لسلطانه بالرَّاحة من مرض :

نعمْتَ كما شاءتْ عُلاكَ صَباحا
ولُقِّيـتَ أيَّـامَ السُّـرورِ صِباحا
وأسندتَ عن فالِ العَلامة "صَحَّ ذا"
أحاديثَ يَرْويها الزَّمانُ صِحـاحا

ويقول فيه أيضًا :

انْعَم صَباحًا يا صَباحْ
واسْـتقْبِل الغُـرَرَ الصِّـباحْ
واستَجْلِ كُلَّ مَسَرَّةٍ
واهْـنأ بأيَّـامِ الـنَّجاحْ
في "صَحَّ هذا " آيةٌ
وعلامـةُ البُـرْءِ المُتـاحْ

ويقـول في الشكر عن ظهير أصدره إلى ولده:

مَوْلايَ نعماكَ العَميمَةُ بَلَّدَتْ
ذِهْني الصَّقيلَ وأخْرَسَتْ مِنْ مَنْطِقِي
وافَى "الظَّهيرُ " لِنَجْلِ عَبْدِكَ منعمًا
بِمُواهِـبٍ مِـنْ بَحْـرِكَ المُتَدَفِّقِ
طوَّقْتَنا طَوْقَ الحَمامِ أياديًا
فَنداؤنا بالشُّكْرِ سَـجْعُ مُطَوَّقِ

فـإذا وصـلنا إلى زمـن الأشراف السعديِّين ، وجدنا أن ظهائرهم كظهائر بـني مرين تكون للإنعام على المستحقِّين كمـا تكون لتعيين الموظفين ، وقد وصل إليـنا عددٌ منها، وهي تنحو في الأسلوب منحى الظهائر الخطيبية ، ولا سيما تلك التي حرَّرها عبد العزيز القشتالي، وهو مَنْ كـان المنصور يُباري به لسان الدين ابن الخطيب، على أننا نجد شيئًا من الاختلاف في رسم المصطلح بين الظهائر التي كتبها القشـتالي والظهائـر التي كتبها غيره ، فالأولى تُفتتح بما يلي : "عن أمر عبد الله تعالى ، المجاهد في سبيله ... إلخ الألقاب ... يسـتقرُّ هـذا الظهير الجليل ... إلخ الأوصـاف ... بيد فلان ... إلخ النعوت

... ثم تُذكر التَّوْلِيَة مع التوصية أو الإنعام مع تحديده ، ويُختم بذكر التاريخ وكُتب في كذا "

أما الظهائر الأخرى فمثالُها ظهيرٌ من إنشـاء الكاتـب محمد بن عيسى بتَوْلِيَة الـرايس إبراهـيم الشـطّ عـلى قيادة الأسـطول، وهـذا الظهـير كما يقول القشتالي في المناهل مكتوبٌ حسب اسم المصـطلح الذي كان الانتقال عنه ، وهو مُفتتَحٌ بعبارة: "هذا ظهيرٌ كريمٌ ... لفلان .. " ويُختـتـم بعبارة: " فَمَنْ وقفَ عليه فَلْـيَعْمَلْ بمُقتضـاه ولا يـتعدَّه " وهذه الرواسـم هـي التي رأيناها في الظهائر الموَحِّدية .

أمـا العلامـة السعدية فهي العلامة الموَحِّدية التي سبق ذكرها ، ولكنَّها بالغة الزخـرف ولا تُقـرأ ، ويرى المستعرِبُ (كولان) أن ذلك بتأثير الطغراء العثمانية، وهي تُوجد مرسومة أيضًا على مدافعهم وبعض عُملَتِهم وفي زخارف قصورهم .

إن مسـك الخـتام في هذا الحديث المتواضـع هـو الظهير في الدولة العَلَوية الشريفة ، وهو يستحقُّ حديثًا خاصًّا به ، وإلى أن يحـين ذلـك أكتفي بالقول: إن الظهائر العَلَوية الشريفة كثيرةٌ ومتنوعةٌ ، سـواء الـتي كُتِبت في التعيينات أم التي كُتِبـت للإنعـام أو الإعفاء من الكُلَف المخزنـية ، ومـا أكثر ما كُتِب من هذا النوع الثاني للفقهاء والشرفاء والمرابطين ، وتمتاز هذه الظهائر بالطابع الشريف ومنه الكبير والصغير ، ويُوجد عددٌ كبيرٌ منها في دَوْريـة الوثائق التي تصدُر عن مديرية الوثائق الملكية .

هذا نموذجٌ من مشروع تاريخ ألفاظ الحضارة في الأندلس وبلاد المغرب ، وأنا أنـوي السير فيه على هذا النحو ، وكم أكـون سعيدًا لو اشتركت فيه مع أخي العـالم الكـبير الأستاذ الدكتور محمود مكـي، ومعـرفتي بتواضـعه هي التي تحملـني على هذا التمني ، وهو فاعلٌ إن شاء الله .

محمد محمد بن شريفة

عضو المجمع المراسل من المغرب

كان بعض هذا في حديث طائف(١)

قصيدة *

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي

أقول أنا السمح العراقيّ متعب
ألي في ديار العرب أهل ومرحبُ؟

تعرفت هذي وانثنيت لغيرها
وقد كان لي في الشرق والغرب مذهبُ

فما كان لي في كل أرضٍ عرفتها
حمىً أتحامى فيه ما أتهيبُ

ولا مرت الأيام بي تستفزني
هوًى رفَّ منه همس ما هو طيبُ

فمن ذا الذي أرجوه في بعض نازلٍ
ومن ذا الذي ألفيه لا يتهرَّبُ

نظرتُ إلى أمسي فهاج التحببُ
ولم يك لي فيه مراح وملعبُ

وجئت إلى يومي أصاحب نافرًا
وكيف إلى جافٍ أرود وأصحبُ؟

فرحْتُ بعبء أيَّ يوميَّ أصطفي
وأني أرنو آتيًا وهو يكربُ

نحلت العفو مني ما أراك مؤاخذي
وإني إلى معروفك اليوم أطلبُ

مشى كلُّ ذي لغوٍ إليَّ بصيحة
حوت كذبًا، وهو الظلوم،ويكذبُ

علامَ تلاحيني أترقى حمامةٌ
إلى الصقر يعلو أوجه وهو أغلبُ

وما هو معْ "خرقاء" بعض حمامة
يرى قصبًا للسبق أو هو معجبُ

ذر النفس تأخذ وُسعها ونصيبها
وإن صد هذا موحش العمر أشهب

ولست إلى هذي وتلك بخافض
جناحا ولا نبغي هاتيك ينضب

أأسهر طرفي والظلام يجفني
أم اشقى بما من بعد هذا وأنصب؟

أجَلْ فليَ الوافي الغنيُّ بوفره
وما أنا بالعافي الزريِّ فأتربُ

حبيبٌ إلى نفسي الخلود إلى التي
وقتني عما ليس لي منه مهربُ

هي النفس يصبيها الحنين إلى الخمر
وكيف إلى ما نالني أتقربُ

* ألقيت هذه القصيدة في الجلسة العاشرة يوم الاثنين ١٧ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٦من مارس(آذار)سنة ١٩٩٨م.

(١) قلت : كان بعض هذا في حديث طائف طرقني فكان منه أن بادرني بشيء من أشتات هذه النجوى .

لقد نالني من طيف ما أنا أندب
وقد هالني في المـدلجات تـعرُّبُ
عدمت به نوءًا أناخ به الأسى
ولاح به من هاتف الوجد كوكبُ
كأنّ بريدًا بيننا صينَ حبله
فراحــتْ قوافــيه تــئنُّ فتُكتب
يقولُ ليَ الإلفُ البعيدُ إلى متى
يجولُ بنا عصفٌ ويقسو ويقضب
فقد قال فيما قال كيف لقاؤنا
وأيان منــا الدار تدنو فترحب؟
أعما قريبٍ تنجلي بعض غمّةٍ
فيمثل للشــادين في المجد موكب؟
إلى الحِلْم كم يصبو لبعض لقائه
كئيبٌ يعاني الليلَ وهو يُشــبّب
لئن خانه طرف وطال نسيبه
فهل وطن يلقاه مَن بات ينســب
أقول لإخوان الشتات على النوى
دهاني مع الذكرى هــوى وتجنّب
وما كان لي أن أُسْلِمَ الوجدَ وهْو بي
لحونٌ وآهــاتٌ تثــورُ وتغضبُ
أرمُّ بها ما نال من همتي بلىً
تمضّــني ما رقّ منها فأطــربُ
وقد يطرب المحزون يذهب صوته
نســيبًا مشى في سلســلٍ يتلهّبُ
أنلني الأسى لم أدر بعض لحونه
وقد فر مــني نافــرًا يتــذبذبُ
تداعى علي الليل والوجد والهوى
فكان لهم فيما ســعوا وتألبــوا
فعدت إلى نفسي ألــمُّ شتاتها
وطارت شعاعًا وارتمت تتــقلبُ
وقلت: ألي في اللفظ أشباح معشرٍ
أسائلهم عن كامن السرِّ يعذُبُ ؟
وأغمز من أوتارهم أي ساحرٍ
أجاذب منه عامــرًا بات يجذبُ؟
إلى وطنٍ قد عادني من حديثه
هوىً نال من ضعفي بما راح يسلبُ
أأقوى على النجوى أطيل جوابها
وقد رثّ مني ما به أتعصــــب؟
وأين التي قد كان لي من حسابها
قوافٍ أناجيها فتــدنو وتحدب ؟
وأسكب فيها النفس أعمرها هوًى
وهل لي سوى نفسي التي كنت أسكب
عشية ألقاني ولي بعض آلةٍ
من اللفظ يصفو لي به والتحــبُّبُ

فلا تبتئس أن بتَّ تطلب حاجةً
وكم كان منها أمسِ ما ليس تطلبُ

* * *

رفاق النوى إن النوى أي غمرةٍ
يخـوضُ بها لصٌّ وآخـرُ أرنبُ
خذوا حذركم فالبعد ليست نهاية
وغاية ذي ضِغنٍ مشى منه ثعلبُ
فإني وقد جَوَّلتُ في بعض غامرٍ
دهاني به أُسْــدٌ تصول وأذؤبُ
وكانت فلولٌ للشقاء يهُمّها
رخيصُ متاعٍ يرتمي فيه أشـعبُ
تصيَّدَه بل سامَهُ كلُّ بائسٍ
تجوَّل في قِطـعٍ من الليل ينهـبُ
لقد عاش في كَرْمٍ من الحيّ ثعلبُ
وكم جال فيهم بالأباطيل مُذنبُ
فلول الشقا قد فرّ عنكم أخوالهدى
ومن صان نفسًا عن صغائر تُكسَبُ
فقد ساد ليثِ الغاب فيكم وإنه
إلى كـل مرذولٍ من الأمر يُنسَبُ
أذمّ لكم هذا الذي ترتضونه
من العيش فيه الذلّ بالسُّحت يجشبُ
تناسيتم أنّ العراق وأهله
أطيح بهم شرٌّ وذو الشرّ يشجبُ
وكيف وقد يُمَنّى امرؤ بلقائكم
برئـتُ فلا أمٌّ بكـلٍّ ولا أبُ
أشائبُ منّا ضامنا سوءُ أمرهم
بما صعّدوا في سوءِ عيشٍ وصوّبوا
وإني كما قد قال "نابغة" الورى
وليـس لنا إلا الذي هو يـوهبُ
"ولست بمستبقٍ أخًا لا تلمُّه
على شَـعَثٍ أيُّ الرجال المهذّبُ"
وقد يُبتَلى ذو العقل فيما ينوبه
من الخطب لا يُقصيه عنه التنكُّبُ
وإني وقد أقسو، وقد جُنَّ منطقي
ومصدق مني في هوًى وهو مطلبُ
لذو صيحةٍ مهما تمضّمني البلى
وذو نغـمةٍ حـرَّى لما فيه يرغَبُ
ولستُ بنِقْضٍ عافَ دنياه قابعًا
بكِسْرٍ ، ولقد يسمو إلى الحزم أشيَبُ
ولي ، وقد استوفَى بيَ الحزمُ ماله
وأسـعى له في العزم ما أتـأهّبُ
ليعطفني للمجد شادٍ ومتعَبُ
سَعَى في قوًى من ذا وذا وهْو يصخبُ
وإنْ صَوَّح الربع الكئيب وضامَه
سبيل تمطّى في السُّرى وهو مُجدبُ

أقِلْني عذرًا إن دجا فيَّ منطق
وقد راح في بقيا من الحرم يصعُبُ

* * *

أخي في النوى في حيثما كنتَ صاحبي
وإني بما في وحـــدتي أتــــحزَّبُ

وإني بحزبٍ ، والليالي تقودني
إلى بعض من ضِيموا فطال تغرُّبُ

أقول ولي بعضُ المنى وهو ضَلّةٌ
وقـــد يتأسَّـــى بالخيالات مُلْهَبُ

يطنُّ الليالي وهي شَيْباء في دُجىً
ســـيأتي لها بعد الملمات صَيِّبُ

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع

من العراق

الحركة والسكون عند الصوتيين العرب
وتكنولوجيا اللغة الحديثة *

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

قال علي بن عيسى الرماني[1] في شرحه لكتاب سيبويه، "لا يتكلم بحرف واحد حتى يوصل بغيره فالوصل هو الأصل في الكلام"(5/ الورقة 23 ب)[2].

فهذا القول وهو قول جميع اللغويين العرب الأولين يخالف تماما النظرة اليونانية التي بنى عليها تقسيمهم لأصوات اللغة إلى مصوتات وصوامت . فقد لاحظ الفلاسفة اليونانيون ثم نحاتهم أن بعض الأصوات لا يمكن أن ينطق بها في الكلام العادي دون أن يرافقها صوت من جنس آخر فسموه aphona (غير مصوت) أو symphona(مرافق لغيره). وأما هذا الذي يكون دائما معه في الكلام فيقدر الناطق أن ينطق به منفردًا وسموه phoneenta . ومن ثم نشأ – في الوقت نفسه– مفهوم المقطع(Syllabe) وتوارث الغربيون هذا التقسيم – وهي نظرة (على الأصح لليونانيين القدماء)- إلى الدينامية اللفظية (أو حراكية التلفظ) ولم تغيرها الصوتيات الغربية في جوهرها إلى يومنا هذا وحافظت على التقسيم نفسه فقط كما سنراه .

وللنحاة واللغويين العرب نظرة أخرى[3] قد تلتقي بهذا التصور فيما لا مناص من قبوله لأنه راجع إلى الحس أي المعرفة المبنية على المشاهدة والتجربة وتفارقها من عدة جوانب من حيث تصور آخر أي نظرة من زوايا أخرى غير الزوايا التي اعتمد عليها قدماء اليونانيين .

ولهذا يجب على الباحث فيما أعتقد، أن يتأمل جيدا هذا الذي يسميه العرب الحركة والسكون والحرف المتحرك أو الساكن ولابد من الالتفات في ذلك إلى ما توصل إليه البحث لا في الصوتيات الحديثة فقط بل وكذلك في ميدان التكنولوجيا اللغوية.

* ألقي هذا البحث في الجلسة العاشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والستين يوم الاثنين ١٧ من ذي القعدة سنة١٤١٨هـ الموافق ١٦ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

النظرية اللفظية الحراكية العربية وما قاله العلماء العرب

إن العـلماء العرب اطلعوا على هذه المفاهيم الصوتية اليونانية بعد أن ترجمت إلى العربـية كتـبهم لا قـبل ذلـك . واستسـاغها الفلاسـفة العرب وعلماء الموسـيقا فوضـحوها وعلقوا عليها وأضـافوا إلـيها أشـياء جديدة نتيجة لاجـتهادهم العلمي ، وتجدر الإشارة إلى أنهـم كثيرا ما يرجعون إلى النظرة العربية فيحاولون أن يترجموا تصور هؤلاء بألفاظ أولئك والعكس. فهذا الفارابي يقول بعد أن تعـرض للتقسـيم إلى مصوت وغير مصـوت :" كل حرف غير مصوت اتبع بمصـوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل،إنهم يسمون المصوتات حركات . وكـل حرف لم يتبع بمصوت أصلا وهو يمكـن أن يقـرن بـه فـإنهم يسمونه الحـرف السـاكن . وكـل حرف غير مصوت قرن بمصوت طويل نسميه المقطع الطويـل" (كـتاب الموسـيقا الكبير ص1075)

وقـال ابن سينا :"والحرف الصامت إذا صـار بحيـث يمكن أن ينطق به على الاتصال الطبيعي سمي مقطعا وهو الحرف الصـامت الذي شحن الزمان الذي بينه وبـين صامت آخر يليه بنغمة مسموعة " (الشفاء ،جوامع علم الموسيقا ص 123). فـإن كـان الـزمان قصيرا سمي مقطعا مقصـورا وهـو حرف صامت وحرف مصـوت مقصور وإن كان طويلا سمي مقطعا ممدودا وهو حرف صامت وحرف مصـوت ممـدود أو ما في زمان دوران أقصـر زمـان وهـو صامت ومصوت وصـامت. والمقطـع المـدود يسميه العروضيون : السبب والمقصور إذا اقترن بـه الممدود سموه: الوتد (نفس المرجع، ص(126).

العجيب في قول ابن سينا هذا هو أنه يعـتمد على مفهوم الحرف وهو مفهوم عربي ليحدد مفهوم المقطع اليوناني . وكل مـن الفـارابي وابن سينا يحاول أن يأتي بالمقـابل العـربي: الحركة بمعنى المصوت القصـير والسبب بمعنى المقطع الممدود. وأعجـب من هذا هو أنهما لا يتساءلان

هها عن عدم وجود ما يسمونه بالمقطع القصير في العروض العربية. وما يرعمه الفارابي بأنه هو الحرف المتحرك غير دقيق لأن الحرف المتحرك لا يمكن في الظرة العربية أن يوقف عليه مع بقاء الحركة كما هي بخلاف المقطع القصير فإنه يمكن في النظرة اليونانية أن ينفصل . فههنا يكمن الفارق الأساسي الذي تفترق فيه النظرتان[4]

1- الحرف كأصغر عنصر من عناصر الكلام

قبل أن نتطرق إلى هذا الفارق المهم وتمهيدًا لتوضيحه الكامل فإننا سنحاول أن نكشف عما يقصده العلماء العرب من لفظة "حرف" وخاصة بالنسبة إلى الكلام والكلمة ثم إلى الصوت والمحرج. وما هي أصنافه عندهم وصفاته المميزة له عن الحركة وغيرها .

يقول الرماني : "أقل ما يمكن أن ينطق به من الحروف الحرف الواحد (شرح الكتاب 141/5) . ويقول سيبويه: " أقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد" (304/2) ويقول ابن جني: "يجوز أن تكون سميت حروفا لأنها جهات للكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به" (سر الصناعة 16/1).

فمن هذا يتبين أن الحرف هو أصغر مكون للكلام[5] وأن الكلمة التي هي مكون آخر للكلام يمكن أن تتكون من حرف واحد (على الأقل مثل المد في "خرجا") وأن ابن جني كان ينظر إلى أن هذا المكون الأصغر للفظ على أنه جهة وناحية للكلمة ولا يقول أن الحرف جزء أو قطعة منها[6] واستدل على ذلك بالمعنى الجامع الذي تدل عليه مادة (ح ر ف).

أما تحديد الحرف من حيث هو صوت فاتفق الجميع على أنه ناتج عن تقطيع الصوت الحنجري (أو النفس) في جهات معينة من الجهاز الصوتي أي باعتراض عضو على هذا الصوت جزئيا أو كليا في زمان وحيز فيكون له بذلك جرس خاص. يقول ابن جني: "تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع (= المخارج) شئت فتجد له جرسا ..." (ص6) أما الحكماء فإن لابن

سـينا تحديدًا فنولوجيًا محضا سبق به أهل الفنولوجية بقرون . يقول: "الحرف هيئة للصوت عارضة يتميزها عن صوت آخر في الحـدة والثقل تميزا في المسموع[7] " (أسباب حدوث الحروف، 60).

2- التقسيم إلى حروف صحاح وحروف اللين (معنى حرف المد)

وأمـا أصناف الحروف ففي تقسيم العـرب لهـا يلتقي النحو العربي بما قاله اليونانيون في تقسيمهم لأصوات اللغة إلى صـوامت ومصـوتات مـع الكثير من الفـوارق كمـا سنراه. وما كان يمكن لعـباقرة مثل الخليل وأمثاله أن يغفلوا عن هـذه الظاهرة العامة الوجود الناتجة عن كيفـية تقطـيع الصـوت الطبيعي في المخارج.

فقـد قسم العرب الأصوات اللغوية إلى حـروف صـحاح وحروف لين. ثم قسموا هذه الأخيرة إلى حروف توامّ وهي حـروف المـد وحـروف ناقصة وهي الحركات . وبهذا التقسيم الأخير يفارقون التحلـيل الـيوناني . يقول سيبويه عند تحديده لحروف اللين: "هذه الحروف غير مهموسـات وهـي حـروف مد ولين ومخارجهـا متسـعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمـد للصـوت.." (285/2) ويقول ابن جني: "فإنك إن أشبعتها (الفتحة) حدثت بعدها ألف ... فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت عنها " (نفس المرجع ، 20). ويقول ابن يعيش : "ومـنها الحروف اللينة.. وقيل لها ذلك لاتسـاع مخرجها والمقطع إذا اتسع انتشر الصـوت ولان وإذا صـاق انضغط فيه الصـوت وصـلب" (شـرح المفصل، 130/10)[8] وقال أيضًا : "لأن الحروف (المديـة) أصـوات وإنما رأى النحويون صـوتا أعظم من صوت فسموا العظيم حرفا والضعيف حركة" (64/9).

ويمكن أن نلخص هذا في الجدول التالي :

عند اليونان :

صوامت / مصوتات (قصيرة — طويلة)

عند العرب :

حـروف صحاح (أو جوامد) / حروف لين[9](حروف ناقصة: أصوات الحركات، حروف توام : مدات لأصوات الحركات)

فلماذا فرق العرب بين الحركة وهي صوت عندهم ومدّها فاعتبروا هذه المدة حرفا قائما بذاته بل وحرفا تاما دون الحركة التي هي ابتداؤها؟ ولماذا لم يجعلوهما حرفا واحدا وهو المصوت الطويل عند اليونان (والصوتيين الغربيين)؟ إن هذه الأسئلة ترتبط الإجابة عنها ، فيما أعتقد ، بمفهومي الحركة وحرف المد وهو شيء لم يستطع المستشرقون ومن تبعهم فهمه إلى يومنا هذا[10] يقول الرماني : "حروف المد واللين قد تباعدت بالخاصية[11] عن الحروف الصحاح تباعدا شديدا .. إذ هي من جنس الحركات التي يضطر إلى زيادتها لإمكان النطق بها وليس ذلك للحروف الصحاح فلما تباعدت بالخاصية من جميع الحروف الصحاح صارت بمنزلة ما تباعد بالمخرج (23/65/5 ب) ويقول في مكان آخر : "الحروف تتقوم بالحركة على ما يمكن النطق به ولا تتقوم بالحرف من الياء ونحوها ويتوصل بالحركة إلى النطق بالحرف ولا يتوصل بالحرف إلى النطق بالحرف (14/56/1) . ويقابل حينئذ الحركة بالسكون فيقول : "لأن الحركة تمكن من إخراج الحرف[12] والسكون لا يمكن من ذلك " (15/5) . ويقول أيضًا: "إذا تحرك الحرف اقتضى الخروج منه إلى حرف آخر " (21/5ب).

3- الحركة هي في الحقيقة الحركة العضوية الهوائية التي تمكن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر

من هذا الكلام نفهم أن للحركة دورين مهمين جدا تنفرد بهما هي وحدها دون الحروف التوام (الجامدة منها واللينة) وهو تمكين الناطق من إحداث الحرف أولاً وتمكينه ثانيا من الانتقال من مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر .وهذا الذي قاله الرماني مهم جدا لأن النظرية الصوتية العربية بنيت كلها على هذه الرؤية الحركية. وبذلك نستطيع أن نفهم لماذا سميت الحركة حركة ونفهم أيضًا الكثير من الظواهر الصوتية . ولا ننسى أن هذين القولين المهمين جدا هما تفسير لكلام سيبويه والخليل . فقد قال سيبويه : "هن (أي الحركات) يلحقن ليوصل إلى التكلم به " (315/2) .

ويقـــول الخليل : "الحروف 28 لكل حـــرف منها صرف وجرس وأما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف وأما الصرف فهو حركة الحرف (تهذيب اللغة للأزهـــري 46/1). ويقـــول أيضًا " أما الألف اللينة فلا صرف لها إنما هي جرس مَـــدة بعـــد فـــتحة فإذا وقعت صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستنابت عـــلى الهمـــزة أو الياء أو الواو كقولك: "عصـــابة وعصـــائب وكاهل وكواهل وســـعلاة وسعليات ... فالهمزة التي في العصـــائب هـــي الألف التي في العصابة والواو في الكواهل ... جاءت خلفا منها "(47-48).

وعلى هذا ينبغي أن نميز ، كما يفهم مـــن هذا الكلام. بين جرس الحرف وهو مـــا يـــدرك مـــنه بالسمع وهذا يخص الصـــوت في حـــد ذاتـــه وهـــو هوية الحـــرف الصـــوتية السمعية وبين صرف الحـــرف وقد فسره بالحركة وهو يخص إحـــداث الحرف والخروج منه إلى حرف آخـــر . ويقول عن الألف إنها لا صرف لهـــا إنما هي ، مثل الواو والياء المديتين ، امـــتداد لصـــوت الحـــركة[13] لا لـــلحركة كحـــركة غـــير الحركة التي تمكـــن من إحداث الحرف ووصله بحرف آخر .

أمـــا الحركة كصوت أي كمصوت قصـــير فهو المفهوم السائد عند المتأخرين وأكثر المحدثين ولا يعرفون غيره[14] وقد أكـــد كذلـــك على الجانب الصوتي كل العـــلماء القدامـــى فقولهم : "إن الحركة حرف صغير : ألف أو واو أو ياء صغيرة، فهـــو تأكيد لذلك. يقول صاحب الدر النثير : "الفتحة مبدأ الألف ومبدأ الشيء جـــزء من الشيء" (163) 9 ويقول ابن يعـــيش: "فالـــروم أوكد من الإشمام لأن فـــيه شـــيئا مـــن جوهـــر الحركة وهو الصوت " (70/9) . وللحركات ، لهذا الســـبب مخـــارج مثل الحروف التوام . يقـــول الســـيرافي في شـــرح الكتاب : " مخـــرجها (الفـــتحة) من مخرج الألف وكذلـــك الكســـرة مـــن مخـــرج الياء والضـــمة مـــن مخرج الواو وقال بعضهم الفتحة جزء من الألف " (شرح الكتاب 315/2).

الحركة ومفهوم الإدراج

كما هو معروف يوصف الحرف بأنه متحرك أو ساكن فالذين تأثروا بالفلسفة اليونانية يكتفون في تحديدهم لهما بقول مثل هذا : "الحرف لابد وأن يكون إما ساكنا أو متحركا ولا نريد به حلول الحركة والسكون فيه لأنهما من صفات الأجسام بل المراد أنه يوجد عقيب الصامت صوت مخصوص " (الرازي ، التفسير 38/1)[15] وليس الأمر بهذه البساطة. قال سيبويه: "إذا أردت إجراء الحرف ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بما فيها منها (أي الحركات) وإن شئت أخفيت " (405/2) ويفسر هذا هارون بن موسى أحد شراح الكتاب هكذا : "فإذا أردت تحريكها بإحدى الحركات الثلاث ... رفعت صوتك بحروف المد واللين فقلت : فا، وفو، وفي فلابد من حروف اللين لأن الحرف المتحرك لا ينفرد كما لا ينفرد الساكن " (الورقة 176) . ويقول ابن جني : .."لا يجري الصوت في الساكن فإذا حرك انبعث الصوت في الحركة ثم انتهى إلى الحرف " (الخصائص، 130/3). ويقول الرماني: "يقتضي الوصل التحرك لتمكين الحرف الذي بعده متحركا كان أو ساكنا"(115/5) .

فهذا التسلسل المتداخل للحروف الذي تحدثه الحركة هو الذي يسمونه الإدراج . يقول ابن جني : " أصل الإدراج للمتحرك إذ كانت الحركة سببًا له وعونا عليه " (الخصائص 58/1) . ويعني اللغويون العرب بذلك أن الكلام الطبيعي متصل بعضه ببعض ولا انقطاع فيه ولا مقاطع[16] تحصل فيه (إذا كانت تأدية الحروف عادية) كما يتصوره اليونانيون ومن تبعهم ، وعناصره مدرجة فيه بحيث تصير مثل سيلان المواقع[17] . والدليل على ذلك هو أن "الحرف الساكن ، كما يقول ابن جني، ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله لو وقفت عليه[18]... " وسبب ذلك عندي أنك إذا وقفت ولم تتطاول إلى النطق بحرف آخر من بعده تلبثت له ولم تسرع الانتقال ... فأما إذا تأهبت للنطق بما بعده وتهيأت له وتنشمت فيه فقد

حـال ذلـك بينك وبين الوقفة " (نفس المرجع)[19]

ثم إن لـلحركة التي بها يتم الإدراج تأثيرا كبيرا على الحرف الذي تحدثه لأنه "يتقوم بها " وبما أن لها مخرجا كمصوت (أو نَفَس) فتجذب الحرف إلى مخرجها . يقول ابن جني : "لأنها تقلق الحرف الذي تقـترن به وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضـها (سر الصناعة ، 30,1) ويقول الرضـي : "لأن الحـركة لشدة لزومها لـلحرف وإن كانـت متعقبة لها [الياء] تفت في عضدها وتشربها شيئا من جوهر نفسها وتميلها إلى مخرجها شيئا " (شرح الشافية 10,3) .

هـذا هـو التصور العربي للدينامية اللفظـية الطبيعـية : فاتصـال الحروف يقتضـي التهيؤ للنطق بالحرف التالي في الوقـت الذي ينطق بما قبله وهذا يحدث في أثـناء الـنطق بالحـركة أي في بداية الخـروج من مخرج الحرف والانتقال إلى مخـرج آخـر فالحـركة ههنا هي مثل حـركة الصـور في الأفـلام السينمائية فـلا انقطـاع فيها بين صورة وأخرى إطلاقـا . فهـذا هو الإدراج وما أبعد هـذه الـرؤية من التصور اليوناني الذي يجعـل مـن الكلام مجرد تعاقب للعناصر الصـوتية تقـترن بعضـها ببعض دون أن يكـون هـناك إدراج لـلحركات المحدثة لها .

هـذا وقـد استشكل العلماء الذين تأثـروا بـأقوال المتكلمين والفلاسفة أن يوصف الحرف بالحركة والسكون . وممن حاول رفع هذا الإشكال الزجاجي[20] ثم السهيلي. قال هذا الأخير : "قولهم حرف مـتحرك .. تساهل منهم .. فمحال أن تقوم الحركة بالحرف لأنه عرض والحركة لا تقـوم بالعـرض . وإنمـا المتحرك في الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان أو الحـنك الـدي يخرج منه الحرف .. والسـكون عـبارة عن خلو العضو من الحـركات عند النطق بالحرف(ذكر في الأشـباه للسيوطي 191/1) ويقول ابن القـيم : "وعندي أن هذا ليس استدراكا على النحاة؛ فإن الحرف وإن كان عرضا فقد يوصف بالحركة تبعا لحركة محله .. " (الأشباه،192/1).

قبل ذلك بزمن طويل نسب العلماء التحرك إلى الأعضاء الناطقة . قال الخليل: "تتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت وفي الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت" (نفس المرجع 177) . وكذلك يقول سيبويه : "فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك لأن ضمك شفتيك كتحريك بعض جسدك " (283/2).

والذي يلفت النظر في كلام الخليل هو إردافه لحركة العضو بحركة أخرى وهي حركة إخراج الصوت وهذه الأخيرة هي في الحقيقة حركة الهواء الصائت[21] أو غير الصائت (النفس) المندفع من الصدر والمتكيّف في التجاويف العليا . وقد سبق أن ذكرنا بهذا الصدد " كلاما لابن جني (في ص7) : "لا يجري الصوت في الساكن فإذا حرك انبعث الصوت في الحركة ثم انتهى إلى الحرف " (الخصائص، 130/3). ومن ذلك أيضًا ما يذكره الذين اطلعوا على أقوال المتكلمين وعلى أعمال علماء الموسيقا وفيزياء الصوت من العرب . يقول ابن حزم : "التسمية هي تحريكنا لعضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف وهي غير الحروف لأن الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرك (الفصل ، 33/5) . وقال صاحب كتاب المحاذي[22] ... "ما هي عند الحكماء وهو انتقال الجرم من حيز إلى آخر وإن كان بالنظر إلى الهواء فهي ما هو عند الحكماء" (الورقة 57) . وقال في مكان آخر من الكتاب (وهو أدق ما وصلنا في هذا الموضوع) : "إن ذلك الحرف الذي يسمى حركة به انتقل الهواء وانقطع عن قراره .. وتمكن النطق بما بعده .. [أما] وجوب سكون الحرف الموقوف عليه فلأنه لم يرد نقل الهواء عنه إلى حيز آخر " (الورقة 29 ب) . وقال أيضًا : "فإن انتهى [الصوت] إلى حيز وقرع مخرجا من مخارج الحلق أو الفم أو الشفتين تموج لذلك القرع فتكيف بكيفية هي الحرف .. فإن قر الهواء قرارًا تامًا و لم يضطرب فالحرف ساكن وإن لم يتم قراره واضطرب عند الاعتماد كان الحرف

متحركا لانفصاله عن الحيز حركة .. وتلك الحركة التي ينفصل بها الهواء عن مقطع خاص متنقلا إلى غيره " (المحاذي 55) .

هذا وقد وضح صاحب كتاب البديع[23] وكذلك السخاوي هذه التحليلات باستعمال مصطلح الإطلاق للدلالة على نبوة الهواء والعضو الناطق وزاد السخاوي مصطلح الحبس للعملية المضادة ولاشك أنه استعار ذلك من استعمال ابن سينا لهما[24]

قال السخاوي في شرح الشاطبية : "الهمزة [الساكنة] أثقل لأنها لا تخرج إلا مع حبس النفس لعدم حركة تعينها على الخروج وهي محبوسة والمتحركة لا يحبس معها النفس وهي مطلقة لوجود ما يعينها على الخروج " (الورقة 70) . ويقول أيضًا صاحب كتاب البديع[24] : "إنما لقبت الحركة بهذا اللقب لأنها تطلق الحرف بعد سكونها . فكل حركة تطلق الحرف نحو أصلها من حروف اللين فأشبهت بذلك المتحرك بعد سكون " (الأشباه 175/1). [25]

فهذا الذي يسميه السخاوي والغزالي إطلاقا يسميه سيبويه : رفعًا أو نبوًا قال: " ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا إلى ذلك الموضع للحرف الآخر فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة " (158/2).

وقال أيضًا : "فلما لم يصلوا إلى أن يرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة لم يقلبوا " (272)[26]

نستخلص مما سبق أن " الخروج من حرف إلى حرف آخر"كما يقول الرماني أو "الانفصال من حيز إلى آخر " كما يقول من جاء بعده هي الميزة الحقيقية التي تميز الحرف المتحرك من الساكن فإن الحركة في الأول ليست أي حركة عضوية وهوائية بل تلك التي يرتفع بها العضو وينتقل بها الهواء من موضع إلى موضع آخر. وهذا خلاف الحرف الساكن الذي يمتنع فيه العضو والهواء معه من الانتقال من الموضع . وعلى هذا فالحركة في الحرف المتحرك أخص من الحركة العضوية الهوائية لأنها حركة

إطـــلاق لا حركة حبس للعضو والهواء . فالـــرفع للعضـــو والتزحـــية للصوت لا يكونان إلا مع هذه الحركة التي تمكن من الخروج إلى حرف آخر . فتحريك العضو والهـــواء هو أعم من تحريك الحرف لأن تحـــريك الشفتين في الواو الجامدة (القابلة للتحريك) مثلا قد يحدث في هذا الحرف ســـواء كان متحركا أو ساكنا . أما إذا كـــان مـــتحركا فـــبإطلاق الشفتين أي رفعهمـــا عن الحالة التي كانتا عليها قبل ذلـــك وهـــو الانضمام وأما في التسكين فالوصـــول إلى هـــذه الحالة وهو انضمام الشفتين جزئيا.

قواعد التلفظ :

فبهذا نستطيع أن نفسر قواعد التلفظ في العربـــية والكثير من اللغات . وها هي ذي (وهي مشهورة):

1- لا يمكن أن ينطق بحرف متحرك وحده (وهذا يقتضي امتناع الوقف على المـــتحرك) ولابد أن يكون متلوا بحرف متحرك أو ساكن لأنه كما قال الرماني: "صـــار بمـــنـــزلة من يطلب المتحرك في مكانـــه من غير أن يخرج عنه إلى مكان آخـــر وذلك ممتنع " (23/5ب) . ولأن الأعضـــاء الـــناطقة تتهيأ في أثناء الحركة للنطق بحرف آخر (وهذا عين الإدراج) .[27] فـــإذا أريد النطق به في خارج سياق من الكلام يزاد عليه حينئذ حرف ساكن يمكن الوقوف عليه وهو دائما في العربية هاء أو حرف مد (بَهْ أو با مثلا).

2- كمـــا لا يمكن أن ينطق ساكن وحـــده وبالتالي لا يمكن الابتداء بساكن فلابـــد أن يكون الساكن مسبوقا بحرف متحرك وذلك لأن الحرف الساكن يحصل بحـــبس الهواء والعضو جزئيا أو كليا كما رأينا، وهذا يقتضي أن تكون قبله حركة لحرف سابق مكنت من الوصول إلى هذا الســـاكن وتهـــيأ العضو فيها للنطق بهذا الساكن[28].

3- لا يلتقي ساكنان : هذا يقتضيه أيضًـــا ما قلناه من أن الساكن يحدث هو بحصول حبس فإذا حصل هذا في الحرف الســـابق امتـــنع الخروج منه إلى الحرف الساكن الموالى . وهناك حالات كما هو معـــروف تتغير فيها حالة الساكن الأول فـــإذا كان حرف مد فبإشباع مده يصير

كأنـــه متحرك . قال ابن جني : "وقولهم شابَّة ودابَّة : صار فضل الاعتماد بالمد في الألف كأنه تحريك للحرف الأول المدعم حـــتى كأنه لذلك لم يجمع بين ساكنين " (الخصـــائص ، 220,3). وأمـــا الـــتقاء الساكنين في آخر الكلمة بحدوث الوقف مثل : بكْرْ وزيْدْ فيحصل ههنا صويت أو نفخ بسبب الوقف يقوم مقام الحركة .

4- الحركة كحرف أي كمصوت لا اســتقلال لهـــا فهي أيضا مثل الحروف الأخرى، فلا يمكن أن ينطق بها في الابتداء ولا يوقـــف عليها؛ خلافا لما يعتبر جوهر الـــنظرية اليونانية . وسنرى فيما يلي أي النظريتين هي أقرب إلى الحقيقة .

هدا يخص الحركة والسكون. أما ما يسمونه بحرف المد، فقد سبق أن تساءلنا لماذا يعده العلماء القدامى حرفا قائما بذاته مـــع عدم وجود ابتداء له إد هو حزء من مصوت طويل؟ . فالإحابة عن دلك تنبني على شيئين :

الأول - يســـتخلص مما سبق دكره مـــن التميـــيز بين الحركة المطلقة للهواء والعضـــو التي يمكن بها الانتقال إلى مخرج آخر من حهة وبين الصوت الدي يوافقها من حهة أحرى وهو صوت حنجري أو نَفَس يحدث معها، وهو دلك الهواء المطلق الصائت أو غير الصائت[29] فامتداد هذا الصوت أكثر مما يلزمه هذا الانتقال يصيره حرفا على حدة غير الحركة التي نشأ عن امتداد صوتها لأنها هي التي أطلقت الهواء الصائت فجرى واتصل في حرف المد بعد عملـــية الإطلاق ويعتبر حرفًا ساكنًا لأن الحـــركة انتهت إليه، كما انتهت التزجية والإطلاقـــة الأولى إلـــيه . فإذا كان في الـــدرج وجاء بعد حرف متحرك انقطع الصوت دفعة وإذا انتهى به الكلام ووقف علـــيه فيقول سيبويه عنه : "فإذا وقفت عندها (حروف المد) لم تضمها بشفة ولا لســـان ولا حلـــق كضم غيرها فيهوي الصوت إذا وجد متسعًا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة " (285/2)[30] إذ يبدأ صوتها من مخرج الهمزة .

الـــثاني- هو أن لهذا الامتداد طولاً وبعـــدًا فهو بذلك يحتل مكانًا محترمًا في درج الكلام وهدا الذي يصيره حرفا مثل الحـــروف الأخرى إذ يمكن أن يبدل من

هــده الحروف وإليها بشرط واحد فقط وهــو أن تكــون مــن مخرج اللين من الحـــروف أي الواو والياء غير المديتين أو من مخرج ينشأ فيه الصوت الحنجري وهو أقصـــى الحلق (وهي تسمية تغطى حيز الأوتـــار الصوتية عند القدامى[31] وهي الهمزة .

وقد سبق أن ذكرنا كلام الخليل بهذا الشـــأن : "فالهمزة التي في العصائب هي الألف في العصابة والواو في الكواهل هي الألف في الكاهل"(تهذيب اللغة 47-48). فملاحظـــتهم هذه في تصريف الكلم من صيغة إلى أخرى هي التي أدتهم إلى اعتبار المدات حروفا توام مثل الحروف غير اللينة لأن كـــل ما يقوم مقام شيء ويؤدي ما يؤديه فهو بمنـــزلته[32] واستقصى الخليل ذلـــك في الميدان الصوتي فتوصل إلى هذه المفاهـــيم الدقـــيقة التي لا تزال يدهشنا عمقهـــا وقـــربها مما تثبته العلوم الصوتية الحديثة في أحدث صورها كما سنراه .

فأما ما جرى من الجدل في زمان ابن جني وقبله بقليل وبعده في هل الحركة بعد الحرف أو معه أو قبله . فحصل ذلك من سوء فهم بعض المتكلمين للنظرية الحركية العربية : فالحركة كصوت فقط لا يمكن أن تحدث إلا بعد الحرف وهذا الحرف لا يكـــون إلا جامدا أو شبيها به مثل الواو والياء غير المديتين . وأما التحريك كعملية إطلاق الهواء والعضو فيحصل مع حدوث الحـــرف وبعده لأنه دفع وترحية للصوت والعضـــو ويحدث الحرف المتحرك نبوة العضـــو أي ارتفاعه عن موضعه . إلا أن هذا يقتضي حادثًا مهمًا لا يدركه السمع وهـــو : وضع العضو في موضع الحرف والتهـــيؤ له . وهـــو يقـــع قبل الحرف المتحرك.

أمـــا الحـــرف الســـاكن فتحدث بالضرورة حركة قبله وتحبس هذه الحركة جزئيا أو كليا بحدث هذا الحرف . فليس لـــه نـــبوة (إلا مع حرف آخر يدغم فيه فكأنهمـــا حـــرف واحد) والحركة هي حركة الحرف السابق .

وقد بنى الخليل ما استبطه من أوزان العـــروض كلـــه عـــلى مفهومي الحركة والســـكون[33] وعـــلى كيفـــية إدراج الحـــروف المتحركة والساكنة في سياقات

خاصة يحدث منها الإيقاع، واتضح له أن أقل ما يمكن أن ينطق به من الوحدات الخاصة بوزن الشعر هو الحرف المتحرك المتلو بحرف ساكن وسماه سببا . ولم يجعله الحرف المتحرك وحده لأنه يستحيل الوقوف عليه.[34]

كما تبنى أيضًا ذلك علماء الموسيقا العرب وأضافوه إلى ما نقل إليهم من كتب اليونان وغيرهم . ويبدو أنهم اطلعوا على ما كتبه الخليل في الإيقاع والنغم[35] فقد وصفوا النقرة الموسيقية بالحركة والسكون. قال الفارابي : "والنقرة التي تعقبها وقفة تسميها العرب النقرة الساكنة، والتي لا تعقبها وقفة ولكن تعقبها حركة إلى نغمة أخرى يسمونها النقرة المتحركة (كتاب الموسيقا،998). وأطال الكلام في ذلك ابن سينا في كتاب " جوامع علم الموسيقا" وقابل فيه بين الحركات المحدثة للنغم والتي تحدث الحروف (ص 81 وما بعدها).

النظرية الحراكية العربية والنظرية اليونانية في محك الاختبار الآلي :

لقد تبنى الصوتيون المحدثون التقسيم اليوناني للأصوات اللغوية إلى صوامت ومصوتات وما كان في وسعهم أن ينكروا هذا التقسيم في ذاته لأنه حقيقة يستدل عليها بالاختبار العلمي ، إلا أن الكثير منهم انتقدوا التصور اليوناني القديم لهذا التقسيم[36].

١- نقد التصور اليوناني :

إن اليونانيين ، كما رأينا ، استخرجوا تقسيمهم مما لاحظوه في لغتهم دون اللغات الأخرى ولاحظوا أيضًا أن الـ syllabe (المقطع) (أصغر قطعة يمكن أن تنفصل) له ترتيبات خاصة[37] وأنه لا يوجد أبدا مقطع بدون مصوت . أما الصوتيون المحدثون فقد انتقدوا[38] هذا التحليل واستبعدوا التصور المتعلق بكيفية توالي هذين العنصرين في النطق وماذا يجوز من ذلك في داخل المقطع. واحتجوا على قصور هذا التصور بوجود مقاطع في لغات كثيرة لا مصوت فيها بل صوامت فقط وذلك مثل : smrt و trn التشيكية و m-Pa-rat (imparat) و (vad il، l-vad في الرومانية

و ts-haq (تستحق) في عامية المغرب. فلاحظوا أنه يوجد بين الحرف الصامت الذي يكون مقطعا وبين الصامت الموالي حركة تقوم مقام المصوت ينتقل بها العضو والهواء بالضرورة إلى المخرج التالي[39] بدون مصوت والواقع أن هذا هو عين المفهوم العربي للحركة. أما الصوامت التي يبدو أنها تقوم مقام المصوت[40] في tei-bl (table) و mu-tu (mutton) في الإنكليزيةو han-dl(handel) و ha-tn و fa-tr (vater) في الألمانية فحكموا على ذلك بنفس الحكم .إلا في الحرف الأغن الذي في tn وغيره فإنهم يصرحون بعدم وجود مصوت إطلاقا فيه،ويحكمون إذن على الصامت بأنه قادر أن يكون مثل المصوت ويقول Straka أن هذا يفسر بالانتقال العادي بين مخرج وآخر (نفس المرجع ، 24). فها نحن قد رجعنا إلى المفهوم العربي مرة أخرى . وإذا لجأنا إلى النظرية العربية اتضح ذلك اتضاحا تاما. فالذي حصل في tn هو الخروج من التاء إلى مخرج الغنة بانفتاح اللهاة وإطلاق الهواء في داخل الخياشيم فاكتسابه بذلك لجرس الغنة . فقد قامت الغنة المجردة حقيقة مقام الصوت ولكن ليست هي ، كجرس ، سبب الخروج – أي كمصوت كذلك – من مخرج الحرف السابق إلى ما يليه في الدرج بل الحركة المطلقة للهواء وللعضو أيًا كان هذا العضو[41] . فكأن ذلك مصوت بدون صوت حنجري وهذا ينطبق أيضًا على كل المقاطع التي لا تحتوي على مصوت صريح (الحروف البينية : ر،م،ن، والرخوة هي أكثر الحروف وقوعا في موضع المصوت؛ لأن الهواء يطلق فيها بسهولة، وذلك لتشبهها بالمصوت، إذ يمكن مد الصوت بها. وهذا الشبه قد أكد على وجوده النحاة العرب ووضحوه)(الرماني، 120/5/و 121 والخصائص 363/1 والدر النثير 10و 11 ب وغير ذلك).

2) إدراج الحركات العضوية :

هذا من جهة وقد انتبه العلماء الغربيون إلى نقائص التراث اليوناني المتعلق بأصوات اللغة يوم اطلعوا على التراث الهندي في هذا الميدان (وكذلك التراث العربي إلى حد ما) في القرن التاسع عشر

وكذلك يوم بدؤوا يختبرون هذه الأقوال في مخابـــر الصوتيات[42] . فتبين لهم بهذه الـــتجارب أن التموجات الكلامية متصلة بعضها ببعض في تعاقبها بدون أي انقطاع ولا يتمثل هذا التعاقب على شكل اقتران أجــزاء بأخـــرى بل على شكل سريان اهـــتزازي مستمر . وتعمق من جاء بعد روســـلو ولاسيما بعد أن اخترع الراسم الإلكـــتروني للاهـــتزاز (المهـــزاز = oscillograph) فتمكـــنوا من المزاوجة بين هذين الجهازين ، بعد ذلك، وبين ما يسمى بالراديولوجية السينمائية[43] فعند ذلك تبين لهم أكثر من أي وقت مضى أن الحركات العضوية المحدثة للكلام مدرجة في التلفظ بحيث لا يوجد انقطاع بينها من جهـــة وتحدث بعضها، من جهة أخرى، منســـقة مع بعضها الآخر في وقت واحد أي بتأهب العضو للنطق بحرف في الوقت الذي ينطق عضو آخر بحرف آخر[44] ويلاحـــظ ذلك في سلسلة الذبذبات التي يـــرسمها الجهــــازان المذكوران فتبين أن الكلام هو سريان هوائي صوتي لا انقطاع فيه بل هو عبارة عن تغير متصل للعناصر الفيزيائـــية للصـــوت كشـــدة الصوت (intensity) وطبقته(أو درجته = pitch) في الذبذبـــية (= رسم لمنحنى الاهتزاز) وبـــواني المصوتات أو المحتوى الصوتي أو النفســـي لـــلحركات (formants) في الطـــيف (spectrogram). وسنرى أن كيفية تطور هذه البواني (وهي المكونات الفيزيائـــية لمحتوى الحركة) هي التعامل الأساســـي في إدراك الأذن لهوية الحرف (وبالـــتالي في الكشـــف عـــنه بالآلات الإلكترونية).

المتحرك والساكن حقيقتهما فيزيولوجيًا وفيزيائيًا

وأهم من هذا بالنسبة لفهمنا لمفهومي الحـــركة والســـكون هو المقابلة بين ما يســـميه العرب بالحرف المتحرك والحرف الســـاكن وما تكتشفه هذه الأجهزة من الظواهـــر الفيزيولوجـــية والفيزيائية التي يحدثها النطق بهذين الحرفين .

قال فردينان دي سوسورفي "دروسه" عندما ننطق بمجموعة مثل APPA ندرك فـــرقا بين الـــ P الأول والثاني : فالأول هـــو عبارة عن انغلاق والثاني عن انفتاح

... وقـد أطلـق عـلى الإغلاق لفظة implosion وعـلى الانفـتاح لفظـة explosion فالـPيسمى implosif (P) أو explosif (P) (79-80) ويقــول أيضًـا: "ويمكن لأي فونيم أن يتصف إما بهذه الصفة أم بتلك"(81).

ويخالف سوسور بهذا التصريح أغلب الصوتيين إذ يطلقون غالبا هاتين الصفتين على الحروف الشديدة (stops) وبعضهم عـلى الجامدة كلها لا على المصوتات . وهو محق في تعميمه لأنه يريد أن يبين أن الحـرف – أيًا كان – يحدث إما بحبس الهواء فقط مثل ال P الأول وإما بإطلاق فقـط مثل الP الثاني . وحذر حينئذ من التـباس يقـع فيه بعضهم . فإن للحرف ثلاثة أطوار في حدوثه : وضع العضو في موضـعه ثم ملازمـته له ثم رفعه عنه[45] وهذه ألفاظ سيبويه (ما عدا الملازمة أما اللزوم فشيء آخر عنده) إلا أنهم يسمون الطور الأول implosion فيقع التباس بين الحبس الناتج عن وضع العضو (ويحصل هـذا الوضـع ضرورة في كل حرف في جميع أحواله) وبين الحبس الذي لا يتلوه رفـع العضـو. وهكذا توصل سوسور باجتهاده الخاص إلى تحديد مفهوم الحرف الذي يحصل بإطلاق فقط مثل الـ P في apa [46] والـ P الثاني في appa وهو الحرف المتحرك عند العرب،والحرف الذي لا يحصل إلا بحبس ولا إطلاق فيه (اللهم إلا في الوقـف وقد فسر ذلك علماؤنا) كما في ap أو الـP الأول من appa [47] وهو الحرف الساكن عند العرب .

وعـلى هذا التمييز الرائع[48] (وهو صـادر مـن رجـع عبقري) سار كل الصـوتيين الذيـن يمارسـون التحليل بالراديولوجية السينمائية .

هـذا وقـد اختـبرت المغفور لها Marguerite Durand هذه الحروف التي قـال عـنها دي سوسور أنها تحدث في الكلام بانغلاق وهي عنده: implosives و explosives في هـاتين العـبارتين الفرنسـيتين ces traces و cette race والحـروف الـتي فيهما واحدة فلابد أن تتميز العبارتان بشيء آخر. فلاحظت في الذبذبـية الكيموغرافية أن مجموعة tr في العـبارة الأولى يقـوي فيها ضغط الهواء

بالتدريج ويضعف هذا الضغط في t وحدها في العبارة الثانية ويقوي في r وحدها[49] ويؤيد ذلك النظرة العربية فإن tr [50] ههنا هي متحركة و t في الثانية هي ساكنة .

كما يبين أيضًا ستراكا أن بداية النسق cvc هو موقع قوي . أما نهايته فهو ضعيف وهذان الموقعان يعادلان تماما موقع المتحرك والساكن[51] .

ويؤكد على هذه الحقيقة أكثر الباحثين من المختصين بالصوتيات التجريبية بالنسبة إلى أكثر اللغات ، وقد يظن الظان أن ضغط الهواء وارتفاعه هو السبب الوحيد لقوة المتحرك، وليس الأمر كذلك، فقد بين الكثير من الباحثين أن هناك تناسبا تاما بين ثلاثة عوامل فيزيولوجية: ارتفاع كمية الجهد العضلي في مستوى الصدر وما فوقه وهو يسبب ارتفاع ضغط الهواء، وارتفاع النغمة الأساسية (Fondamental Tone) في الحروف المهجورة[52] وقد لا يكون لبعض هؤلاء الباحثين تصور واضح لمفهوم الـ explosive (والمقصود هنا غير الحرف الشديد بل الحرف المتحرك فقط) إلا أنه يمكن أن نستنتج من ترتيبهم للحروف في اللفظ cv (صامت + مصوت) أو cvc أن الذي قصدوه بالاختبار هو ما يعادل المتحرك والساكن فبينوا أن cv ترتفع فيها هذه العوامل الثلاثة، وبذلك يتضح أن قوة التلفظ وضعفه مرتبطان أشد الارتباط بتحرك الحرف وتسكينه كما تصوره العرب.

ماهية حرف المد ومعنى سكونه

أما عن السؤال المهم الذي طرحناه في أول هذا البحث وهو لماذا جعل العرب المصوت الطويل الذي هو تصور يوناني قديم يتكون بالضرورة من عنصرين : الحركة وامتداد صوتها؟ فقد عالجت موضوع المصوت القصير والمصوت الطويل الباحثة المتميزة M.Durand باللجوء إلى الاختبار أيضًا . وقد سبقها إلى ذلك أحد مؤسسي الفنولوجية وهو N. Trubetskoy إذ صرح بأن المصوت القصير ذو قسم واحد (monoparti) والمصوت الطويل هو ذو قسمين (bidarti) لأن التلفظ بالمصوت الطويل

يختلف في بدايته عن نهايته كمًا وكيفًا. فبعد أن ذكرت الباحثة Durand هذا الكلام بينت باللجوء إلى الاختبار الآلي أن المصوت الطويل يتصف قسمه الأخير (وهو الأطول) بتناقص لقوة اللفظ (decroissance) وأما المصوت القصير فلا يكون إلا بتزايد هذه القوة . ونستنتج من ذلك أن بداية المصوت الطويل هو دائما متزايد القوة، وهذا يتفق مع ما قاله العلماء العرب . وخاصة حكمهم على حرف المد بأنه ساكن إلا أن السكون هنا غير السكون في الحروف الجوامد لأنه يحصل بالتدريج[53] ومع ذلك فهذا المتناقص القوة هو أقوى من المتزايد لطوله (وذلك في اللغات التي يلعب المد فيها دورا في التمييز)[54].

قواعد التلفظ والاختبار الآلي

هذا وقد أجمع الباحثون أن الابتداء بالـ implosive (أي الساكن) متعذر أما التقاء حرفين بهذه الصفة فقد امتاز العرب بتفسيره وتطرقنا إلى ذلك في عمل سابق [55]. وفيما يخص تعذر الابتداء لحركة فلأن المصوت يحدث باهتزاز الأوتار الصوتية وهذا يقتضي أن يبدأ بإغلاقها ويتبع ذلك الاهتزاز في الفرنسية. أما إذا كان الإغلاق متبوعا بانفتاح دفعة كما في العربية والألمانية والدانمركية فهو الهمزة محققة مثل Assez? :و ? It's an order .

ثم إن الدليل على أن الحركة غير المصوت الذي يرافقها هو اختلاس صوتها في " يعلمهم" فينطق بهذا هكذا / : "يعلّـ /مهم" (أما بالإسكان فيتلفظ به هكذا " يعلّمـ /هم" . ومهما كان فقد سبق أن لاحظنا أن الاختلاس يستلزم مصوتا أي حرفا متحركا بعد الحركة المختلسة ضرورة. والفصل بين الحركة والمصوت مفيد لأن حركة الإطلاق غير الصوت الحنجري، وليس هذا الأخير بالمسؤول عن الانتقال إلى مخرج حرف آخر وإن كان مهمًا جدًا لأن تحليل هذا الصوت يبين للباحث كيف يحصل هذا الانتقال فالمصوت هو كالمرآة لما تقوم به الحركة.

أما لماذا يمتنع الوقف على الحركة فهذا تبينه الذبذبيات إذ يصير المصوت المرافق للحركة مصوتا طويلا فيزول

بالتدريج أو تنشأ همزة بعده.

الإدراج والأفلام الراديولوجية

تطهـــر هذه الأفلام بوضوح لا مزيد عليه. كيف يتم إدراج الحروف في اللفظ؟ وتطـــرق إلى ذلك الكثير من الباحثين . نذكـــر مـــنهم الباحـــث الكـــندي C.Rochette فها هي ذي بعض الأمثلة مـــن تحلـــيلاته للصـــور وما قرن بها من الذبذبيات.

-/ bm/ (في gobe-mouches): يحصل الـــنطق بهمـــا بضم الشفتين مرة واحدة ويـــدوم هذا الضم أكثر من الضم لحرف واحـــد. ويمكن أن يتميز الأول عن الثاني بمـــا يحصـــل من الغنة بانفتاح اللهاة في الوقـــت الذي لا تزال الشفتان منضمتين وحصـــل في نفـــس الوقـــت تهيئة النطق بمصوت" وذلك بذهاب مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك (ص53).

/kt/(في : empaq(ue) tez)

في الوقـــت الذي تحصل نبوة الكاف يتصـــل طرف اللسان بالنطع للنطق بالتاء وفي أثـــناء ملازمته لهذا الموضع يبدأ ظهر اللسان في الانخفاض تأهبًا للنطق بمصوت /e/ (67). / vn/ (في dev(e) nir).

لا ينـــتهي جريان الصوت في v إلا بعـــد وضـــع اللســـان على النطع وهذا التســـريب لحـــرف v يترك المجال للسان ليتهـــيأ للنطق بالـــ n وأثناء ذلك تنفتح اللهاة من أجل الغنة (218).

التركيب الصناعي للكلام واستكشافه الآلي:

من أقدم من حقق التركيب الصناعي للكلام بالآلة (speech synthesis) هما F.cooper و P. Delattre والفريق الذي كـــان معهمـــا في مختبرات Haskins ثم واصـــل ذلـــك Delattre في مختـــبره في Santa Bar bara بكاليفورنيا (وكان لي الشـــرف أن زرتها في 1966) . وكثرت البحوث في هذا الميدان حتى بلغت المئات مـــن الأعمـــال القيمة وكان قد سبق أن اكتشف الباحثون بأعمالهم على المطياف أن أهـــم شيء في عملية إحداث الكلام وإدراكه ليست هي الحروف (الفونيمات) في ذاتها ولا صفاتها المميزة لها (يبالغ أهل الفنولوجـــية في إعطاء الأهمية للفونيم في ذاتـــه) بـــل ما يحصل بين مخرج الحرف

ومخرج حرف آخر أي في أثناء حصول حركة تمكن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر كما قال علماؤنا . ففي داخل الحركة تقوم الأعضاء بأعمال تهيئة النطق بالحرف الآخر وفي نفس الوقت القيام بإخراج المصوت الذي يرافق الحركة وما يقتضي ذلك من اشتراك عضوين أو ثلاثة . وهذه العمليات العضوية المتداخلة يظهر أثرها في تحول بواني المصوت (في التحليل الطيفي) أثناء حدوث الحركة بحيث يمكن أن يقرأ الطيف. وسموا الانتقال الذي تتحول فيه البواني Transition وبنى على ذلك Delattre وأصحابه مناهج تركيب الكلام الصناعي فاستخرجوا من آلاف الأطياف كيفية تحول هذه البواني، واستنبطوا ما سموه بالـ Locus وهي النقطة التي تنحو نحوها البواني الأساسية للمصوت الذي يأتي بعد الصامت أو المصوت السابق[56]

وأشرفت مع بعض الزملاء على عدة رسائل ماجستير في هذا الميدان وفي الاستكشاف الآلي للكلام Automatic Speech Recognition [57] . أذكر منها ما قامت به المهندسة مهنية قرتي في 1984 في رسالة عنوانها : "مساهمة في تركيب الكلام العربي الصناعي بالديفون". والمقصود من الديفون هو هذا النسق: صامت + مصوت + صامت (=متحرك وساكن)واستخراج النقلات (transitions) من التحليل الطيفي للمصوت في هذا الموقع ثم تركيبها بجهاز مهيأ لذلك مع الحصول على كلام سليم يفهم بسهولة ، يبين أن أصل الأصول في إحداث الكلام وإدراكه يكمن في كيفية إدراج الحروف لا في صفاتها المميزة .

إحداث الحرف مقيد بما يحدث بعده وقبله من الحركة والتحليل الطيفي لصوتها هو أوضح دليل على ذلك.

نستخلص مما سبق أن مفهومي الحرف المتحرك والحرف الساكن هما أدق وأوعب من الناحية العلمية من المفاهيم اليونانية إذ مجالهما التفسيري واسع جدا؛ فقد رأينا أن الساكن في كل اللغات لا يبتدأ به، ولابد من حرف متحرك يأتي قبله، كما رأينا أن الوقف لا يقع إلا عليه؛

لأن الوقف انقطاع الكلام. ويمكن أن تدرس جميع الظواهر الصوتية باللجوء إليهما. كما يستخلص أيضًا أن الحركة بما أنها حركة عضوية هوائية ؛ فإنها تقتضي أن يكون هناك قوة دافعة (Impulsive Force) تحدثها بل وأن تكون هي نفسها ذات قوة حركية (Cinetic Force) فيجب أن تكون متصاعدة القوة لأنها في الحقيقة اندفاع (Impulsion) وبذلك تتمكن من الاستمرار والانتهاء إلى المخرج الموالي وهذه القوة الحركية هي التي يسميها الخليل الصرف . ولهذا ليس لحروف المد صرف لأنها مدات تحصل بدفع الحركة، وتكون قوتها الحركية متناقصة، وهذا تبينه بوضوح الاختبارات الآلية .

ثم إن الحركة كمفهوم ديناميي لا يوجد مثله في أي نظرية إلا في نظرية الـ Transitions وهو مفيد جدا لأن إطلاق الهواء الصائت للانتقال من مخرج إلى آخر هو أفيد كمفهوم من التصور اليوناني غير الحراكي إذ الذي كان يهم الفلاسفة منهم هو الأشياء في حد ذاتها لا الحركة المحدثة لها ولا إدراجها الطبيعي في الكلام .

والله ولي التوفيق .

عبد الرحمن الحاج صالح

عضو المجمع المراسل

من الجزائر

الهوامش

(1) تلميذ ابن السراج والزجاج ، وفي شرحه هذا تحليلات عميقة دقيقة جدا . لم يدرك معناها الكثير من المتأخرين ولذلك اهم بأنه أول من مزج النحو بالمنطق، وليس الأمر كذلك. فإن أول من فعل ذلك هو السراج وابن كيسان وغيرهما في نهاية القرن الثالث الهجري .

(2) وكذلك قال المبرد :" لا يجوز لحرف أن ينفصل بنفسه لأنه مستحيل "(المقتضب، 36/I).

(3) المفاهيم الأساسية لهذه النظرة هي للغويين وحدهم وقد أضاف إليها الفلاسفة والأطباء وعلماء الموسيقا العرب وكذلك القراء وعلماء التجويد أشياء كثيرة مفيدة.

(4) وهذا لا يعني أن الفارابي وابن سينا لم يدركا حقيقة هذا الفارق؛ إذ نراهما في مقابلتهما للوحدات النغمية والوحدات اللفظية قد تفطنا – مع كل العلماء الذين تطرقوا إلى ذلك – إلى ما تمتاز به النظرة العربية .

(5) فهذا هو سر استعمال لفظة حرف للدلالة على الكلمة؛ لأنها مكون للكلام أي عنصر من عناصره. وأما إطلاقها على الأداة (حرف المعنى) فهو باعتبار هذه الأداة كلمة أي مكون مثل الاسم والفعل للكلام . وعلى هذا ينبغي أن يحمل تحديد سيبويه: "الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" هكذا: وعنصر آخر يأتي للدلالة على معنى (من معاني النحو كالتوكيد والاستفهام وغيرهما) وقد استعملت كلمة حرف لترجمة الاسطقس وهو العنصر في اليونانية .

(6) (وجاء عند الحكماء والمتأخرين من النحاة وأهل الأداء أنه قطعة من الكلمة (مثلا : النشر لابن الجزري ، 23/1) وشرح الأدوار حيث سمي الحروف "الأجزاء الأولية " (38 ب).

(7) هذا التحديد يؤكد أن وظيفة الحروف في الخطاب هو التمييز بين المعاني بتمايزها بعضها عن بعض، انظر بحثنا الذي عرضناه في مؤتمر

مجمع القاهرة في 1997 .

(8) بعض المحدثين يقيمون مقابلة لابين الحرف الجامد وحرف اللين بل بين الحرف والحركة؛ فيتوهمون أن الحرف هو عند العرب الحرف الصامت فقط وهذا فاحش. قال أحدهم وهو الأب فلايش : "مفهوم الحركة هو أبعد مفهوم إلى تصورنا الحديث" بمجلة ZDMG ، 1958 ص 104 .

(9) هذا هو التقسيم الثنائي الذي يوجد في أكثر اللغات وليس بالضرورة التقسيم اليوناني لأنهم أضافوا إليه، كما قلنا ، جواز النطق بمصوت منفردا والوقف على المقطع القصير .

(10) بعض المحدثين يقيمون مقابلة لا بين الحرف الجامد وحرف اللين بل بين الحرف والحركة؛فيتوهمون أن الحرف هو عند العرب الحرف الصامت فقط وهذا غلط فاحش قال أحدهم وهو الأب فلايش : "مفهوم الحركة هو أبعد مفهوم إلى تصورنا الحديث" بمجلة ZDMG، 1958 ص 104 .

(11) هي الصفة المقابلة للمخرج .

(12) الجامد وحرف المد. يسمى بعض أهل الأداء بعد القرن الرابع حروف المد بالدوائب في مقابل الجوامد . ومن أقدمهم صاحب كتاب "إعراب القرآن" المنسوب إلى الزجاج .

(13) يقول صاحب الدر النثير : "حروف المد في أنفسهن مدات تابعات للحركات المجانسة لهن " (33 ب).

(14) التجاهل للجانب غير الصوتي هو سبب لسوء فهم لما قاله العلماء القدامى .

(15) وقد رأينا الفارابي في أول بحثنا يجعل المتحرك الحرف الذي أتبع بمصوت (مراعاة للجانب الصوتي وحده).

(16) يسمى العرب الـ syllabe مقطعا لأنه أقرب لفظ عربي إلى معنى المصطلح اليوناني؛ إذ هو الموضع من الكلام الذي يمكن أن يوقف عليه (وبهذا المعنى يستعمله أهل الأداء). أما المقطع syllabe فلا يوجد إلا بين وقفتين كما بيّن ذلك الصوتي الفرنسي روسلو، وعلى أثره أنكر الكثير من الغربيين أن تكون في الكلام العادي مقاطع إلا بالقوة وهي

أصغر المجموعات من العناصر الصوتية التي يمكن أن تنفصل في النطق عما قبلها وما بعدها (انظر مقالتنا la notion de syllabe حيث تناولنا هذا الموضوع بالتفصيل .

(17) قارن هذا بقول العرب : درج السيل .

(18) قال ذلك ليبين أن الساكن الموقوف عليه ينبو عنه صويت بسبب الوقف نفسه .

(19) وهذا يظهر بوضوح في هذا الذي قاله سيبويه : "فأنت تقدر أن تضع لسانك موضع الحرف قبل ترجية الصوت " (283/2). وقول ابن جني هو توضيح لقول سيبويه : "لا تنتظر أن ينبو لسانك ولا يفتر الصوت حتى تبتدئ صوتًا، وكذلك المهموس؛ لأنه لا تدع صوت الفم(النفس)حتى تبتدئ صوتًا"(285/2). وهذا نستطيع أن نفهم لماذا نفر العلماء من تحديد الحرف المدرج بالقطعة من الكلمة . فالمقطع عند سيبويه مثلا هو فقط حروف المعجم المنطوق بها منفردة (34/2).

(20) الإيضاح ، وكذلك ابن جني في سر الصناعة ص 36/1-37).

(21) ويسميه سيبويه " هواء الصوت " (285/2) . وقد مر ذكر هذه العبارة ص 4).

(22) هو محمد بن عبد السلام الفاسي (1130-1214هـ) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، وسلوة الأنفاس للكتاني. وقد جمع هذا المؤلف معلومات كثيرة أخذها من كتب لم تصل إلينا في غالبها .

(23) اسمه محمد بن مسعود الغزني المتوفى سنة 421 نقل عنه أبو حيان كثيرا (كشف الظنون 236/1) .

(24) غير أن ابن سينا لا يريد من الإطلاق إلا تجافي العضو أو ارتفاعه عن موضعه (حسب تعبير النحاة العرب). ويريد من الحبس لزوم العضو موضعه سواء كان متحركا أو ساكنا وهما يصف الفرق القائم بين ما يسميه الحروف المفردة أو الحبسية والحروف المركبة أو التسريبية (الشديدة والرخوة) كما فعله سيبويه لكن بألفاظ أخرى (انظر كتابه :

أسباب حدوث الحروف،ص 60–61).

(25) شاعت كلمة " حبس " عند علماء التحويد بعد ذلك .

(26) المراد باللسان هنا هو العضو عموما لأن الإدغام (أو القلب) غير مختص بحروف اللسان . ويكثر سيبويه من استعمال هذه العبارة عند كلامه عن الإدغام والقلب . ويستعمل أيضًا كلمة "سبوء " (الكتاب 284/2) . قارن أيضًا بقول ابن جني : "وذلك أن الإدعام أبى اللسان سبوة واحدة " (الخصائص ، 396/11) . ثم إن سيبويه يستعمل من جهة أخرى كلمة " تزجية " ويخصصها للصوت ويقصد بذلك دفعة الهواء الصامت (قد سبق أن ذكرنا كلامه الذي توجد فيه هذه اللفظة ص 9).

(27) لابد من التمييز هنا بين عملية الوقف وعملية التسكين،فكل موقوف عليه ساكن وليس كل ساكن موقوفا عليه. هذا لأن الوقف يتم بزوال التوتر العضلى وانقطاع العمل التلفظي . أما الحرف الساكن في الدرج فعلى خلاف دلك (انظر ابن جني، الخصائص،56,1)

(28) فإذا كانت الكلمة مبدوءة بساكن زيد عليه همزة متحركة تسقط في الدرج كما هو معروف . يقول ابن جني : "ألف الوصل تلحق في أول الكلمة توصلا إلى النطق بالساكن وهربًا من الابتداء به إذ كان دلك غير ممكن في الطاقة فضلا عن القياس (المنصف 53,2). ويقول ابن يعيش : "لأنه ليس من لغتهم الابتداء بالساكن " ربما فهم منه أن ذلك مختص بلغة العرب ويجوز الابتداء بالساكن في غير لغة العرب وليس الأمر كذلك بل إنما كان لتعذر النطق بالساكن وليس ذلك مختصا بلغة دون لغة " (شرح المفصل، 136/9).

(29) أي يكون حنجريا أو بجرد نفس .

(30) سكون حروف المد على هذا ليس مثل سكون الحروف الجوامد؛ لأنه يحصل بالتدريج وقد يمكن إشباعه فيكون بمنزلة تحريك مستأنف كما هو الحال في التقاء حرف المد بحرف ساكن في شابّة ودابّة .

(31) عرف القدامى جيدا دور الحنجرة في إحداث الصوت خلافا لما يظنه الكثيرون .

(32) وقد يحذف حرف المد وتبقى الحركة قبله . وهذا أثبتته المقابلة بين الشيء ونظيره في الوزن مثل الفتحة في جيم خرجا والفتحة في خرج . وحرف المد هنا حرف معنى وحرف المعنى لا يكون إلا حرفا تاما (إذا كان حرفا واحدا).

(33) هذا أيضًا لم يستطع المستشرقون أن يفهموه إطلاقا (انظر ما كتبه صاحب مقالة عروض " في دائرة المعارف الإسلامية).

(34) بل وبنيت النظرية اللغوية العربية كلها على ذلك؛ لأنه هو منطق تحليل الكلام إلى وحدات . انظر كتابنا : علم اللسان العربي وعلم اللسان العام .

(35) ويشير إلى ذلك الجاحظ خاصة .

(36) وأما اللغويون الذين ليسوا من أهل الاختصاص في الميدان الصوتي فلا يزال أكثرهم يسنون النظريات على أساس التصور اليوناني بدون أي تحفظ وتبعهم في ذلك أكثر الباحثين العرب .

(37) صامت + مصوت والعكس وصامت+ مصوت + صامت وغير ذلك.

هذا الترتيب هو الذي يسميه المحدثون بالبنية المقطعية . وقد تفطن اليونانيون إلى أن الحروف التي يسمونها بالمائعة (hugra liquidae =) وهي اللام والراء والميم والنون قد تقوم مقام المصوتات إذا تلت صامتا فتكون معه مقطعا . وجعل أيضًا النحاة العرب هذه الحروف صنفا على حدة غير الشديد والرخو (مع حروف أخرى لوجود منفذ للهواء من غير مخرجها أو لكيفية حدوثها الخاصة (الراء والعين . الكتاب، 401/2).

(38) بل ونفى بعضهم أن يكون هذا التقسيم موضوعيا فقد قال W.Belardi : "أن ذلك تراث ثقافي توارثه الغربيون " (انظر مسرد المراجع) وقال أيضًا " ولا يسع للعلم أن يتقبل من ذلك إلا الثنائية وحدها لا ما كان يتضمن رسمها من عناصر في القديم " (ص 164). انظر مسرد المراجع. وأيضًا : Is the vowel consonant Dichotomy universal? (Word 18.1.2) J.H.Greenbeg).

(39) هذا بخلاف العلماء العرب فإنهم قد اهتموا كثيرا بما يحصل في اللغات الأخرى

(ففي مجال توالي الحروف وحده: يراجع الخصائص 1/91-92 والرضى ، شرح الشافية ، 253/3 وابن يعيش، شرح المفصل ، 136/9 وغير ذلك كثير).

(40) وقد يظهر في هذه الحركة مصوت في أثناء تطور اللغة، وربما استقر وصار عنصرا ثابتا . انظر ما كتبه G.Straka في ذلك في دراسته القيمة " La division des sons du langage" ص 23.

(41) يقول Straka إنما هو مجرد "مرور عادي بين المخارج" "passage normal entre articulations ولا يحدد بأي شيء يحصل هذا المرور. والسبب عندنا في ذلك هو عدم وجود نظرية حراكية متماسكة عند الصوتيين الغربيين الذين ينتمون إلى جيل straka (وهو لتلاميذ روسلو).

(42) ومن أقدم من قام بذلك هو روسلو الذي سبق ذكره . هذا والصوتيات التجريبية وإن كانت تعالج أصواتا خاصة باللغة الإنسانية إلا أنها علم تجريبي محض لأن موضوعها هو كيفية حدوث الكلام في الجهاز الصوتي مع التحليل الفيزيائي للأصوات اللغوية وإدراكها بالسمع، ولا يجوز للباحث أن يدلي بأحكام على ظاهرة لغوية صوتية إلا بالاعتماد على المشاهدة والاختبار العلمي لا بمجرد التأمل للآراء والأقوال النظرية .

(43) التصوير البطيء لحركات الأعضاء بالأشعة .

(44) وكثيرًا ما يحصل نقص في التنسيق وهذا بسبب تأثير الحرف القوي على الضعيف فيحدث عندئذ تقريب هذا من ذاك أو امتثاله (في التشاكل والتباعد والتجانس وغير ذلك).

(45) = Tenue -Tension — Détente.

(46) وفيه ضرورة مرحلة وضع العضو في الموضع إلا أنه لا يعتبر حبسا محضا (أي سكونا) لأنه متلو على الفور بإطلاق .

(47) الفرق بينهما هو أن الإدغام قد جعل الحرف الأول ينطق بإطلاق الثاني والحرف الثاني ينحبس بوضع العضو للموضع في الإدغام أطول زمنا .

(48) وحاول سوسور أيضًا أن يفسر بذلك تعاقب الحروف في مدرج الكلام

ومن أين يمكن أن يحصل الحد بين مقطع وآخر. فلاحظ أن هذا الحد لا يقع إلا بين حرف implosif وبين حرف explosif أي بعد الساكن (ولهذا ترجم العرب هذا المفهوم اليوناني لأنه الموضع الذي يجوز فيه الوقف).

(49) انظـــر : la syllabe, ses difinitions في مجلـة : Orbis، 1954، ص 532.

(50) أما كون tr متحركة وهما حرفان فهـو بمنـزلة اختلاس الحركة بين t و r ولابد عندئذ من حركة بعدهما غير مختلسة وتـبين الذبذبيات أن الضغط يستمر حتى يصـل المصـوت الذي في tra ولولاه لما أمكن الاختلاس . ثم إن اختلاس الحركة في العربية لا يحصل إلا في وسط أو آخر الكـلمة أو بين كلمتين (حسب تصفحنا لكتـب العلماء القدماء) أما في عامياتها الحديثة فهو شيء مطرد في المغرب العربي وكـثير في جهات من المشرق. والحرف في أول الكـلمة المتلو بحركة مختلسة قد يعـتقد الكثير أنه ساكن (في كتاب = kta:b) وتبين الذبذبيات أن المجموعة kt هـا أقـوى كـثيرًا مـن الباء الساكنة الأخـيرة وأنه إذا تأنى النطق ولم يسرع ظهـر مصـوت وجـيز بـين الكاف والتاء .

(51) انظر بحثه:la division اص22-23.

(52) أهـم ما نشر في ذلك هو أعمال Arkbauer (1964)و Subtelny 1969) و Warren (1976)وغيرهم .

(53) انظـر كتابها الرائع : Voyelles brèves et voy.longues ص 37.

(54) هذا قد برهنا عليه منذ زمان فيما يخص العربية: انظر مقالتنا La notion de syllabe ومـا ألحقـنا بهذا البحث من ذبذبيات وأطياف . ولقد سبق أن ذكرنا سـبب اعتـبارهم حرف المد حرفا ناما (وهـو قـيامه مقام الجوامد الواو والياء والهمزة والعكس).

(55) انظر بحثنا السابق الذكر .

(56) كـثرت وتعـددت الآن طرائق التركيـب الصناعي للكلام. أما التركيب المـبني على تحليل البواني ورسم تحولاتها فهو أقدمها.

(57) من الجانب اللغوي الصوتي .

المراجع العربية

- الإيضاح للزجاجي ، تحقيق مازن المبارك ، القاهرة 1978 .
- أسباب حدوث الحروف، تحقيق الدكتور يحي مير علم ومحمد الطيان ، دمشق 1983
- الأشباه والنظائر ، للسيوطي ، ط. حيدر باد ، 1359.
- التفسير الكبير، لأبي بكر الرازي ، القاهرة بدون تاريخ .
- تهذيب اللغة للأزهري ، القاهرة 1964-1967.
- الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد على النجار ، القاهرة ، 1956-1952.
- الدر النثير ، لابن أبي السداد ، معهد المخطوطات العربية 30 قراءات .
- سر صناعة الإعراب لابن جني، القاهرة ، 1954 .
- شرح الأدوار لمولانا مبارك شاه ، مخطوطة المتحف البريطاني .
- شرح الشاطبية للسخاوي ، المكتبة الوطنية بباريس رقم 611 .
- شرح الشافية للرضي ، القاهرة ، 1939 .
- شرح كتاب سيبويه للرماني ، معهد المخطوطات رقم 88 .
- شرح الكتاب للسيرافي ، معهد المخطوطات رقم 85.
- شرح المفصل لابن يعيش ، القاهرة بدون تاريخ .
- الشفاء ، جوامع علم الموسيقا لابن سينا ، القاهرة ، 1956 .
- كتاب سيبويه ، ط . بولاق 1316-1317 .
- كتاب الفصل لابن حزم،القاهرة ، 1317-1321.
- المقتضب للمبرد ، تحقيق محمد عضيمة، القاهرة، 1385-1388 .
- كتاب المحاذى لابن عبد السلام الفاسي ، خزانة الكتب بالرباط رقم 312 .
- المصنف لابن جني ، القاهرة ، 1954-1960 .

المراجع الأجنبية

- Arkbacor H.J.A Study of intracral Air Pressure associated with production of selected Consonants. Ph.D. State Un. Of Iowa. 1964.
- W.Belardi. Sur l'aspect subjectif de la distinction entre voyelle et consonne (Annali dell-Istituo Univ. Napoli. 1964 pp .149-165).
- P.Delatte. Comparing the phonetics features of English. German. Spanish and French. Heideberg. 1965.
- M.Durand. Voyelles brèves et voyelles longues. Paris. 1946.
- M. Durand. La syllabe. Ses définitions. Sa nature. ORBIS. 1954,pp.527-533.
- A. Hadj – Salah. La notion de syllabe et la théorie cinético-impulsionnelle des phonéticiens arabes. AL-Lisaniyyat,1971, pp. 63-83.
- A. Hadj Linguistique arabe et linguisti que générale. Paris Sorbonne. 1979.
- C. Rochette, Les groupes de consonnes en francais, Québec, 1973.

P. Rousselot. Pincipes de phonétique expérimentale, Paris, 1924.

F. Saussure. Cours de linguistique générale. ed. Critique T. De Mauro, Paris, 1973.

G. Straka. La division des sons du langage en consonnes et voyelles est-elle justifiée?
Travaux de linguistique et de littérature. Strasbourg (TLL) II, 1(1963).pp.17-96.

G. Strake. Evolution du latin au francais. TLL. II.1. 1964,pp. 17-98.

Subtelny and Al. Multidimensiona Analysis of bilabial stop and nasal Consonants.
Cineradiographic and pressure flow analysis. The Cleft Palate Journal . 6. PP. 263-289.

Warren.D.W.Aerodynamics in Speech Production. Contemporary: issues in Experimental phonetics. LASS, éd Academic Press, 1976.pp. 105-177.

ZDMG= Zeichrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft.

الدكتور طه حسين بالمغرب
دوره في صحوة الفكر من خلال محاضراته وندواته

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

لقد كان محظورًا علينا أن نتصل بالمشرق إلا عبر القنوات التي تسمح السلطات الاستعمارية بالمرور منها ، وكذا فإن النشرات الواردة علينا من المشرق كانت تخضع بدورها لرقابة محكمة، وحتى صُوَر قادة المشرق وزعمائه كانت تتعرض للمصادرة بل وللعقاب الصارم على امتلاكها وترويجها !

وقد وجدت نفسى ذات يوم بالسجن عام ١٩٣٧م لأن الشرطة عثرت في بيتنا على رسوم لسعد زغلول وفريد وجدى وقاسم أمين ! لقد سألونى عن علاقتي بهؤلاء فقالوا: هل هم أخوالك أو أعمامك ؟ والحقيقة أننا كنا نتبادل سراً بعض الكتب التي تتسرب إلينا من المشرق من أمثال "حاضر العالم الإسلامى" الذى ترجمه الأستاذ عجاج نويهض وكتاب " لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" للأمير شكيب أرسلان ، وياويلَ من ضبطت عنده ورقة من مثل هذه " المخدرات " !

وقد ازداد الحصار إحكاما عندما احتدت المعركة بين الوطنين والاستعمار ، أواسط الأربعينيات، عندما طالب المغاربة باسترجاع استقلالهم ، واشتدت المواجهة أوائل الخمسينيات عندما توالت كتابات المصريين عما يجرى بالمغرب من تجاوزات خطيرة بلغت حد تهديد العاهل المغربى الملك محمد الخامس بخلعه عن العرش إن هو تمادى في مناصرة الحركة الوطنية التي تطالب بالاستقلال.

وفي أعقاب أزمة ٢٥ فبراير ١٩٥١م توهم الاستعمار أنه سيجد في صحافة مصر ما ينفس عنه .فاستقدم الدكتور محمود عزمى عن جريدة (الأهرام) ليقف بنفسه على زيف " ادعاءات " الوطنيين وأن البلاد تعانى من الظلم والحيف، ولكن الدكتور عزمى عاد من المغرب يحمل معه أجوبة مكتوبة من لدن

* ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الثالثة عشرة من جلسات مؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الثلاثاء ١٨من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٧ من مارس(آذار)سنة ١٩٩٨م.

العاهل المغربى ، الأجوبة كانت تُدين المحاولات الرخيصة للتفرقة بين الملك والشعب حيث نشر الاستجواب صورةً وحرفًا في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧/٣/١٩٥١.

وما زلت أذكر أن في صدر الحملات العنيفة التي كان الوطنيون المغاربة يوجهونها ضد الحماية أنها كانت تحرم على المغاربة فتح المدارس لنشر التعليم مع أن طه حسين وزير المعارف وقتها كان ينشئ العديد من المدارس ويقرر مجانية التعليم الثانوى ويعلن أن التعليم ضرورى للناس ضرورة الماء والهواء .

لقد كانت مصر لنا بمثابة القبس الذى يهدينا إلى الطريق ونحن نقاوم الاستعمار.

وقد ركب الاستعمار رأسه فأقدم على نفي الملك محمد الخامس،يوم ٢٠ غشت ١٩٥٣ والذي كان يصادف عيد الأضحى عند المسلمين . وهنا لم يكن من الغريب أن يسمع الناس بالمغرب أن الدكتور طه حسين يُرجع الوسام الفرنسى (لا ليجيون دونور) من رتبة فارس كبير احتجاجًا على ما يجرى في الجناح الآخر من العالم العربى!

ولقد كتب الدكتور طه حسين - بعد نفي الملك محمد الخامس وولي عهده وسائر أسرته إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر - مقالا بجريدة الجمهورية عدد ٢٩/١٢/١٩٥٣م يحمل عنوان (حول هوشى منه ومحمد الخامس) .

وأردفه بمقال آخر في الجمهورية يوم ٦/١/١٩٥٤م حول (محمد بن عرفة) الصنيعة التي نصبها الاستعمار عوض الملك محمد الخامس !

ثم كتب بعد أن ظهرت بوادر النصر في أعقاب الكفاح المرير الذى خاضه الشعب المغربى من أجل إرجاع مليكه ، كتب يقول : " فرض الشعب المراكشى إرادته على فرنسا فاضطرها اضطرارًا إلى أن تعترف باستقلاله وسيادته، وأكرهها إكراها على أن تفاوض السلطان الذى أنزلته عن عرشه منذ عامين ونفته إلى جزيرة نائية في أقصى المحيط ، وقدرت أنها ستجعله نكالا للثائرين بها والمتمردين عليها فلم يُغنِ عنها مكانُها الرفيع وصيتها

البعيد وبأسها الشديد وسلطانها الواسع شيئا ، وإنما مضى الشعب المراكشى في ثورته وأضاف عنفًا إلى عنف " .

كانت أمثال هذه المواقف بمثابة البلسم الذى يضمد جراح المناضلين والمبعدين الذين استمروا في كفاحهم إلى أن عاد محمد الخامس من منفاه يحمل معه استرجاع المغرب لحريته واستقلاله على ما أكده الدكتور .

وينبغى أن نتصور مدى ابتهاج المغاربة وقد أصبح في مستطاعهم أن يستقبلوا ضيفًا كبيرًا كان هو الدكتور طه حسين!

لقد غمرتنى فرحة زائدة وأنا أجد نفسى بطنجة يوم الثلاثاء ٢٤ يونيه ١٩٥٨م أستقبل فيها الزائر الكريم نيابة عن وزارة التربية الوطنية وضمن الوفد المغربى الذى صحبه في خطواته .

أذكر جيدًا اجتماعنا ببيت السيد الدكتور عبد اللطيف بن جلون عامل طنجة الذى خصص استقبالاً حميمًا لعميد الأدب العربى الذى وصل ، عبر جبل طارق ، بصحبة زوجته السيدة سوزان إلى جانب كاتبه الخاص السيد فريد شحاتة .

وفي هذا الاجتماع ببيت هذا السيد العامل ، عندما كان الدكتور في جلسته الهادئة يستمتع بنسيم البحر تسلل كلبٌ ضخم الجثة من نوع (بيرجى) كانت تمتلكه السيدة زوجة العامل ، ومضى الكلب نحو الدكتور طه حسين ، وبدون سابق هَرِيرٍ أخذ يحتك بركبتى الدكتور !

شعرت بالضيف يفاجأ بصنيع هذا الطارئ ولكن الدكتور بما عهد من ظرف ولطف حوَّل المفاجأة إلى تعبير أدبى رفيع، وتمثل بقول حسان بن ثابت في أولاد جفنة:

يُغشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل !

قالها بصوته الجهورى المعروف وأسلم الحاضرين إلى مجلس أنسٍ جميل .

بهذا ابتدأت بالمغرب أيام طه حسين التي كانت أيام أعراس أدبية علمية رددت صداها سائر أجهزة الإعلام المكتوبة والمسموعة ، وهكذا فبعد أن قام الدكتور يوم الأربعاء ٢٥ يونيه بزيارة للسيد الحاج أحمد بلافريج رئيس الحكومة ووزير الشؤون الخارجية ثم بزيارة وزير التربية

الوطنية الحاج عمر بن عبد الجليل ، وبعد أن حضـــر مأدبة العشاء التي أقيمت على شـــرفه في بيـــت السيد الحاج أحمد بنانى مديـــر التشريفات الملكية ، والتي تميزت بحضور صاحب السمو الملكى ولى العهد آنذاك الأمير مولاى الحسن...بعد ذلك قام الدكـــتور طه حسين صباح اليوم الموالى الخميس ٢٦ يونيه بمقابلة صاحب الجلالة الملـــك محمـــد الخـــامس حيث قرأنا في الصحيفة الرسمية"العهد الجديد"البلاغ التالى:

" حظـــي الدكـــتور طه حسين إثر وصوله إلى الرباط بمقابلة صاحب الجلالة الملـــك المعظـــم وكان الدكتور مصحوبًا بمعالى رئيس الحكومة السيد أحمد بلافريج وســـفير الجمهورية العربية المتحدة السيد أســـعد محاسن ، وقد حضر المقابلة السيد أحمـــد بنانى مدير التشريفات والسيد عبد الكـــريم غلاب رئيس قسم إفريقيا وأسيا بـــوزارة الخارجية والسيد بومهدى رئيس القســـم الثقافي بنفس الوزارة والسيد عبد الهادى التازى عن وزارة التربية الوطنية" .

ويمضـــى الـــبلاغ قائلاً : "وكانت المقابلـــة عـــلى جانب عظيم من الحفاوة والود فقد خاطب صاحب الجلالة الزائر الكريم قائلاً:إننا نرحب في شخصكم بعالم من أعلام الفكر العربى في العصر الحاضر، والمغـــرب متشـــرف بزيارتكم التي كان يتمناها منذ أمد طويل ، لمشاهدة ما يبذله من جهود في سبل البناء والانبعاث".

وأجاب الدكتور طه حسين : " إنى مـــتأثر جدًا ، يا صاحب الجلالة ، بهذه المقابلة التي أنعمتم على بها ، ولى الشرف العظـــيم بالمثول بين يدى جلالتكم أنتم الذيـــن قـــدتم معركة التحرير في المغرب وعانيتم كثيرًا من التضحيات والمشاق في ســـبل إســـعاد الشعب المغربى ، والكل يعـــترف بالفضل العظيم الذى طوقتم به جيد العروبة بكفاحكم واستبسالكم إلى جانب الشعب المغربى الأبى " .

فعقـــب جلالـــة الملك على كلمة الدكـــتور قـــائلا : نعتبر أن كل شخص مهمـــا كانت مرتبته ينبغي له أن يؤدى واجـــبه في هـــذا المضمار ! وإن الشعب المغربى يذكر كذلك ما قمتم به أيضا من أعمـــال أثناء المحنة السياسية التي اجتازها المغرب ولا تزال عالقة بأذهاننا مواقفكم

ومقالاتكم في الدفاع عن القضية المغربية مما كان له أكبر الوقع والتشجيع للأمة المغربية في جهادها . وزيارتكم هذه ستكون لها أكبر الفائدة بالنسبة للمثقفين المغاربة الذين يتعطشون لمناهل العلم في البلاد العربية .

وبعد ذلك دار الحديث بين جلالة الملك المعظم والدكتور طه حسين عن ظروف السفر ، وعن البرنامج الذى وُضع لزائر المغرب الكريم . ولما لاحظ جلالته أن البرنامج ربما كان مرهقًا بالنسبة للدكتور طلب جلالته من رئيس الحكومة السيد أحمد بلافريج ألا يكون في البرنامج إجهاد وتعب على الدكتور.

وإضافةً إلى ذلك الخبر الذى عممته أجهزة الإعلام صدر بلاغ من التشريفات الملكية يقول : يعلن مدير التشريفات والأوسمة أن صاحب الجلالة الملك المعظم حفظه الله تفضل بالإنعام على معالى الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب بالقاهرة بمناسبة زيارته أعلى درجة من وسام الكفاءة الفكرية الذى خصصه صاحب الجلالة بين الأوسمة الجديدة لذوى الكفاءة من العلماء والأدباء والأطباء والفنانين ورجال الفكر ، وإن الدكتور طه حسين أول من قلد هذا الوسام العلمى السامى .

وفي الساعة السادسة من مساء نفس اليوم أقامت وزارة الشؤون الخارجية حفل شاى كبير تكريمًا لعميد الأدب العربى بحدائق الوزارة لم يحرم الدبلوماسيين من الاستمرار فيها إلا إشفاق السيدة زوجة الدكتور على زوجها من ألا يأخذ وقته لإلقاء محاضراته حيث استمعتُ إليه يهمس في أذن بعض المشرفين على الحفل معتذرًا ومداعبًا: اعذرونى فإن من الحب ما قتل !

فعلاً كان جمهور المثقفين على موعد مع المحاضرة الأولى للزائر الكريم التي ألقاها في نفس اليوم ٢٦ يونيه بكلية العلوم التابعة لجامعة محمد الخامس بحضور سمو ولى عهد المملكة الأمير مولاى الحسن ، وكانت بعنوان : " الأدب العربى ومكانته بين الآداب العالمية " .

لقد غصت القاعة على سعتها بالذين كانوا في شوق بالغ إلى السيد العميد،

ومازلت أذكر جيدًا أن هذا الجمهور، على سعته وتعدد اتجاهاته ، ظل كأن على رأسه الطير كما يقولون ، الكل رجالاً ونساء يصيخ بسمعه إلى ما يقول الدكتور الذى قدمه إلى هذا الجمهور الأستاذ عبد الكريم غلاب .

لقد ابتدأ الدكتور طه حسين حديثه وأنت تشعر بأن الرجل يأخذك بأسلوبه الساحر شيئًا فشيئا ليلحق بك برفق إلى الموضوع الذى تناوله من غير أن تشعر بتعبٍ في تتبع فقرات حديثه ولا بصعوبةٍ في فهم لغته . وينساق بك إلى أن يصل إلى قمة النتيجة التي يتوخاها من عرضه ، فإذا أحس أنك وصلت معه إلى ما يريد أخذ بك في العودة بتؤدة ولطف وهو يزودك في هذه الأثناء بما يدعم أطروحته غير متكلف ولا متصنع ولا مغرب فيما يأتى به من ألفاظ سلسة مغرية ، وهكذا تشعر بأنه ماض في اتجاه الانصراف حتى يصل إلى الدقيقة الأخيرة المحددة للكلام فيودعك وأنت تشعر بأنك عشت لحظات من الزمان في غاية المتعة ، وكأنَّ الساعةَ ثانيةٌ ، فإذا أضفت إلى كل هذه المنهجية الأخاذة ما حباه الله به من صوتٍ موسيقى رخيم ، ومن احترام فائق لقواعد اللغة العربية،واختيار جيد للمفردات الدالة التي يستعملها ، آمنت بأنك أمام معلمة جديرة بأن تكون القدوة للذين يُنشئون ويتحدثون، وبأنك أمام رائدٍ خبير بمعارج الطرق منها الأقرب إلى الوصول ، وقد كان يذكرنى في دعاء كان يتردد على لسان أحد مشايخنا أثناء الدرس:"اللهم ارزقنا العلم،وارزقنا القدرة على تبليغه" .

قال الدكتور على الخصوص في محاضراته:

" ... لقد مرت على أدبنا العربى أطوار نستطيع فيها بحق أن نقرر أن هذا الأدب كان هو الأدب العالمى الممتاز في عصر من عصوره ، ذلك أن هذا الأدب لم يكد يخرج من جزيرة العرب حتى انتشر انتشارًا رائعًا . ولست أعرف في اللغات القديمة لغة بلغت ما بلغته اللغة العربية من القوة ومن السعة والانتشار ومن القدرة على السيطرة على العالم القديم في أكثر أجزائه .

نعم كانت قبل اللغة العربية لغات قديمة أخرى انتشرت في الشرق وسيطرت

علـــى سياسته وإدارته وثقافته ،ولكنها لم تـــبلغ في أى وقـــت من الأوقات أعماق الشعوب الشرقية ولم تستطع أن تغير من نفـــوس الشرقيين ولا أن تغير من لغاتهم شيئًا وإنما فرضت نفسها سياسيًا فكانت لغـــة الحكام وكانت لغة الإدارة وكانت لغة الثقافة الرسمية ،وظلت الشعوب تتكلم لغاتهـــا الخاصـــة. فالأمة اليونانية فرضت ســـيطرتها على الشرق عشرة قرون. لكن الشـــعوب ظلـــت محتفظةً بلغاتها الخاصة فكـــان المصريون محتفظين بالقبطية وكان السوريون وأهل الجزيرة والعراق محتفظين بالآرامية ...

وجاء الرومان بعد اليونان فلم تستطع لغـــتهم اللاتينية أن تنتشر في الشرق بحال مـــن الأحـــوال وإنمـــا كان الحكام من الرومانـــيين ... وظلت الشعوب مع ذلك محافظـــة عـــلى لغاتها الموروثة ... إلى أن جـــاءت اللغة العربية بعد الفتح الإسلامى فانتشرت ودون أن يتخذ السلطان العربى أيـــة قوة لفرضها ... نظرنا فإذا هذه اللغة تنتشر شيئا فشيئًا ... ولا تلبث أن تصبح هـــى اللغة العامة لكل البلاد التي فتحها المســـلمون في الشرق والغرب . انتشرت بقـــوة القـــرآن ، وبهـــذه القوة وحدها استطاعت أن تكون لغة عالمية لأول مرة وبأوسع معانى هذه الكلمة ، لكن الأدب الجديـــر بهذه المرتبة هو الذى يستطيع أن يأخذ وأن يعطى ولا يكون منعزلاً عاكفا على نفسه . يأخذ من الآداب المختلفة ما يلائـــم طبيعـــته ، فلا يعيش منعزلا وإنما يعـــيش متصـــلا بحياة الأمم البعيدة منها ويعطيها في نفس الوقت ما يستطيع . إن كل أدب جدير بهذا الاسم يجب أن يأخذ ويعطى وأن يتأثر وأن يؤثر ... "

إلى آخـــر هذه الأفكار التي رأينا أن من الواجب أن نخصص لها ملحقا خاصا بعـــد أن ســـجلناها من الشريط المحفوظ بالإذاعـــة الوطنية التي نغتنم هذه الفرصة لنشكرها على مساعدتها .

لقد سمعنا صاحب السمو الملكى ولى العهد يقول:إنه يعتز بأنه أمسى من تلامذة الدكـــتور طه حسين،وقد أبى إلا أن يقيم حفل استقبال أكاديمى على شرف الأستاذ الكـــبير في قصـــره الخاص بحى السويس مساء الأحد٢٩من يونيه/١١من ذى الحجة،

وقــد كـــان سمـــوه في استقبال ضيفه ، وصحبَه إلى المائدة التي جلس حولها رئيس الحكومة ووزير الخارجية وعدد كبير من علية الشخصيات الحكومية والدبلوماسية والأدبــية بمن فيهم الأستاذ شارل أندرى جولـــيان عمــيد كلية الآداب وعدد من أعضـــاء (جمعية العلماء بالمغرب) الذين وصـــلوا إلى الرباط بمناسبة تقديم التهانى بعيد الأضحى لعام ١٣٧٧ .

وقــد كان الدكتور قبل هذا ضيفًا على السيد رئيس الحكومة في مأدبة غداء هـــذا الـــيوم أقامهـــا على شرفه في بيته وحضرها عدد من الشخصيات السياسية والوطنـــية كان من بينهم الأستاذ علال الفاسى ...

وقـــبل أن يغـــادر طه حسين الرباط حضر حفل استقبال كبير أقامه على شرفه في فـــندق حســـان الأستاذ أسعد محاسن ســـفير الجمهورية العربية المتحدة . كما نظـــم الدكـــتور عـــبد العزيز الأهوانى المستشـــار الثقافي بالسفارة ومدير المركز الـــثقافي المصرى في التاسعة والنصف من نفـــس الـــيوم الأحـــد ٢٩ ندوة كبرى استجابة لطلب الأدباء الذى أبدوا رغبتهم في الاتصـــال المباشر بالدكتور من الطلبة النابهين حيث وجهت للأستاذ عدة أسئلة حـــول التعريـــب وتيسير النحو ، وكان الدكـــتور يجيـــب عنها بصراحة أثارت إعجاب الحاضرين . الأمر الذى يعبر عنه ما تركه – رحمه الله – من آثار جد هامة حـــول المواضـــيع التي تطرق إليها والتي أصـــبحت محل اهتمام من المشرفين على الشؤون الثقافية ببلادنا .

وقد عالج حديث الدكتور طه حسين يوم الاثنين ٣٠ يونيه = ١٢من ذى الحجة في العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء بقاعة المســـرح الـــبلدى موضوع تطور الأدب العربي في مصر قديمًا وحديثًا حيث قدمه إلى الجمهـــور الأستاذ محمد الفاسى الذى نعت الدكتور " بشيخ الجماعة " .

وهكذا وبعد أن أكد أن فترة الحكم العثمانى كادت أن تأتى على معالم الأدب العـــربي في مصر بحكم أنهم أى العثمانيين قطعوا كل صلة بينها وبين العالم الخارجى شـــرقا وغـــربا ، أشاد بما قامت به دولة المماليـــك مـــن خـــلال الاتفاقيات التي

أبرمتها، والآثار التي تركتها بعد أن كان التتر أتوا على كل معالم الحضارة العربية في العراق،وهـــنا ذكر ما خلفه النويرى والعمرى والقلقشندى وابن منظور وابن حجر والسيوطى .

ويعتبر الدكتور طه حسين أنّ طرق الفرنســيين أبــواب مصر أيقظ المصريين وخاصــة عندما ظهرت المطبعة وانتشرت بعض التجارب العلمية . وأخذ المصريون يرســلون أبــناءهم إلى الخـــارج وأخذ الأجانب يترددون على مصر ، وبرز على الساحة تياران:التيار القديم والتيار الجديد.

وهنا طمحت النفوس إلى الاستقلال، وسمعــنا عــن البارودى وحافظ وشوقى وظهـــر النثر إلى جانب الشعر ، وشاهدنا أســبوعية " مصــباح الشــرق " وسمعنا بالمنفلوطى وآثاره .

ويبدو أن طه حسين وجد في الفرق بين سلوك القصر الملكى في مصر وسلوكه في المغرب،مما يتصل بالتواطؤ مع الاستعمار، وجــد في ذلك ما يبرر لمزه للنظام الملكى في مصر . ومن هنا انتقل إلى دور الكتاب في العمل على التخلص من الاستعمار .

وفي هذا الصدد عرض لظهور حركة التمثــيل بمصر .وهنا قدم توفيق الحكيم للمغاربة كما قدم إليهم عددا من الكتاب من أمثال نجيب محفوظ ...

وكان المهم في هذا الحديث أنه يدعو المغاربــة إلى المشاركة في ذلك الجهد من أجل إظهار الكنوز العربية . ومن المهم أن نقــف مــرة أخــرى على التأكيد على ضرورة عدم الاكتفاء بذكر القدماء . إننا نريد -يقول طه حسين-أن نعرف ما عند الغــرب أيضا ونجمع ما نعرفه عن قدمائنا وأن نكــون لأنفســنا شخصيتنا الجديدة الحرة المستقلة. فلا ينبغي أن نورث أبناءنا مــا ورثناه فحسب وإنما ينبغي أن نورث أبناءنا ما ورثناه وما أنتجناه نحن ... " على ما سنقرأ تفاصيله من الملاحق .

وإثر هذه المحاضرة أقيم حفل حاشد عــلى شرف الدكتور طه حسين في بيت الأســتاذ الحلــو وقـــد غـــص المنــزل بالحاضرين ، وغابت عنه زوجته على ما نقرؤه في مذكراهما ...

وكان من طرائف ما جرى في فاس يوم الأربعاء الثانى من يوليه ١٩٥٨ م أن

الدكتور عزم على زيارة جامعة القرويين التي تقع في قلب المدينة القديمة والتي نعلم عن صلتها بالأزهر في ذاكرة طه حسين ، وقد طلب إليّ أن أختار أقرب طريق إلى الجامع واستكتمني رغبته حتى لا تمنعه صاحبتُه من النزول بحجة الإشفاق عليه لكن الخبر وصلها فطلبت إليّ أن أرافقها لتأخذ فكرة عن المسافة. الأمر الذى جعلها ترفض أن يقوم بمثل هذه المغامرة !

وعبثًا حاولنا إقناع السيدة بسهولة الطريق بل وباعتمادنا على السيارة الخاصة التي جعلها الملك تحت تصرفه ، فقد أصرت على رأيها ، وهكذا تحولت الزيارة إلى أحد فروع جامعة القرويين الذى كان يحمل اسم (معهد الزربطانة) حيث أقيم في حدائقه الواسعة حفل استقبال كبير حضره جميع علماء جامعة القرويين .. واستجابة لرغبة الدكتور شارك في الاستقبال حوق الآلة الأندلسية التي كان الأستاذ يطرب لسماع إيقاع إحدى نوباتها : (بطايحى رصْد الذيل).

وقد تقدم بهذه المناسبة عدد من الخطباء الذين رحبوا بالزائر الكريم وكان منهم الشاعر الكبير الأستاذ محمد الحلوي الذى تقدم بقصيدة رائعة في نحو أربعين بيتا ، طرب لها الدكتور طه حسين ورجعت به إلى عهود الشعر الزاهرة على حد تعبيره ، جاء في أولها على ما سنرى في الملاحق :

حَقٌّ على الشِّعْرِ أنْ يُهْدي عَرائسَهُ
تَحِيَّةً لِعَميدِ الشِّعْرِ وَالأَدَبِ
هَفَا إلى حِضْنِكَ الدَّافي لِتُنْعِشَهُ
مِثْلَ اليتيمِ الَّذى يَهْفُو لِحضْنِ أبِ!

وقد كان من حسن حظى ونحن بمدينة فاس ، وبالذات في فندق زالاغ ، أن ألازم الدكتور طه حسين أكثر مما لازمته في الرباط أو الدار البيضاء ، لقد كنت على صلة ولمدة تزيد على عشر سنوات بزميل لى في الدراسة كان كفيفًا: العربى الرهونى ، فكنت أعيش مع نفس الحركات والمدركات .سألنى –وكان يعرف أننى خريج جامعة القرويين – عن نصيبي من اللغة الفرنسية؟وهل سافرت خارج المغرب ؟ وقال لى مرة ألا تفكر في الالتحاق بالجامعة العصرية ؟ وقد استغربت من سؤاله هذا أول الأمر،

لاسـيما وقد كان يعلم أنني أب لخمسة أطفـال وأنني أعمل رئيسًا للقسم الثقافي بـوزارة التربـية الوطنية !! وبين الفينة والأخـرى ، كأنـه كان ينسى ليرجع ويـتحدث عن الجامعة العصرية على ما سنرى .

ولقد كان مما أثار انتباه الدكتور طه حسـين – ونحـن نتتبع تساؤلاته – أنه أحـيانًا يدخل في حوار مع بعض الذين يسلمون عليه ، وقد كان يستغرب من أن معظمهم كان بالسجن أيام الاستعمار . وسـنرى أن الدكتور يكتب : إن الذى يـزور المغرب الأقصى بعد استقلاله إنما يزور وطنًا من أوطان البطولة حقًا، فمن أعسـر الأشـياء وأشقها أن تتحدث إلى رجـلٍ مـن رجال الحكم أو من رجال الثقافة أو من عامة الناس إلا عرفت أن له بالسجن عهدًا . !

ولقـد كـان موعـد الجمهور مع المحاضـرة الثالـثة في اليوم الموالى ، وقد اختيرت لها أكبر قاعة في المدينة الجديدة : (سينما لامبير) حيث قدمه الأستاذ محمد الفاسـي ، وقـد كان موضوعها يتناول مشاكل الأدب العربي بعد الإسلام .

لقـد خصـص الحصـة الأولى من محاضرته بفاس لتحية أهل فاس والإشادة بأمجـاد القرويين ودورها في الحفاظ على الـتراث الإسلامى والهوية العربية لبلاد المغرب . " إن لمدينة فاس في قلوبنا مكانة أي مكانـة فهـي موئل الحضارة وموئل العلم ، وهى قلعة الإسلام الحصينة ، من أجـل ذلك لا نذكرها إلا اشتقنا لزيارتها ولا نذكـرها إلا ذكرنا جامعة القرويين ومـا يتصل بها ... ونحن نقدر في أعماق نفوسـنا أن جامعـة القرويين هي أقدم الجامعـات الإسـلامية وعسى أن تكون أقدم جامعات الأرض كلها .

وقبل هذه الكلمات التي كانت بمثابة الوسـام الـذي حلى به صدر العاصمة العلمية للمغرب ، تفضل فشكر الاستقبال الحمـيم الـذي خصصـه علماء فاس لشخصـه. " وإنني على ما سمعت من نثر رائـع وشعر بارع بالأمس أذكر ما قيل قديمـا : " إن أعذب الشعر أكذبه " وإني

لأعتذر لشاعرنا العظيم من ذكر هذه الجملة القديمة .

وبعد هذا تصدى الدكتور للموضوع الذي قدمه لرجال الفكر بالعاصمة العلمية والذي كان فعلا مثيرا وممتعا وأصيلا في الوقت ذاته :

هناك نظرية تقول : إن ظهور الإسلام أسكت الشعراء حينا من الدهر لأن القرآن بهر الناس ببلاغته وبيانه الرائع، وكان ابن خلدون أول من قررها في مقدمته وتبعه الذين أرّخوا الآداب العربية. وعن مصداقية هذه المقولة تحدث الدكتور بصراحته المعهودة مقترحا على العلماء استعمال أفكارهم حول هذه النظرية وأمثالها.هذه المشكلة -يقول طه حسين - أحب أن أثيرها أمامكم . وإني أرجو أن تتفكروا فيها وما أشك فيما بيني وبين نفسي في أن هذه النظرية ليست نظرية صحيحة بحال من الأحوال .

وهناك مشكلة أخرى تحتاج إلى كثير من التفكير - نلاحظ أن الحجاز - وهو موطن الوحى أصبح في عصر بنى أمية موطن الغزل والغناء والموسيقا فماذا كان وراء هذا ؟ وهنا أيضا نصح الدكتور يفتح عيون الحاضرين على أفكار في منتهى الروعة والجرأة طالبا من الأدباء أن يستعملوا أفكارهم في الوصول إلى الحقيقة ... فليس يكفي- يقول الدكتور - أن نقرأ ما يكتب في الكتب ونقرره ونعيده على طلبتنا كما قرأناه ونصبح كأننا الأداة التي تحكى ما يسجل لها . وإنما وهبنا الله عقولا لنفكر بها ، ووهبنا أذواقا لنقيس بها الجيد والردىء . وسترون عندما تعيدون النظر في تاريخ الأدب العربى القديم في القرنين الأول والثانى بنوع خاص ، سترون أنكم أمام حقائق كثيرة إنّ ما نعرفه عن تاريخنا الأدبى قليل جدا بالمقارنة مع ما نجهله .

أنا أحب - يختم الدكتور - أن أثير المشكلات وأن أثير القلق من حولى . إنى لأرجو ألا تقرؤوا كتاب الأغانى إلا لتقرؤوا ليس غير ، ولا تتخذوه وحده مصدرا للتاريخ الأدبى .

لقد كان طه حسين يقصد إلى إعطاء مثل هذه المحاضرة في مدينة تحتضن جامعة القرويين شقيقة الأزهر ، جامعة تعيش

على النصوص ، وبالنصوص ، وفي أحضان النصوص ، يقصد إلى أن يحرر الناس من أن يصبحوا عبيدا للنص بدون أن يستعملوا فكرهم جيدا في فهم النص وفي البحث عما قد يوجد من مصادر ومراجع تكشف عن مصادر النص وهدفه ، إن كل الناس مخاطبون باستعمال عقولهم واستخدام مواهبهم دون تقليد ولا متابعة عمياء .وسنرى في الملاحق تفصيلا عن موضوع المحاضرة .

وقد أبى محبوه بفاس إلا أن يأخذوه إلى مصطاف إيموزار الذي لا يبعد عن المدينة إلا قليلا حيث استمتع هناك بقعدات ندية حيث كانت أيدى الترحاب والتكريم تتهاداه من زاوية إلى أخرى ...

وكانت زيارته لمدينة فاس مناسبة للإعلان عن قبول الدكتور للعرض الذى التمسته منه الجامعة المغربية : أن يلقى عدة محاضرات في السنة الأكاديمية المقبلة. وفي طريقه إلى تطوان يوم السبت ٥ يوليه مر على مدينة القصر الكبير وهنا شعر بغياب أحد الرفاق في الرحلة وهو الزميل الراحل الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، وسرعان ما حضر الدكتور الأهوانى فأنشده طه حسين هذا البيت الذى ارتجله:

اِسْأَلْ عَنِ القَصْرِ الكبيرِ وَسِرِّهِ
تَجِدِ الجوَابَ لَدَى الفَتَى الأَهْوَانِى!

وفي تطوان مساء الأحد ٦ يوليه الموافق ١٨ من ذى الحجة بقاعة إسبانيول ألقى آخر محاضرة له ، وقد قدمه الأستاذ محمد بن تاوت التطوانى رحمه الله .

لقد أثار الدكتور طه حسين هذه المرة المشاكل التي تتصل بالأدب العربى عمومًا كأزمة القراء التي عزاها إلى تعلق الناس بأمور الحياة . مركزًا على السينما ودورها في جلب الناس إليها على نحو المقهى التي تحشر الناس إليها . وقد تخلص الأستاذ العميد إلى تصنيف الأدب إلى درجتين اثنتين فإما أن يكتب للكثرة وإما أن يكتب للقلة .

وقد وقف الدكتور مقارنًا بين الأدب القديم مبديًا ما كان يتمتع به الأدباء القدامى من تشجيع وعطف وتقدير .

وينتقل الدكتور طه حسين إلى الموضوع الذى ما انفك يثيره مع الشباب

قائلا : إن الشباب العربى الذى أخذ يكتسب عقلية القرن العشرين يجد الصعوبة الكبيرة في مسايرة الطريقة المتبعة في تعليم اللغة العربية وآدابها ، فإذا لم تصلح هذه اللغة وييسر هذا النحو فإننا نجد أنفسنا مسؤولين عن إعراض الشباب عن الأدب العربى بل ونعتبر محرضين لهم على ذلك ! وتأتى بعد هذا مشكلة الكتابة العربية التي تجعل الفهم قبل القراءة بدلا من أن تسبق القراءة الفهم نظرًا لعوامل الشكل والإعراب، وقد أشار في خطابه إلى القاضى المغربى ابن مَضاء الذى دعا إلى إصلاح النحو ... والدي كان أستاذنا شوقى ضيف خصص له بحثًا هامًا منذ عام ١٩٩٧ .. إلى آخر الأفكار الجريئة التي أدلى بها والتي تركت لها أثرًا كبيرا في الطبقة الواعية التي كانت تصغي باهتمام إلى الأستاذ الجليل على ما نذكره في الملاحق .

وقد كان من المفروض أن يتجه الدكتور طه حسين إلى مدينة مراكش التي كان جمهورها ينتظره بفارغ الصبر إلا أن ارتفاع درجة الحرارة بعاصمة الجنوب ، وطول المسافة التي كانت تفصل بين الرباط ومراكش ، وعدم اشتمال السيارات آنذاك على المكيف جعلت أعضاء الهيئة المنظمة يذكرون وصية جلالة الملك محمد الخامس أن يشفقوا على الزائر الكريم حتى لا يرهقوه ولا يتعبوه ، الأمر الذى أذعن إليه أدباء مدينة مراكش على مضض .. وإلى الآن يذكرون المناسبة ويرددن قول الشاعر :

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ
فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجلَّتِ !

لقد ظهرت عبقرية الرجل أولا في توزيع المواضيع على العواصم المغربية المذكورة فخاطب كل عاصمة بما كان ينبغي أن تخاطب به ، فهو في الرباط غيره في فاس، وهو في البيضاء غيره في تطوان .

أريد أن أخلص إلى القول : إن زيارة الدكتور طه حسين لم تكن زيارة سياحة أو راحة ولكنها كانت زيارة عمل وحركة متوالية، فمن محاضرة إلى مناظرة إلى استجواب، وقد كان الدكتور خلال كل ذلك مثل الرجل الذى لا يتعب ولا يمل ، كان يشعر بأنه يؤدى رسالة مقدسة لقوم

ينتظرون منه هذه الرسالة ، قمة وقاعدة ، شبابًا وشيوخًا، ذكورًا وإناثًا ، فلم يكن هناك حديث إلا عنه وعن فكره النير وقلبه المبصر وحسه المرهف .

كنا نحس أنه يعطى كل ما عنده وبكل إخلاص ، وكنا ندرك أن الناس كانوا يتلقون أطاريحه على أنها أطاريح سليمة مسلمة ، ولذلك كانوا يتوقون إلى زيارة لاحقة استجابة لرغبة مريديه .

وإذا جاز لى أن أتحدث عن أثر هذه الزيارة التاريخية في نفسى فإننى أذكر بحق أنها كانت بالنسبة إلى منعطفا هاما في حياتى ، فقد أقنعنا الرحل بأن القاعدة العلمية التي اعتمدنا عليها في جامعة القرويين،بالرغم من أنها القاعدة الأساس ، لكنها بحاجة إلى تأثيث ، ولابد من الانفتاح على الجامعة العصرية التي تكون بمثابة النافذة المشرعة على العالم الآخر .

وأعترف أنني من هنا أخذت أتوق إلى الالتحاق بجامعة محمد الخامس رغم اعتراض بعض زملائي بجامعة القرويين الذين كانوا يرون في ذلك ، تنقيصًا من قدر القرويين !! وقد شجعني وجود ثلة من الأساتذة المصريين الأجلاء بالرباط من أمثال الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال الذى وجد في مساهمتى بالمؤتمر الثالث للآثار العربية المنعقد بفاس في نوفمبر ١٩٥٩م:حول (الحروف المنقوشة بجامع القرويين) ، وجد فيها ما يبرر ذلك وأمثال الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى الذى فتح لى قلبه .

وإن نسيت فلا أنسى استقبال الدكتور طه حسين لنا في يناير ١٩٦١م بمكتبته الحافلة المرتبة في بيته (رامتان) ، عندما كنت بصحبة الأستاذ محمد الفاسى بمناسبة اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية في دورتها الرابعة عشرة التي أذكر أن في صدر الذين حضروها الدكتور أحمد زكى والدكتور أحمد حسن الزيات . كان الدكتور طه حسين وقتها نائبا لرئيس المجمع أحمد لطفي السيد .

لم أنس ارتياح الدكتور من سماع الأستاذ الفاسي رحمه الله يخبره بالتحاقي بجامعة محمد الخامس وتشجيعي على رسالتي لنيل دبلوم الدراسات العليا التي كانت مفتاحي للالتحاق بجامعة الإسكندرية التي كان لها

تاريخ بارز معروف مع الدكتور طه حسين.

ذكـرت كـل هـذا الحديث اعترافا بالجميل الذى أسدته لبلادنا زيارة الدكتور طـه حسين التي، كما قلت منذ البداية ، لم تكـن زيـارة نزهة بقدر ما كانت رحلة علمية، دامت أسبوعين وعملت على صحوة الطبقة المثقفة وتوعيتها بماضيها وتنبيهها إلى ضرورة الأخذ بمعالم الطريق الذى يضمن لها الحفـاظ عـلى ذلك الماضي حتى تواكب الركب العالمي .

لقـد مـرت أربعون سنة كاملة على سماعي محاضرات الدكتور طه حسـين وماتزال إلى الآن ترن في أذني بوقع جرسها وقـوة دلالتها وأناقة كلماتها . لقد أخذتني إلـيه أخـذا لم أستطع أن أحمى نفسي من التمثل بها والاسترشاد بأسلوبها ..

وإني لأغتنم هذه الفرصة لتقديم التوصية بتعمـيم المحاضـرات المسجلة بصوته على المؤسسات الجامعية باعتبار تلك المحاضرات تـراثا مسموعًا يعلّم الناس كيف بمخارج الحـروف يـنطقون ، ولأفكارهم يرتبون ولألفاظهم ينمقون، ولمستمعيهم يحمضون[٩] ويطرفون، وبانصرافهم يشعرون ويودعون !

د. عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

الملاحـــــــق

الملحق الأول : محاضرة الرباط الخميس ٨ من ذي الحجة ١٣٧٧هـ الموافق ٢٦ من يونيه ١٩٥٨م .

الملحق الثاني : محاضرة الدار البيضاء الاثنين ١٢ من ذي الحجة الموافق ٣٠ يونيه ١٩٥٨م .

الملحق الثالث : محاضرة فاس الخميس ١٥ من ذي الحجة ١٣٧٧هـ الموافق ٣ يوليه ١٩٥٨م .

الملحق الرابع : محاضرة تطوان الأحد ١٨ من ذي الحجة ١٣٧٧هـ الموافق ٦ يوليه ١٩٥٨م .

الملحق الخامس : قصيدة الشاعر الحلوي بفاس يوم ١٤ من ذي الحجة ١٣٧٧هـ الموافق ٢ يوليه ١٩٥٨م .

الملحق السادس:استجوابه مع مجلة الإذاعة الوطنية العدد الأول يوليه ١٩٥٨م.

الملحق السابع:مقال للدكتور نشرته جريدة الجمهورية في عددها ليوم٢٩/٧/١٩٥٨م.

الملحق الثامن : مذكرات بقلم السيدة حرمه عن زيارته للمغرب .

الملحق التاسع : معرض لبعض اللقطات والقصاصات .

تنبيه :

لم تفتني استشارة ما كتب بالمشرق ، وبخاصة بمجلة الهلال ، العدد الخاص بالدكتور فبراير ١٩٦٦م - ١٣٨٥هـ ، وبمجلة (الحديث) عدد يوليه ١٩٥٨م، وكذلك كتاب حول طه حسين تأليف الدكتور حمدي السكوت والدكتور مارسدن جونز ، طبعة دار الكتاب المصري اللبناني ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، وأخيرًا المحاضرة التي ألقاها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية مساء يوم الاثنين ١٥ من ذي القعدة ١٤١٧هـ الموافق ١٤ من مارس ١٩٩٧م تحت عنوان (طه حسين المجمعي) بقاعة الاجتماعات الكبرى بدار المجمع بالزمالك ...

الملحق الأول
نص محاضرة الرباط للدكتور طه حسين
في موضوع
" الأدب العربي ومكانته بين الآداب العالمية "

سيدي صاحب السمو الملكي : سادتي :

أحب قبل كل شيء أن أؤدي مهمةً ليس شيء أحب إلى من أدائها ، وهى أن أحمل إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم محمد الخامس وإلى صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولى عهد الدولة المغربية وإلى الشعب المغربي كله تحية ملؤها الود الصادق والحب العميق والإجلال والإكبار وتقدير الجهد العنيف الخصب الذى بذل في تحقيق الاستقلال المغربي ، وهذه التحية أؤديها إلى المغرب: إلى جلالة مليكه وإلى ولي عهده وشعبه الكريم وعن الجمهورية العربية المتحدة كلها: من رئيسها جمال عبد الناصر عن حكومتها وعن شعبها العربى الذى إنما يحيا بالعروبة وللعروبة ولإعزاز العروبة في أي مكان من أماكنها، وهذه التحية التى تصدر من أعماق القلب العربي في المشرق إلى القلب العربي في المغرب ، ليست تحية تؤدى بأطراف الألسنة ، وإنما اللسان فيها مترجم عن القلوب ، وإني لأرجو أن تبلغ هذه التحية أسماعكم ثم لا تستقر فيها وإنما تستقر في أعماق قلوبكم ودخائل ضمائركم، وأن تشعروا بأن الجمهورية العربية المتحدة إنما تحييكم تحية الصديق المخلص للصديق المخلص .

أما بعد فإني أعتذر من أن أتحدث إليكم حديثًا لست أدرى أيروقكم أم لا يروقكم ، ذلكم لأني لا أتحرى ، حين أتحدث ، إرضاء الذين يسمعونني ، بمقدار ما أتحرى إشعارهم بما يجب عليهم للأدب العربى وللأمة العربية كلها ،وإذا لم يرقكم بعض ما سأقوله في هذا الحديث فمعذرتي إليكم هي أنني لست من الذين يقنعون بالقليل في كل ما يتصل بالحياة العقلية ، فقد أكون من أنصار القناعة بالقليل فيما يتيح الله لي من أسباب الحياة ، أما فيما أطمح إليه في حياتنا العقلية فإني لا أرضى

أبدا ولا أطمئن مطلقا، وإنما أنا قلق دائما ومثير للقلق حيثما كنت . وأنا حريص أشد الحرص ، على أن تشعر الأمة العربية كلها بألها مهما تحقق من نهضة ومهما تبلغ من رقي في حياتها العقلية فإنها ستظل دائما بعيدة عما ينبغي لها من النهضة الصحيحة والرقى المؤكد والوصول إلى المثل الأعلى في تقوية الحضارة وتنميتها وإغناء العالم الإنساني كله ومشاركته فيما ينبغي أن تكون عليه الحياة الإنسانية من تقدم ورقى وازدهار .

وأريد أن أحدثكم الليلة عن " الأدب العربي وعن مكانته بين الآداب العالمية " . وهو موضوع -كما ترون- يشعر بشيء كثير من وجوب الاحتياط في القول . فالعالم الآن بما بلغ من التقدم ، وبما وصل إليه من الرقى ، وبما انتهى إليه من هذا التطور الغريب ، وبما وصلت إليه الاختراعات الحديثة ، هذا العالم عندما ننظر إليه ، وننظر إلى ما وصلنا نحن إليه في بلادنا العربية ، نشعر بالمسافة البعيدة التي تفصل بيننا وبين ما نحب أن نكون . والشيء الذي يعزينا ولكنه لا ينبغي أن ينسينا واجبنا ، هو أن أدبنا العربي قد مرت عليه أطوار ، نستطيع فيها، بحق عندما نتحدث عنها ، أن نقرر أن هذا الأدب كان هو الأدب العالمي الممتاز في عصر من عصوره . ذلك لأن هذا الأدب العربي لم يكد يخرج من جزيرة العرب بعد ظهور الإسلام وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتشر انتشارا رائعا وخطيرا حقا .

ولست أعرف في اللغات القديمة لغة بلغت ما بلغته اللغة العربية من القوة والأيد ومن السعة والانتشار ومن القدرة على السيطرة على العالم القديم في أكثر أجزائه، وقد كانت قبل اللغة العربية لغات قديمة أخرى انتشرت في الشرق وسيطرت على سياسته وإدارته وثقافته ، ولكنها لم تبلغ في أي وقت من الأوقات أعماق الشعوب الشرقية ، ولم تستطع أن تغير من نفوس الشرقيين ولا أن تغير من لغاتهم شيئا، وإنما فرضت نفسها هذا الفرض السياسي المعروف فكانت لغة الحكام ، وكانت لغة الإدارة ، وكانت لغة الثقافة الرسمية ، وظلت الشعوب مع ذلك تتكلم

لغاتها الخاصة ، وتتوارث آدابها الخاصة ، لم تغير لغتها، ولم تتخذ هذه اللغات القديمة المسيطرة لغات لها . فالأمة اليونانية فرضت لغتها على الشرق عشرة قرون ، منذ عهد الإسكندر إلى الفتوح العربية . وكان الحكام في أول أمرهم من اليونانيين، وكانت إدارة البلاد الشرقية ، ولا سيما مصر والشام وما إليها، كانت الإدارة فيها يونانية ، وكانت اللغة الإدارية والسياسية هي اللغة اليونانية ، وكانت لغة الثقافة الرسمية في المدارس وفى المعاهد وفى الأديرة -بعد انتشار المسيحية- هي اللغة اليونانية. ولكن الشعوب التي كانت تسكن هذه البلاد الشرقية ظلت محتفظة بلغاتها الخاصة.فكان المصريون محتفظين بلغتهم القبطية وكان السوريون وأهل الجزيرة والعراق محتفظين بلغاتهم السامية الآرامية وما يتفرع منها،ولم تستطع هذه اللغة اليونانية أن تؤثر في هذه اللغات ولا أن تحول الشعوب عن لغاتها بحال من الأحوال.

وجاء الرومان بعد اليونان ، ولغتهم اللاتينية لم تستطع أن تنتشر في الشرق بحال من الأحوال ، وإنما كان الحكام من الرومانيين ، وكانت لغة الإدارة والسياسة والثقافة هي اللغة اللاتينية ، وظلت الشعوب مع ذلك محافظة على لغاتها الموروثة ، وعلى آدابها الموروثة ، وعلى تقاليدها كلها ، إلى أن جاءت اللغة العربية بعد الفتح الإسلامى ، ودون أن يتخذ السلطان العربى أى قوة لفرض هذه اللغة ، ودون أن تتخذ الحكومات العربية على اختلافها أى إجراء لحمل الشعوب على أن تتكلم اللغة العربية ، ننظر ، فإذا هذه اللغة العربية تنتشر شيئا فشيئا ، ولكنها تنتشر ، على ذلك - في سرعة مدهشة، ولا تلبث أن تصبح هي اللغة العامة لكل البلاد التى فتحها المسلمون ، في شرقي الدولة الإسلامية وغربيها .

في شرقي الدولة الإسلامية : في بلاد إيران ، وفى جزء من بلاد الهند كل هذا القسم كان يتكلم اللغة العربية ويكتب بها، ويحاول أن يغالب العرب عليها .وفى المغرب ، وفى الشام وفى مصر وشمال إفريقيا ، وفى الأندلس كذلك غلبت اللغة العربية كل اللغات التى كانت منتشرة في

كل هذه البلاد ، وأصبحت هي لغة الحديث ، وهى لغة الثقافة ولغة الدين .

ولأجل أن تتبينوا أن هذا لم يأت بقوة الحكومة ولا بتدخل السلطان ، أحب أن أذكركم بمثل بسيط جدًا ، وهو أنه في القرن الثالث ، في مصر ، كان كثير من القضاة يتعلمون اللغة القبطية ، ليستطيعوا أن يفهموا الخصوم إذا اختصموا إليهم وأن يقضوا بينهم . هذا يعطيكم فكرة واضحة عن موقف الحكومة ، وموقف السلطان بالقياس إلى انتشار اللغة العربية . فاللغة العربية قد انتشرت وحدها بقوتها الخاصة ، وبقوة الإسلام وقوة القرآن الكريم . بهذه القوة وحدها استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة عالمية لأول مرة في التاريخ الإنساني، لغة عالمية بأوسع معاني هذه الكلمة ، يتكلمها الفرس ويتكلمها جزء غير قليل من الهند وتتكلمها بلاد الشرق العربى الآن كلها ويتكلمها المغرب وشمال إفريقيا وتتكلمها الأندلس أيضا ، هذه اللغة أصبحت عالمية بنفسها دون أن تعمل الحكومة شيئا لذلك ، بنفسها من جهة ، وبقوة الإسلام والقرآن من جهة أخرى .

ولأول مرة نجد في التاريخ لغة تنتشر إلى هذا الحد ، فكما قلت لكم قد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية ، ولكنها لم تصل إلى أعماق الشعوب ، ولم تغير لغة من اللغات التى كانت قائمة في تلك الأيام ، في بلاد الشرق . ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات ، غلبتها ، وتعمقت شعوبها ، وصلت إلى أعماق الشعوب ، وحولت الألسنة عن اللغات القديمة الموروثة إلى هذه اللغة نفسها، لغة العرب، لغة القرآن الكريم .

والرومانيون استطاعوا أن ينشروا لاتينيتهم في المغرب ، في المغرب الأوروبي: في فرنسا وفى بريطانيا العظمى وفى إسبانيا ، وحاولوا أن يجعلوها لغة منتشرة في شمال إفريقيا ، فلم يفلحوا إلا قليلا جدًا .

ولكن اللغة العربية استطاعت أن تقهر اليونانية في الشرق ، وأن تقهر اللغات الشعبية التى كانت منتشرة في هذه البلاد الشرقية ، وأن تقهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم أن تقهر اللاتينية في المغرب

العربي وفى الأندلس ، وأن تصبح هي اللغة العالمية التى يتكلمها الناس في الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها هذا الانتشار ، لم تكن لغة حديث فحسب ، ولكنها كانت لغة حديث ، ولغة سياسة ، ولغة إدارة، ولغة الدين . وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والإنتاج الأدبي والعقلي، وفى أقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت أن تسيغ كل الثقافات التى كانت معروفة في العصور القديمة : أساغت ثقافة اليونان ، على سعتها وعلى صعوبتها وعلى عمقها ، وأساغت فلسفتهم وعلومهم وطبهم وفنونهم العملية أيضا ، وأساغت ثقافة الفرس ، وثقافة الهند ، وأساغت بعد ذلك الثقافات التى كانت متوارثة بين الأمم السامية، الثقافات التى نشأت عن التقاء الساميين بالأمم المختلفة ، والتي نشأت عن توارث التوراة وتوارث الإنجيل بين تلك الأمم المسيحية في هذه البلاد الشرقية والمغربية . كل هذه الثقافات استطاعت اللغة العربية أن تسيغها وأن تتمثلها وأن تجعلها ثقافة عربية . وبعد ذلك جاءت المعجزة الكبرى ، وهى أن هذه اللغة التى انتشرت بهذه الطريقة المدهشة ، والتي أساغت كل هذه الثقافات بهذه الطريقة المدهشة أيضا، أنشأت أمة جديدة ، هذه الأمة الجديدة قوامها اللغة العربية والدين الإسلامى عند الكثرة، والمسيحية والإسرائيلية عند القلة . وكل هذه الأمم امتزجت والتأمت وأصبحت أمة واحدة ، هي الأمة الإسلامية العربية، وجعلت عناصرها المختلفة تتعاون على إنشاء هذه الحضارة الإسلامية العليا ، التى لا أعرف أن حضارة أخرى قد سبقتها في عالميتها وفى انتشارها .

فلست أعرف حضارة قبل الحضارة الإسلامية استطاعت أن تنتشر من الأندلس إلى أعماق الهند ، وإنما الحضارة التى انتشرت هذا الانتشار الغريب لأول مرة في تاريخ العالم، هي هذه الحضارة الإسلامية .

في تلك الأيام ، نستطيع أن نقول إن أدبنا كان هو الأدب العربى الممتاز حقًا. وهذا الأدب العالمي الذي لم يكن أدب

يساميه في وقته ، سبقته آداب أخرى قديمة : سبقته الآداب اليونانية التى مازالت الإنسانية تعيش عليها إلى الآن، ولكن هذه الآداب اليونانية استطاع العالم الإسلامى ، بفضل اللغة العربية ومرونتها وسعتها ، استطاع العالم العربى أن يسيغها وأن يحول هذا الأدب اليونانى القديم أو على الأقل الناحية الفلسفية منه إلى فلسفة عربية،نقلت هذه الفلسفة إلى العربية واستطاع العرب أن يسيغوها وأن يضيفوا إليها من عند أنفسهم وأن ينموها، وسترون كيف استطاعوا أن ينشروها في أقطار العالم كله،فى أقطار العالم الإسلامى والعالم المسيحي،في أوروبا أيضا.

كان هذا الأدب إذن عالميا ، والأدب الجديد بهذا الاسم هو الذى يستطيع أن يأخذ وأن يعطى:يأخذ من الآداب المختلفة ، يتلقى كل ما يمكن أن ينفعه وأن يلائم طبيعته ، فهو لا يعيش معتزلا وإنما يعيش متصلا بحياة أمته أولا ، وبحياة الأمم البعيدة الأجنبية ثانيا، يأخذ منها ما استطاع ويعطيها في الوقت نفسه ما يستطيع ، وأنا أريد أن أبين لكم أن أدبنا في هذه العصور القديمة كان هذا الأدب العالمي الذي كان يأخذ ويعطى، والذي أخذ حتى أنشأ حضارة جديدة ، وأعطى حتى أتاح للأوروبيين نهضتهم الأولى. فبفضل المغرب ، وبفضل الأندلس، استطاع الأدب العربى والعلم العربى أن يصلا إلى أعماق أوروبا ، وترجم هذا الأدب إلى اللاتينية ، نقله الأوروبيون إلى لاتينيتهم التي كانت لغة العلم والثقافة في تلك الأيام في الغرب الأوروبي ، ترجم إلى اللاتينية وأصبح أساسا للنهضة الأوروبية الأولى التى كانت في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر ، وكذلك استطاع هذا الأدب أن يأخذ من اليونانيين في الشرق وأن يأخذ من الفرس والهند ، وأن يأخذ من الأمم الشرقية ، وأن يأخذ من اللاتينيين في الغرب ، فكان المغاربة هنا وفى الأندلس يترجمون من اللغة اللاتينية إلى اللغة العربية، كما أن المشارقة كانوا يترجمون من اللغات اليونانية إلى اللغة العربية ومن اللغة الفارسية والهندية أيضا إلى اللغة العربية .

بهذه الطريقة لم يكن أدبنا مقصورا على الأمة العربية التى كانت تتكلمه ، وإنما شاع وانتقل منها إلى أمم أخرى . ولم يكن معتزلا عاكفا على نفسه ، وإنما كان شائعا ينفع الإنسانية كلها : من كان يعيش في ظل اللواء الإسلامى ومن كان يعيش بعيدا عن هذا اللواء .

وقد يقال:إن الأدب العربى تأثر بهذه الآداب القديمة التى نقلها،وليس في ذلك أي عيب.

فكل أدب جدير بهذا الاسم يجب أن يأخذ وأن يعطى وأن يتأثر وأن يؤثر،وإذا رأيتم أدبًا يعيش معتزلا لا يأخذ ولا يعطى، ولا يتأثر ولا يؤثر ، فثقوا بأنه أدب ميت، أو أدب مقضى عليه بالموت القريب . إنما الأدب الحي هو هذا الذى يعيش متصلا بالآداب الأخرى يأخذ منها ما يلائم طبعه ومزاجه ، ويعطى من ذات نفسه ما ينفع الناس ، ويزيد الحضارة قوة وانتشارًا .

ولسنا ننكر أن أدبنا العربى تأثر بالآداب والفلسفة اليونانية بعد نقلها ، ولسنا ننكر أن هذا قد كان له تأثير خطير جدا في حياة الأدب العربى أثناء العصر العباسي ، وفى المغرب في العصور المتأخرة بدءا من القرن الرابع فما بعده، لا ننكر شيئا من هذا، وقد يقال إننا تأثرنا بالآداب الفارسية ، ولكنى لا أعرف أن الفرس أثروا في آدابنا تأثيرا ذا خطر . كل ما ترجم إلى لغتنا العربية عن الفرس كانت هذه الطائفة من الحِكَم التى نجدها في كليلة ودمنة ، والتي نجدها في بعض ما كتب ابن المقفع ، والتي نجدها في بعض شعر أبى العتاهية ، هذه الحِكَم وبعض الأمثال القديمة السائرة التى جاءتنا من الهند ، وجاءتنا من عند الفرس ، ترجمت ولكنها لم تؤثر في الأدب العربي تأثيرا عميقا ، كما أثر الأدب اليوناني . فالأدب اليوناني أثر في تصور الشعراء وفى خيالهم، وبفضل هذا الأدب اليوناني وجد شاعر مثل أبى تمام ، وبفضل هذا الأدب وجد شاعر مثل ابن الرومي ، وبفضل هذا الأدب وجد شاعر مثل المتنبى ، ومثل أبى العلاء ، أولئك الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية وظهرت آثار الفلسفة اليونانية في شعرهم، إما في صور الشعر كما عند أبى

تمام ، وإما في جوهر الشعر كما هي الحال في كثير من شعر المتنبى ، وفى شعر أبي العلاء الفلسفى كله ، وأحيانا تؤثر في الصورة وفى الجوهر كما هي عند ابن الرومي ، فابن الرومي كان شديد التأثر بالأدب اليوناني: في صوره الأدبية وفى أدائه اللفظي نفسه وفى بعض معانيه ، وفى معانيه الفلسفية بنوع خاص ، وهو أول الشعراء الذين أظهروا التشاؤم في الأدب العربي .

أما الفرس فلم يؤثروا في هذا الأدب العربي لسبب بسيط ، هو أن أدب الفرس القديم لم يكن ذا خطر ، وإنما كانت عندهم طوائف من الأحكام الإدارية ، وهذه الأحكام الإدارية والسياسية هي التي تأثر بها العصر العباسي وحده ، ولكن الأدب العربى نفسه لم يتأثر بشيء ذي بال من الآداب الفارسية، لأن هذه الآداب الفارسية لم تكن نفسها ذات خطر ، وعلى عكس هذا عندما استرد الفرس قوتهم في القرن الرابع للهجرة ، وعندما عدلوا عما كانوا قد ألفوا من اتخاذ اللغة العربية لغة لهم في حياتهم وفيما كانوا يكتبون ، وأرادوا أن يكتبوا بلغتهم الفارسية الإسلامية الجديدة ، عندما عادوا إلى لغة فارسية خاصة ، لم تستطع هذه اللغة الفارسية الإسلامية أن تقهر اللغة العربية في بلاد الفرس أنفسهم ، فكثير من علماء الفرس كانوا يأنفون من كتابة العلم باللغة الفارسية ، ويأبون أن يكتبوه إلا باللغة العربية ، ونرى عالما من كبار علمائهم كالزمخشرى ينازعهم أشد المنازعة في مقدمة كتابه في النحو : (كتاب المفصل في النحو) ينازعهم أشد المنازعة في الكتابة باللغة الفارسية ، ويأبى إلا أن تكون الكتابة باللغة العربية ويرى أن الفارسية لا تستطيع أن تؤدى المعاني التي تؤديها اللغة العربية . وبالفعل عندما أراد الفرس أن ينشئوا لأنفسهم أدبا فارسيا إسلاميا لم يستطيعوا أن ينشئوا نثرا فارسيا إلا في العصر الحديث ، أما قبل العصر الحديث فالأدب الفارسي كله شعر، وهذا الشعر الفارسي الإسلامي ألفاظه فارسية ، وتكثر في تضاعيفها ألفاظ عربية ، وربما يأتي في أثناء الشعر الفارسي بيت من الشعر العربى ، وأوزان

الشعر الفارسي كله إنما هي أوزان الشعر العربى . استعاروا منا أوزان الشعر العربى وقالوا شعرهم الفارسي مرة في بحر المتقارب ، ومرة في الرمل ، ومرة في أي بحر آخر من بحور الشعر الأخرى العربية . وأذكر أنى سمعت بعض الناس ينشد شعرًا فارسيا فيبتدئ إنشاد هذا الشعر على هذا النحو :

ألا يا أيها الساقى

أدِر كأسا وناولها

كهْ عشق أسان نُمود

أولى أفتاد مشكلها

البيت الأول هو بيت من الشعر العربى القديم :

" ألا يا أيها الساقي أدر كأسا وناولها "

البيت الثاني معناه " العشق في أوله يسير سهل ولكنه لا يلبث إن تم ، حتى تنشأ مشكلاته.

كذلك كان الشعر العربى ، وكذلك كان الأدب العربي في هذا الطور من حياتنا، هو الأدب الممتاز في العالم الإنساني في تلك الأيام ، وكان هو المرجع للأمم الأوروبية التى كانت تريد أن تسترد حظها من الحضارة بعد أن فقدت حضارتها اللاتينية القديمة، ولكن الظروف تتغير ، والأطوار تختلف ، والخطوب يتبع بعضها بعضا . وقد جعلت هذه الخطوب تتوالى على الأمة العربية ، وبدأت بتحول الحكم في الشرق على الأقل من العرب إلى أمم أجنبية : إلى الفرس أولا وإلى التحكم التركى ثانيا ، ثم إلى الفرس بعد ذلك ، ثم إلى الترك آخر الأمر ، ثم تأتى الدولة التركية العثمانية فتسيطر على الشرق العربى كله وعلى جزء من شمال إفريقيا . ومن حسن الحظ أنها لم تصل إلى المغرب و لم تسيطر عليه !

وأخص ما يحيى الأدب هو الاتصال بين الأمم صاحبة هذا الأدب وبين الأمم الأخرى ، ومن أجل ذلك لم يكد الترك العثمانيون يسيطرون على العالم العربى حتى قطعوا كل صلة بين العالم العربى وبين الخارج ، وفرضوا على هذا العالم العربى أن يعتزل وأن يعكف على نفسه ، لا يتصل بالعالم الخارجي في أوروبا ، ولا يكون له أى اتصال حتى بين أجزاء العالم العربى نفسه . قطعت الصلات بين الأمم

العربية وبين العالم الخارجي ، واضطرت الأمم العربية إلى أن تعكف على نفسها ، وجعل الأدب العربى يضعف قليلا قليلا ، ثم دهم العالم العربى بخطوب أخرى : خطوب التتار في الشرق، وخطوب الصليبيين وخطب الدولة العثمانية ، كما قلت ، فكان هذا هو الذى أضعف اللغة العربية وأضعف آدابها ، واضطرها إلى أن تصبح تعيش كما تعيش الجَذْوة تحت الرماد ، ولولا أن الله أتاح لجزأين من العالم حظا من الاستقلال ومكن لهذين الجزأين من حماية الأدب العربى والتراث الإسلامى لضاعت هذه الآداب .

وانظروا إلى حال الأمة العربية تحت تأثير التتار والترك بعْد ذلك ، الترك العثمانيين، وإلى الأمة العربية في المغرب ، في إسبانيا ، تحت تأثير العناصر المسيحية التى أخرجت العرب وأخرجت الإسلام من إسبانيا ، إنما أتاح الله هذين الجزأين : المغرب الأقصى في العالم الغربي العربي ، وسوريا ومصر في العالم الشرقي العربي ، بفضل هذين الجزأين من العالم العربى حُفظ التراث الإسلامى، حُفظ التراث في الكتب، وفى المكتبات ، وفى المساجد ، وحفظ التراث في المساجد التي كانت تعلم اللغة والدين والعلوم الإسلامية ، حُفظ هذا التراث في هذه الأجزاء من العالم العربي في سوريا وفى مصر في الشرق،وفى المغرب الأقصى،فى القسم الغربي من العالم الإسلامى .

ثم يأتي هذا العصر، قبل هذا العصر الحديث كان التراث محفوظا ولكنه كان نائما، وكان مهملا ، لم يكن أحد يلتفت إليه تقريبا ، وكان كما قلت لحضراتكم كالجَذْوة التى تعيش تحت الرماد لم تنطفئ ولكنها لا تنشر لهبها ولا تنشر نورها وإنما تظل مستورة تحت الرماد ، هذا العصر الحديث عندما جاء ، وجدنا أدبنا العربى قد فقد كل قوته القديمة التى صوَّرتُها لكم الآن ، وفقد عالميته وأصبح أدبا محليا ، أصبح هناك أدب في مصر ، وأدب في سوريا ، وأدب في العراق ، وآخر في تونس وفى المغرب ، وهكذا ، ولكن هذه الآداب كلها كانت آدابا محلية كما يقال، لا تتجاوز حدود البلاد العربية إلى العالم الخارجي.

وفى أثناء هذه العصور الوسطى التى قُضي فيها على الأدب العربى بهذا الخمود، قويت أوروبا،قويت بفضل النهضة الأولى الـتى أتاحها لها الأدب العربى ، ثم قويت بفضل النهضة الثانية التى أتيحت لها بعد سـقوط القسـطنطينية في يـد الـترك العثمانـيين، قويـت أوروبـا، وخطت خطواتهـا البعـيدة في سبيل رقى الأدب ورقى العلم ، وكنا نحن في غاية الضعف وفى غاية الخمود، وكذلك ترون الواجب الخطير الذى يجب أن نثبت له وأن ننهض بـه ، وأن نؤديه لأنفسنا أولا ، ولتراثنا العربى القديم ثانيا، وللإنسانية آخر الأمر .

هـذا الواجـب بسيط في ظاهره ، ولكنه ثقيل وخطير عندما نحقق النظر فيه، هذا الواجب هو إحياء هذا التراث القديم مـن جهـة ، وأن نضيف إليه من عند أنفسـنا – من جهة أخرى – لنـزيده وننميه ونقويه ، ونرد إليه مكانته العالمية ونجعله أدبا لا ينتفع به أصحابه وحدهم ، وإنمـا ينـتفع به أصحابه وينتفع به العالم الخـارجي على اختلاف أجناسه وعلى اخـتلاف حضـاراته . هذا الواجب في ظاهره بسيط ، ولكنه عندما نحقق النظر فـيه خطير جدًا وثقيل جدا ، فهو يحتاج أولا إلى أن ننشر كل هذا التراث المكدس في المكتـبات ، في أقطار العالم العربى ، ننشـره ونفسـره ثم نضيف إليه من عند أنفسنا أدبا حديثا جديدا لا تنقطع صلته بـالأدب العربى القديم ، ولكنها تتصل به مـن جهة ، وتزيد عليه وتضيف إليه من جهة أخرى ، ولا ينبغي أن نعيش في هذه العزلة التى نعيش فيها الآن ، أو نوشك أن نعـيش فيها ، لا ينبغي أن نعيش في هذه العـزلة ، نسـتعير كل ما نحتاج إليه من الحضارات الأخرى الغربية في أوروبا وفى أمريكا، ولا يستعير أحدٌ منا شيئًا . فنحن بهـذه الطريقة نرضى لأنفسنا أن نكون عـيالاً على الغرب ، وما عهد العرب في أنفسـهم أن يكونوا عيالاً على أحد في وقـت من الأوقات. كانوا يأخذون من اليونان ، ومن الفرس ، ومن الهند ، ومن أمم أخرى كثيرة ، ولكنهم كانوا يعطون ، فلنأخذ من الغرب إذن ، ولكن يجب أن نـأخذ منه وأن نعطيه . هذا هو الواجب الـذى فـرض علينا أن ننهض به . وما

أشـــك في أنـــنا قادرون إن أردنا، وإن صـــمَّمْنا، وإن أمضينا عزيمتنا وإن ذكرنا قول الشاعر القديم:

إذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ
وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانبا

والذي أتاح لنا أن نجاهد ، وأتاح لنا أن نكافح ، وأتاح لنا أن نصارع الأجنبى لنســتخلص مـــنه استقلالنا السياسي في الشرق،وفى المغرب ،هو الذي سيتيح لنا أن نجاهد وأن نكافح،لنرد إلى أدبنا العربى حـياته وقوته ونشاطه، ولكننا لن نجاهد ولن نكافح أجنبيا في هذا السبيل ، ولكننا سنجاهد أنفسنا وسنحمل أنفسنا على ما تـــريد وعلى مالا تريد ، لنصل إلى تحقيق هذه الغاية .

وإني لأسعد الناس بأن أشرف بإلقاء هـــذه المحاضرة بين يدي صاحب السمو الملكي وبين أيديكم ، لأني أرى في جلالة الملـــك وفى سمو ولى العهد رمزا أيَّ رمز لهذا الكفاح ، ولهذا الجهاد . وإذن فعندما أدعـــو إلى النهوض بهذا الواجب الخطير الثقـــيل الذي تفرضه علينا كرامتنا ، أثق بأن سمو الأمير ولى العهد خير من يستمع لهـــذه الدعـــوة، وخير من يستقبلها كما ينـــبغي أن تستقبل ، وخير من يعين على إحـــياء الأدب في المغرب . وسيشارك في إحياء الأدب العربي في جميع أقطار العروبة كـــلها ، وأنا أجدد لسموه ولحضراتكم أصدق الشكر وأخلص التحية .

الملحق الثاني
نص محاضرة الدار البيضاء للدكتور طه حسين
حول " *الأدب العربي في مصر قديما وحديثا* "

سيداتي ، سادتي !

أرجو قبل كل شيء أن تتفضلوا فتقبلوا تحية العروبة الشرقية ترسلها إلى العروبة المغربية صادرة عن أعماق القلب وعن دخائل الضمائر ، وأرجو أن تتقبلوها على ألا تستقر فى أسماعكم ، كما قلت فى الرباط وإنما تمر فى أسماعكم لتستقر فى أعماق قلوبكم كما صدرت من أعماق قلوب إخوانكم فى الجمهورية العربية المتحدة .

وإني لحريص على أن أشكر أجمل الشكر وأصدقه للسيد الوزير ومدير الجامعة الآن ، أشكر له أجمل الشكر وأصدقه هذه التحية الكريمة التى تفضل بها، وأعترف وأشهد أنى منذ وصلت إلى بلاد المغرب لم أجد فيها إلا أحسن لقاء وأحسن ترحيب ، لقاء الإخوان للأخ وترحيب الإخوان بالأخ الصديق . ومع ذلك فلست أوافق الأستاذ الوزير على ما قال من أن المغرب تلمذ لمصر ، فالذي أعرفه أن علومكم وصلت إلينا وأن علماءكم وصلوا إلى بلادنا، منهم من استقر فى الإسكندرية وأقرأ تلاميذ من المصريين والشرقيين ، ومنهم من استقر فى القاهرة وأقرأ التلاميذ فى الأزهر الشريف، فإذا كان هناك أساتذة وتلامذة فأنتم الأساتذة ونحن التلاميذ .

وأنا أحب أن تعرفوا شيئا عن إخوانكم فى الجمهورية العربية المتحدة وعن حياة الأدب فيها أثناء هذا العصر الحديث لا لأني أريد أن أحدثكم عن نهضة الأدب هناك ، ولكن لأني أريد أن تعرفوا إخوانكم وأتمنى إن شاء الله أن يزورنا الأستاذ الوزير وغيره من قادة الفكر فى هذه البلاد ليتحدثوا إلى المصريين والسوريين عن إخوانهم من أهل المغرب فإن الزيارة لابد من أن ترد وأنا أزوركم الآن وأنتظر أن يرد قادة الفكر هذه الزيارة ، والذين سينعمون برد هذه الزيارة لن أكون أنا وحدي فى استقبالهم

لكـــن سيكون جميع المصريين والسوريين إن شاء الله .

عندما وصل الفرنسيون إلى مصر فى أواخـــر القـــرن الثامن عشر كان الأدب العــــربى فى مصر قد أدركه ضعف شديد وكـــان قد بلغ من الضعف أن أصبح لا يكـــاد يصـــور شيئًا وأصبح ألفاظا يضم بعضـــها إلى بعـــض ويعبث بها الكتاب والشـــعراء يتخذون هذه الألفاظ تعلّة لهم تغنـــيهم عن المعاني التي ينبغي للأدب أن يؤديهـــا ذلك لأن القريحة العربية فى تلك الأيـــام كانت قد نضبت وأدركها جمود شـــديد جـــدا ، ومصدر ذلك أن حياة الأدب رهيـــنة بـــأن تتصل البلاد بعضها بـــبعض. وقد أقبل الترك العثمانيون على مصر فى القرن السادس عشر فقطعوا كل صـــلة بينها وبين العالم الخارجي ، قطعوا الصلة بينها وبين العالم العربى شرقا وغربا، وقطعـــوا الصـــلة بينها وبين العالم الغربي الأوروبي وكانـــت قـــبل الغزو العثماني متصلة بالعالم العربى فى الشرق وفى الغرب ومتصلة بالعالم الأوروبي المسيحي بواسطة الـــتجارة وبواسطة المعاهدات السياسية ، ومـــا إلى ذلـــك ، فكان الأدب فى تلك الأيـــام ، قبل الغزو العثماني، له حظ من حـــياة مهما تكن فقد كانت قوية خصبة منـــتجة ، ومـــا أكثر ما يقال عن عصر المماليـــك فى مصر وسورية ، فكثير من الذيـــن يؤرخون الأدب يقولون : إن هذا العصر قد كان عصر ضعف وجمود لجَذْوة الأدب العربى ، ولكننا عندما نحقق النظر فى شؤون الأدب فى سورية وفى مصر أيام المماليك نرى أن الشعر إن كان أمره قد ضـــعف فقـــد كانت هناك نهضة أدبية خطـــيرة هـــي التي حفظت على الشرق تـــراث الإســـلام بعد أن تعرض للخطر العظـــيم الـــذى أثاره التتار عندما غزوا العـــراق وعـــندما أضاعوا ما أضاعوا من الكتب ، وأهدروا وهدموا ما هدموا من الحضـــارة الإسلامية فى العراق . كانت سورية وكانت مصر هما الملجأ الذى لجأ إليه التراث الإسلامى ، ونهض السوريون والمصـــريون يقـــرؤون ما لجأ إلى سورية ومصر من هذا التراث ويجمعونه ويدونونه فى كتب ضخمة تذكرنا بدوائر المعارف أو "الأنســـكلوبيديات " فى هذه الأيام ،

فنرى " النُّوَيْرى " يؤلف "نهاية الأرب " فى نحـــو ثلاثين مجلدا ونرى " العمرى " يؤلـــف " مســـالك الأمصار " ، ونرى القَلْقَشَـــنْدى " يؤلف " صبح الأعشى ، ونـــرى " ابـــن منظور " يؤلف " لسان العـــرب " ونـــرى غير هؤلاء ، نرى ابن حجـــر فى الفقـــه والحديث وتلاميذ ابن حجر ، ونرى آخر الأمر "السيوطي " وما أكثر ما جمع السيوطي من الكتب القديمة فى كتبه التى ألفها وملأ بها البلاد الشرقية. في أثناء هذه النهضة التى إن لم تكن أدبية خالصـــة فقد كانت نهضة علمية ، وإلى جانبها كانت نهضة فنية يراها كل من زار القاهرة وكل من زار دمشق ورأى ما فى المدينـــتين مـــن الآثـــار الإسلامية ومن المساجد.

فى أثـــناء هذا أقبل الترك العثمانيون على مصر فهدموا الحضارة الإسلامية فى الشـــرق العـــربى كمـــا هدموا الحضارة البيزنطية فى قسطنطينية ، وجرى هذا كله فى أقـــل مـــن قرن واحد ، هدموا هاتين الحضـــارتين ولم يؤتوا العالم حضارة تقوم مقام إحداهما.

وضـــعف أمر الأدب العربى فى مصر وفى ســـورية ولولا بقية من الدراسات فى الأزهـــر وفى بعض المدارس لنسى الأدب العربى نسيانًا تامًا .

أثناء هذه القرون الثلاثة ، من القرن الســـادس عشـــر إلى أوائل القرن التاسع عشـــر ، ظـــل الأدب العربى أشبه شيء بـــالجذوة الـــتى تكاثر عليها الرماد فهى محتفظة بقوتها ومحتفظة بما فيها من القدرة عـــلى الانتشـــار والإضاءة ولكن الرماد علـــيها قـــد تكاثر وتكاثر حتى أصبحت خـــامدةً أو كالخامدة لا ينطبق لهبها ولا يُشـــرق نورها ، وأصبح كتابنا فى تلك الأيـــام يبدئون ويعيدون فى ألفاظ مزوقة مـــنمقة لا تـــؤدى شيئا ، ولكنها تخدع أصـــحابها الذين يكتبونها، وتخدع الذين يقرؤونها ، وتخيل إلى أولئك أنهم يكتبون شـــيئا وإلى هـــؤلاء أنهم يقرؤون شيئا ! والحقـــيقة أن أولـــئك وهؤلاء لم يكونوا يكتبون ولم يكونوا يقرؤون . وإنما كانوا غـــارقين فى شيء يشبه هذيان المحموم ، كذلك كانت حياة الأدب ، أيها السادة، في ذلك العصر التركي العثماني .

فعندما أقبل الفرنسيون إلى مصر، يخيل إليّ أنهم طرقوا باب العروبة المصرية طرقًا عنيفا، أيقظ النيام، فهم قد أقبلوا بأشياء لم يكن المصريون يقدرون أنها موجودة. وهم قد عرضوا على المصريين ألوانًا من العلم وألوانًا من النشاط لم يكن المصريون يعرفون أنها يمكن أن توجد فى بلد من البلاد، عرضوا عليهم – أول ما عرضوا – المطبعة. وكان المصريون لا يعرفون إلا أن الكتب تكتب بالأيدي وتستنسخ وتذاع على هذا النحو البسيط الضئيل. فلما رأوا عمل المطبعة ونشر الآثار والمكتوبات دهشوا لهذا أشد الدهشة، ثم عرضوا عليهم بعض التجارب العلمية: تجارب الكيمياء والطبيعة فخيل إلى الذين رأوا هذه التجارب أن هؤلاء الفرنسيين كانوا أصحاب سحر لا أصحاب علم، وكذلك استيقظ المصريون، استيقظوا وقاوموا الفرنسيين أشد المقاومة حتى أدرك الفرنسيون أن لا مقام لهم بأرض مصر فزالوا عنها ولم يقيموا فيها إلى ما يقرب من ثلاثة أعوام. زالوا عنها ولكنهم كانوا قد أيقظوها وقد نبّهوها إلى أنها كانت بمعزل من حياة قوية نشيطة، توجد فى بعض البلاد. ومنذ أوائل القرن الماضي بدأ المصريون يرسلون أبناءهم إلى الخارج يرسلونهم إلى إيطاليا وإلى فرنسا وإلى بريطانيا العظمى، ليعلموا علم هذه البلاد وليتعلموا في مدارسها وجامعاتها وليعودوا بما تعلموا لينشروه فى بلادهم، وكثرت هذه البعثات التى كانت تسافر إلى هذه البلاد، وإلى فرنسا خاصة وفى الوقت نفسه انهزمت جيوش نابليون فى أوائل القرن، وضاق كثير من الفرنسيين ببلادهم هذه المنهزمة، التى احتلها العدو، فجعلوا يخرجون من بلادهم ويهاجرون إلى بلاد مختلفة. وجاء فريق منهم إلى مصر فاستغلت مصر مقدم هؤلاء، استغلت بعضهم فى تنظيم جيشها، واستغلت بعضهم فى تنظيم مدارسها، ومنذ ذلك الوقت، بفضل إرسال البعثات المصرية إلى ما وراء البحر وبفضل استقبال الأوروبيين الذين كانوا يعبرون البحر إليها، منذ ذلك الوقت جعلت مصر تبتدئ نوعا جديدا من الحياة، هي هذه

الحـياة الحديثة التى نحياها الآن ، جعلت مصـر تنظم اتصالها بالغرب الأوروبي ، ترسـل أبناءها وتستقبل الغربيين وتنتفع بإرسـال أبـنائها وباستقبال الغربيين ، وتنشـئ المـدارس عـلى نحو ما كانت المدارس منشأة فى بلاد الغرب الأوروبي ، فأنشأت مدرسة الطب ، وأنشأت مدرسة الحقـوق ، وأنشـأت بعد تلك المدارس مدرسة الهندسة ، وجعلت تنشئ المدارس الابتدائـية ، ثم المدارس الثانوية ووجد فى مصر، أثناء هذا العصر فى النصف الأول مـن القـرن الماضي ، نوعان من التعليم أحدهمـا تعلـيم حديث يذهب المذهب الأوروبي والآخر تعليم قديم موروث من الأزهـر الشريف يذهب مذهب التعليم التقليدي الذي كان معروفا أثناء القرون الوسطى ، ومن ذلك الوقت نشأ فى مصر تـياران أحدهما يأتي من أعماق التاريخ الإسـلامى والآخر يأتي مما وراء البحر ، فأمـا التـيار الأول الذى كان يأتي من أعمـاق الـتاريخ الإسـلامى ، فكانت تصـوره هذه الكتب العربية القديمة التى كانـت نائمة فى المساجد ، فى مكتبات المساجد ، لا يكاد أحد يقرؤها ولا يكاد أحـد يـنظر فيها . جعلت هذه الكتب تـأخذ طـريقها إلى المطبعة قليلا قليلا ، وجعل الناس يشترونها ويقرؤونها وينظرون فيها شيئا فشيئا ، وجعل هذا التيار يقوى ثم يقـوى حـتى استأثر بعقول فريق من المصـريين واسـتأثر بأذواقهم ثم استأثر بألسنتهم وأقلامهم آخر الأمر . وفى أثناء ذلك كان التيار الآخر يأتي من وراء البحر ويقـوى كذلـك شـيئا فشيئا. جعل المصريون يتعلمون اللغة الفرنسية ثم جعلوا يتعـلمون غيرها من اللغات الأوروبية ، وبخاصة اللغة الإنجليزية، وجعلوا يترجمون بعض الكتب التى كانت تأتيهم من فرنسا ومـن بـلاد الإنجليز ، وجعلت العقول والقلـوب والأذواق المصرية تتأثر بهذين التـيارين : بالتيار الذى يأتي من أعماق الـتاريخ العربى الإسلامى، والتيار الذى يـأتي مـن وراء البحر ، وجعلت قلوب المصـريين وعقولهم وأذواقهم تلائم بين التـيارين وتنشئ منهما شخصية جديدة للأدب الذى كان ينشأ فى مصر ، بعد أن مضى النصف الأول للقرن التاسع عشر ،

وظهر بعض الشعراء : لا ينظمون ذلك الشعر الذى كان ينظم أيام الترك العثمانيين والذي لا يدل على شيء والذي كان قوامه الجناس وألوان البديع على اختلافها ، وإنما ينظمون شعرًا لم يكن المصريون يعرفونه، أو كانوا عرفوه فى عصور مضت ونسى ، ينظمون شعرًا على نحو الشعر العربى القديم الذى كان ينظم فى البصرة وفى الكوفة وفى بغداد ، كانوا يقلدون الشعراء العباسيين، وبعضهم كان يتعمق فيقلد الشعراء الإسلاميين أيام بنى أمية، وربما اجتهدوا فى تقليد الشعراء الجاهليين أيضا، وكذلك ننظر فى شاعر مصري " كمحمود سامي البارودي " الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الماضي ، فنراه يتخذ الشعراء القدماء نموذجًا له ، ويتخذ شعرهم مثالا يحتذيه ، فهو يقرأ القصيدة للشاعر القديم فيحاول أن يعارضها بقصيدة مثلها ، على وزنها وعلى قافيتها حتى إذا أتقن هذا النوع من المعارضة واستحكم فنه وملك ناصية الشعر ، أخذ ينظم شعرًا يعرب فيه عن ذات نفسه أولا ويعرب فيه عن ذات النفس المصرية الوطنية ، فيصف طموح مصر إلى الاستقلال ويصف طموح مصر إلى الحرية ويصف الحرب وقد خاض غمارها فى غير موطن، ويصف الطبيعة ويحرض على الثورة ، ويشارك فى الثورة العرابية التى كانت سبب النكبة، نكبة مصر بالاحتلال البريطاني ، ونجده ينفى إلى جزيرة " سيلان " فيظل فيها بضعة عشر عامًا ، وفى منفاه ينظم شعرًا رقيقا يصور الحنين إلى الوطن ويصور الشوق إلى الأهل والإخوان ويصور الحرمان من طيبات الحياة التى كان يألفها فى مصر. ونجد هذا الشاعر:"محمود سامي البارودي" لا يكتفي بتقليد القدماء ولكنه يختار من شعر القدماء مجموعة ضخمة تنشر بعد وفاته فى أربعة مجلدات .

وعلى نحو السيرة التى سارها البارودي في أدبه وفى شعره خاصةً ، ينهض أو يظهر شعراء آخرون يذهبون نفس المذهب : يقرؤون الأدب العربى القديم الجاهلي والإسلامي الأموي والعباسي ويحاولون أن يقلدوا هؤلاء الشعراء القدماء ونرى حافظا ثم شوقي

وغير حافظ وشوقي من شعرائنا فى آخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، حتى أتيح لمصر فى هذا العصر الحديث ما لم يتح لها أثناء العصر الإسلامى كله، فمصر لم يتح لها الامتياز فى الشعر فى عصورها الإسلامية المختلفة ، كان الشعر عراقيا أول الأمر ، وكان نجديا وحجازيا ثم صار الشعر سوريا أيام بنى العباس فى القرن الثالث وما بعده أيام أبي تمام والبحتري ثم المتنبي وأبى العلاء المعرى ، وصار الشعر أندلسيا ومغربيا وظلت مصر قليلة الحظ من الشعر ، يفد عليها الشعراء من البلاد العربية المختلفة ويظهر فيها شعراء لا يبلغون الطبقة الثانية ، وعسى ألا يبلغوا الطبقة الثالثة أيضا من الشعر .كان حظ مصر فى الشعر ضئيلاً منذ الفتح العربى إلى العصر التركي العثماني إلى أواسط القرن التاسع عشر . وبفضل هذه النهضة الحديثة ، وبفضل التقائها بين التيارين : التيار القديم الإسلامى والتيار الحديث الغربي ظهرت ف مصر نهضة شعرية وأتيحت لمصر مدرسة جديدة فى الشعر ، ولكنه شعر تقليدي على نحو الشعر الذى كان يقال فى بغداد وفى البصرة وفى الكوفة كما قلت آنفا، وأتيح لمصر أن تمتاز فى الشعر وأن يتجاور صوت شعرائها حدودها إلى الشرق وإلى المغرب العربى ، وعُرِف حافظ إبراهيم وعُرِف شوقي وعُرِف خليل مطران فى البلاد العربية كلها وأصبحت مصر ولها مدرسة شعرية للمرة الأولى فى تاريخها الأدبي العربي ، وبهذه المدرسة التى نسميها بالمدرسة المصرية التقليدية فى الشعر ، بهذه المدرسة الشعرية ختم الشعر العربى فى مصر ، فلم يكد هؤلاء الشعراء يتركون هذه الحياة الدنيا إلى العالم الآخر حتى عادت مصر إلى ما كانت عليه قبل وجود هذه المدرسة ، قليلة الحظ من الشعر . يوجد فيها الذين يقولون القصائد وينشئون القصص التمثيلية على نحو ما كان يصنع شوقي ، ولكن كل هؤلاء الشعراء لا يبلغون مبلغ الشعراء التقليديين الذين ذكرتهم آنفا: البارودي وحافظ وشوقي وإسماعيل صبري وخليل مطران وسائر شعراء هذه الطبقة.

إنما الفن الأدبي الذي امتازت فيه مصر امتيازا ظاهرًا حقًا هو فن النثر ، ففي أواسط القرن تأثر المصريون كما قلت لكم بهذين التيارين لا فى الشعر وحده ولكن فى التفكير كله ، بل فى التفكير وفى الشعور،جعلوا يترجمون بعض الكتب الفرنسية والإنجليزية وجعلوا يرون كيف كان الفرنسيون والإنجليز يكتبون ، وجعلوا يعرفون كيف كان ابن المقفع وكيف كان الجاحظ وكيف كان الكتاب القدماء يكتبون أيضا، جعلوا يقرؤون للكتاب القدماء ويقرؤون للكتاب الأوروبيين ويحاولون أن ينشئوا لأنفسهم نثرًا يتبع مذهب القدماء فى اللفظ وفى الأسلوب ولكنهم يؤدون بهذا اللفظ وبهذا الأسلوب معاني لم تخطر للقدماء لأنها معانٍ جديدة جاء بعضها من الغرب الأوروبيّ وابتكر بعضها فى مصر ، ولم يكد القرن الماضي ينقضي ويبتدئ هذا القرن حتى نرى مظهرًا طريفًا من مظاهر هذه الحياة الجديدة للنثر الأدبي في مصر .

في أوائل هذا القرن يظهر كِتاب صغير ، جعل ينشر فى صحيفة أسبوعية : كان اسمها " مصباح الشرق " وهذا الكتاب كان ينشر أحاديث ، وكان يسمى حديث عيسى بن هشام ، وكلكم يذكر أن عيسى بن هشام هذا هو صاحب الهمذاني الذي كان يتحدث عنه فى مقاماته ، فكان الهمذاني في مقاماته يقول : حدثنا عيسى بن هشام ثم يأتي بقصته في المقامات ، فصاحب هده الأحاديث فى تلك الصحيفة وهو "محمد المويلحي " كان يكتب حديث عيسى بن هشام ، لا على أنها مقامات كمقامات الهمذاني ولكن على أنها قصة طويلة ، يكتبها بنفس الأسلوب الذى كان يكتب به الهمذاني مقاماته ولكنه يخالف الهمذاني لأنه لا يكتب مقامات قصارًا ولكنه يكتب قصة طويلة تصور الحياة الاجتماعية فى مصر فى أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الذى نحن فيه : يزعم أنه ذهب مرةً إلى المقابر فإذا بقبر يفتح ويخرج منه رجل يجر كفنه وهذا الرجل هو أحد الباشاوات القدماء الذين عاشوا فى أول القرن الماضي : " أحمد باشا المنيكلى " ، وهذا الرجل يتعرف

بالمستحدث الذى يتحدث إلينا ، ويتخذه دليلا ، يزور معه مدينة القاهرة ويبحث معه عن أشياء كانت له وهكذا ، وبهذه الطريقة يصف لنا مدينة القاهرة فى حياتها، وحياتها الاجتماعية فى أواخر القرن الماضي وفى أوائل هذا القرن ويصفها وصف الناقد للحياة الاجتماعية ، الساخر من الذين يحافظون على القديم ، والمعجب بالذين يطمحون إلى تغيير الحياة القديمة ويذهبون مذهبًا حديثًا فى الحياة . وكان هذا هو أول مظهر لتأثر النثر العربى بالتيارين القديم والحديث ، فكما قلت لكم صاحب حديث عيسى بن هشام يكتب على أسلوب الهمذاني وعلى طريقته ولكنه يصف الحياة الاجتماعية ويعرض عليها قصة طويلة على طريقة الأوروبيين فيلتقي هذان التياران التيار الأوروبي والتيار العربي القديم في هذا الكتاب التقاء حسنًا ، ولكننا نحس فيه قوة التيار العربى. فالكاتب يذهب مذهب الهمذاني في وضوح صارخ ، وهو فى الوقت نفسه ربما التزم السجع أحيانًا عندما يريد أن يتأنق فى الوصف .

وتمضى أعوام وإذا كاتب آخر يظهر وهو مصطفى لطفي المنفلوطي ، وإن لم يكن مصطفى لطفي المنفلوطي يعرف لغة الأوروبيين فإنه كان يعيش بين الذين يعرفون لغة الأوروبيين ، وكان يقرأ الكتب التي كانت تترجم من اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية فحرص هو أيضا على أن يكتب بالأسلوب العربي القديم على أن يؤدى معاني عربية حديثة ، وكتب مقالات أيضا كانت تنشر في الصحف ، كان عنوانها "النظرات" ثم جعل تُترجم له كتب فرنسية ترجمة عادية ويؤديها هو بلغته العربية الرائقة الجميلة على الأسلوب العربي القديم ، وكذلك ترجمت له بعض الكتب التي كتبت في فرنسا مثلا: ترجمت له "سيرانودبيرجيراك " (Cyrando de ber Gerac) مثلاً وأداها بلغة عربية قديمة راقية ، وترجمت له بعض القصص كقصة تحت ظلال الزيزفون " Àl'ombre des tillules " وعلى هذا النحو .

وفى أثناء هذا كله كان هناك جيل جديد ينشأ فى المدارس الحديثة ،

ويتعمق دراسة اللغات الأجنبية أو بعبارة أدق دراسة اللغتين الأجنبيتين : الإنجليزية والفرنسية ويتعمق دراسة الأدب الإنجليزي والأدب الفرنسي . وإلى جانب هذا كان هذا الجيل يدرس الأدب العربى أيضا ويدرس الأدب العربى التقليدي القديم : يحفظ الشعر ويحفظ مقطوعات من النثر ويحاول أن يؤدى المعاني بمقدار ما يستطيع . بعض الشبان يحاول تقليد الجاحظ فى الإطناب وبعضهم يحاول تقليد ابن المقفع فى الإيجاز وعلى هذا النحو.

ولكن الحرب العالمية الأولى تفجع مصر بنوع خاص ، ولا تكاد تنقضي حتى يثور المصريون مطالبين بالاستقلال وتكون ثورتهم عنيفة حقًا ، ولم تخل من سفك دماء بين المصريين والإنجليز المحتلين، وهذه الثورة التى كانت فى أول أمرها سياسية لم تلبث أن تصبح ثورة سياسية وفكرية بالمعنى الواسع الدقيق ، وإذا المصريون الذين ثاروا بالإنجليز وأرادوا تغيير النظم السياسية: نظم الاحتلال البريطاني ، يريدون أن يغيروا نظم الحكم الداخلي ويثورون بالسياسة الملكية التى كانت مسيطرة فى مصر ويريدون أن يحكموا حكمًا حرًا وأن يكون لهم دستور وأن يكون لهم نظام برلماني على نحو ما هو مألوف فى البلاد الغربية الأوروبية ، ثم لا يكتفون بالثورة على النظم الداخلية وعلى نظام الاحتلال ولكنهم يثورون على النظم الفكرية القديمة أيضا .

ويثورون على الأساليب القديمة فى الشعر وفى النثر ، فتنشأ طائفة تعبث بشوقي وحافظ وبالمدرسة الشعرية التقليدية وتريد أن تنشئ شعرًا جديدًا تذهب فيه مذهب الشعراء الأوروبيين : الشعر عربي اللفظ ، واضح الأسلوب ناصع الديباجة ، ولكن المعاني التي تؤدى هذا الشعر ليست هي نفس المعاني التي كان يؤديها الشعراء المقلدون: شوقي وحافظ وخليل مطران ومن إليهم من هؤلاء الشعراء الذين كانوا لا ينظمون قصيدة إلا نظروا إلى قصيدة للمتنبي أو لأبى تمام أو للبحتري أو لكذا أو لكذا. يأبون إلا أن ينشئوا شعرًا جديدًا ويأبى الكتاب إلا أن ينشئوا أيضا نثرًا جديدًا . وتنشأ فى مصر ثورة عنيفة بين القدماء

والمحدثين، فهناك أصحاب المذهب القديم الذيـــن يحافظون على الكتابة العربية كما ورثـــت عـــن الجاحظ وابن المقفع وعن الهمـــذاني وعـــن الحريري ومن إليهما. وآخرون يريدون أن يطلقوا أنفسهم على سجيتها وأن يؤدوا المعاني كما يجدونها فى نفوســـهم ، لا يتكلفون ولا يتعلمون ولا يلتزمون شيئا ، إلا أن يكونوا معربين حين يكتـــبون ، واضحين للذين يقرؤونهم أو يسمعونهم ، ثم لا يريدون أكثر من هذا .

وتقوى هذه الثورة شيئا فشيئًا حتى تسيطر عـــلى الحياة الفكرية المصرية أثناء العصر الأول للـــثورة المصرية من انتهاء الحرب العالمية إلى نحو ثلاثين وتسع مائة وألف ، وبعـــد ذلك تفرض على مصر ألوان من الاســـتبداد الداخـــلي والخارجي أيضا : تعاون بين القصر الملكي وبين الإنجليز .

وتفـــرض أحكام عرفية تحجر على الأفكـــار وتمنع الناس من أن يعربوا على ذات نفوســـهم كما يحبون ، ونجتهد نحن الكـــتابَ والشعراء فى تلك الأيام فى أن نخـــادع السلطان وفى أن نعبث بالأحكام العرفـــية وفى أن نؤدي ما نريد على رغم القوانـــين المفروضة وعلى رغم الأحكام العنـــيفة التى كانت تفرض علينا ، ونصل إلى التغلـــب على الحكام أيضا : منا من يهجو القصر ، ومنا من يهجو الإنجليز ، ومنا من يهجو الوزراء، وما إلى ذلك من كـــل هذه الحريات التى أخذناها غلابا . ولا نحفـــل بأحكـــامهم العرفية ولا نحفل بالمحـــاكم ولا بالســـجون ولا بشيء من هـــذا، وإنما نؤدي ما نريد أن نؤديه مرة بالصراحة ومرة بالألغاز، ولا أنسى كتابًا كتبته أنا فى ظل أقوى ما يمكن أن يكون مـــن قسوة الأحكام العرفية ولكنه كان كـــتابًا لم أصارح فيه أحدًا بشيء، وقلت فـــيه مـــع ذلك كل ما أريد أن أقول ، وسميـــته " جنة الشوك " لأن هذا الكتاب كـــان يتألف من مقطوعات قصار ليس فـــيها مقطوعة إلا وفيها غمزة لحاكم أو لملك أو لوزير .

وفى أثناء هذا ، أيها السادة ، نشأ فى مصـــر فى الأدب العربى فنّان جديدان لم يألفهمـــا الأدب العـــربى من قبل ، أما أحدهمـــا ففن القصص الطويل والقصير ، هذا الفن بدأ فى أول القرن كما قلت لكم

فى حديث عيسى بن هشام ، ولكن القصاص تحرروا من السجع ومن تقليد الكتاب القدماء وأنشؤوا لأنفسهم لغتهم الخاصة العربية ومذهبهم الخاص فى الكتابة وجعلوا يقلدون فى أول أمرهم القصص الأوروبي الذي كانوا يقرؤونه باللغات الأوروبية أو مترجما إلى اللغة العربية ثم لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم وحققوا شخصيتهم وأنشؤوا قصصًا مصريًا جديدًا لا يقلدون فيه كاتبًا أوروبيا، إنجليزيا أو فرنسيا .

وإذا أتيح لكم أن تقرؤوا ما ينشر فى مصر من القصص الآن فإني أحب أن تقرؤوا ما يكتبه كاتب مصري من الكتاب الشبان الذين تخرجوا فى جامعة القاهرة وهو نجيب محفوظ ، كتب طائفة من القصص أعتبرها أنا أروع ما أنتج فى الأدب المصري الحديث : كتب قصصًا وهو يتحرى حين يكتب أن يختار شارعًا من شوارع القاهرة أو حيًا من أحيائها ويختار فى هذا الحي أسرة من الأسر ويكتب تاريخ الأسرة وبكتابة تاريخ الأسرة يصور تاريخ الحي ويصور تاريخ القاهرة ويصور تاريخ الأحداث السياسية التى كانت تحدث فى القاهرة ، وإذا أتيح لكم أن تقرؤوا هذه السلسلة التى كتبها باسم " قصر الشوق " وباسم "بين القصرين " و" السكرية " فسترون قصصًا عربية أصيلة بأدق معاني الكلمة.

أما الفن الآخر فهو فن التمثيل : الأدب التمثيلي ، وأنتم تعرفون أن الأدب العربى لم يعرف التمثيل اليوناني و لم ينشئ أدبًا تمثيليًا وهو لم يعرف الآن التمثيل اليوناني لأن المسيحية كانت قد حظرت فن القصص التمثيلي ، فالمسلمون عندما أخذوا يترجمون الآثار اليونانية ترجموا الفلسفة والعلم ، وهكذا ، ولكن الآداب لم تترجم لأن المسيحية كانت قد حظرتها لأنها كانت تعتبرها أدبًا وثنيًا، مهما يكن من شئ فقد جعل بعض كتابنا ينشئون قصصًا تمثيليا ، ونشأ عندنا كاتب - كلكم سمع اسمه فيما أظن - هو "توفيق الحكيم " هو الذى وظف التمثيل فى اللغة العربية وجعله مصريًا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة: أنشأ طائفة من القصص التمثيلية، أكثرها يقرأ ولا يكاد يمل ، وهو قد أنشأ

طائفة من القصص كلها جيد وكلها رائع، وكذلك استطعنا أن نحيي شيئًا من تراثنا القديم بمقدار، لا أقول إننا قد بلغنا من ذلك الذى نريد ، بل لا أقول إننا بلغنا من ذلك بعض ما نريد. فنحن فى أول الطريق ولكننا مع ذلك قد أحيينا طائفة غير قليلة من الكتب العربية القديمة، وقد نظمنا لإحياء التراث الآن ، وضعنا له نظامًا جديدًا ، ونحن الآن أمام حكومة جديدة فى مصر : حكومة الثورة ، وقد التزمت إحياء التراث العربى ووضعت نظامًا خاصًا لنشر هذا التراث ، وإلى جانب ما تفعله الحكومة ، الجامعة العربية أيضا تُحيي طائفة من التراث القديم وتنشر طائفة من الكتب القديمة ، كتبا قيمة . والتزمت الحكومة كما تلتزم الجامعة العربية إلى جانب إحياء التراث القديم ، التزمت الحكومة والتزمت الجامعة ترجمة الآداب الأوروبية العليا : فالجامعة العربية ترجمت فى هده السنين الأخيرة"شكسبير": كل قصص شكسبير ، وسينشر المجلد الأول من هذه القصص فى هذا العام إن شاء الله ، والحكومة تترجم روائع الأدب الأوروبي وبينكم هنا أستاذ من أساتذتنا المصريين أخذ فى ترجمة "سيرفانطيس " إلى اللغة العربية وهو الأستاذ الأهواني .

فإلى جانب ما نبذل من جَهد متواضع في إحياء التراث العربي وفى العِلم بما عند الأوروبيين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، قد أتيح لنا بفضل هذا الجَهْد المتواضع أن نضيف إلى الفنون التي ورثناها عن العرب الأولين هذين الفنين الجديدين : فن القصص الطويل على النحو الأوروبي وفن التمثيل أيضا ، إلى فنون أخرى في النثر ، هذا الفن الذي ذكرته " جنة الشوك " مثلا : هذا النوع الذي أسميته " الإبيكراما " (Epigrama) والذي هو عبارة عن المقطوعات القصار التي تغمز ، والتي يؤدى بها الكاتب ما يريد دون أن يصرح بشيء ، ولا ينشر منها مقطوعة إلا عُرف مَن المراد .

وقد ذكرت فى الحديث الذى ألقيته منذ أيام فى الرباط أنى ألجأ إلى المغرب وإلى سائر البلاد العربية فى المشاركة فى هذا الجهد لإحياء التراث العربى ، هذا الجهد الذى يبدل فى مصر ويبذل فى

سورية ويبذل فى العراق الآن على مقادير تختلف قوة وضعفًا. أرجو أن تشارك فيه بلادكم أيضا . فقد سبقتم إلى كثير من الفضل فى إحياء التراث العربى القديم ، وفى حفظه ، وعندكم منه كنوز لا يُقدر قدرها ولابد من أن تظهر هذه الكنوز ، ولابد من أن ترى النور ولابد من أن تنشر ، تنشر فى المغرب وتنشر فى المشرق أيضا ، ولابد من التعاون على إحياء هذا التراث .

وسألني سائل في جريدة (العَلَم)،هل سنظل نذكر القدماء ونذكر أبا تمام وأمثاله؟ أو هل يجب أن نعيد النظر فى مقاييسنا وفى أحكامنا وفى تفكيرنا ؟

وأجيب على هذا السؤال بأننا سنظل نذكر قدماءنا، نظل نذكرهم وسنظل نحفظهم وندرسهم ،وهم قد عاشوا إلى الآن وما نريد أن نحتمل الإثم فنقضي عليهم بالموت ، ولو حاولنا ذلك لما بلغنا منه شيئًا ، لأنهم كانوا أقوى من الزمن ، وأقوى من الدول ، وأقوى من الخطوب: عاشوا وسيعيشون، ولكنى لا أريد أن نقتصر ولا أن نكتفي بذكر القدماء وحفظهم ودرسهم ، وإنما أريد أن نعرف كل ما عند الغرب ، نعرفه معرفة المتقصى المتعمق ، وأن نجمع ما نعرفه مما عند الغرب إلى ما نعرفه من أمر قدمائنا ، وأن نكون لأنفسنا شخصيتنا الجديدة الحرة القوية المستقلة ، وأن نضيف إلى ما تركه العرب لنا تراثًا جديدًا ، فلا ينبغي أن نورث أبناءنا ما ورثناه فحسب وإنما ينبغي أن نورث أبناءنا ما ورثناه وما أنتجناه نحن، ويمضى الأمر على هذا الحال وترقى الحياة العقلية والأدبية العربية بمقدار ما ترقى الحياة العلمية كلها وبمقدار ما ترقى الحياة السياسية .

وإني لسعيد أيها السادة بأن ألقيت إليكم هذه الأحاديث التى تضطرب دائمًا فى أعماق نفسي والتي لا أزور بلدًا عربيًا إلا تحدثت إليه فيها ، وطلبت إليه المشاركة فى إحياء التراث العربى أولاً ، وفى تعريب الحضارة الأوروبية ثانيًا ، وفى إنشاء الشخصية العربية الجديدة آخر الأمر. وإني لسعيد بأن أتحدث إليكم فى هذه الأشياء وأنا أسعد أيضًا عندما آكل وأعتمد على الدولة المغربية ، وعلى هذه

الدولـــة القوية الفتية فى أن تظل جديرةً بنفسها ، حفيظةً على مكانتها وهى البلد العربي الذى لم يذق مرارة الاستعمار إلا أقــل زمن ممكن ، هذا البلد الذى حفظ اســتقلاله من الأحداث والخطوب ، ولم يخصع للاستعمار إلا وقتًا قصيرًا جدًا ثم لم تلبــث غمرته أن انجلت ، والحمد لله .

فهـــذا البلد هو أجدر البلاد العربية بأن يكــون فى مقدمة الحماة للتراث العربي .

وفى مقدمة البلاد التى تحيي العقلية العربية الجديــدة وتشــارك في إنشاء الشخصية العربية الجديدة .

ويكفى أن أقول هذا وأن أعتمد فيه عــلى جلالة الملك المعظم وعلى سمو ولى العهد وعلى الأستاذ السيد محمد الفاسي وأمثاله من أعلامكم ويكفى أن أنشد فى هذا المقام :

إِذَا أَيْقَظَتْكَ خُطُوبُ الزَّمَانِ
فَنَــبِّهْ لَها عُمَـــــرًا ثُمَّ نَمْ![10]

وقــد نبهت عُمَر ولكنى أعدكم أنني إن شاء الله لن أنام .

الملحق الثالث :
نص محاضرة فاس للدكتور طه حسين
في موضوع : " *مشاكل الأدب العربي بعد الإسلام* "

سيداتي : سادتي :

أرجو أن تتفضلوا فتأذنوا لي ، قبل كل شيء بأن أهدى لكم من أعماق نفسي أصدق التحية وأخلص الشكر على هذا اللقاء الكريم الذى تفضلتم به عليّ منذ بلغنا فاس أمس ، ولقد سمعت أمس من الخطباء ومن الشعراء نثرًا رائعًا وشعرًا بارعًا ، ولولا أنى كنت عاجزًا على أن أقول شيئًا لكان لي موقف أمس، وإني لأذكر ما سمعته أمس من الشعر والنثر وفى نفسي كثير من الاستحياء ، فقد سمعت ثناءً أرجو أن أكون أهلاً فى يوم من الأيام لأقلّه ، أما كله أو أكثره فشيء لا مطمع لي فيه ، ومن قبل قيل " إن أعذب الشعر أكذبه " ، وإني أعتذر إلى شاعرنا العظيم أمس من ذكر هذه الجملة القديمة ، ولكنى أعترف بأنى لم أسمع ثناءً قط إلا ذكرت بيتا قديمًا ، وما أعجبتنى قط دعوى عريضة ولو قام فى تصديقها ألف شاهد ، فأنا دائمًا مطمئن كل الاطمئنان إلى أنى لا أستحق ثناءً وإلى أنى لم أعمل شيئًا أستحق من أجله الثناء ، ولهذا أشكر الذين يتفضلون بالثناء عليّ ، ثم لا أزيد على أن أهدى إليهم أصدق الشكر دون أن أصدق مما يقولون شيئًا.

وإني لا أهدى إليكم تحيتي الخاصة فحسب ، وإنما أهدى إليكم أيضًا تحية الجمهورية العربية المتحدة، أهدى إليكم تحية الجمهورية العربية المتحدة رئيسًا وحكومة وشعبًا فى مصر وفى سورية ، وأحب أن أقول لحضراتكم إني طالما تمنيت أن أزور المغرب عامة وأن أزور هذه المدينة الحبيبة إلينا خاصة، فلمدينة فاس فى قلوبنا مكانة أيّ مكانة ، فهى كانت موئل الحضارة العربية وموئل العلم العربي والتراث العربى كله فى المغرب، وهى قلعة من قلاع الإسلام الحصينة وقلعة كذلك من قلاع العروبة الحصينة ، ومن أجل ذلك لا نذكرها إلا اشتقنا إلى زيارتها ولا نذكرها إلا ذكرنا جامعة

القـــرويين ومـــا يتصل بها من المدارس ، ونحـــن نقدر فى أعماق نفوسنا أن جامعة القرويين هي أقدم الجامعات الإسلامية ، وعســـى أن تكون أقدم جامعات الأرض كلها، فإذا اشتقنا إليها وحنت قلوبنا إلى زيارتهـــا ولقاءِ أهلها الكرام فلا غرابة فى شـــىء من ذلك فإنما نشتاق إلى موطننا الطبـــيعي، ولســـت أدرى كيف أشكر لمدينـــتكم هذه الحبيبة حسن لقائها ، لا حسن لقاء أهلها فحسب ، بل حسن لقاء جوها وإقليمها أيضا ، فقد لقيَتنا أحسن لقاء ، صفت لنا سماؤها ورق لنا هواؤها وطابـــت لنا شمائل أهلها ، فلم نلق فيها مـــنذ بلغناها أمس إلا خير ما يحب الناس أن يلقـــوا ، وإني لعاجز كما أعجز دائمًا على شكر كل هذه النعمة . ولا أملك إلا أن أحمد الله عز وجل أصدق الحمد على أن أتاح لي تحقيق هذا الحلم السعيد .

وأريـــد اليوم أن أتحدث إليكم عن بعـــض مشـــكلات تاريخ الأدب العربى القديم ، وأعتذر إليكم قبل كل شيء من أن أكون بينكم محاضرًا فأنا ، كما يقول أبو العلاء ، عندما أتحدث إلى علماء فاس، كـــالذي يحمل الماء إلى خَضارة أو يحمل التمر إلى هجر ، وإني لأستحيي من نفسي أن أقوم بينكم مقام المتحدث فى شىء من العلم وقد كان الحق عليَّ أن أقوم بينكم مقـــام التلميذ من أساتدته علماء جامعة فـــاس. والمشـــكلات التي أريد أن أثيرها أمـــامكم الآن لا أثيرها إلا لأني أريد أن تُعـــنوا بها شيئًا وأن تمنحوها بعض الجهد بـــالدرس والتحقيق ، فليس لي فيها رأى قاطع وإنما أنا أثير مشكِلات ، وأنا أحب دائمًا وقد أحببت دائمًا أن أثير المشكلات وأن أنشـــر القلـــق حيثما كنت. وهذه المشـــكلات تـــأتى من أشياء تقررت فى تـــاريخ الأدب العـــربى ويخيل إلى أنها فى حاجة إلى أن نعيد النظر فيها .

والمشـــكلة الأولى منها هي هذه التي تقـــررت ويقولهـــا الأســـاتذة والمعلمون لطلابهـــم وتلامـــيذهم فى الجامعات وفى المـــدارس ، وهـــى أن ظهور الإسلام قد أسكت الشعراء حينًا لأن القرآن قد بهرهم ببلاغـــته وبـــيانه الرائع ، وأظن أن ابن خلدون كان أول من قرر هذه القضية فى مقدمـــته ، وتـــبعه الذين أرخوا للآداب

العربية فى العصر الحديث واحتجوا بما قيل أو بما روى أن عمر رضى الله عنه أرسل يسأل عن الشعراء فى مدينة الكوفة فلم يجدوا هناك إلا شاعرًا واحدًا هو لبيد فلما سألوه عن الشعر وما يقول فيه قال : لقد استغنيت بسورة البقرة وآل عمران عن الشعر ! وعلى هذا تقرر فى تاريخ الأدب العربى أن العصر الذى تلا ظهور الإسلام قد كان عصرًا ضعف فيه الشعر ضعفًا شديدًا ، ولم يكد يُعرف الشعر الجيد إلا بعد مضى نحو نصف قرن ، وظهر الشعراء الجدد الذين نشؤوا فى الإسلام.

هذه القضية تحتاج إلى بحث وإلى بحث مطول ، ذلك لأننا نجد الشعراء قد استمروا بعد ظهور الإسلام وفى أيام الخلفاء الراشدين وفى أيام الفتح الإسلامى، أيام عمر، وأيام عثمان، استمروا يقولون الشعر كما كانوا يقولونه فى العصر الجاهلى، لم يغيروا من طريقتهم شيئًا، وإنما ظلوا يقولون الشعر كما كان القدماء قبل الإسلام يقولونه ، يبدؤون بالغزل وبوصف الربوع والأطلال ، وبوصف هذا الحنين إلى أماكن الأحبة ، وبوصف انتقال الأحبة من ديارهم إلى أمكنة أخرى يسمونها أو لا يسمونها ،ثم يتسلون عن هذا الحنين وعن هذا الشوق المؤيس بوصف الناقة ، وبوصف الصحراء التى تسافر فيها الناقة سفرًا طويلا شاقا غير قاصد ، ويطيلون بوصف هذه الناقة كما كان الجاهليون يطيلون ، ويشبهونها مرة بالثور الذى يذعر عندما يحس نبأة من الصائد، ويطيلون فى وصف هذا الثور البائس الذى تطارده كلاب الصيد ويصارعها ما استطاع ثم يصرع آخر الأمر ، ثم يذكرون أنفسهم ولذاتهم فى عصورهم القديمة ويذكرون شربهم للخمر ويذكرون لهوهم واستماعهم للغناء جلوسًا إلى الخمر ، يحف بهم الريحان ، كما كان الأعشى يقول فى الشعر الجاهلى ، ومنهم من يقول الشعر فى موضوعات جديدة أو قديمة أخرى ، ويكفى أن تقرؤوا فى المفضليات بعض القصائد التى قيلت بعد ظهور الإسلام وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فهناك متمم بن نويرة الذى جعل يرثى أخاه مالكا بشعرٍ رائعٍ ممتع حقا ، وهناك

عبدة بن الطبيب الذى يصف حياته ويذكر حرب المسلمين مع الفرس ولا يمنع ذلك من أن يصف لهوه ولذته ، ومن أن يصف مواقفه من اللهو واللذة كما كان الجاهليون يفعلون ، وهناك الحطيئة الذى لم تمنعه عقوبة عمر رضى الله عنه له بالسجن من أن يظل هجَّاء ومن أن يهجو أمه ويهجو آخر الأمر نفسه فى أبياته المشهورة :

أَبَتْ شَفَتَايَ اليَوْمَ إِلاَّ تَكَلُّمًا
بِشَرٍّ فَمَا أَدْرِى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهْ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّه الله شَكْلَهُ
فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وَقُبِّحَ حَامِلُه!

ولا تؤاخذوني إن كنت غيرت بعض الألفاظ من هذا الشعر .

والحطيئة يعيش فى أقوى عصور الإسلام قوة ، عيشةً جاهلية خالصة فهو يمدح ويهجو ويتغزل ويعيش كما كان الشعراء الجاهليون يعيشون ، وما أكثر الشعراء الذين يذكرون فى كتب الأدب وفى كتاب الأغاني بشكل خاص ، والذين يعدون من الشعراء الجاهليين وقد عاشوا أو عمروا إلى عصر متأخر فى الإسلام عاشوا إلى أيام معاوية ، فهناك لبيد وهناك النابغة الجعدى وهناك الحطيئة إلى آخر هؤلاء الشعراء الذين تحدوهم فى الكتب، والذين لم يُعرضوا عن قول الشعر بعد ظهور الإسلام وإنما ظلوا يقولونه كما كانوا يقولونه فى العصر الجاهلي ، وكم أحب أن أستقصى أمر كعب بن رهير ، ماذا صنع بعد أن أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته " بانت سعاد " أقال الشعر بعد دلك أم سكت ، هذه أشياء أحب أن نعيد النظر فيها وأن ندرسها دراسة دقيقة ، وسنرى فيما أعتقد أن هذه النظرية التى أثارها ابن خلدون والتي تقول إن الشعر العربى قد ضعف بعد الإسلام إنما هي نظرية خاطئة !

ولا علينا مما يقال إن شعر " حسان " كان فى الجاهلية أقوى منه فى الإسلام فهذا أيضًا كلام لا قيمة له عندي ، ذلك أن الشعر الذى كان حسان يقوله أيام النبي صلى الله عليه وسلم كان من أرصن الشعر وأقواه ، وإذا اخترع الشعر بعد ذلك وأضيف إلى حسان وظهر فيه شيء من ضعف ، فهذا الضعف ليس يضاف

إلى حسان نفسه ، وإنما يضاف إلى الذين اخترعوا هذا الشعر وصنعوه ثم حملوه على حسان ، أما الشعر الذى يروى عن حسان أيام النبي صلى الله عليه وسلم وبعد أيام النبي فكله شعر جيد جدير بشعر حسان فى العصر الجاهلي ، فهذا الذى يقال من أن شعر حسان فى الإسلام كان أضعف منه فى الجاهلية أيضًا كلام لا أصل له !

هذه المشكلة كما قلت أحببت أن أثيرها أمامكم كما يثير التلميذ مشكلة أمام أستاذ من أساتذته ليجد لها حلاً ، وأنا أرجو أن تتفكروا فيها وأن تتدبروا، وما أشك فيما بينى وبين نفسى فى أنكم سترون أن هذه النظرية التى أثيرت وقررت فى تاريخ الآداب ليست نظرية صحيحة بحال من الأحوال ، وهذه المشكلة هي أيسر المشكلات التى أريد أن أثيرها أمام حضراتكم ، وهناك مشكلة أخرى أيضًا تحتاج إلى كثير من التفكير وإلى كثير من البحث والتدبر ، ذلك أننا نقرأ تاريخ الأدب العربى أثناء العصر الأموي فنلاحظ ظاهرة غريبة ، نلاحظ أن الحجاز ، وهو موطن الوحي ، قد أصبح أيام بنى أمية موطن الغزل والغناء والموسيقا واللهو والفراغ والترف ، ونفهم هذا فهمًا جيدًا لأن الأمويين منعوا أبناء المهاجرين والأنصار من العمل السياسي ، وحالوا بينهم وبين الخروج من الحجاز إلا أن يذهبوا إلى دمشق للقاء الخليفة ، وأخذ جوائزه وعطاياه ، ثم يعودوا إلى الحجاز ويفرغوا للهوهم ومتاعهم . وقد أتيح للحجاز فى تلك الأيام كثير من الثراء وكثير من الأسارى الذين أصبحوا رقيقا وموالى ، يعملون لسادتهم من أبناء المهاجرين والأنصار ومن أشراف أهل الحجاز ، يزرعون لهم الأرض ويصنعون لهم ما يحتاجون إليه ، ويقومون على ترفهم ولذاتهم فى دورهم، منهم من يفرغ للطعام ، ومنهم من يفرغ للباس ، ومنهم من يفرغ للزينة ، ومنهم من يفرغ للغناء وللموسيقا ، وكان بنو أمية يمنعون هؤلاء الشباب من أبناء المهاجرين والأنصار من العمل السياسي ولكنهم يغدقون عليهم العطاء ويكثرون من إرسال الأموال إليهم، يريدون أن يصرفوهم عن المطامع

السياسية فكثر بذلك المال وأغلّت لهم الأرض مالا إلى مال ، وعمل لهم الرقيق ما زاد ثراءهم أيضًا وما زاد ترفهم واستمتاعهم بطيبات الحياة و لم يبق لهم إلا أن يفرغوا لهذا النعيم ، فجعل بعضهم يقول الشعر ، يقوله غزلاً جادًا محتاطًا متحفظًا بالوقار العربي القرشي كما كان يفعل عمر بن أبي ربيعة على كثير من العبث فى شعره أيضا ، ومنهم من كان يسرف فى العبث ، وفى المجون كما كان يفعل شعراء المدينة . وكثر الغناء فى الحجاز ، وكثرت الموسيقا ، وكثرت مجالس الطرب ، وكثرت تلك المجالس التى كانوا يجتمعون لها ويجتمع فيها المغنون والمغنيات والعازفون والعازفات ، ويكثر فيها الغناء ، ولا يزال الغناء يقوى ويشتد حتى يثير الحاضرين ، فإذا هم يثبون ثم يتراقصون ، كما يفعل المحدثون الآن ، إنما على رقصٍ خاصٍ بالطبع ليس كالرقص الذى نعرفه الآن فى أوروبا، أو فى البلاد الشرقية . مهما يكن من شيء فكتب الأدب على اختلافها تصور لنا الحجاز أثناء القرن الأول على هذا النحو من الترف والفراغ واللهو وقول الشعر فى الغزل والغناء وما إلى ذلك وينشأ عن هذا أيضًا أن الشعراء يريدون أن يلائموا بين شعرهم وبين الغناء وبين شعرهم وبين الموسيقا فيخففون الأوزان الطويلة التى ورثوها عن العصر الجاهلي وينشئون الأوزان المجزأة ، ويصنعون هذا الشعر الرقيق القصير الذى يلائم العزف ويلائم غناء المغنين وبينما نرى هذا كله فى الحجاز ، ونرى موسم الحج بالقياس إلى شعراء الحجاز وإلى شعراء مكة بنوع خاص ، وعمر بن أبي ربيعة بنوع أخص، نرى موسم الحج موسمًا لضرب من المتاع واللهو ، واذكروا إن شئتم قول عمر :

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الهَوْدَجِ
إِنَّكِ إِلاَّ تَفْعَلِى تَحْرَجِ
إِنِّى أُتِيحَتْ لِى منية إحـ
دَى بَنِى الحَارِثِ مِنْ مذحجِ
فِى مَوْسِمِ الحجِّ ومَاذَا منى ؟
وَأَهْلُه إِنْ هِى لم تَحجُجِ !
نَلْبثُ حَوْلاً كَاملاً كُلَّه
لاَ نَلْتَقِى إِلاَّ عَلَى مَنْهَجِ

وكان عمر ، كما تعرفون ، لا يدع شريفة من أشراف الحجاز ولا من أشراف الشام تذهب إلى الموسم حتى يقول فيها الشعر ، وكان أشراف النساء يحرصن على أن يذكرهن عمر بن أبي ربيعة ، وربما أنفقن فى ذلك المال أيضا ، وكان عمر ربما توعده الخلفاء ومنعوه وحرجوا عليه أن يصف الأميرات ، ولكنه على ذلك كان يقول ، وكان الأحوص مسرفًا على نفسه فى المدينة ، كلكم يذكر قصته مع سليمان بن عبد الملك عندما أمر بتشهيره فى المدينة ونصبه للناس، وعندما أمر آخر الأمر بنفيه عن المدينة إلى اليمن . كل هذا كنا نراه فى الحجاز ، ونرى أكثر جدًا مما قلت لكم ، وأي دراسة للمغنين والمغنيات فى مكة وفى المدينة تعطيكم صورة واضحة عن هذه الحياة الفارغة اللاهية فى مدن الحجاز، وإلى جانب هذا كنا نرى فى بادية البلاد العربية: في بادية الحجاز وفى بادية نجد ، نوعًا آخر من الغزل ، لا يصور لهوًا ولا فراغًا ولا استمتاعًا بطيبات الحياة ، وإنما يصور حرمانًا ويأسًا وألمًا وهو هذا الغزل الذى نسميه بالغزل العذرى والذي لا أعلله إلا بأنه كان إعرابًا عما كان الأعراب فى الحجاز وفى نجد يجدونه من الألم لأنهم لم يستمتعوا بما كان يستمتع به المترفون فى مدن الحجاز وفى أمصار الشام والعراق من النعيم والثراء والترف ، وإنما كانوا يعيشون كما كانوا يعيشون فى العصور القديمة ، يرعون إبلهم ويتنقلون بها من مكان إلى مكان ، ويضيقون بسعاة الصدقة عندما كانوا يأتون فى كل حول ليأخذوا منهم الصدقات ، وكانوا قد فقدوا شبابهم ، فقد ذهب الأبناء والإخوان وذهب الشباب كلهم إلى الثغور يجاهدون العدو ، يقيم منهم من يقيم فى البصرة أو فى الكوفة أو فى أجناد الشام أو فى أجناد مصر أو فى شمال إفريقيا، ويذهب الذاهبون منهم إلى الثغور كما كانت القاعدة ، فبعُد العهد بهم ، وتركوا الشيوخ وتركوا العاجزين عن الغزو ، تركوا أولئك فى الحجاز وفى بادية الحجاز وفى بادية نجد ، يعيشون كما كانوا يعيشون من قبل " فليلى " و"عزة " و" بثينة " و " سلمى " و" ريّة " كل هذه

الأسماء التى يتغزل بها الشعراء العذريون ليست فيما أرى أسماء لنساء بأعينهن ، وإنما هي رموز لهذه الآمال الضائعة وهذه الأحلام التى لم تتحقق ، وهذه الأماني التي يحول بينهم وبين تحقيقها الحرمان ، هذا الذى كنا نراه فى بلاد العرب ، فى جزيرة العرب : غزل يصور اللهو والفراغ فى مدن الحجاز ، وغزل يصور الحرمان والألم والشوق فى بادية الجزيرة العربية ، فإذا ذهبنا إلى العراق لم نر من هذا كله شيئًا، وإنما رأينا حياة صارمة وجدًا أى جد وقسوة أى قسوة ذلك أن أهل العراق كانوا مشغولين إما بالجهاد وإما بمعارضة الحكومة المركزية فى دمشق. فى العراق كان الخوارج، وفى العراق كانت الشيعة والخوارج. والشيعة يعارضون بنى أمية، يعارضونهم بألسنتهم دائمًا ، ويعارضونهم بسيوفهم كلما سنحت لهم الفرصة ، فإذا التقوا فى أمصارهم فى البصرة أو فى الكوفة ، خلوا إلى أنفسهم فى مساجدهم يجادل بعضهم بعضًا فى السياسة، ويجادل بعضهم بعضا فى أصول الإسلام ، ويجادل بعضهم بعضًا فى هذه الأشياء التى اختلف المسلمون فيها منذ كانت الفتنة التى قتل فيها عثمان رضى الله عنه ، ومنذ كانت الحرب بين على رحمه الله وبين معاوية .

كل هذه المسائل كانت تشغل أهل العراق عن لهو أهل الحجاز وعن فراغهم، فهم لم يكونوا أصحاب فراغ ، وإنما كانوا أصحاب عمل وأصحاب جد وأصحاب حرب وأصحاب معارضة : معارضة باللسان ومعارضة بالسيف، ثم هم كانوا أيضًا أصحاب مناظرة وعن مناظراتهم فى مساجد البصرة والكوفة ، نشأ علم الكلام عند المسلمين .

فى أثناء هذا كان أهل العراق يسخرون من الحجازيين ، ويسخرون من غزلهم ، ويسخرون من حبهم للغناء ، و لم يكن العراقيون يحبون أن يستمعوا للغناء وإنما كانوا ينكرون على الحجازيين حبهم للغناء ، ثم ننظر فجأة فى أواسط القرن الثاني الهجري عندما أديل من بنى أمية لبنى العباس فإذا اللهو كله فى العراق إلى جانب الجد ، وإذا الشعر الذى يصور الخلاعة والعبث والمجون كأبشع ما تكون الخلاعة ، وكأبشع ما يكون العبث

والمجون ، كل هذا فى العراق على نحو لم يعرفه الحجاز حتى فى المدينة التى غضب عليها سليمان بن عبد الملك ، والتي أراد سليمان أن ينفى عنها المغنين . فمن أين انتقل هذا اللهو وهذا الفراغ ومن أين جاء إلى العراق ؟ وكيف تحول العراق من هذه الحياة الجادة الحازمة الصارمة ، التى كان يحياها أيام بنى أمية إلى هذه الحياة اللاهية الخليعة الماجنة التى كان الشعراء يحيونها فى البصرة وفى الكوفة جميعا إلى جانب الفقهاء والعلماء من رجال المعتزلة ومن رجال أهل السنة؟ كيف كان هذا ؟ وكيف تم على هذا النحو من الفجاءة الغريبة ؟

هذه مشكلة أعرضها على حضراتكم، وقد افترضت فرضا ، لا أقطع به ، ولكنى أرجو أن تفكروا فيه وعسى أن تحققوه ، وهذا الفرض هو أن هذا الغزل وهذا اللهو الذى انتقل من المدينة إلى الشام أولاً ثم انتقل من الشام إلى العراق ، لم يأت من الفرس كما يقال عند الذين يؤرخون الآداب العربية ، لم يأت من الفرس، وسترون ما جاء به الفرس فى هذه الناحية ، وإنما أتى من الحجاز قبل كل شيء ونحن نقرأ فى تاريخ الأدب العربى فى النصوص القديمة أنّ يزيد ابن عبد الملك بن مروان ذهب إلى المدينة أيام سليمان بن عبد الملك وأعجبته مغنية كانت أمة لبعض أهل المدينة ، وهى "سلامة " فاشتراها وغالى فى ثمنها ، وبلغ الأمر سليمان فأنكر هذا الشراء وألغاه ، وعاد يزيد محزونا ، فلما توفى سليمان ومات عمر بن عبد العزيز رحمه الله وصار الأمر إلى يزيد لم يكن قد نسى "سلاّمته " تلك فاشتراها ، وجاءت " سلامة " إلى الشام واستقرت عند يزيد بن عبد الملك ، وبفضل سلامة عفا يزيد عن الأحوص بن محمد ودعاه إلى الشام، وبفضل سلامة وفد المغنون من الحجاز إلى دمشق ، ويغضب هشام بن عبد الملك على الوليد ابن يزيد ويتقدم إليه فى أن يصرف عنه هؤلاء الموالى ، وفى أن يسير سيرة يرضاها المسلمون . ويأبى الوليد ويقطع هشام عن الوليد أرزاقه، ويكاد يبطش بهؤلاء الموالى، ولكن الوليد يأبى ويقاوم ويقاوم حتى يموت هشام ويؤول أمر الخلافة إلى الوليد

ابن يزيد وكلكم يعرف ما كان يروى عن الوليد بن يزيد مع ما فيه من إسراف فى العصر العباسي ، فقد أسرف العباسيون على الوليد ونسبوا إليه أشياء ما أظن أنها صحيحة ، فهم ينسبون إليه أنه كان يرمى المصحف بالسهام ويقول له ذلك الشعر :

إِذَا لَقِيتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ
فَقُلْ يَا رَبِّ مَزَّقَنِى الْوَلِيدُ !

إلى آخر هذا الشعر وأنا شخصيًا أعتقد أن هذا ربما كان من كذب الرواة على الوليد تقربًا إلى بنى العباس . مهما يكن من شيء فأنتم تعرفون كيف انتهت حياة الوليد : انتهت بالثورة ، وكان الثائرون عليه بنى أمية أولاً ثم غيرهم من أهل الشام بعد ذلك ، وقتل الوليد وتفرق عنه أولياؤه ومغنوه ومطربوه وعادوا إلى العراق ،ويصادف هذا ضعف الدولة الأموية ثم يدال من بنى أمية لبنى العباس . وهنا يظهر ما أضافه الفرس إلى لهو الحجاز ، ذاك الذى انتقل إلى الشام أيام يزيد بن عبد الملك ، وقوى فى الشام أيام الوليد بن يزيد وسار إلى العراق بعد أن قتل الوليد . هنا بعد أن يدال لبنى العباس يظهر ما أضافه الفرس إلى ما ورد عليه من لهو الحجاز .

كلكم يذكر أن الشيعة كانوا يطالبون بتحقيق المساواة بين المسلمين ، بتحقيق المساواة التي أمر الله بها في القرآن، والتي أمر النبي بها في سنته : لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم " وكلكم يذكر أن بنى أمية قد جعلوا حكومتهم عربية ، وجعلوا أمر الحكم كله إلى العرب ، وأظهروا أمر العرب ، وازدروا إلى حد بعيد غير العرب ، من البلاد التي غلبت وفتحت على المسلمين ، ولم ينصفوا المسلمين من الفرس ومن غير الفرس ، من البلاد المغلوبة ، لم ينصفوهم ، وإنما نظروا إليهم على أنهم موالٍ ، ونظروا إليهم على أنهم أقل درجة ، لم يعطوهم حقوقهم السياسية ، ولم يعطوهم حقوقهم الاجتماعية كاملة وإنما جعلوا السيادة الكاملة والسلطان الكامل بأوسع معانيه للعرب دون غيرهم من المسلمين فضلاً

عـــن المســـلمين وكان الشيعة يطالبون بتحقيق المساواة بين العرب وغير العرب ، وبفضـــل هـــذه المطالـــبة استطاعوا أن يســـتأثروا بقلـــوب الفـــرس ، وبفضل حرصهم وإظهارهم المطالبة بهذه المساواة استطاعوا أن يجندوا الفرس ، وأن ينتصروا بهـــم عـــلى بنى أمية ، وأن يقيموا الدولة الجديـــدة ، دولة بنى العباس . والواقع أن الذين انتصروا في الثورة العباسية إنما كانوا هـــم الفرس ، انتصروا على العرب ، وفى نفوس كثير من الفرس كان هذا الانتصار انتصـــافًا من العرب ، وكانوا يرون أنهم أخذوا ثأرهم ذاك وعادوا إلى السيادة بعد أن فتحت بلادهم أيام الخلفاء الراشدين . وكلكـــم يعلم أن بنى العباس بعدما تولوا الحكـــم لم يأمنوا للعرب ، فمحوا أسماء العـــرب من دواوين الجند واعتمدوا على الفرس ، وحدهم أول الأمر ، ثم اعتمدوا بعد ذلك على الترك إلى آخر ما تعرفون مـــن تاريخ بنى العباس .. المهم أن هؤلاء المـــوالى الذين انتصروا أسكرهم الانتصار وظنوا أنهم قد بلغوا كل شيء وقد ساروا إلى خـــير مـــا كانوا يحبون فازدروا كل التقاليد القديمة العربية و لم يعبؤوا بالدين ، و لم يحفلوا بالعادات القديمة ، ولا بالوقار العربي،واستهتروا بلهوهم ولعبهم،وأضافوا إلى ما وفد إليهم من الشام،من الحجاز من طـــريق الشـــام ، أضافوا إليه هذا المجون الفاجر الذي تجدونه عند"بشار"، وتجدونه عند"مطيع ابن إلياس"وتجدونه أحيانًا عند غيرهمـــا مثل"أبي نواس"وعند غير هؤلاء الشـــعراء وكذلـــك استطاع شاعر كأبي نواس أن يجهر بمثل هذا البيت:

أَلاَ فاسْقِنِى خَمْرًا وَقُلْ لِى هِىَ الْخَمْرُ
وَلاَ تسْقِنِى سِرًّا إِذَا أَمْكَنَ الْجَهْرُ !

وأن يجهـــر بمـــا هو أشنع من هذا ، واســـتطاع بشار أن يسرف فى الغزل ، وفى وصـــف المجون واللهو حتى ضج منه أهل البصرة ، وظهرت هذه الفنون العابثة الماجـــنة فى الغزل وفى وصف الخمر وفى الهجـــاء الفاحش الذى زاد على ما عرف من هجاء " الفرزدق " وجرير" ثم أسرفوا حـــتى أنشؤوا غزلهم الجديد ذاك ، غزلهم بالغـــلمان ، وهو شيء لم يعرفه العرب . هذه هي الأشياء التي أضافها الفرس إلى ما ورثوا من لهو أهل الحجاز . وقد ترون أني

بهــذا الحديث الذى قد أكون أسرفت فى إطالته ، قد عرضت عليكم شيئًا من هذه المشــكلات التى يجب أن نعيد النظر فيها وأن نــنظر فى التاريخ الأدبي العربي نظرة جديــدة لعلنا نستطيع توضيحه وتحقيقه وإحياءه كما ينبغي أن يحيا ، فليس يكفى أن نقــرأ ما يكتب فى الكتب وأن نقرره ونعيده على تلاميذنا وطلابنا كما قرأناه ، ونصــبح كأننا هذه الأداة التى تحكى ما يســجل لها من الأصوات أو نصبح كأننا البــبغاء . وإنما وهبنا الله عقولاً لنفكر بها ووهبنا أذواقًا لنقيس بها الجيد إلى الرديء فيجب إذن أن نعمل عقولنا ، ويجب أن نعيد النظر فى تاريخ الأدب العربى كله ، ولا ســيما فى هــذه القــرون الأولى ، وســترون عندما تعيدون النظر فى تاريخ الأدب العــربى القــديم فى القرنين الأول والــثاني بــنوع خــاص، سترون أنكم ستستكشفون حقائق كثيرة لا تعرف إلى الآن ، والشيء الذي أحب أن أقرره أمام حضــراتكم هو أن ما نعرفه من تاريخنا الأدبي قلــيل جدًا بالقياس إلى ما نجهله . فمــا أكثر ما ندرس شاعرًا من الشعراء فنكــتفي بــأن نقرأ ما كتب صاحب " الأغــاني " عــن الأدب العربي ونكتفي بالأبيات التي يرويها"أبو الفرج" وأقلّنا هو الذى يفرغ فى النظر إلى ديوان هذا الشاعر أو ذاك ، وأقلنا الذى يستنبط حياة الشاعر مــن شعره لا من كلام صاحب الأغاني وأمــثاله مــن الذيــن كتبوا فى العصر العباسي.

كل شيء يدعونا إلى أن نعيد النظر فى تراثنا القديم ، نعيد النظر فيه لأننا نحبه ونــريد أن نستخلص صفوته ، ونريد أن نــزيل عنه ما لصق به وما ران عليه من الأوهــام والأساطير والخرافات. وأؤكد لكم أنكم إذا أعدتم النظر فى تاريخ الأدب العربى والتمستموه فى شعر الشعراء لا فى حديث الرواة،والتمستموه في الدواوين لا فــيما يختصر من الدواوين ستجدون متعة أى مــتعة، وســتجدون نعمة أي نعمة، ستشــعرون أنكــم تستكشفون التاريخ العربى من جديد .

وقــد قلت لكم فى أول هذا الحديث إني قد أحببت دائمًا أن أثير المشكلات وأن أثير القلق من حولي. وإني لأرجو أن أكون

قـد أثـرت بـين أيديكم من المشكلات ونشرت حولكم من القلق ما يدعوكم إلى ألا تقرؤوا إلا لتقرؤوه ليس غير، ولتأخذوا منه بعض ما تحتاجون إليه من العلم ، ولا تـتخذوه وحـده مصدرًا للتاريخ الأدبي فـالكذب في كـتاب الأغـاني كثير ، والانتحال فيه كثير ، والتزوير على القدماء فـيه كثير أيضا ، والخير كل الخير فى أن نلـتمس الأدب العربى فى النصوص القديمة نفسـها وفى دواوين الشعراء وفى رسائل الكـتاب لا فى مـا يحكـى عن الكتاب والشعراء . وإذا فعلنا هذا كنا أولا قـد أنصـفنا أدبنا العربى وطهرناه من الأوهام والأسـاطير ، وكنا ثانيًا قد أحييناه الحياة الجديـرة بـه ، وكنا ثالثًا قد رددنا على أنفسـنا عقولـنا ، وقد بحثنا كما ينبغي للعلماء أن يبحثوا، وخرجنا من هذا التقليد الطويل الذى أفسد علينا كثيرًا من أمرنا إلى الآن .

أما بعد فإني أجدد التحية وأجدد الشكر وأعتذر إليكم من هذا الحديث الذي أطلت فيه وأرجو ألا أكون قد أثقلت عليكم بهذا الإسراف .

الملحق الرابع :
محاضرة الدكتور طه حسين بتطوان حول :
" *مشاكل الأدب العربي ...* "
نقلاً عن مراسلة لمجلة (رسالة الأديب) المراكشية عدد ٥ - ٦ يونيه يوليه ١٩٥٨
تلخيص الأستاذ عبد اللطيف بوحسين مع شكرنا للأستاذ عبد الصمد العشاب محافظ مكتبة عبد الله كنون بطنجة

استهل عميد الأدب العربي محاضرته بتقديم تحايا وعبارات الأخوة من الجمهورية العربية المتحدة حكومة وشعبًا إلى الشعب المغربي عامة ، " وقد رد الحاضرون على تلك التحية بتصفيقات حادة استمرت طويلا " ثم بدأ الدكتور حديثه عن المشاكل التى تتصل بالأدب عمومًا كأزمة قلة القراء نظرًا لتعلق الناس فى هذا العصر واهتمامهم المفرط بأمور الحياة ومشاكلها وانشغالهم بها وانغماسهم فيها ، دون أن يسمحوا لأنفسهم بالقراءة أو لغيرهم بأن يصحهم بها ، خاصة إزاء الاختراعات التى غزت المجتمعات البشرية والتي تجمع بين التعليم والتسلية بما فى ذلك السينما التى تجذب الناس إليها ، وتقدم لهم فى يسر يسير ما يحبون أن يعرفوا من تاريخ الناس وأحداثهم وأحاديثهم ، ثم النادى أو القهوة التى تحشر الناس إليها وتغريهم بما تقدم لهم من شراب مستساغ ، وما يقدمه البعض منهم للبعض الآخر من أحاديث سهلة ممتعة حول الناس والسياسة والمجتمع ... ثم المذياع الذي يطلق تارة في يسر وأخرى في عنف يصب في رأس المستمع من الموسيقا والغناء والأحاديث ما يشاء بمجرد ما يضغط على هذا الزر. ويطالع الناس في الصحف في الصبح والمساء فتشغلهم بقراءة أنبائها وتعليقاتها عن أن يجدوا وقتًا ينصرفون فيه إلى القراءة الجدّية والمجدية ، ثم إن التعليم الإجباري الذي فرضته ديمقراطية العصر خلق كثرة من القراء من مختلفي الثقافات لا تستطيع الكثرة منهم أن تفرغ لقراءة الأدب الرفيع وإعمال الفكر فيه والأديب في ذلك بين اثنين - يقول الدكتور العميد - إما أن يكتب للكثرة وإما أن يكتب للقلة فإن

كتب للأولى نزل بأدبه حيث لا ينبغي ، وبذلك لن يرضى نفسه وأدبه وضميره ، وإما أن يكتب للقلة ويفرغ لأدبه وهو إن فعل ذلك أوشك أن يقتل نفسه جوعًا ؛ لأنه غير واجد من يستطيع أن يعتمد عليهم، وهنا يجد نفسه مضطرًا لمزاولة عمل حر أو وظيفة حكومية فليحمل بذلك نفسه الوقوع في صحراء قاحلة حيث يصرف عن القراءة الرفيعة المتواصلة،ويحال بينه وبين الإشباع الثقافي فيصاب ما يكتبه بالفراغ والضحالة. وهنا وقف الدكتور طه حسين مقارنًا بين الأديب المعاصر والقديم مبديًا ما كان يتمتع به الأدباء القدامى من تشجيع وعطف وتقدير ، والوقت الذي كان يهيأ لهم ليفرغوا لأدبهم وليضاعفوا من إنتاجهم، مكتفين بقصائد ومدائح يقدمونها في بعض المناسبات لحماة أدبهم من الخلفاء والأمراء والوزراء كضريبة أو إتاوة بسيطة للمحافظة على تلك الذخائر الأدبية والعلمية التي تحفل بها المكاتب العربية في مختلف الأقطار . ومبالغة في الحفاظ على تلك الذخائر كانت تكتب باسم هذا الخليفة أو ذاك ، أو بطلب منه، أو إهداء له ، أو لأحد وررائه . ويزيد الدكتور: ومهما بلغت سخريتنا، نحن المعاصرين ، بأولئك الأدباء أو الشعراء عندما يمدحون من يحبون فلن تبلغ سخريتهم بهم أي بمن يمدحونهم حينما يتخذونهم حماةً لهم.ولأدبهم ودورًا للنشر لإنتاجهم في طول البلاد وعرضها .

كانت آثار وكتب الجاحظ وكان أدب المتنبي وشعره " الذي لم يخلص في مدحه إلا لسيف الدولة نظرًا لمواقفه المشرفة" ، وما كانت آثار هذين وغيرهما لتصل إلينا بهذه الروعة والفائدة لولا الحماية التي كانا يتمتعان بها ! إلا أن أدباء العصر أصبحوا يربؤون بأنفسهم وبأدبهم من أن يكون تزلفًا وإن كان هدا التزلف تطوُّر أيضا ليصبح توظفا ! ثم الطباعة ودور النشر التي حملت عنهم بعض العبء وقانون حرية الفكر والنشر الذي حمل عنهم البقية الأخرى على أن التوظف الذي يضطر إليه الأديب قد يدفعه إلى قبر مواهبه والقضاء على نزوعه العلمي والتوجيهي ... هذه بعض المشاكل التي

عالجها الدكتور العميد في القسم الأول من محاضرته والتي تتصل بمشاكل الأدب عمومًا ، ثم ذكر بعض ما تقوم به الجمعيات والمنظمات في العصر الحاضر لمحاولة معالجة هذه المشاكل خاصة في أوروبا مثل نادى القلم، ومنظمة اليونسكو ، واللجنة الثقافية للجامعة العربية !! ومن هنا تطرق للحديث عن مشاكل تعليم الأدب العربي وهى أدق وأخطر – كما قال سيادته – وهو حريص أشد الحرص على معالجة هذه المشاكل الخطيرة.

وتعليم الأدب العربى إحدى مشاكله الكبرى ما دام مرتكزا على اللغة العربية وغير متيسر إلا بها ، والشباب العربى الذى أخذ يكتسب عقلية القرن العشرين يجد من الصعوبة بمكان مسايرة الطريقة المتبعة فى تعليم اللغة العربية وآدابها ، فإذا لم تصلح هذه اللغة، وييسر هذا النحو – يقول الدكتور العميد – فإننا نجد أنفسنا مسؤولين عن إعراض الشبان عن الأدب العربى ، بل ونعتبر محرضين لهم على ذلك ما دمنا نقف هذا الموقف السلبي . وتأتى بعد هذه المشكلة مشكلة الكتابة العربية التى تجعل الفهم قبل القراءة بدلا من أن تسبق القراءة الفهم نظرًا لعوامل الشكل والإعراب. وهنا أتى الدكتور بأمثلة عديدة مبينا الصعوبة الشاقة التى يجدها المتعلم المبتدئ مما يبغض إليه اللغة والبلاغة وأستاذ العربية وآدابها، والنتائج البسيطة السطحية التى يحصل عليها الطالب بعد تخرجه النهائي وعدم تمكنه من لغته قراءة وكتابة صحيحة فضلا عن أن يتكلم بها . هذا مع ما يجده فى اللغات الأوروبية من سهولة تغريه بأن يتزيد منها كلما تقدم فيها قراءة وكتابة وحديثًا .

ولم يفت عميد الأدب فى آخر الأمر تحذيرنا من مدرسة اللغة العامية أو لغة الشارع كما يسميها الدكتور التى نشأت فى بعض البلاد العربية وأخذت تجد لها أنصارًا كثيرين وفى مصر خاصة والتي تدعو إلى اتخاذ اللغة العامية لغة الكتابة والأدب مبينا الأخطار التى تكمن وراء هذه المدرسة فيما إذا قدر لها الانتشار والانتصار فيكون بذلك القضاء على العربية كلغة تجمعنا تاريخًا ودينًا وقومية،

ويكـــون مصيرها مصير اللاتينية لا يرجع إلــيها إلا لدراسة أصل اللهجات العامية كمـــا يرجع إلى اللاتينية لدراسة أصول اللغات الأوروبية ، هذا مع ما فى ذلك من قطـــع الصلة بين البلاد العربية وانكماش كـــل واحدة منها مع لهجتها الخاصة بها والتي لا يستطاع فرضها أو التفاهم بها مع غيرها مطلقًا !

ويقول عميد الأدب : وهذا خطر - يمحـــق وجودنا كأمة ذات تاريخ وأدب ولغة مشتركة . وما علينا إلا أن نختار بين ذلك وبين طرق تدريس الأدب وتيسير الكتابة والنحو ، أما مصر فقد اختارت أو هـــي في طريق الاختيار عندما قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة تيسير النحو وإعادة الـــنظر في الطرق المتبعة في تدريس اللغة والأدب . ثم ناشد ، في الختام ، الأديب الكبير أدباء المغرب وعلماءه ومفكريه بأن يســـاهموا بدورهم في تحرير الأدب العربي والكـــتابة العربية من تلك القيود الثقيلة مذكرًا إياهم بأن أول من ركن إلى ما في الـــنحو العـــربي من سحر وطلاسم غير مفهومة ودعا إلى إصلاحه القاضي المغربي ابن مضاء في نهاية القرن الثاني عشر* "

(*) وقـــع خطأ عند تلقى المحاضرة ، فعوض ابن مضاء كتب (ابن نظارة) وعوض القرن الثاني عشر كتب القرن السادس عشر الأمر الذي أربكنا بعض الوقت .. وقد ظهر أن القصد إلى ابن مضاء أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي قاضي قرطبة وفاس ومراكش ، له أسماء كثيرة إلا أنها ضاعت عند استيلاء الروم على المرية له كتاب في الرد على النحويين انتقده ابن خروف فعقب علـــيه ابـــن مضاء قائلا : نحن لا نبالي بالكباش النطاحة فكيف تعارضنا الخرفان !؟ وللدكتور الأستاذ شوقي ضيف تأليف حول الموضوع على ما أسلفنا. توفى القاضي ابن مضاء يوم ٢٧ جمادى الأولى ٥٩٢ = ١٩ أبريل ١١٩٧ . د. التازي، جامعة القرويين ج ١ ، ١٧٥ طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢ .

الملحق الخامس

قصيدة الشاعر محمد الحلوي التي ألقاها

يوم ١٩٥٨/٧/٢

حَـقٌّ عَلَى الشِّـعْرِ أَنْ يُهْدِى عَرَائِسَهُ
تَحِـيَّةً لِعَـمِيدِ الشِّـعْرِ وَالأَدَبِ
حَـقٌّ عَلَى الشِّـعْرِ أَنْ يُهْدِى قَلاَئِدَهُ
لِصَـانِعِ الدُّرِّ وَالإِبْـدَاعِ وَالْعَجَبِ
فَبَيْـنَ وَافِـدِنَا وَالشِّـعْرِ مِنْ زَمَـنٍ
وَشَـائِجٌ جَمَّـةٌ مَوْصُولَةُ النَّـسَبِ
هَـفَا إِلَيْكَ كَمَا يَهْـفُو الْفَرَاشُ إِلَى
خَمِيلَةِ الزَّهْرِ يَرْوِى الشَّوْقَ عَنْ كَثَبِ
هَـفَا إِلَى حِضْـنِكَ الدَّافِى لِيُـنْعِشَهُ
مِثْلَ الْيَـتِيمِ الَّذِى يَهْفُو لِحِضْنِ أَبِ
وَمَا لِغَـيْرِكَ يَهْـفُو بَعْـدَمَا رَفَـعَتْ
لَهُ يَـدَاكَ مَقَامًا فِى ذُرَى الشُّـهُبِ
يَشْـدُو بِآيَاتِكَ الْكُـبْرى الَّتِى فَخَرَتْ
بِهَا النَّـوَادِى وَأَغْـلَتْ ثَرْوَةَ الْعَرَبِ
مَرْحَى بِأَكْـرَمِ ضَـيْفٍ زَارَ إِخْـوَتَهُ
فَوَثَّـقَ الـرَّحِمَ الْقُدْسِـيَّةَ السَّبَبِ
هَـبَطْتَ بِالْـيُمْنِ أَرْضًا طَالَما نَزَعَتْ
إِلَيْكَ وَاسْتَأْنَسَتْ فِى الْوَصْلِ بِالْكُتُبِ
سَـعَى إِلَيْـكَ بَـنُوهَا فِى مَوَاكِبِهِمْ
يُكَـرِّمُونَ أَدِيبَ الشَّـرْقِ بِالأَدَبِ

خَفُّوا إِلَى الْعِلْمِ يَطْـوِى الْبَحْرَ مُتَّجِهًا
إِلَـى بَنِـيهِ بِهَـذَا المَغْرِبِ الْعَـرَبِى
يَسْـتَرْوِحُونَ بِلُقْـيَا طَـالَ مَوْعِدُهَا
وَيَسْـمَعُونَ عِيَانًا صَوْتَـكَ الذَّهَبِى
لَمْ يَنْسَ أَبْـنَاءُ هَذَا الشَّعْبِ صَرْخَتَكُمْ
يَوْمَ الجِلاَدِ وَهُمْ فِى زَحْمَةِ الْكُرَبِ !
أَرْسَـلْـتَهَا مِنْ ضِفَافِ النِّـيلِ عَالِيَةً
دَوَّى صَـدَاهَا عَلَى الآكَامِ والهِضَبِ
وَخُضْـتَها بِسِـلاَحِ الْفِكْرِ فَانْتَفَضَتْ
ضَـمَائِرٌ رَزَحَتْ فِى ظُلْمَةِ الْحُجُبِ
كَانَتْ عَلَى الْفِكْرِ أَنْكَى مِنْ مَدَافِعِهِمْ
وَقْعًـا وَأَفْتَكَ فِى الْهَيْجَا مِنَ الْقُضُبِ
إِنَّا - بَنِى الْعُرْبِ - فِى الآلامِ يَجْمَعُنَا
مَـاضٍ مَجِـيدٌ وَقُـرْآنٌ وَدِينُ نَبِى
مَا فِى بَنِى الشَّـرْقِ شَعْبٌ لَمْ تَنَلْهُ يَدٌ
سَـفَّاكَةٌ مِنْ غُزَاةِ الْغَرْبِ فِى الحِقَبِ
أَبْـنَاءُ رَابِـطَةٍ لاَ شَـيءَ يَفْصِـلُنَا
فَمَنْ بِفَاسٍ كَمَنْ فِى مِصْرَ أَوْ حَلَبِ
نَوَائِـبٌ جَعَـلَتْ أَهْـدَافَنَا هَـدَفًا
وَعَلَّمَـتْنَا انْتِـزَاعَ النَّـصْرِ بِالْغَلَبِ

لَمْ نَـنْسَ نَخْـوَةَ مِصْرٍ يَوْمَ بَيَّـتَها
أعْــدَاؤُهَــا فَانْثَــنَوْا بِالْعَارِ وَالْهَرَبِ
أَرْضُ الْعُــرُوبَةِ كَانَتْ كُــلُّهَا هَدَفًا
لِلْمُعْــتَدِي وَقَــنَاةُ الْمَوْتِ وَاللَّهَبِ
بِرَغْــمِ مَا بَيَّــتُوا لِلشَّــرْقِ مِنْ فِتَنٍ
وَمَا أَذَاقُــوا بَنِيــهِ الصِّيدَ مِنْ لَغَبِ
ثُرْنَا -كَمَا يَعْهَدُونَ الْعُرْبَ - أُسْدَ شَرَى
تَنْقَضُّ بِالْمَوْتِ فِي بَأْسٍ وَفِي غَضَبِ
حَتَّى هَوَتْ دَوْلَةُ الطُّــغْيَانِ وَانْهَــزَمَتْ
فُــلُولُها وَأُسُــودُ اللهِ فِي الطَّــلَبِ
يَا رَائِـــدَ الأَدَبِ الْغَــالِي وَبَاعِـثَــهُ
وَقَـــائِـدَ الْجِيلِ لِلْعَالِي مِنَ الرُّتَــبِ
وَالْعَبْــقَرِيَّ الَّــذِي يَجْـــلُو رَوَائِـعَهُ
فَيَسْبَـــحُ الْفِكْرُ فِي تَـيَّارِهَا اللَّجِبِ
أَسْــدَيْتَ لِلْضَّـــادِ مَا حَــلَّى مَفَارِقَهَا
وَزَانَ مَبْسِمَهَا بِالــدُّرِّ وَالشَّــنَبِ[1]
أَدْنَــيْتَ مِنْــهَا قُطُــوفًا طَالَمَا قَصُرَتْ
عَــنْهَا الأَيَادِي وَلَوْلاَ أَنْتَ لَمْ تَطِبِ
وَجُــلْتَ فِي رَحَــبَاتِ العِلْمِ مُنْطَلِقًا
بِــالعَقْلِ لاَ تَشْتَكِي فِيهَا مِنَ اللَّغَبِ
بِهِمَّةٍ غَارَ مِنْهَا الشُّــهْبُ وَانْــقَطَعَتْ
لَها عَــزَائِمُ مِنْ يَصْبُو وَلَمْ يَشِـــبِ
وَفَيْــتَ لِلضَّـــادِ يَا أَوْفَى البَــنِينَ لَهَا
وَطِبْــتَ نَفْسًا بِمَا أَسْدَيْتَ مِنْ قُرَبِ
بَعَــثْتَ فِيــهَا كَعِيسَى عِنْــدَ رَقْدَتِها
بِمُــبْدَعَاتِ الحِجَى وَالْمَنْطِقِ الذَّرِبِ
فَأَيْــنَعَتْ وَزَكَتْ جَــنَّاتُــهَا وَبَدَتْ
حَسْــــنَاءَ تَرْفُلُ فِي أَثْوَابِهَا القُشُبِ
وَشَــعَّ فِكْــرُكَ فِي الآفَاقِ يَغْــمُرُهَا
نُــورًا وَيَنْسَابُ مِثْلَ الجَدْوَلِ السَّرِبِ
لَوْ قِــيلَ لِلْعِلْمِ مَنْ يَغْــشَى مَجَــاهِلَهُ
وَلِلْمَحَــافِلِ مِنْ صَــنَّاجَةُ العَرَبِ ؟
لَقِيلَ طَــهَ أَبُــوهَا وَابْــنُ بَجْــدَتِها
وَفَــارِسُ الأَدَبِ النَّــزَّاعُ لِلْقَــصَبِ
أَثْــنَتْ عَلَيْــكَ الْقَوَافِي وَهْيَ صَادِقَةٌ
وَالشِّعْرُ فِيكَ يُجَافِي وَصْمَةَ الكَذِبِ
يَا طَالِعَ السَّــعْدِ فِي عِيدِ الفِدَاءِ لَقَدْ
نَزَلْــتَ أَهْلاً وَسَــهْلاً مُمْرِعَ الجَنَبِ
وَزُرْتَ شَعْــبًا عَــرِيقًا فِي حَضَارَتِهِ
يزهو — كمصر — بما قد شاد من قبب
وَمَا ابْــتَنَى مِنْ مَبَانِي العِلْمِ شَامِخَةً
وَمَــا أَقَــامَ لِنُورِ الفِكْرِ مِنْ نُــصُبِ
يَزْهُو بِأَمْجَادِهِ الْكُبْرَى الَّتِي شَرُفَتْ
بِهَا البُطُولَةُ مِــنْ أَبْـنَائِهِ النُّــجُبِ

[1] الشَّنَب : جمال الثغر ، وجمال الأسنان

فَقُــلْ لِمِصْرَ وَقُلْ لِلْعُرْبِ إنَّ لَهُمْ
في المغـــرب الحر مجدا ناطح السحب
وَاحْمِلْ تَحِيَّــتَنَا يَا خَيْرَ مَنْ بُعِثَتْ
بِه التَّـــحَايَا وَأَوْفَى مُكْــــرَمٍ وَأَبِ
إِلَى العُـــرُوبَةِ مِنْ شَعْبٍ وَمِنْ مَلِكٍ
وَاسْـــلَمْ لَنَا وَلِخَيْرِ الضَّـــادِ وَالأَدَبِ

عن ديوان الشاعر الحلوى بخطه
وقــد نشرتها مجلة دعوة الحق فى عددها
الأول من السنة الثانية ربيع الأول ١٣٧٨
= شتنبر ١٩٥٨

الملحق السادس :

من استجوابه : عن مجلة الإذاعة الوطنية ، يوليه ١٩٥٨

ألقى مندوب الإذاعة الوطنية الأسئلة الآتــية على الدكتور طه حسين فتفضل معاليه بالإجابة عنها :

سؤال : أشــرتم فى محاضرتكم الأولى مكانة الأدب العربى بين الآداب العالمــية . فهل لكم أن تحددوا وضع أدبنا بين هذه الآداب فى العصــر الحديث وهو فى وسعه الــيوم أن يسهم بنصيبه فى نماء التراث العالمي ؟

الجواب : أمــا فى العصر الحديث فقد أشرت فى آخر المحاضرة إلى أن من الواجب علينا أن نمكن أدبنا مــن أن يكــون قادرًا على أن يســهم فى ترقية الحضارة كما تســهم الآداب الكــبرى فى ترقيها.

أمــا فى العصر القديم فقد قلت غير مرة فى محاضراتي وكتبي إن أدبنا العربى القديم يحتل منــزلة ممتازة،فهــناك أدبان قديمان بقيا على وجه الدهر،أحدهما الأدب اليونانى والآخر الأدب اللاتينى . وقــد قلت إن أدبنا العربى يأتى بعــد الأدب اليونانى مباشرة ، لأنه أدب أصيل من جهة ولأنه كان أدب أمة تحتل العالم القديم كله أو أكثره على أقل تقدير . وأنه قد أتيح له من البقاء مثلما أتيح للآداب القديمة الأخرى ، وأنــه بعد هذا كله أو قبل هذا كلــه ، إن شئتم ، قد استطاع بلغته وبخصائصه أن يقهر آدابًا محلية كثيرة فى الشرق والغرب أيضــا . فهو فى الغرب قد قهر الآداب اللاتينية فى إسبانيا وهو فى الشرق قد قهر آدابا ولغات مختلفة .

فأدبنا العربى كما قلت فى غير كــتاب وفى غير محاضرة يأتى

بعـــد الأدب اليوناني القديم ولا تســـتطيع الإنسانية أن تستغنى عـــنه ولأجل أن أبين لكم بأن الإنسانية لا تستطيع أن تستغنى عـــنه ألفت نظركم إلى أن هذا الأدب العـــربى القديم وما نشأ عنه من أدب عربي حديث ، إنما هو أدب أمة عربية مهما تختلف أوطانها ومهما تختلف مذاهبها فى السياسة، فهى أمة توحدها لغـــتها وتوحدهـــا خصائصها المختلفة ، وهى لا تقل عن ما يقـــرب مـــن مائة مليون من الـــناس، وإذا كانت الإنسانية تســـتطيع أن تستغني عن هذه الملايين التى تقرب من المائة فهي لا تستطيع أن تستغني عن أدب هذه الملايين .

إنمـــا أدبـــنا الحديث يحتاج إلى جهد عنيف هو الذى دعوتكم ومـــا زلت أدعو الأمة العربية كلها إلى بذله ليكون قادرًا على أن يقـــف موقفًا يشبه الأدب القديم ويمكن أن يوازن بالآداب الكبرى فى هذا العصر الحديث.

سؤال : نلاحـــظ تقهقـــرًا فى الشعر العربى بالنسبة لما كان عليه منذ عشرين سنة . فما رأيكم ؟ وما هي الأسباب ؟

الجواب : أظن أن أسباب تقهقر الشعر العربى ترجع إلى أشياء مختلفة ، بعضـــها عامة ، فالشعر يتقهقر فى كثير جدًا من الأمم ، لا فى الأمـــة العربية وحدها ، وذلك أن هذا العصر الذى نعيش فيه لـــيس عصـــر شعر ، وإنما هو عصر العلم وعصر العقل وكما تعـــرف ، العقل ينتج نثرًا ولا ينتج شعرًا !

فكما أن الشعر فى البلاد الغربية قد ضعف أمره ، فهو عندنا قد ضعف أمره،وهناك سبب آخر، وهو أن قوة الشعر التى أتيحت لنا فى العصر الحديث إنما كانت قـــوة الشعر التقليدي ، الشعر الـــذى كان يقال على مذهب

الشـــعراء القدماء وقد عَرَفَتْ مصر بنوع خاص شعراء امتازوا وبعـــد صيتهم وعرفوا خارج حـــدود مصـــر ، عرفت مصر حافظا وعرفت شوقي وعرفت البارودي ، ولكن هؤلاء جميعًا كانوا مقلدين ، كانوا ينظرون دائمًا إلى الشعراء القدماء .

مـــن أراد منهم أن يكون مجددًا نظر إلى شعراء العباسيين ، ومن أراد منهم أن يكون محافظًا نظر إلى الشـــــعراء الإســـــلاميين والجاهلـــيين ، ولم يكن لهؤلاء الشـــعراء حظ ممتاز من الثقافة الحديـــثة ، لم يقـــرؤوا شعراء الغـــرب وقد قرؤوا من الآداب الغربـــية أطـــرافا تطول أحيانا وتقصر غالبًا ولكنهم لم يتأثروا بالثقافات الغربية تأثرًا كافيًا . فكان شعرهم تقليديًا، وقل مثل هذا فى الشعر الذى كان يقال فى العراق ويقال فى سورية.كل هـــذا الشعر كان شعرًا يقلد به القدمـــاء ، وقد انتهت مدرسة القدمـــاء وبقيـــت طائفة من الشـــعراء مازالـــت تقول هذا الشـــعر التقليدي ولكن الأمة العربـــية محـــتاجة إلى أن يجدد الشعر ، ولأجل أن يجدد الشعر يجب أن تجدد الثقافة ولأجل أن تجدد الثقافة يجب أن يشيع العلم باللغـــات والآداب الأجنبية ، ويجـــب أن يكـــون بينـــنا من يـــتعمقون هذه اللغات وهذه الآداب الأجنبية .

وكـــل هذا لم يتح لشبابنا إلى الآن ، وعلـــيكم أنتم ، معشر الشـــباب، أن تتقـــنوا اللغات الأجنبـــية دون أن ينسيكم هذا لغتكم العربية ، عليكم أن تتقنوا لغـــتكم أولا وتراثكم أيضا، ثم عليكم بعد ذلك أن تضيفوا إلى مـــا ورثـــتم عن آبائكم علمًا جديـــدًا باللغـــات الأجنبـــية والآداب الأجنبية وأن تتعمقوا هـــذه اللغات والآداب تعمقًا

يتيح لكم أن - لا أقول تقلدوها - تأتوا بخير مما فيها إن استطعتم . فهذا هو الذى ينقصكم ليكون عندكم نثر ممتاز وشعر ممتاز أيضا . فلا تسألونى أنا عن هذا واسألوا أنفسكم : أقادرون أنتم على أن تتقنوا لغتكم وآدابكم ، ثم على أن تتقنوا بعد ذلك لغات وآدابًا أجنبية ، فإذا كان الجواب نعم فثقوا أنكم ستنحون شعرًا ونثرًا جديدين ممتازين ، وإن كان الجواب لا فستظلون مقلدين كما كان الذين سبقوكم منذ عشرين أو ثلاثين عامًا !

سؤال : لم يضف إلى لائحة أعلام الآداب فى الشرق العربى اسم جديد منذ جيل تقريبًا . فهل يمكن أن نطمئن إلى من يخلف هذه الطبقة ؟

الجواب : تستطيع إن شاء الله أن تطمئن بالشرط الذى قلته آنفًا ، هو أن نحرص على أن نتقن تراثنا العربى ، ونضيف إلى إتقانه العلم والأدب والحديث واللغات الحديثة.

أما من غير ذلك فلا تنتظر خيرًا!

سؤال : ما رأيكم في الأدب الملتزم ؟ ألا ترون في الالتزام تقييدًا لحرية الأديب؟وهل يجب أن يكون الأديب العربي ملتزمًا في العصر الحاضر؟

الجواب : كل أديب ملتزم ، ومسألة الالتزام هذه مسألة من جهة فى غاية اليسر ومن جهة فى غاية التعقيد ، هي يسيرة كل اليسر إذا أخذناها أخذا طبيعيًا .

فكل أديب يلتزم حياة البيئة التى يعيش فيها ، وهو لا يستطيع أن يخرج من بيئته، وأذكر - إن شئت - قول أبي العلاء :

وَهَلْ يَأْبَقُ الإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ
فيخرج من أرض له وسماء؟!

فأنت عربي لا تستطيع أن تخرج من عروبتك مهما تفعل، وأنت

مغربي لا تستطيع أن تخرج من مغربيتك مهما تفعل.وأنت تعيش في هـــذه البيئة ولا تستطيع أن تخــرج منها مهما تفعل ، فإذا أنتجت شعرًا أو نثرًا فسيكون عربيًا وسيكون مغربيًا وسيتأثر ببيئتك وبتراثك القديم وبالعصر الذى أنت فيه .

وأنت من هذه الناحية ملتزم ، وكــل أديـــب بهذا المعنى فهو ملتزم أيضا، إنما إذا نظرت إلى الالتزام على أنه التزام سياسي ، فهذه هي الطامة الكبرى ! ذلك أن الالتزام السياسي معناه قتل حــرية الفن ! والفن يجب أن يكــون حــرًا ، وأنا خاصة لا أتصــور الفــن إلا حــرًا ولا أحـــب أن تصـــدر إلى أوامر السياســة بـــأن أقول فى هذا الموضوع وألا أقول فى ذاك!!

وفى العالم الآن هذان المذهبان : مذهب الالتزام اليسير الطبيعي الــذي لم يـــبرأ منه أديب ولا كاتـــب ولا شاعر ، ومذهب هـــذا الالـــتزام السياسي الذي جاءنـــا من الغرب الأوروبي ثم وصـــلت أطراف منه إلى البلاد العربية ، هذا الالتزام السياسي إنما جاء من البلاد الشيوعية .

فالبلاد الشيوعية هي التي تسيطر على العقل ولا تريد أن يكتب الكـــتاب ولا أن ينشئ الشعراء شعرهم ولا أن يصور المصورون ولا أن ينحـــت المثالون إلا فى نطاق الحدود التى يرسمها الحزب الشـــيوعي والمذهـــب ، فهذا الالتزام بهذا المعنى شيء ممقوت بالطبع وهو يعادى حرية الفن ويقتل الفن ولا ينتج إلا كلامًا رسميًا ترضى عنه الدولة !

وإذن فهناك هذان النوعان من الالـــتزام ، التزام طبيعي لا يبرأ منه كاتب ولا شاعر ، والتزام تفرضـــه السياسة يجب أن يبرأ منه كل صاحب فن حر !

الملحق السابع :
مقال للدكتور طه حسين
نشرته جريدة (الجمهورية) المصرية
فى عددها ١٩٥٨/٧/٢٩
أرض البطولة !

لم تكد السفينة تبلغ مرساها فى جبل طارق حتى رأينا أنفسنا محاطين بجماعة كريمة من المغربيين والمصريين قد تفضلوا فأقبلوا للقائنا وأبى عليهم كرمهم أن ينتظرونا فى المغرب فعبروا المضيق أو الزقاق كما كان القدماء يقولون للقائنا فى الأرض الإسبانية التى يحتلها الإنجليز .

وكنا قد قضينا فى تلك السفينة ثلاثة أيام كاملة لا نسمع العربية إلا من أنفسنا حين يتحدث بعضنا إلى بعض وإذا نحن الآن لا نسمع إلا العربية التى أخذتنا من جميع أقطارنا، فريق يتحدثها فى أناة وهدوء وهم المصريون وآخرون يتحدثونها فى لهجة سريعة قوية كأن ألفاظها تنحدر وتصطك فى تحدرها من القمة إلى السهل وهم المغربيون(*) .

ونحن بين أولئك وهؤلاء حائرون لا ندرى كيف نجيب ولا على من نجيب ثم يتقدم مستشارنا الثقافي فيعرفنا إلى المستقبلين ويعرفهم إلينا ، منهم من يمثل وزارة الخارجية المغربية ، ومنهم من يمثل وزارة التربية والتعليم المغربية أيضًا ومنهم من يمثل حاكم طنجة. ومنهم من أقبل ليحيى عهدًا بأستاذه القديم الذى عرفه فى جامعة القاهرة حين كان يختلف إلى دروسه فى كلية الآداب، وآخرون أرسلتهم سفارتنا للقائنا قبل أن نبلغ المغرب .

ولست أدرى كيف اختطفنا هؤلاء السادة واختطفوا معنا أمتعتنا ونقلونا من سفينتنا تلك الضخمة الفخمة إلى سفينة صغيرة عبرت بنا المضيق إلى العدوة المغربية ، بل لست أدرى كيف عبرنا هذا المضيق ، فقد رأيتني غارقًا في الحديث مع هؤلاء السادة كأني لم ألقهم منذ وقت قصير، وما هى إلا أن نبلغ العدوة المغربية

* كان الأستاذ سعيد العريان يمت اللهجة المغربية بأنها " قذائفية " !

فنختطف من سفينتنا الصغيرة إلى السيارات التى تمضى بنا مسرعة لا تلوى على شيء حتى تبلغ بنا بيت الحاكم ، وهناك أعلم أننا ضيف على الحاكم سنقضي عنده ما بقى من النهار وسنقضي عنده الليل أيضًا وسنغدو مع الطير لنبلغ الرباط قبل الظهر فى الغد ، لأن جلالة الملك قد تفضل فقرر أن يستقبلنا ظهر اليوم الذى نبلغ فيه الرباط كأنه يلقانا فى عاصمة ملكه تكريمًا لبلادنا ولنا . وقد جرت الأمور حسب البرنامج الموضوع ، وشرفنا بلقاء الملك وسمعنا من جلالته خير ما يحب المصري أن يسمع عن وطنه وعن حكومته . وخير ما يحب كاتبٌ متواضع مثلى أن يسمع من تحية وثناء يصدران من رجلٍ عظيم بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها .

لم يكتسب عظمته من الملك وإنما اكتسب عظمته من نفسه ، من إبائه للضيم وصبره على المكروه واستبساله فى مقاومة العدو واحتماله إذايته لا لشيء إلا أن يكون ملكًا كريمًا لوطن كريم ، بذل هذا الجهد كله واحتمل هذا المكروه كله وهو مؤمن بأنه لم يصنع شيئًا ذا خطر وإنما أدى أيسر ما يجب على المواطن المخلص للوطن الحبيب ، ولا أكاد أذكر لجلالته بعض ذلك حتى يُحوّل الحديث فى يسر وسماح كأنه لا يحب أن يثنى عليه أحد لأنه أدى إلى وطنه بعض ما يجب عليه !!

ونخرج من حضرة الملك مكرمين شاكرين فلا نكاد نبلغ الفندق ونقضي فيه ساعات قليلة حتى نغرق فى حفاوة المغرب بنا وإكرام المغرب لنا ، ونظل غرقى فى هذا الكرم وتلك الحفاوة أسبوعين كاملين ولا نعود إلى أنفسنا أو لا تعود أنفسنا إلينا إلا بعدِ أن يردنا الذين أخذونا من سفينتنا إلى هذه السفينة نفسها بعد أن بلغت تلك الأرض الإسبانية التى يحتلها الإنجليز وهى جبل طارق.

الحديث عن المغرب الأقصى شاق عسير لأنه متشعب لا يدرى الكاتب من أين يبدؤه ولا إلى أين ينتهي به . ففنونه كثيرة وألوانه مختلفة لأن المغرب الأقصى نفسه على وحدته وائتلافه وانسجامه

واتساق أموره كلها ، مختلف أشد الاختلاف. إن أردت أن تتحدث عن طبيعته وجدت فيه البحر والمحيط والسهل والجبل والغابات والبحيرات وما إلى ذلك من هذه الطبيعة الواحدة المتعددة.وإن أردت أن تتحدث عن حضارته وجدت فيه ألوانا مختلفة من الحضارة : لونًا مغربيًا خاصًا توارثه أهل المغرب منذ كانوا قبل أن يصل الرومان إلى بلادهم فضلا عن العرب وقبل أن تكثر الصلات بينهم وبين الأمم المختلفة، ولونًا عربيًا خالصًا صفوًا فما أعرف بلدًا حافظ على التراث العربى رغم ما اختلف عليه من الأحداث وما تتابع عليه من الخطوب كالمغرب الأقصى، ولونًا أوروبيًا بعضه يصور الحضارة الفرنسية كما هي الآن وبعضه يصور الحضارة الإسبانية كما هي الآن أيضا ، وبعضه يصور ما تنتجه الحضارة الأمريكية المعاصرة .

وإن أردت أن تتحدث عن أهله وجدتهم ، على اتحادهم وائتلافهم متميزى الاختلاف : منهم المحافظ الممعن فى المحافظة ، ومنهم المجدد المغالى فى التجديد ، ومنهم الذين يلائمون أروع ملاءمة بين الجديد والقديم، وينشئون بهذه الملائمة فى أنفسهم وفى بيئتهم نوعًا من الموسيقا المستعذبة فى النفوس المحببة إلى القلوب، وإذا أردت أن تتحدث عن السياسة وجدت المشكلات المعقدة أشد التعقيد التى يتصل بعضها بسياسة المغرب مع فرنسا . ويتصل بعضها بسياسة المغرب مع إسبانيا ، ويتصل بعضها بسياسة المغرب مع أمريكا ، ويتصل بعضها بسياسة المغرب مع سائر البلاد العربية الأخرى .

فالمغرب الأقصى عربي على رغم الاستعمار الفرنسي وعلى رغم المحاولات الفرنسية العتيقة لصرفه عن العروبة وتزهيده فيها ، والتقصير به عنها ، هو عربي بأقوى ما تدل عليه هذه الكلمة ، حريص أشد الحرص على التراث العربى المشرقي والمغربي والأندلسي ، دارس لهذا كله مؤمن بهذا كله أشد الإيمان وأقواه . هو بعد ذلك مؤمن بحاضر العروبة ومستقبلها ، عالم بكل ما يحدث فى الوطن العربى من ألوان التطور السياسي

والاجتماعي والثقافي وهو من البلاد العربية التي تقرأ كتب المصريين أكثر مما يقرؤها المصريون أنفسهم [1] .

ليس من اليسير إذن أن يتحدث كاتبٌ عن المغرب الأقصى بعد أن يقضي فيه أسبوعين لا أكثر لكثرة فنون الحديث عنه ولحاجة الكاتب أن يتنقل فيه فيكثر التنقل ويتحدث فيه إلى الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم فيكثر التحدث، ومع أن شيئا من ذلك قد أتيح لي فإنه لا يبلغ أن يعطيني من العلم بشؤون المغرب ما يسمح لي بالتحدث عن هاته الشؤون في ثقة وأمنٍ من الخطأ والزلل ، على أن هناك شيئًا يستطيع الكاتب أن يقوله وهو مطمئن إلى أنه لم يخطئ ولم يزلّ ، ذلك أن الذى يزور المغرب الأقصى بعد استقلاله إنما يزور وطنًا من أوطان البطولة حقًا ، فمن أعسر الأشياء وأشقها أن نتحدث إلى رجل من رجال الحكم ، أو من رجال الثقافة الحديثة أو من المحافظين على الثقافة القديمة أو من عامة الناس إلا عرفت أن له بالسجن عهدا ! وأنه قد ذاق من الفرنسيين ألوان المحن وفنون العذاب ، وهم يتحدثون إليك بذلك بَاسمين مطمئنين إلى أنهم لا يحدثونك بشيء غريب ، وإنما يتحدثون بشيء ملائم أشد الملاءمة لطبيعة الأشياء. فهم كانوا طلاب استقلال ، وكانوا يعلمون حق العلم أن من طلب الاستقلال وجب عليه أن يؤدى ثمنه غاليًا ، قد يكون السجن الطويل وقد يكون العذاب ، وقد يكون النفي وقد يكون الموت أحيانًا ، كانوا يعلمون هذا كله ويطلبون الاستقلال مع ذلك ويؤدون ثمنه مهما يكن مُبهِضا ثقيلا.

وقد ظفروا باستقلالهم فلم يدركهم[2] ولم يغرهم عن أنفسهم ولم يظنوا أنهم قد أتوا بالمعجزات وإنما هم متواضعون يتحدثون إليك في يسر بأن الاستقلال

---

(١) تذكرني شهادة طه حسين هذه في الفقرة التي أجاب بها جلالة الملك الحسن الثاني في شهر مايو ١٩٩٧ أحد كبار الصحفيين المصريين وقد سأله : عن غياب الكتاب المصري بالمغرب " كان جواب العاهل المغربي : " إن حضور الكتاب المصري بالمغرب أكثر بكثير من حضور الكتاب المغربي في مصر " (جريدة الأنباء) ٢٦ مايو ١٩٩٧

(٢) يلاحظ أن هناك ستة سطور تحت كل ضلع من الأضلاع الستة لم تصور كما يجب ... (صفحة ٣) فلم نهتَدِ لترميمها .

ليس إلا الخطوة الأولى وبأن بعد هذه الخطوة خطوات كبيرة أخرى ليست سهلة ولا ميسرة وإنما هي محتاجة إلى الجهد أشد الجهد وإلى الجهاد أشد الجهاد. فهم قد استقلوا ولكن الجيوش الأجنبية لم تجل عن بلادهم بعدُ جلاء تامًّا. وهم قد استقلوا ولكنهم وجدوا أمامهم شعبًا أميًا لم يعلمه المستعمرون، وليس له بد من أن يتعلم، ومن أن يتعلم فى أسرع وقت ممكن، وعلى أحسن وجه ممكن. وهم قد استقلوا ولكنهم وجدوا أن الفرنسيين قد آثروا أنفسهم بالخير كله، وليس من بد أن يرد إلى هذا الشعب المستقل حقه الكامل فى ثمرات أرضه على اختلافها وليس هذا بالشيء اليسير الذى يجب أن يطلب لينال وإنما هو محتاج إلى الجهد المتصل والوقت الطويل والمال الكثير، وهم مع ذلك يستقبلون حياتهم باسمين لها ويستقبلون مشكلاتهم مصممين على حلها. يأخذون أمرهم بالعزم والحزم والرفق فهم يؤمنون بأن الجهود يجب أن تبذل، ويؤمنون مع ذلك بأن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى. فهم يحققون آمالهم فى أناة ويسمون إلى الرقى فى رفق. ويعلمون أن لكل شيء إبانة ويبلغون مع ذلك من الإصلاح شيئًا كثيرًا، وحسبك أن تعلم أنهم حين استقلوا لم يجدوا فى المدارس إلا مائتى ألف من التلاميذ فلم يمض عامان على الاستقلال حتى بلغ عدد التلاميذ الذين يتعلمون فى المدارس سبعمائة ألف! ومعنى ذلك أنهم هيؤوا كل شيء فى أقل من عامين لتعليم نصف مليون من أبناء الشعب.

ومثل آخر لابد من أن أذكره وهو أن أهل المغرب الأقصى سبقونا كما سبقنا التونسيون إلى إصلاح التعليم الديني فنفذوا تلك الخطة التى دعوت إليها فى مصر منذ حين فاتهمت بالكفر والإلحاد والخيانة والمروق، وهى أن يتعلم التلاميذ تعليمهم الابتدائي والثانوي في المدارس الثانوية ثم يذهب منهم من شاء إلى جامعة القرويين أو غيرها من معاهد التعليم الديني والتخصص في علوم الدين وفى علوم اللغة العربية أيضا.

فعل ذلك التونسيون كما قلت ذلك فى الجمهورية بعد زيارتي لتونس في العام الماضـــي ، وفعله أهل المغرب الأقصى . وتحـــدث إلى به الزعيم علال الفاسي في يســـر وسماح وشيء من الرضا والاعتزاز أيضًا (*).

هذه لمحات خاطفة أسجلها الآن في هـــذا الحديث القصير بعد أن عدت من رحلـــتي السريعة للمغرب الأقصى ولكن هـــناك أشياء أخرى تحتاج إلى أن أتحدث عنها في أناة وهدوء ، ولابد من أن أفرغ لها ومن أن أتحدث عنها ليعتبر بها المعتبرون ولـــيفكر فيها الذين يعنون بحفظ التراث العربي وإحيائه والذين يعنون بأن يتحقق للعـــالم العربي ما ينبغي له من الاستقلال والرقى وما ينبغي له مع ذلك من اجتماع الكـــلمة واتحاد الآراء وائتلاف الأهواء . ولـــيس لي بد من أن أهدى أجمل الشكر وأصـــدقه إلى حكومة المغرب التي دعتني إلى زيارتـــه وإلى وزير التربية والتعليم في الجمهوريـــة العربية المتحدة الذي يسر لي هـــذه الزيارة ودفعني إليها دفعًا وأتاح لي أن أقضـــي أســـبوعين في أرض البطولة ووطن الأبطال .

(*) د. التازى : تاريخ جامعة القرويين ، طبعة بيروت ١٩٧٢ ج ٣ ص ٧٧٧ .

الملحق الثامن :

صفحة من مذكرات السيدة سوران

حرم الدكتور عن زيارته للمغرب

... أمـــا في المغـــرب ، فكان هو المـــرحلة الأخيرة من الطريق الذي كان يحمـــل طه على امتداده غالبًا تحية مصر وكلمتها ، وأتطلع برضا إلى صورة يبدو فـــيها الملك محمد الخامس وهو يعانقه . كان الوجهان معا جميلين .

لقد أبحرنا إلى طنجة ، واصطحبونا إلى مقر حاكمها بأقصى سرعة محفوفين بحسود عـــلى درجاتهم البخارية التي لا تكـــف بفرقعتها العالية وبصفارات حادة تثقـــب الأسماع ، إنه أمر معتاد بالنسبة لكـــبار هـــذا العالم - ولم نكن منهم - ولهـــذا ســـررنا عـــندما تخلصنا من هذا الضجيج الكثير .

كانـــت دار الحاكم دارًا ساحرة ، وكانت أعلى من المدينة ، وكنا نلمح عبر أشـــجار أوكاليـــتوس والصـــنوبر على شرفاتها البحر ومضيق جبل طارق . كان مضيفونا تجسيدًا للطف . أما في الرباط ، فقد سمحت لنفسي- لأن طه لم يكن حرًا كما هو واضح - بالقيام بنـــزهة شاعرية ومتوحدة ، أمام المحيط الذى لم أره منذ سنوات عديدة .

وفى الـــدار البيضاء ، بعد أن ألقى حديـــثه ، احتفظوا به وقتا طويلا بحيث إنني وقد رأيته تأخر عن العودة بت هلعة من القلق ...

وقد كان مفعمًا فرحًا إذ وجد نفسه فى فاس ، كان السيد علال الفاسى معنا. وتدبـــرنا أمـــرنا للحصول على السيارة الصـــغيرة التى كانت فى خدمة الملك قبل فـــترة من ذلك الوقت ، فسيارة عادية لا تستطيع السير فى هده المدينة ، كما أنه لم يكـــن مـــن الممكن أن يخاطر طه بالسير وقتًا طويلا فى طرقات ضيقة تفصل بينها سلالم غير منتظمة ، فى جو حار جدًا ، فيتعب ويرهق. إذ إننا كنا فى شهر يونيه.

وعصر ذات يوم ، صعدنا إلى مدينة صغيرة تقوم على الطريق إلى الأطلس، لم يكـــن لديـــنا وقت كاف ، للأسف ،

للمضى صعدًا فى هذه الجبال . كان الجو جميلا ونديًا ، وكان المنظر يختلف تمامًا عن منظر مدينة فاس الذى يتسم بالخشونة العارية ! وكان هناك رجل لطيف ، أعتذر عن عدم تذكري اسمه ، يملك دارة استقبلنا فيها بأروع ما فى العالم من طرق فى الاستقبال ، وكنت سعيدة لتنزهي في إحدى هذه الحدائق ذات المسطحات المتدرجة التى أحبها كثيرا والتي كانت مزروعة بأشجار الصنوبر والسرو . كان ظل الأوراق الضعيف على مياه المسبح الزرقاء يرسم صورًا غير مستقرة فى حين كانت تطفو بعض الأغصان الصغيرة .

ودُعى طه للحضور إلى تطوان ، فوجب الذهاب إليها . واجتزنا خلال وقت طويل– على الأقل بدا لي طويلا – مساحات واسعة قاحلة . كان الطلاب مرحين ودودين ، ولن أنسى أنني تلقيت منهم عند وفاة طه رسالة مؤثرة جدًا .

لم أتمكن من شراء شيء مهم من المغرب ، لكنى حملت معي على كل حال دثارًا صغيرا جميلا أبيض اللون مطرز الحواف باللون الأزرق ، خاصا بطفل رضيع هو طفله مؤنس (*).

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

(*) مؤنس هو ابن الدكتور طه حسين وقد تزوج بليلى حفيدة أمير الشعراء أحمد شوقي، وقد تزوجت ابنته أمينة بالدكتور محمد حسن الزيات الذي وقع عليه اختيار جلالة الملك الحسن الثاني ليكون عضوًا معا في أكاديمية المملكة المغربية .

القول الفصل
في ترتيب الكتاب المقتضب للمبرد*
تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة

للأستاذ الدكتور أمين علي السيد

مقدمة :

مما لا شك فيه أن تحقيق كتاب المقتضب لأول مرة عمل علمي عظيم ، سد فراغًا في تاريخ علم النحو وتطوره ، وأصبح مرجعًا يعتمد عليه في كثير من البحوث ، وقد اقترن اسمه باسم محققه . وهو الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة الأستاذ بجامعة الأزهر . وقد قام بطبعه ونشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . وظهر الجزء الأول منه في سنة(١٣٨٥هـ-١٩٦٦م). وظهر الجزء الثاني والجزء الثالث في سنة (١٣٨٦هـ-١٩٦٧م) ، ثم ظهر الجزء الرابع في سنة (١٣٨٨هـ-١٩٦٩م).

وقد كانت لي صلة وثيقة بكتاب المقتضب للمبرد ، يعزى الفضل فيها للأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد عضو المجمع الموقر، فقد كتب عنه يقول: كتاب المقتضب للمبرد ، الذي يعتبر أكبر كتاب ألف في النحو حتى عصره بعد كتاب سيبويه ، والذي جمع مسائل النحو وفروعها، الذي يعد .. مرجعًا من مراجع النحاة[1] .

بدأت هذه الصلة في سنة (١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م) حين اتجهت إلى الدراسات العليا فكان موضوع رسالتي للحصول على الماجستير : "الكتاب المقتضب للمبرد : دراسة وتحليل ونقد " بإشراف العالم المحقق الأستاذ عبد السلام هارون عضو المجمع السابق . وقد أنجزت هذا البحث في سنة (١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م) وحملت نفسي وحملت كل من يتصدون لقراءة المقتضب أو الاطلاع عليه أو الانتفاع به — المسؤولية أمام التاريخ وأمام الأمانة العلمية عما هو عليه من

* ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والستين، يوم الأربعاء ١٩ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٨ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م .

١- مدرسة البصرة النحوية : ٥٣٣ - توزيع دار المعارف .

خطأ في الترتيب .. والنسخة وحيدة وصلت إلى دار الكتب المصرية في صورة سلبية رديئة ووضعت تحت رقم(١٥٢٥ – نحو) وأصلها محفوظ بمكتبة كوبريللي زاده بالآستانة بتركيا .

وقد قام المحقق بمحاولة لإعادة الترتيب للكتاب المقتضب ، على أساس استقامة العبارة ومناسبة ما ينقل لما ينقل إليه ، فقد نقل عددا من الصفحات من وضعها في المصورة إلى وضع آخر ، كما أعاد بعض الأجزاء المتفرقة إلى أصلها ، وربط بين أجزاء بعض الموضوعات وبعضها الآخر. ولكنه لم يتتبع الإحالات ولم يستجب لها ، بل نظر إليها نظرة جعلته يقول[١] :" لقد خبرت المبرد في كثير من وعوده في الكامل وفي المقتضب فتبين لي أنه مسرف في هذه الوعود" . ثم بذل جهدًا كبيرًا حين وضع قدرا كبيرا من كتاب سيبويه في حواشي المقتضب ، فقد نقل عنه (١٥٥٠) نص، كما وضع قدرا كبيرا من كتاب تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب للمبرد، تأليف سعيد بن سعيد الفارقي، وكذلك فعل في كتاب الانتصار لابن ولاد، وكتاب مسائل الغلط في كتاب سيبويه للمبرد. وقد درست هذه الكتب دراسة علمية جادة في رسالتي سالفة الذكر. وقد أثنى على عمل الشيخ الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في تقديمه المقتضب فقال :"وقد اقتضى عمله في المقتضب إحياء ثلاثة كتب قديمة لا تتجاوز القرن الرابع: نقد المبرد لسيبويه ورد ابن ولاد عليه في كتاب الانتصار ، وتفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب لسعيد بن سيعد الفارقي. لخص هذه الكتب جميعها ووشى بها حواشي الكتاب"[٢].

وهنا أسوق نصا للأستاذ عبد السلام هارون ، يبين رأيه في التعليق. قال بعد أن بين استحسان التعليقات الضرورية[٣]: "ولكن بعض المحققين يسرفون في هذه التعليقات بما يخرج عن هذا الغرض العلمي، إلى حشد المعارف القريبة والبعيدة من موضوع الكتاب. وهذا الأمر إن أعجب بعض العلماء فإنه حري ألا

(١) مقدمة المقتضب ص ٧٥ . (٢) مقدمة المقتضب ص ٤ . (٣) تحقيق النصوص ونشرها ص ٨١ .

يعجب جمهرتهم، لذلك لم يكن بد من الاقتصاد في التعليق ".

التحقيق والتجربة :

أطلق الشيخ على عمله في المقتضب اسم (تجربة) وقد صدق في هذا تحقيقا لقول العرب: جربت الشيء تجربة إذا اختبرته مرة بعد أخرى، وفي هذا الإطلاق مطابقة العمل للواقع ، لأن التجارب إنما تجري للتوصل إلى الحقائق، ولأن فيها ما يحتمل الصواب والخطأ ، ولأن إصلاح الخطأ أمر لا مفر منه. وقد جمعني العمل مع المحقق في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكتب كل منا مقالا في العدد الحادي عشر من مجلة هذه الكلية سنة (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م) وكان عنوان مقاله : "تجربتي مع تحقيق التراث" من (١٥٧-١٧٧) وقد تحدث فيه عن المقتضب وعن احتمال النقص في أصله المحقق، وعن الاضطراب في النسخة ، وعن نقد المبرد لسيبويه ، وعن الانتصار لابن ولاد وعن تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب لسعيد بن سعيد الفارقي، وعن ربطه المقتضب بكتاب سيبويه، وعن فهرسته للمقتضب ، وعن الإقبال عليه ونفاد طبعته الأولى . وكان مقالي بعنوان " من كتب التراث : الكتاب المقتضب للمبرد" من (٢٤١-٢٥٠) وقد أثنيت فيه على عمل المحقق، ووجهت النظر إلى وجوب إعادة ترتيب المقتضب عند إعادة طبعه، وبينت وضع المقتضب كما أراده صاحبه، وذكرت أمثلة مما تجب تلبيته من الإحالات التي في المقتضب ولخصت في ختام المقال الأدلة التي تثبت أن الترتيب الحالي للمتقضب المحقق غير صحيح، وهذه الأدلة هي :

١- كتاب الفارقي المشار إليه من قبل.

٢- الإحالات التي تعين على تصحيح الترتيب.

٣- الأرقام التي على عدد كبير من الصفحات غير صحيحة لعدم ارتباط بعضها ببعض .

٤- علم المبرد بكتاب سيبويه يجعلنا نقول: إنه عندما ألف المقتضب جعل النحو في جانب والصرف في جانب ثم ختمه بالإدغام ومخارج الحروف كما فعل

سيبويه من قبل[1] ولا شك في أن الشيخ قد قرأ هذا المقال وأعاد قراءته ، وعرضه على ما بين يديه من الكتاب المحقق. وقد التقينا بعد ذلك أكثر من مرة ، ولكنه التزم الصمت، ثم انتقل إلى رحمة الله ولعل في هذا شيئًا من الرضا عن إعادة النظر في ترتيب الكتاب المقتضب .

ومما جاء في مقالي :" ومحقق الكتاب المقتضب قد بذل فيه الجهد ما يستأهل من أجله الشكر والثناء من كل مطلع على هذا العمل العلمي الكبير .. هذه كلها تجعلنا نطالب ملحين بإعادة النظر في ترتيب المقتضب عند إعادة طبعه ، حتى يوضع الأمر في نصابه، وتبرأ ذمة المبرد من تهمة يرتفع عنها قدره ، وتجل عنها مكانته".

وما دام الشيخ قد أطلق على عمله هذا اسم تجربة فإني أستعين في التعليق على هذه التسمية بقول الأستاذ عبد السلام هارون:" إن الخطأ في معالجة النصوص أمر مشترك بين العلماء جميعا ، لا إثم فيه ولا حوب ولكن كتمان الخطأ فيه الإثم والتقصير في أداء الأمانة . ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل"[2]. وقد كان من واجب المحقق أن يهدر الأرقام التي وجدها على صفحات المصورة، وأن يرجع إلى تاريخ النسخ ليتبين العلاقة بين رسم هذه الأرقام ، ورسمها ذاتها في تاريخ النسخ في القرن الرابع الهجري .

فالأرقام المدونة على صفحات المصورة ليست من عمل الناسخ يقينا . وهذه الأرقام في رسمها لا تتناسب مع التاريخ الذي نسخ فيه الكتاب. وقد وضعت هذه الأرقام بعد اختلال الترتيب واختلاط الأوراق . إنما الأرقام التي نستخدمها اليوم فهي أرقام حديثة وهي (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠)، أما الأرقام التي تعزى إلى القرن الرابع الهجري فإنها تختلف عن هذه كما تجيء بين القوسين (١-٢-٣-ع-B-٦-٧-٨-٩-١٥) .

الأرقام والتحقيق :

لقد لفت نظري رسم الأرقام التي

(١) رسالتي للماجستير ص : ١٢٩ (٢) تحقيق النصوص ونشرها : ٩٩ .

دونـــت على صفحات المصورة المودعة بدار الكتاب المصرية للمقتضب ، وحين تأملـــتها وجدها أرقامنا التي نستخدمها الآن، وكان سبب تأملي فيها تفكيري في إظهارهـــا ، كـــي اطمئن على التسلسل العددي فيها، ولكي أتحسس العلاقة بين هـــذه الأرقام وبين ترتيب الأوراق ، ثم تأملت بعض الصفحات التي اختل ترتيبها فوجدهـــا في تسلسلها العددي الصحيح، وأخـــذت مـــن هذه دليلا على أن خلط الأوراق واخـــتلال الترتيب قد وقع قبل الترقـــيم ، إذ إن أوراق المخطوطة كانت مفككـــة فتعرضـــت لـــلخلط واختلال الترتيـــب ، ثم كان ترقيم الصفحات بعد هـــذا ، وكانت الأرقام التي وضعت على الصفحات هي أرقاما التي نستعملها كما قلت من قبل .

ثم تذكـــرت عـــبارة للأستاذ عبد السلام هارون يقول فيها : "(١) وكذلك الأرقام تحـــتاج إلى خبرة خاصة ، وهذه صورة الأرقـــام الـــتي ترد في بعض المخطوطات القديمة (٣٢١ ع كا ٦) وهي(١، ٢، ٣، ٤ ، ٥ ،٦).

فالنقطة قديمة عند العرب ، وكانت ترسم مجوفـــة هكذا (٥) وكان يضعها الناسخ قديمـــا لتفصـــل بين الأحاديث النبوية ، وكـــان قـــارئ النسخة على الشيخ أو معارضـــها على النسخ يضع نقطة أخرى مصـــمتة داخـــل هذه الدائرة (٥) ليدل بذلك على أنه انتهى في مراجعته إلى هذا الموضـــع. ومن هنا ترسم العشرة بالألف هكذا (١٥) أما السبعة والثمانية والتسعة فقد جاءت كما نرسمها الآن هكذا (٧-٨-٩) ثم رجعـــت لنفســـي ففكرت في تـــاريخ النســـخ لهذه المخطوطة المحفوظة بمكتـــبة كوبريلـــلي زاده، فإذا هو القرن الـــرابع الهجـــري، وفي عام ٣٤٧ منه، وأعـــدت الـــنظر في الأرقام المدونة على صـــفحات هذه المخطوطة، فوجدها هي هي أرقامنا التي نستعملها الآن، ووجدت المـــرقم قد جعل الكتاب قسمين: القسم الأول ويشـــتمل على الجزء الأول والجزء الـــثاني في تسلســـل عددي بلغ (٦٢٣) لوحة . والقسم الثاني يشتمل على الجزء

(١) تحقيق النصوص ونشرها : ٥٧،٥٨.

الثالث والرابع في تسلسل عددي آخر بلغ (٦٧٩) لوحـــة . وقد بلغ عدد اللوحات أكثر من ألف وثلاثمائة لوحة في الأجزاء الأربعة،وعند الطبع جعل المحقق لكل جزء ترقيما خاصا به: وقد انتهى الجزء الأول بالصـــفحة رقم (٢٧٨) . وانتهى الجزء الـــثاني بالصـــفحة رقم (٣٧١). وانتهى الجـــزء الثالـــث بالصفحة رقم (٣٩٢). وانتهى الجزء الرابع بالصفحة رقم(٤٣٤). وقد اعتمد المحقق على ترقيم المصورة رقم (١٥٢٥- نحو) المأخوذة عن المخطوطة بمكتـــبة كوبريلـــلي زاده رقم (١٥٠٧، ١٥٠٨ – نحـــو) وأثبـــت المحقق الترقيم المذكـــور عـــلى هامش التحقيق بخطئه وصـــوابه ، والتزم هذا الوضع حتى حين نقل بعض الصفحات من جزء إلى آخر، نقـــلها بأرقامهـــا . وقد نقلت المصورة (١٥٢٥-نحـــو) عـــلى (ميكروفيـــلم) وأودعت في خزائن محكمة للحفاظ عليها وصونها من التقلبات الجوية التي يمكن أن تتعرض لها وأصبح الطريق إليها ثلاثة أرقام بدلا من الرقم الواحد، وقد جعل لكل جـــزء منها رقم ما عدا الجزء الرابع: رقم الجـــزء الأول : ١٦٣١٧، ورقـــم الجزء الـــثاني: ١٦٣١٦ ، ورقم الجزء الثالث : ١٦٧٥٣، ورقم الجزء الرابع : لم يختص الجـــزء الرابع برقم، ويظهر أنه تابع لرقم الجزء الثالث. وأول ما نبه إليه المحقق عن الـــنقص في النســـخة جاء في قوله: "في المجموع الأول لا نجد الصفحة التي تحمل رقـــم (٤٠٤) . لعة الترقيم تنبئ بنقص هـــذه الصفحة . ولو احتكمنا إلى ارتباط الكلام واتصال الحديث لا نرى أثرًا لهذا النقص . المبرد مثل للمصدر الميمي واسمى الـــزمان والمكان بسبع آيات من القرآن الكـــريم ، وبيتين من الشعر ، وهذا القدر يكفـــي في التمثيل.والاستشهاد ، وأعتقد أن المقـــام لا يحتمل أكثر من هذا القدر ، حـــتى نحكم بأن هناك صفحة ناقصة في أثناء هذا الاستشهاد ، وقد سبق أن عرض المبرد لهذا الموضع في ص : ٦١ واستشهد بآيـــتين وبيتين، كما عرض له في الكامل ومثل بآيتين وبيتين[١].

ويغني عن هذا التعليق جملة واحدة

(١) مجلة كلية اللغة العربية: ١٦٠، ١٦١ – مقدمة المقتضب:٧٥ .

يقال فيها: "سقط هذا الرقم سهوًا" ولغة الترقيم التي ذكرها الشيخ لا تنبئ بنقص صفحة ، وإنما تنبئ بنقص رقم فقط، مادام الكلام متسقا . وعند حديث المحقق عن الاضطراب في النسخة[1] ذكر عدة أمور منها:

*ص (١٣٧) من المجموع الأول كررت ، وأخذت رقم (٢٧٧)، ولم يتصل بها ما قبلها ، كما لم يناسبها ما بعدها، فهي حشو في وضعها الثاني. وليس لهذا ظل من الحقيقة، فقد جاءت. ص: (١٣٧) من المجموع الأول مفردة غير مكررة ، ووضعت في سياق الكلام ، وهي واقعة في ص: (١٤٣) في الجزء الأول من المطبوع. فآخر الصورة رقم : (١٣٦) قوله: (فإن احتاج إلى) . وأول الصورة رقم (١٣٧) قوله: (صرف ما لا ينصرف صرفه) والربط بين آخر الصورة السابقة وأول الصورة اللاحقة لا يحتاج إلى بيان لأن حرف الجر (إلى) جاء في آخر ص: ١٣٦، والمجرور بعده جاء في أول ص: ١٣٧ .

أما الصورة رقم(٢٧٧) التي قال المحقق عنها: إنها أخذت هذا الرقم من الرقم المكرر للصورة رقم (١٣٧) ولم يتصل بها ما قبلها ، كما لم يناسبها ما بعدها، فهي حشو في وضعها الثاني . وقد كتب عنها المحقق في الهامش رقم (١) في الجزء الأول من المطبوع ص (٢٦٣: هي ص: (١٣٧) كررت هنا، وأخذت رقم (٢٧٧) . وقد أسقط المحقق هذه الصورة ، ولم يضعها في موضعها ، علما بأنها مرتبطة بما قبلها وبما بعدها تمام الارتباط ، وفيما يلي بيان من واقع المصورة : آخر ص (٢٧٦) من المصورة قوله: (وإن ثنى ألحق الألف). وأول ص: (٢٧٧) قوله:(على ما وصفت لك ، فقال الهدان قامتا، فالتاء علامة التأنيث والألف للتثنية).وآخر ص:(٢٧٧) قوله:(وذلك قولك:رأيتك ومررت) وأول ص: (٢٧٨)قوله:(بك للمخاطب) فالجار والمجرور (بك) متعلق بمررت. وقد ترك المحقق سطرا خاليا من الكتابة ، مليئا بالنقط المتجاورة كأنها علامة حذف للوحة رقم (٢٧٧) . والصور المرفقة

---

(١) مقدمة التحقيق ص : ٧٤ .

مصداق ذلك(١٣٦، ١٣٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨).

* ص : (٥٥٠-٥٩٠) من المجموع الأول وضعت كل واحدة منهما مكان الأخرى. ويستقيم الكلام بوضع كل منهما في موضعها. وقد كتب المحقق عن ذلك في هامش الصفحة رقم (٢٨٢) من الجزء الثاني المطبوع يقول: وضعت في النسخة ص: (٥٩٠) مكان ص: (٥٥٠) كل منهما مكان الأخر خطأ ، فجاء الاضطراب في الموضعين . وبنقل ص: (٥٩٠) إلى هنا يستقيم الكلام ، كذلك بوضع (٥٥٠) هناك استقام الكلام. وكتب في هامش ص: (٣٢٢) من نفس الجزء المذكور آنفا : نقلنا ص: (٥٥٠) مكان ص: (٥٩٠) كما فعلنا العكس واستقام الكلام في الموضعين. وهاتان الصورتان قد جاءت كل منهما في موضعها، فالرقم الذي قبل رقم:(٥٥٠) هو رقم (٥٤٩) وكلتا الصفحتين في لوحة واحدة ، وكذلك الرقم الذي قبل رقم : (٥٩٠) هو رقم : (٥٨٩) وكلتاهما في لوحة واحدة. ولكن المحقق أصر على أن يثبت الخط في الهامش ، فوضع (٥٩٠) في التسلسل بعد (٥٤٩) ووضع (٥٥٠) بعد (٥٨٩) والرقم الصحيح هو الذي تنطق به الصورة في الموضعين . وكان الأحرى وضع كل منهما مكان الأخرى. ولا نستطيع تعليل هذا ، إلا بأن يكون الخلط واختلال الترتيب قد وقع بعد التصوير، وهذا ما لا يستطيع أحد أن يقول به. وقد سبقت الشيخ إلى إصلاح هذا الخطأ في رسالتي ص: (١٢٥،١٢٦) "وقلت : وهاتان الصورتان في (١٥٢٥-نحو) هما رقم (٥٩٠) ورقم (٥٥٠) وضعت كل منهما مكان الأخرى خطأ وذلك في القسم الثالث من الجزء الثاني" والمتفق عليه أن تصحيح الخطأ واجب .

* نقل الشيخ صفحتين من الجزء الأول إلى الجزء الثالث، وكتب في هامش ص: (٢٦٠) من الجزء الأول المطبوع رقم(٣): صفحتا: ٢٧٣،٢٧٤ وضعتا هنا خطأ ، ومكانهما بعد ص: (١٥) من الجزء الثالث، وبنقلهما إلى هناك التحم الكلام. وهذا النقل من تصحيح الخطأ أيضًا .

وقد أنكرت الوضع الذي عليه المقتضب من قبل أن يحقق، كما أنكرت هذا الوضع الذي آل إليه بعد التحقيق، لأن عمل المحقق لم يشف الغليل، ولم يفصح عما يحويه هذا السفر القيم، ولقد شبهته بعقد ثمين انفرطت حباته، فضاعت بهجته ونقصت قيمته، وأصبح في حاجة إلى عليم خبير يعيد له هذه البهجة، ويضيف إليها تلك القيمة. لقد درست هذا الكتاب بعد التحقيق دراسة جادة، وعادت صلتي به أقوى مما كانت عليه قبل التحقيق.

وقد فات المحقق أن يحصل على صورة أخرى من الأصل المودع بتركيا، قد تفيده في عمله، فاستدركت هذا الأمر وحصلت على أصل هذه الصورة (ميكروفيلم) وقمت فور ذلك بمراجعته على الأصل المحفوظ بدار الكتاب، فوجدته طبق الأصل منه قبل أي تغيير في الصواب وفي الخطأ فانصرفت عن التفكير في تكبيره. ثم نظرت في الأرقام التي وضعت على صور الصفحات فإذا هي أرقامنا التي نستخدمها الآن، وليس بينها وبين الخط المكتوب في القرن الرابع الهجري صلة، لأن الأرقام الحديثة قد طرأ عليها بعض التغيير فالواحد والثلاثة والسبعة والثمانية والتسعة لم تتغير، أما الاثنان والأربعة والخمسة والستة والعشرة فإن رسمها في القرن الرابع الهجري هكذا (٢-ع-كا-٦-٥١)(*)

ولو تنبه المحقق إلى أن هده الأرقام المدونة على صفحات المصورة ليست بخط الناسخ، ومدادها ليس بالمداد الذي كتبت به النسخة، وليس بين هده الأرقام وخط الكتاب صلة، وقد وضعت بعد خلط الأوراق واختلال الترتيب، وإحلال بعض الأوراق محل بعضها الآخر — لو تنبه إلى ذلك لكان حريا به أن يعدل عنها ويصلح ما وقع فيها من أخطاء . هذا وقد تعامل المحقق مع الأرقام في عدة مناسبات من مقدمة المقتضب ولكنه مر عليها دون أن ينتبه إلى كيفية كتابتها، ولم يخطر بباله تاريخ نسخ المقتضب وكيفية رسم الأرقام في هذا التاريخ شأنه شأن الكثيرين .

(*)تحقيق النصوص ونشرها : ٥٧ .

القول الفصل في ترتيب الكتاب المقتضب

بعد أن يسر الله لي الحصول على (ميكروفيلم) للكتاب المقتضب من مكتبة (كوبريللي راده) قمت بمقابلته بالمصورة المودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٥٢٥-نحو) بمعاونة الأستاذ فؤاد سيد رئيس قسم المخطوطات حينذاك فوجدته مطابقا لها في الصواب والخطأ، فأمسكت عن تكبير (الميكروفيلم) وتراخيت سنين عددا. ثم أصبحت الصورة المكبرة للمقتضب تحت يدي، وقد جاءت على خلاف الصورة المكبرة بدار الكتب، وضوحا ونقاء وصفاء .

لقد قرأت المقتضب في المصورة رقم (١٥٢٥- نحو) أكثر من مرة، وقرأه كثيرون من قبلي ومن بعدي، ولكن أحدا لم يلحظ الأرقام المدونة أمام كل موضوع من موضوعات الكتاب المقتضب، وقد كتبت بخط الناسخ، وبالمداد الذي كتب به النص، وبالطريقة التي كانت ترسم بها الأرقام في تاريخ النسخ سنة ٣٤٧هـ، على ما أشرت من قبل.

لقد أسرعت بالمرور على كل الأجزاء، ثم أعدت النظر في رءوس الموضوعات فوجدت قرين كل باب رقما عدديا مكتوبا بخط الناسخ، وبالمداد الذي كتب به النص، وبالطريقة التي كانت ترسم بها الأرقام في تاريخ النسخ، وقد جاء ترقيم أبواب الكتاب كلها في تسلسل عددي واحد من أوله إلى آخره.

" إن كل من يتصدى لقراءة المقتضب أو الاطلاع عليه، أو الانتفاع به مسؤول أمام التاريخ وأمام الأمانة العلمية عما فيه من أخطاء في الترتيب"(*) وعليهم أن يشغلوا أنفسهم بالتفكير والتدبر والدعوة إلى تصحيح الوضع في هذا السفر.

وما من شك في أن من بعث الكتاب من مرقده، وأتاح للباحثين فرصة الانتفاع به لن يحرم أجر المجتهد، وسيظل عمله أثرا طيبا مشكورا، مهما تكن الأخطاء التي لم يطرق سبيل تصحيحها. إن مراعاة أرقام الموضوعات التي يسر الله لي الطريق إلى الكشف عنها أمر يجب أن نحتكم إليه في

(*) رسالتي للماجستير : ١٢٣ .

ترتيب الكتاب ترتيبا يطابق أرقام الموضوعات. ومهما يكن في الكتاب المطبوع مس أخطاء في الترتيب فإن المحقق مقبول العذر لعدم اكتشاف هذه الأرقام المقارنة لكل موضوع فيه.

لقد نفدت الطبعة الأولى للكتاب، والحاجة ملحة لإعادة طبعه، لكن بعد أن نقوم بترتيبه ترتيبًا يطابق ترقيم الأبواب الذي يسر الله الطريق إلى الكشف عنه.

ومما يثير العجب قول المحقق في المقدمة : "فقد صحبت المقتضب منذ ربع قرن من الزمان . استنسخته لمكتبتي، وقربته من نفسي، وبقيت حفيا به، مراعيا له، مقبلا عليه"(*) . ومع هذا كله لا ينتبه لأرقام الموضوعات .

إن تجربة الشيخ في تحقيق المقتضب فيها صواب كثير، ولكنها لم تخل من هنوات تجب ملاحظتها عند إعادة الطبع، وأرجو ألا يقتصر الأمر على ذلك وأن تراجع هذه التجربة مراجعة دقيقة لكي يبرأ الكتاب من كل عيب، وتقترب التجربة من الكمال، فلا يبقى على خطأ مهما كان يسيرا.

إن هذه المصورة التي اعتمد عليها الشيخ صورة سالبة، تعرض الدارس للوقوع في كثير من الأخطاء، ولعلها من أسباب انصراف الباحثين عن هذا الكتاب، فضلا عما فيه من أحطاء الترتيب واختلال الأوراق واختلاط بعضها ببعض.

وليس من الخطأ بأرقام الموصوعات التي اكتشفت أخيرًا، لأن تصويره الأول مما يساعد على خفاء هذه الأرقام. وقد اشترك في هذا كل من اطلع على هذا الكتاب قبل التحقيق وبعده، ومن هؤلاء:

* قسم المخطوطات بدار الكتب، وتقصيره في عدم عرض هذه الهدية على لجنة التراث التي تضم عددا من المختصين.
* أهل العلم الذين أتيحت لهم فرصة الاطلاع عليه.
* الطلاب وأصحاب الرسائل الجامعية الذي رجعوا إلى المقتضب واستعانوا به مرجعا أساسيا في رسائلهم .
* أصحاب الكتب الذين رجعوا إليه ،

(*)مقدمة المقتضب ص :٥ .

ونقلوا عنه.

* الناسخون الذين قدموا لدار الكتب المخطوطة رقم (١٩٠٩- نحو) والآخرون الذين قدموا لجامعة القاهرة المخطوطة رقم (٢٦٠٦١- نحو) والمشرفون على النسخ هم المسؤولون.

وإذا كان التصوير رديئًا فلابد أن تكون الأخطاء كثيرة، وعندما تسلمت الصورة المكبرة عن الميكروفيلم وجدت الأرقام بخط غير خط الكتاب ووجدت أن بعضها قد محيت أجزاء منه، فقمت بتوضيحها على صور المقتضب، ووجدتها كاملة في تسلسلها، ولم يسقط منها إلا رقم (٤٠٤) من الجزء الثاني، وقد علق المحقق على هذا في الهامش رقم (٦) من الصفحة رقم (١٢٠) في خمسة عشر سطرًا، لكي يجيب على السؤال: (هل نقص الكتاب صفحة؟) وقد وضع علامة الحذف في ثلاثة أسطر في نفس الصفحة. وليس لهذا الأمر داع. وقد صورت النسخة ثانية لتبقى الصورة الأولى على ما هي عليه، كي تكون مرجعا معتمدا للتحقيق الأول لهذا الكتاب، وبيانا صادقا لما صنعه المحقق من تعبيرات ، وتقديرا لما بذل من جهد .

أما الصورة الثانية فسأبقى فيها على نص الكتاب، وأصرف النظر عن أرقام الصفحات التي كتبت بعد خلط الأوراق فيها، وخالفت نظام الكتابة الموافق لتاريخ النسخ، وليس هذا إهدارا لهذه الأرقام، إنما هو تصحيح لخطأ لا يجوز السكوت عليه.

ولابد بعد هذا من ترقيم الصفحات بعد الترتيب الموافق لأرقام الموضوعات، ثم يكون لنا الخيار في التحقيق بين الأمور الآتية:

* أن نبقى على تحقيق الشيخ مع إصلاح كل ما يخالف ترتيب الموضوعات والإحالات التي تصدق في جملتها بعد الترتيب.

* أن يختصر تحقيق الشيخ، ويستبعد منه كل ما ليس له صلة بالنص المدون في الكتاب المقتضب كالحشو والتكرار والاستطراد وغيرها مما هو بعيد عن النص.

* أن يعاد تحقيق الكتاب ويكتفى بتوضيح الغامض وشرح ما يحتاج إلى شرح على

شرط أن تكون تعليقات الشيخ وحواشيه هي المرجع الأول .

وفيما يلي بيان موجز للموضوعات العشرين الأولى من الجزء الأول المرتب، اكتفيت فيه بذكر رقم الباب وعنوانه ورقم اللوحة من الجزء المصور ورقم الصفحة من الجزء المطبوع. ثم يلي ذلك عرض موجز لترتيب الأبواب في بقية الكتاب.

الجزء الأول

بدأ بالبسملة، وجاء بعدها: "هذا تفسير وجود العربية وإعراب الأسماء والأفعال" وليس أمام هذا العنوان رقم. وهو في اللوحة رقم (٤) من المصور. وفي الصفحة رقم (٣) من المطبوع. وجاء بعده الباب الثاني . وعنوانه: "هذا باب الفاعل" وأمامه رقم (٢) وهو في اللوحة رقم (٨) من المصور. وفي الصفحة رقم (٨) من المطبوع. وجاء بعده الباب الثالث. وعنوانه: "هذا باب حروف العطف" وأمامه رقم (٣) وهو في اللوحة رقم(١١) من المصور . وفي الصفحة (١٠) من المطبوع. وجاء بعده الباب الرابع. وعنوانه: "هذا باب من مسائل الفاعل والمفعول به" وأمامه رقم (٤) بخط الناسخ، وبنظام الكتابة الموافق لتاريخ النسخ. وهو في اللوحة رقم (١٤) من الجزء الأول المصور. وفي اللوحة رقم (٣٨٢) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٣) من الجزء الأول المطبوع.

عمل المحقق :

وقد نقل المحقق عشر لوحات من الجزء الرابع المصور إلى الجزء الأول المطبوع، تبدأ من (٣٨٢) وتنتهي برقم (٣٩١) وقد احتفظ بأرقامها ودونها على هامش الصفحات المطبوعة من الجزء الأول . وقد وافقت أرقام الصور المنقولة من الجزء الرابع أرقام الصفحات المطبوعة من الجزء الأول (من ١٣-٢٥) على النحو الآتي:

٣٨٢=١٣ ، ٣٨٣=١٤ ، ٣٨٤=١٥ ، ٣٨٥=١٦ ، ٣٨٦=١٨ ، ٣٨٧=١٩ ، ٣٨٨=٢٠ ، ٣٨٩=٢١ ، ٣٩٠=٢٤ ، ٣٩١=٢٥ .

وهده اللوحات العشر أول ما يتعين نقله من الجزء الرابع إلى الجزء الأول .

ثم جاء الباب الخامس .

وعنوانه : "باب . وتقول في مسائل طوال يمتحن بها المتعلمون " وأمامه رقم (٥) الذي رسم بخط الناسخ الموافق تاريخ الأرقام. وهو في اللوحة رقم (٣٨٩) من الجزء الرابع المصور .

وفي الصفحة رقم (٢٢) من الجزء الأول المطبوع .

ثم يجيء الباب السادس .

وعنوانه : "هذا باب المفعول الذي لا يذكر فاعله" وأمامه رقم (٦). وهو في اللوحة رقم (٣٩١) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (٥٠) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب السابع. وعنوانه: "هذا باب من إعمال الأول والثاني ، وهما الفعلان اللذان يعطف أحدهما على الآخر". وأمامه رقم(٧) . وهو في اللوحة رقم (٤٠١) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم(٧٢)من الجزء الرابع المطبوع.

ثم يجيء الباب الثامن . وعنوانه " هذا باب إعراب ما يعرب من الأفعال ودكر عواملها والإخبار عما بنى منها ". وأمامه رقم (٨). وهو في اللوحة رقم (٤٠٧) من الجزء الرابع المصور . وفي الصفحة رقم (٨٠) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب التاسع .

وقد جار الزمان على رقمه فمحاه .

وعنوانه: "هذا باب الفعل المتعدي إلى مفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد". وهو في اللوحة رقم (٤٠٤) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (٨٦) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب العاشر. وعنوانه: "هدا باب من مسائل كان وأخواتها" . وأمامه رقم (١٠).

وقد رسمت العشر بنقطة مجوفة هكذا(١٥) وهو في اللوحة رقم (٤٢٢) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (٩٨) من الجزء الرابع المطبوع.

ثم يجيء الباب الحادي عشر . وعنوانه: "هذا باب الأحرف الخمسة المشبه بالأفعال " وأمامه رقم (١١) . وهو في

اللوحة رقم (٤٢٧) من الجزء المصور. وفي الصفحة رقم (١٠٧) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب الثاني عشر . وعنوانه: "هذا باب من مسائل باب كان وباب إن في الجمع والتفرقة. وأمامه رقم (١٢) . وهو في اللوحة رقم (٤٣٣) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١١٥) من الجزء الرابع المطبوع.

ثم يجيء الباب الثالث عشر. وعنوانه: "هذا باب المسند والمسند إليه ، وهما ما لا يستغني كل واحد عن صاحبه " وأمامه رقم (١٣).وهو في اللوحة رقم(٤٤٢ ، ٤٤٣) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم(١٢٦)من الجزء الرابع المطبوع.

ثم يجيء الموضوع الرابع عشر. وعنوانه : "هذا باب الإضافة " . وأمامه رقم (١٤). وهو في اللوحة رقم (٤٥١) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم(١٣٦) من الجزء الرابع المطبوع .

ثم يجيء الباب الخامس عشر. وعنوانه: "هذا باب اسم الفاعل الذي مع الفعل المضارع" وأمامه رقم (١٥). وهو في اللوحة رقم (٤٦١) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٤٨) من الجزء الرابع المطبوع.

ويجيء الباب السابع عشر بعد. وعنوانه: "هذا باب الصفة المشبهة .بالفاعل فيما يعمل فيه، وإنما تعمل فيما كان من سببها، وذلك كقولك: هذا حسن الوجه وكثير المال" . وأمامه رقم (١٧). وهو في اللوحة رقم (٤٧١) من الجزء الرابع المصور . وفي الصفحة رقم (١٥٨) من الجزء من الجزء الرابع المطبوع.

ويجيء الباب الثامن عشر بعد ذلك . وعنوانه: "هدا باب من المفعول، ولكنا عزلناه مما قبله لأنه مفعول فيه وهو الذي يسميه النحويون الحال".وأمامه رقم(١٨). وهو في اللوحة رقم (٤٧٧) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٦٦) من الجزء الرابع المطبوع .

ويجيء الباب التاسع عشر بعد . وعنوانه: "هذا باب الفعل الذي يتعدى إلى مفعول، وفاعله مبهم، ولا يتصرف تصرف غيره من الأفعال، ويلزم طريقة واحدة لأن

المعنى لزمه على ذلك، وهو باب التعجب". وأمامه رقم (١٩) وهو في اللوحة رقم (٤٨٤) من الجرء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٧٣) من الجزء الرابع المطبوع.

ويجيء بعد ذلك الباب العشرون وعنوانه: "هذا باب ما جرى في بعض اللغات مجرى الفعل لوقوعه في معناه وهو حرف جاء لمعنى ، ويجري في غير تلك اللغة مجرى الحروف غير العوامل ، وذلك الحرف(ما) النافية" وأمامه رقم (٢٠). وهو في اللوحة رقم (٤٩٩) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (١٨٨) من الجزء الرابع المطبوع.

وبقية أبواب الجزء تكاد تطرد في تسلسلها العددي. والذي يهم القارئ أن توصف حالة الأرقام من حيث الوضوح والخفاء والنقص والتكرار .

ثم جاء الباب رقم(٢١) والباب رقم(٢٢) والباب(٢٣)وأرقامها ظاهرة أمام العناوين.

وبعدها باب بلا رقم ، وضعت له رقم (٢٣مكرر) لضرورة التسلسل فيما بعده.

وجاء الباب رقم (٢٤) ورقمه واضح.

وجاء بعده باب محي رقمه ، وهو الباب رقم (٢٥).

وجاء بعده الباب السادس والعشرون، وقد ظهر رقمه. ثم جاء باب لم يظهر رقمه، وقد أضفت إليه رقم (٢٦مكرر).

وقد ظهرت أرقام الأبواب متتابعة من رقم (٢٧إلى رقم ٣٣) . ثم جاء باب بدون رقم، وقد وضعت أمامه رقم (٣٤).

وكذلك جاء بعده باب بلا رقم ، وقد وضعت أمامه رقم (٣٥) وهنا سبعة أرقام لسبعة أبواب نقصت من الكتاب من (٣٦- ٤٢)وبعدها جاء الباب رقم (٤٣) وقد ظهر رقمه.

ثم جاء بعده باب بلا رقم ، فوضعت أمامه رقم (٣٤مكرر).

ثم تظهر أرقام الأبواب ابتداء من رقم (٤٤) إلى رقم (٧٢).

وقد أظهرت رقم (٧٣) لأن بقاياه تدل عليه. والأبواب رقم : (٧٤،٧٥،٧٦) أرقامها كلها ظاهرة. وهذه هي آخر الجزء الرابع المحقق، وقد نقل إلى الجزء الأول.

وبيانات هذه الأبواب فيما يأتي :
الباب الرابع والسبعون.وأمامه رقم (٧٤). وعنوانه: "هذا باب الجمع بين إلا وغير، والحمل على المعنى إن شئت ".
وهو في اللوحة رقم (٦٧٧) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (٤٢٦) من الجزء الرابع المطبوع. وبعده الباب الخامس والسبعون. وأمامه رقم (٧٥) . وعنوانه " هذا باب الاستثناء بليس ولا يكون" وهو في اللوحة رقم (٦٧٩) من الجزء الرابع المصور. وفي الصفحة رقم (٤٢٨) من الجزء الرابع المطبوع .
وبعده الباب السادس والسبعون. وأمامه رقم (٧٦) . وعنوانه: "هذا باب ما حذف من المستثنى تخفيفا واجتزئ بعلم المخاطب" وهو في اللوحة رقم (٦٧٩) من الحزء الرابع المصور . وفي الصفحة رقم (٤٢٩) من الجزء الرابع المطبوع .
وبهذه الموضوعات الثلاثة ينتهي النقل من الجزء الرابع ، وهي آخر الجزء الرابع المحقق.
ثم نعود إلى الجزء الأول فنجد أرقام الأبواب التي وضعت فيه بعد الباب الرابع تبدأ من رقم (٢٧٤) وعنوان هذا الباب: "هذا باب ما كان لفظه مقلوبا فحق ذلك أن يكون لفظه جاريا على ما قلب إليه ".
وقد وضع هذا الباب اجتهادا في الجرء الأول المحقق في الصفحة رقم (٢٩) .
وموضع هذا الباب في الجزء الرابع الذي بدأ بالباب المنبه عليه في آخر الجزء الثالث يقول المؤلف: تم الجزء الثالث والحمد لله رب العالمين ، ويتلوه في الجزء الرابع من كتاب المقتضب:
" هذا باب إيصاح الملحقة وتبيين الفصل بينها وبين غيرها ".
وقد ظهر الرقم الخاص بهذا الباب أمام العنوان وهو رقم (٢٦٣) تاليا آخر رقم في الجزء الثالث وهو رقم (٢٦٢) ثم تسلسلت الأرقام بعد دون نقص إلى رقم (٢٧٤) الدي ذكر عنوانه وبيانه من قبل، وهذه الأبواب كلها تأتي في الجزء الرابع المرتب.
وقد سجل المحقق في الهامش رقم (٢) من صفحة (٢٩) قوله:
نقلنا بقية ص (٣٨١) من الأصل والصفحات(٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥،

٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠) وشـــيء من ص (٣٩١) إلى الجزء الأول المطبوع ص ١٣- ٢٩.

وللشـــيخ في هـــذا النقل أجر من اجتهد فأخطأ .

وفي الهامش رقم (٣) من صفحة (٢٦٠) من الجزء الأول المطبوع قال المحقق:

صفحتا (٢٧٣،٢٧٤) وضعتا هنا خطأ، ومكانهمـــا بعد صفحة (١٥) من الجزء الثالث. وبنقلهما إلى هناك التحم الكلام أهـــــ. وأصبح لدينا دليل على النقص ، لأن آخـــر لوحة (٢٧٢) عبارة (يقول) وجملـــتها لم تتم . وفي صدر اللوحة رقم (٢٧٥) هذه العبارة :

" إلا نوعـــا واحدا ، لا يكون اثنان أكثر مـــن اثنين عددا ، كما يقع جمع أكثر من جمـــع". ولم يعلق المحقق على هذه العبارة وكان الواجب يقتضي أن يثبتها في نص الكتاب للأسباب الآتية :

* لأنهـــا جزء من النص، والتحقيق أداء النص كاملا .

* ولأنهـــا أتـــت ختاما لباب من أبوابه، بدلـــيل إردافها بباب ظهر رقمه واضحا جليا، وهو رقم (٧٨) وعنوانه: "هذا باب المضـــمر المتصل. ورقم اللوحة التي جاء فـــيها هـــو رقم (٢٧٥) من الجزء الأول المصـــور، وهو الصفحة رقم (٢٦١) من الجزء الأول المطبوع .

* ولأنهـــا في صدر صفحة وفي أول سطر منها،وهذا علامة على سقوط شيء قبلها.

* وقد بدئت بحرف الاستثناء (إلا) وهو مـــن الحروف التي لا يبتدأ بها فهي تكملة لباب سقط من أوله قدر غير معلوم.

* وفـــيها دلالة على موضوع هذا الباب، ولعله عن إعراب جمع المذكر والملحق به إعـــراب الواحد بخلاف المثنى. وقد ورد هـــذا في الجـــزء الثالث والرابع . والباب الـــذي أتمته هذه العبارة يمكن أن يكون رقمه (٧٧). ثم يأتي بعده الباب رقم(٧٨) كمـــا ذكر. ويظهر من بعده رقم الباب (٧٩) وعنوانه: "هذا باب الإضمار الذي يلحق الواحد الغائب وتفسير أصله. وأين يجوز أن يبدل من الواو التي تلحقها الياء والعلة في ذلك".

كذلك يظهر رقم الباب (٨٠) وعنوانه: "هذا باب ما يختار فيه حذف الواو والياء

مــن هذه الهاءات" وهو في اللوحة رقم (٢٨١) مــن الجــزء الأول المصور، وفي الصــفحة رقم (٢٦٦) من الجزء الأول المطبوع. والباب الذي بعده عنوانه: "هذا بــاب إصمار جمع المذكر" ولم يظهر له رقم، ولكن هذه الأبواب الأربعة الأخيرة في موضــوع واحــد، وتسلسل الترقيم يقتضــي أن نضع رقم (٨١) للباب الدي لم يظهر له رقــم، ويؤيد هذا ظهور الرقم (٨٢) في مستهل الجزء الثاني ، وهذا تتم أبــواب الجزء الأول بعد الترتيب واحدا وثمانين بابا على وجه التقريب .

الجزء الثاني

يــبدأ الجــزء الثاني من الكتاب المقتضب بالــباب الثاني والثمانين، وقد ظهر الرقم واضحا أمام الباب المعين لبدء هذا الجزء، كما في العبارة الآتية: تم الجزء الأول يتلوه في الجــزء الثاني باب عنوانه: "هذا باب إعــراب الأفعال المضارعة، وكيف صار الإعراب فيها دون سائر الأفعال . وأمامه رقم: (٨٢) وهو في اللوحة رقم (٢٩٢) من الجزء التاني المصور. وفي الصفحة رقم (١) مــن الجزء الثاني المطبوع. وبعد هذا الــباب تــتابع أرقــام الأبــواب (٨٣،٨٤،٨٥،٨٦) ظاهرة.

ثم يعــدو الــزمن على رقم الباب (٨٧) فيمحوه، ولا تظهر منه إلا آثار لا ترشد إلــيه، لكنه مرتبط بما قبله وبما بعده تمام الارتباط من حيث المحتوى ، فأظهر الرقم.

وبعــده بــاب عنوانه: "هدا باب الواو" وأمامــه رقم (٨٨) وهو في اللوحة رقم (٣١٢) مــن الجزء الثاني المصور . وفي الصفحة رقم(٢٥)من الجزء الثاني المطبوع.

ولا تظهر أرقام الأبواب (٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢) وهي:

(٨٩) هــذا باب (أو) . (٩٠) هذا باب (أن). (٩١) هذا باب (الفعل بعد أن) . (٩٢) هذا باب (حتى) . وهذه الأبواب في اللوحــات (٣١٥- ٣٢٨) من الجزء الثاني المصور.

وفي الصــفحات (٢٨- ٤١) من الجزء الثاني المطبوع.

ثم يتتابع ظهور أرقام الأبواب من (٩٣- ١٠٢) .

ثم يــتكرر هذا الرقم (١٠٢) بعد باب لم يظهر رقمه ، ولكنه مرتبط بالباب المرقم

قبله تمام الارتباط. والباب المرقم قبله عنوانه: "هذا باب الأفعال التي تدخلها ألف الوصل والأفعال الممتنعة من ذلك".

والباب غير المرقم عنوانه: "هذا باب دخول ألف الوصل في الأسماء غير المصادر".

ثم يجيء باب عنوانه: "هذا باب أفعال المطاوعة" يحمل رقم (١٠٣) وتظهر الأرقام واضحة إلى رقم (١٠٣) وتظهر الأرقام واضحة إلى رقم (١١٠).

فإذا وصلنا إلى الباب الذي يتلوه وجدنا الباقي منه رقم (١) وبجواره جزء صغير من الرقم الذي يليه، وقد بدأ كالنقطة المسمطة، وانمحت آثار الواحد الثالث الذي يكمل الرقم (١١١) بينته على الصورة الثانية .

ثم يتتابع ظهور أرقام الأبواب من رقم (١١٢) إلى رقم (١٢٠).

فإذا دققنا النظر في رقم الباب (١٢١) وجدنا الباقي منه ثلاثة أجزاء رسمها هكذا (١-١) وهو مرتبط بما قبله وبما بعده. ونقص ببعده رقم (١٢٢) ولا نستطيع الجزم بنقص باب هنا أو نقص الرقم وحده.

وفي وضوح تام تجيء أرقام الأبواب من (١٢٣) إلى (١٣٦).

ونفاجأ بعد ذلك بتكرار الأرقام(١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦) مع أبواب جديدة في نفس الباب غير ما تقدم.

ثم يظهر رقم (١٣٧) ورقم (١٣٨) ولا يظهر رقم (١٣٩) قرين الباب الذي بعدهما وعنوانه: "هذا باب تحقير الظروف من الأزمنة" وهو في اللوحة رقم (٥٤٢) المصورة من الجزء الثاني ، وفي الصفحة رقم (٢٧٥) من الجزء الثاني المطبوع.

وابتداء من رقم (١٤٠) إلى آخر هذا الجزء الذي انتهى بالموضوع رقم (١٦٧) لم يستعص على القراءة إلا رقم (١٤٣) ولكن ارتباط الموضوع بما قبله ناب عن الظهور ، فوضعنا هذا الرقم في تسلسله.

فإذا أضيفت الأرقام الأربعة المكررة إلى عدد أبواب هذا الجزء بلغ (٨٩) بابا ، وجاء بعد ذلك قوله: تم الجزء الثاني والحمد لله رب العالمين يتلوه في الجزء

الثالث : " هذا باب أن المفتوحة وتصرفها".

الجزء الثالث

بدأ هذا الجزء بالباب الذي عين آخر الجزء الثاني ، وهو : "هذا باب أن المفتوحة وتصرفها" وقد ظهر رقم الباب بجوار عنوانه يتلو رقم الموضوع الأخير في الجزء الثاني .

وبدأ الجزء الثالث بالباب رقم (١٦٨) وتتابعت أرقام الأبواب في تسلسلها ظاهرة واضحة إلى آخر هذا الجزء ، وقد انتهى بالباب رقم (٢٦٢) أمام عنوانه وهو: "هذا باب الأمثلة التي يمثل بها أوزان الأسماء والأفعال ".

ومن حسنات المحقق – رحمه الله – أنه نقل لوحتين من الجزء الأول هما رقم (٢٧٣،٢٧٤) من النسخة المصورة، نقلهما إلى موضعهما في الجزء الثالث، وقد دون في هامش الجزء الأول من النسخة المطبوعة ص (٢٦٠) هذه العبارة أمام الهامش رقم (٣): صفحتا (٢٧٣،٢٧٤) وضعنا هنا خطًا ، ومكانهما بعد ص (١٥) من الجزء الثالث وبنقلهما إلى هناك التحم الكلام . وفي صدر ص (٢٧٥) من الجزء الأول المصور هذه العبارة: (إلا نوعا واحدا، لا يكون اثنان أكثر من اثنين عددا كما يقع جمع أكثر من جمع).

ولم يعلق المحقق عليها مع دلالتها على نقص قبلها، كما وضحت ذلك فيما سبق.

تم إعادة تدوين هذه الملاحظة في الجزء الثالث ص (٢٣) من النسخة المطبوعة، في الهامش رقم (٢) وذلك عند بدء الصفحة رقم (٢٧٣) من الجزء الأول المصور – قال في هذا الهامش:

وضعت الصفحتان خطأ في الجزء الأول فنقلناهما إلى وضعهما هنا، وانظر كيف استقام الكلام، وارتفع الاضطراب ، واطرد الحديث، حتى الجملة الواحدة استكملت متعلقاتها بوضع هاتين الصفحتين، والاتصال كان مع ما قبلهما ومع ما بعدهما أتم اتصال .

وقد سلم الجزء الثالث بتسلسل أرقام الأبواب، وجاءت في آخره هذه العبارة ، تم الجزء الثالث والحمد لله رب العالمين.

يتلوه في الجزء الرابع من كتاب المقتضب: "هـــذا باب إيضاح الملحقة وتبيين الفصل بينها وبين غيرها".

الجزء الرابع

بدأ هذا الجزء بالموضوع الذي نبه عليه في آخر الجزء الثالث بقوله: تم الجزء الثالث والحمـــد لله رب العالمين.يتلوه في الجزء الـــرابع من كتاب المقتضب: " هذا باب إيضـــاح الملحقة وتبيين الفصل بينها وبين غيرها".

وقـــد ظهر بجوار هذا العنوان رقم الباب واضحا، وهو رقم (٢٦٣) وجاءت بعده أرقام الأبواب واضحة حتى وصل إلى رقم ٢٧٤) في اللوحـــة رقـــم (٣٨١) من المصورة في الجزء الرابع قبل الترتيب.

وعـــنوان هذا الباب رقم (٢٧٤) : "هذا باب ما كان لفظه مقلوبا، فحق ذلك أن يكون لفظه جاريا على ما قلب إليه".

فمن ذلك قسي ، وإنما وزنها فعول، وكان ينـــبغي أن يكـــون/ وبعد هذه العبارة في اللوحة رقم (٣٨٢) جاء قوله: "بدلا منه" ولا ارتـــباط بـــين هاتين العبارتين، كما ترى.

وقد قام المحقق بنقل تتمة العبارة الأولى من الجزء الأول لوحة رقم (١٧) وهي قوله: قووس لأن الواحد قوس ..

وقـــد علق على ذلك في الهامش رقم (١) مـــن الصفحة رقم (٢٩) من الجزء الأول المطبوع فقال : نقلنا هذا من الجزء الرابع، لأن هـــنا مكانه ، وانظر: كيف استقام الكـــلام، فجـــزءا الجملة الواحدة كانا مفرقين في الجزء الرابع والأول .

وكذلك وضع المحقق اللوحة رقم (٣٨٢) مـــن الجزء الرابع المصور بعد اللوحة رقم (١٦) من الجزء الأول المصور، وعلق على ذلـــك في الهامش رقم (١) من الصفحة رقم (٢٨) من الجزء الأول المطبوع فقال: نقلـــنا مـــن الجزء الرابع ما كان حقه أن يكـــون هنا، وانظر : كيف التحم الكلام ورفـــع الاضـــطراب واكتملـــت الجملة الواحدة، فقد كان المفعول الثاني لجعل في الجزء الرابع .

ثم قام بنقل عشرين لوحة من رقم (٥٤٢) إلى رقـــم (٥٦١) من الجزء الرابع المصور ووضعها بين اللوحتين رقم (٥٢١) ورقم (٥٢٢) من الجزء نفسه .

وهـــذا النقل تصحيح لخطأ وقع في داخل الجـــزء الــرابع المطبوع، وتأكيد لوضع الأرقام على الصور بعد اختلاط الأوراق.

ودلـــيل هـــذا أنـــه لم يخل بنظام ترقيم الأبـــواب، ففـــي أثـــناء هذا العدد من اللوحـــات جـــاءت الأبواب متتابعة في موضوع واحد هو النداء.

ونقـــل إلى الجـــزء الأول من الجزء الرابع اللوحـــات المصورة من رقم (٣٨٢) إلى رقم (٣٩١) وهي عشر لوحات وضعها بعد خمسة أسطر من اللوحة رقم (١٤)، وبعد هذا التغيير أتى بباب من الجزء الرابع في اللوحـــة رقم (٣٨٢) عنوانه: "هذا بـــاب مـــن مسائل الفاعل والمفعول به" وعلق على هذا في هامش بلا رقم بقوله: "العـــنوان لمســـائل الفاعل والمفعول به، ولكن الحديث عن البدل وأقسامه.

وبعد أن ذكر ثلاثة أقسام من البدل انتقل فجأة إلى القلب المكاني في قسي، ونجد في ص (٣٨١) مـــن المجمـــوع الثاني عنوانا للقلب المكاني، وفي بدء حديثه عن قسي ينتقل إلى بدل الغلط في ص (٣٨٢) ثم إلى مسائل من الفاعل والمفعول.

ومـــا لا شـــك فـــيه أن مسائل الفاعل والمفعـــول مكانها هنا،ويؤكد ذلك تأليف ســـعيد الفارقي فقد سمى كتابه: (تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب).

وبدأ بالمسائل الأولى ، وهي المذكورة في عجـــز ص (٣٨٢) مـــن المجموع الثاني بالجزء الرابع.

وقـــد رأيت أن أكتفي بنقل مسائل الفـــاعل والمفعـــول . أمـــا نائب الفاعل ومســـائله والمسائل الأخرى فأبقيتها في الجـــزء الـــرابع، لأن هدفـــنا أن يستقيم الكـــلام، ويرتفع الاضطراب، وإن كنت أعتقد أن نائب الفاعل ومسائله وما بعدها – مما كان في صدور الكتاب، كما يشهد بذلك صنيع الفارقي في كتابه .

هذا التعليق وضعه المحقق في ص (١٣) من الجـــزء الأول المطبوع. وفيه يقرر اعتقاده بـــأن موضـــع المسائل المشكلة هو صدر الكتاب، ولكن هدفه استقامة الكلام.

وأضـــيف إلى هـــذا فقرة من مقاله المنشـــور في مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بعنوان: "تجـــربتي في تحقيق التراث" يقول في هذه

الفقـــرة: "هـــذه المسائل مكانها في صدر المقتضب ، وقد جاء عنوان مسائل الفاعل والمفعـــول به" في الصفحة الرابعة عشرة، وعنوان كتاب الفارقي في (تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب) ولكننا نجد هذه المسائل في الجزء الرابع.

وتفسيري لهذا أن بعض من تملكوا النسخة بعـــد السيرافي – ضاق ذرعا بوضع هذه المســـائل في أول المقتضب، فنـــزعها من مكان ورمى بها في الجزء الرابع.

هذا تفسير المحقق . ولا يستطيع أحد من المشـــتغلين بالتحقيق أن يجد مسوغا لهذا التفسير للأسباب الآتية :

لأن الخلـــط في الأوراق والخلل في ترتيبها لم يقتصر على هذه المسائل.

ولأن ترقيم اللوحات لا يقف بجانب هذا التفســـير البعـــيد عن الواقع .ولأن هذا الترقيم إنما وضع لإحصاء عدد الصفحات المصـــورة قبل تصويرها .ولأنه ليس بين رسم هده الأرقام ورسم الأرقام المستعملة في تاريخ النسخ صلة.

ولأن قوله: (فنـــزعها من مكانها ورمى بها في الجزء الرابع) قول غير مقبول لأنه محض خيال .

وصـــفحة عـــنوان الجزء الرابع رقم (٣٤٤) وقـــد سقطت ثلاثة أرقام قبلها هـــي(٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣) وابتداء الجزء الرابع في اللوحة رقم (٣٤٥) وفي أولها : "بســـم الله الـــرحمن الرحيم" هذا باب إيضـــاح الملحقة وتبين الفصل بينها وبين غيرها (٢٢) ورقم هذا الباب (٢٦٣) وقد ظهر أرقام الأبواب من رقم (٢٦٣) إلى رقـــم (٢٧٤) وعـــنوان الباب رقم (٢٧٤) هـــو "هـــذا باب ما كان لفظه مقلوبـــا فحق ذلك أن يكون لفظه جاريا عـــلى ما قلب إليه" وقد سبق أن بينا ما نقل من الجزء الرابع إلى الجزء الأول طبقا لترقـــيم الأبـــواب وهو قدر كبير يشكل أرقـــام الأبواب من (٥ – ٧٦) وهو في المصـــورة من رقم (٣٨٩- ٦٧٩) وفي المطـــبوع من رقم (٥٩ – ٤٢٩) وبعد الـــباب رقم (٢٧٤) تتتابع أرقام الأبواب ظاهـــرة إلا الـــباب رقم (٢٨٤) فإنه لم يظهر من ترقيمه إلا الأربعة وما قبله وما بعـــده رقم كل منهما ظاهر وهو مرتبط بهما تمام الارتباط .

وذلــك أن الباب رقم (٢٨٣) عنوانه: باب معرفة بنات الخمسة بغير زيادة وهو في اللوحــة رقــم (٥٤) من الجزء الأول المصور وفي الصفحة رقم (٦٨) من الجزء الأول المطــبوع. والــباب رقم (٢٨٤) عــنوانه: بــاب معرفة الأبنية وتقطيعها بالأفاعيل وهو في اللوحة رقم (٥٧) من مصــوزة الجزء الأول وفي الصفحة رقم (٧١) مــن الجزء الأول المطبوع والباب رقــم (٢٨٥) عــنوانه هذا باب معرفة الأفعــال أصــولا وزوائدها وهذه كلها مسائل صرفية يرتبط بعضها ببعض .

ويطرد ظهور الأرقام بعد ذلك إلى الباب رقم (٢٩٤) وهو آخر رقم ظاهر وعنوان هــذا الباب: هذا باب ما كان على ثلاثة أحرف مما عينه ياء أو واو وهو في اللوحة رقم (١٠٢) من الجزء الأول المصور وفي الصــفحة رقم (١١١) من الجزء الأول المطبوع.

ثم يــأتي بعد ذلك اثنان وثلاثون بابا لم تظهــر أرقامها ولكنها جميعا من مباحث علم التصريف ولا يوجد ما يستند إليه تــرك هذه الأبواب في الجزء الأول لأن الجزء الأول قد اكتملت أبوابه بما جاء منه في أوله وفي آخره وبما نقل إليه من الجزء الرابع.

وكذلــك الجزء الثاني تم بأبوابه المتسلسلة الأرقــام، والجــزء الثالث لم تنقصه إلا الصفحتان اللتان نقلتا إليه من الجزء الأول كما مر. أما الجزء الرابع فما تزال أبوابه مفتوحة .

وخط هذه المجموعة من الأبواب هو خط الكتاب من أوله والكاتب هو مهلهل بن أحمد كما هو مدون في صفحة العنوان.

ولــيس في الأجــزاء الثلاثة الأولى المرتبة فراغ رقمي يمكن أن يتسع لهذا العدد من الأبواب.

وهــذه الأبــواب كلها من مباحث علم التصــريف الــذي يجيء بعد علم النحو وفيها باب الإدغام الذي ختم به سيبويه أبواب الكتاب والذي قال عنه أبو حيان : الإدغــام هو آخر ما يتكلم فيه من علم التصريف"(*) وقد اشتركت هذه الأبواب مع بقية الكتاب في اطراد الخط وعــدد

(*)همع الهوامع للسيوطي ٢ :٢٢٥ دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان .

السطور في الصفحات وعدد الكلمات في السطر الواحد ونظام النقط والضبط وغيرها .

خاتمة المقتضب

قال المحقق في الصفحة السادسة والسبعين من مقدمة المقتضب: " بقي شيء آخر قد يشعر بنقص في النسخة وذلك أن المبرد لم يذكر في ختامها ما يدل على أنه أنهى القول وختم كتابه وقد أنهى الكامل بما يشعر بالختام " وقد رجعت إلى آخر كتاب الكامل فوجدت فيه قوله ٢: ٢٩٧ – ط صبح ١٣٤٧هـ) " وهذا باب قد تقدم ذكرنا إياه ووعدنا استقصاءه" وقوله في الصفحة التالية (٢: ٢٩٨) وقد كنا أرجأنا أشياء ذكرنا أنا سنذكرها في آخر الكتاب " ثم جاء قوله في (٢: ٣٠٦) " هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه " فإذا كان الأسلوب هو الشخص كما يقولون فإن المبرد قد ختم كتابه المقتضب من قبل كما ختم كتابه الكامل فقد جاء في آخر المقتضب بعد الترتيب (والآن في ص: ٢٥٤،٢٥٥ من الجزء الأول المطبوع)

* قال أبو العباس : كنا قدمنا في أول كتابنا وبعد ذلك أشياء جرى ذكرها لما يشاكلها في مواضعها و لم يكن موضع تفسيرها فوعدنا أن نفسرها إذا قضينا القول فيما قصدنا عند ذكرها فمن ذلك لام الخفض .

* وقال (ص٢٥٥،٢٥٦،٢٥٧ من الجزء الأول المطبوع) وكنا ذكرنا في صدر هذا الكتاب أمر الأفعال والأسماء ووعدنا أن نخبر : لما كانت الأسماء على ثلاثة أنحاء وكانت الأفعال على ضربين .؟ فهذا وقت تفسيره وموضعه .

* وجاء بعد ذلك باب عنوانه: "هذا باب مصطفين" (وهذا الباب في ص ٢٥٨،٢٥٩،٢٦٠ من الجزء الأول المطبوع) ثم جاء بعد العنوان قوله: قال أبو العباس وهذا أيضًا مما لم يفسر .

إذا كان الاسم مقصورا فإنما تأويل قصره أن يكون آخره ألفا هذه عباراته في آخر الكتاب وفي كل عبارة من هذه العبارات المذكورة ما يلفت النظر. ففي العبارة الأولى قوله: "قال أبو العباس" ولم يسبق لهذه العبارة نظير من أول الكتاب إلى هنا

وكأنه يؤكد نسبة الكتاب إلى نفسه قرب نهايته وفيها قوله: "في أول كتابنا " وهذا يعني أنه الآن في آخر كتابه.

وفيها قوله : " فوعدنا أن نفسرها إذا قضينا القول فيما قصدنا له عند ذكرها" وقضاء القول فيما قصد له المؤلف يعني انتهاءه والاشتغال بما فاته من مسائل .

وفي العبارة الثانية قوله: "وكنا ذكرنا في صدر هذا الكتاب " وهذه العبارة تعني أنه الآن في آخره. والعبارة الثالثة في أول "باب مصطفين" وكأنه يستدرك ما فاته فيقول: "وهذا أيضًا مما لم يفسر " وقبل هذه الاستدراكات جاء باب الإدغام في آخر المقتضب ممهورا بقول المؤلف: "تم الإدغام" وقد جاءت هذه العبارة مستقلة في وسط السطر. وكأن المبرد يقول: تم الإدغام وبتمامه تم هذا الكتاب لأن الإدغام آخر ما يتكلم فيه من علم التصريف ولم يبق إلا الاستدراكات التي سبق ذكرها، وسبق التعليق عليها، وقد جاء بها وفاء بالوعد قبل أن يضع القلم .

وبإعادة النظر فيما تقدم نرى أن المبرد قد ختم الكتاب المقتضب من قبل أن يؤلف الكامل، ولكن الخاتمة لم تصل إلينا، لتعرض الأوراق الأخيرة في المخطوطات لكثير من أسباب البلى . مع العلم بأن هذه المخطوطة قد مر عليها أكثر من ألف وسبعين عاما .

وقد أصبحت الصفحة رقم(٢٦٠) من الجزء الأول المطبوع هي الصفحة الأخيرة في الجزء الرابع المرتب وهي تقابل اللوحة رقم (٢٧٢) من مصورة الجزء الأول قبل الترتيب .

وآخر كلمة في هذه اللوحة هي كلمة (تقول) وليس بعدها شيء يمكن أن يكون مقولا للقول وما جاء بعدها في اللوحة رقم (٢٧٣) قد نقل إلى الجزء الثالث في موضعه ، وهذا دليل نقص سكت عنه المحقق بل إنه حذف كلمة (تقول) وملأ السطر الأخير بالنقط التي يعدها العلماء علامة للحذف وكذلك العبارة التي جاءت في صدر اللوحة رقم (٢٧٥) دليل آخر على النقص الواقع قبلها وقد سكت المحقق عن التنبيه عليه وقد سبق الحديث عنها وقد وجدت عبارة بمعناها في الجزء الرابع المطبوع ص (٣٧٠) وهي في

اللوحة رقم ٣٧١) وهي قوله:
* "ولم يجز أن يكون إعراب المثنى كإعراب الواحد، لأن التثنية لا تأتي مختلفة وقد دللنا على هذا في أول الكتاب "
ويمكن الربط بين العبارتين هكذا:
لأن التثنية لا تأتي مختلفة (ولا تأتي) إلا نوعا واحدا (لأنه) لا يكون اثنان أكثر من اثنين عددا كما يقع جمع أكثر من جمع.
لكني أفضل ما قدمت من أن هذه العبارة بقية من الباب رقم (٧٧) بالجزء الأول المرتب وقد ظهر بعدها رقم (٧٨)وعنوان بابه (هذا باب المضمر المتصل، ثم ظهر رقم (٧٩) وعنوان بابه " هذا باب الإضمار الذي يلحق الواحد الغائب وتفسير أصله، وأين يجوز أن يبدل من الواو التي يلحقها الياء والعلة في ذلك " وكذلك ظهر بعده رقم (٨٥) وقد رسم الصفر مجوفا كالخمسة وعنوان بابه (هذا باب ما يختار فيه حذف الواو والياء من هذه الهاءات) ثم جاء بعد ذلك باب عنوانه (هذا باب إضمار جمع المذكر) ولم يظهر قرين العنوان رقم ، ولكن ارتباط هذا الباب بما قبله يحتم أن يكون رقمه (٨١) وهذا الرقم خاتم الجزء الأول وقد وضعته بين قوسين، وهو في اللوحة رقم (٢٨٣) في النصف الأسفل منها، وقد استوعب اللوحات رقم (٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨) وبعد هذا جاء قوله: تم الجزء الأول يتلوه في الجزء الثاني (هذا باب إعراب الأفعال المضارعة ، وكيف صار الإعراب فيها دون سائر الأفعال ؟) وقد ظهر رقم الموضوع الأول من الجزء الثاني وهو (٨٢) .
وقد نقل من الجزء الرابع المطبوع إلى الجزء الأول المرتب قدر كبير يبدأ من ص (٥٩) وينتهي من ص (٤٢٩) ويضاف إلى هذا (٢٩) صفحة من بداية الجزء الأول المطبوع كما يضاف إليه من آخر الجزء المذكور ما يحتمل نقصه قبل صفحة (٢٦١) وما بعد ذلك إلى ص (٢٧٢) وهو آخر الجزء الأول المطبوع .
فليس بين دفتي الجزء الأول المطبوع منه إلا جزء في أوله وجزء في آخره فالجزء الذي في أوله من ص (٣) إلى ص (٢٩) والجزء الذي في آخره من ص (٢٦١) إلى ص (٢٧٢) وعدد صفحات الجزء الذي

في أوله(٢٧)صفحة وعدد صفحات الجزء الــذي في آخره اثنتا عشرة صفحة، وما بينهما منقول إليه من الجزء الرابع.

وكذلك الجزء الرابع ليس فيما بين دفتيه إلا قدر قليل منه يبدأ من أوله وينتهي في ص (٥٨) وكل ما جاء بعد ذلك منقول إليه من الجزء الأول وتسلسل الموضوعات في الأجزاء الأربعة بعد الترتيب كما يأتي.

الجزء الأول من رقم (١) إلى رقم (٨١)

الجرء الثاني من رقم (٨٢) إلى رقم(١٦٧)

الجزء الثالث من رقم(١٦٨)إلى رقم(٢٦٢)

الجزء الرابع من رقم(٢٦٣)إلى رقم(٣٢٥)

وقــد ظهــرت الأرقام في الأجزاء الثلاثة الأولى بعد الترتيب في جملتها أما الجزء الــرابع فقد ظهرت أرقام الأبواب ابتداء من الباب رقم(٢٦٣) وانتهاء برقم(٢٩٣) ثم جــاء بعد ذلك اثنان وثلاثون بابا لم تظهــر أرقامهــا ، وقد دونت لها أرقاما ووضــعت كلا منها بين قوسين فأصبح الجزء الرابع مكونا مما يأتي .

١- مــن صفحة العنوان ورقمها (٣٤٤) إلى صفحة (٣٨١) من أصل الجزء الرابع المطبوع .

٢- مــن صــفحة (١٧) من أصل الجزء الأول المطبوع إلى صفحة (٢٧٢) .

أمين علي السيد

عضو المجمع

التعبير عن معاني ودلالات السوابق (Prefixes) في اللغة العربية*

للأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان

معروف أن الاشتقاق عن طريق التصريف الداخلي(internal inflexion) يمثل الطريقة الرئيسية لظهور المفردات الجديدة في اللغة العربية . وفي حقيقة الأمر يكمن معجم اللغة العربية بل معجم اللغات السامية عامة في منظومتين كبيرتين متقاطعتين: منظومة الجذور ومنظومة الأوزان أو الصيغ .[1] لكن ذلك لا يعني أن اللغات السامية – ومن بينها اللغة العربية– لم تستخدم اللواصق (affixes) إطلاقا إلا أن عددها كان محدودًا جدًا و لم تخلق اللغة العربية لواصق أخرى إلى جانب اللواصق القديمة [2] المتمثلة في عدة سوابق (prefixes) (الهمزة والتاء والميم والياء) وعدة لواحق (suffixes) (النون والتاء المربوطة وياء النسبة المشددة وتاء المصدر الصناعي) . وبفضل نظامها الصرفي ونظامها الصوتي وكون الجذور الثلاثية الأحرف غالبة على نظام جذورها، لم تتأثر اللغة العربية كثيرًا بلغات أخرى لا في مجال الأصوات ولا في مجال الصرف إلا بشكل استثنائي طيلة عصور تطورها، بل لم تقترض ولم تستعر اللغة العربية للأسباب نفسها إلا عددًا قليلاً من الألفاظ الأجنبية بالقياس إلى معجمها الضخم . أما اللواصق فلم تدخل اللغة العربية مع هذه الألفاظ إلا بوجه طارئ وبطريق الصدفة .

لكن في العصر الحديث احتكت اللغة العربية باللغات الأوربية الواسعة الانتشار مثل الفرنسية والإيطالية والإنجليزية، التي تلعب اللواصق دورًا مهمًا في تطوير معجمها . وفي عملية تكوين المصطلحات اللازمة لمختلف ميادين العلوم والفنون والحضارة الحديثة أصبح من الضروري أن تعبر العربية عن معاني ودلالات اللواصق

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأربعاء ١٩ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٨ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م .

الموجـــودة في هـــذه اللغات أو تقلدها . ويمكننا القول إنها تمتلك في الوقت الحاضر منظومات اللواصق في هذه اللغات وتعبر عـــن معانـــيها ودلالاتها. لكن في نفس الوقت تحتفظ هذه الأدوات — إذا أمكن تسميتها هكذا — بمعانيها الأصلية وتدخل في تراكيـــب وتعـــابير عاديـــة بمعانيها الأساسية .

وباســـتثناء أداة الـــنفي " لا " تسبق عـــادة اسمًـــا مـــرفوعًا أو نسبة مرفوعة وأصـــبحت بذلـــك سابقة حقيقية بحيث تلتصق باللفظ الذي تسبقه ، نجد أن سائر الكلمات والأدوات المستخدمة لأداء دور الســـوابق والتعبير عن دلالاتها لم تكتسب ملامـــح السوابق الحقيقية على ما عيَّنها وعـــرَّفها الباحثون [٣] . إلا أن جميع هذه الألفاظ — من حروف وأسماء وأفعال على مختلف أنواعها— تعبر عن معاني ودلالات الســـوابق بفضـــل المقابلة بل المضادة في أحـــيان كثيرة بين هذه التركيبات وبين الألفاظ الأساسية.

وفي صـــدر العصـــر الحديث اتصل العرب بالأوربيين في مختلف ميادين الحياة المادية والحضارية. وفي مطلع القرن التاسع عشـــر بـــدأ محمد علي يشجع العلاقات الثقافـــية مع فرنسا [٤] ومنذ ذلك الحين أثَّـــرت اللغـــة الفرنسية تأثيرًا مستمرًا في تحديـــث اللغة العربية وبالأخص المعجم العربي بحيث أصبح يتجاوب ويتماشى مع متطلبات العصر الحديث ، إما عن طريق اســـتعارة الألفاظ أو عن طريق استعارة معـــاني الألفاظ أو عن طريق إيجاد طرق للتعـــبير عـــن معـــاني ودلالات السوابق واللواحق القائمة في هده اللغة . ويبدو أن تأثير اللغة الإنجليزية بدأ لاحقًا وكان أكثر محدوديـــة . ونظـــرًا لأن الســـوابق التي سنتعرض لها في هذا البحث أخذت نفس الصـــيغة أو صـــيغة مماثلـــة في الإنجليزية والفرنسية — رغم كون أصل معظمها في اللغـــتين الإغريقية واللاتينية القديمتين — ســـنعتمد في حديثـــنا وفي ذكر الأمثلة وترجمتها على اللغة الإنجليزية ولن نستعين باللغـــة الفرنسية إلا عندما لا نجد الألفاظ المقابلة في الإنجليزية أو عندما يبدو لنا أن الصـــيغة الإنجلـــيزية غـــير كافية لتفسير التركيـــب العـــربي. وقد مارست اللغتان

المذكورتان تأثيرهما على العربية ولا تزالان تؤثـران علـيها بواسطة وسائل الإعلام وبخاصـة الصـحافة ، لكن دور الإذاعة والتليفزيون ازداد بوجه ملحوظ في الفترة الأخيرة (٥).

إن هـذا البحث لن يدعى أن يكون شـاملاً وافيًا، إنما هو محاولة لتناول قضية تناولها بوجه أو آخر باحثون آخرون من قبل وربما تناولها المجمع في دوراته السابقة لكننا نأمل في أن نأتي بإسهام ولو متواضع في تسـليط الضـوء عـلى هذه القضية وتوضـيحها واسـتخلاص بعـض الاسـتنتاجات على أساس دراسة تزامنية انطلاقًا من أمثلة مختارة من اللغة المعاصرة مـن الصـحف بصـورة خاصة، ومن النصـوص الأدبـية في أحـيان أخرى، واعتمادًا على القواميس الثنائية اللغة أيضًا.

وقد انطلقنا من تصنيف للسوابق في اللغتين الفرنسية والإنجليزية أعددناه على أساس دلالاتها (٦) ثم بحثنا في طرق التعبير عنها في اللغة العربية، على ما يأتي :

١- سوابق النفي والحرمان المقسمة إلى ثلاث مجموعات فرعية :

أ_ a-,an-,un-,in-,non-,de-,des

ب- anti- ,contra

جـ - mal- ,mis

٢- سوابق التشديد بدرجتين :

أ- الدرجة العليـا:-ultra-,extra ,hyper-,super-,sur

ب- الدرجة السفلى : -hypo-,infra ,sous-,sub-

٣- السـوابق التي تعبر عن معاني النصف والتقريب : -quasi ,pen-hemi-,demi-,semi-

٤- السـوابق التي تعبر عن الموقع المكاني والزماني :

أ- avant- ,anté- , pré

ب- post-

٥- السوابق التي تعبر عن الموقع:

أ- داخل شيء : intra

ب- خارج شيء : extra

جـ - بين شيئين : inter

٦- السوابق التي تعبر عن العدد:

أ- الإفراد : -mono- , uni

ب- الجمع: -multi-, poli

جـ - الأعداد من اثنين إلى عشرة: -bi ,.di-, tri- quadri-(quadru-,quadr-),pent(a)- ,hex(a)-,sept-,oct(a)-,nona-,deca-

٧- سوابق الاقتراب والحب لأشخاص أو لأشياء معينة: pro-,phylo.

٨- سابقة الإعادة : re-

٩- أشباه السوابق : auto-,aero- ,neo-etc.

مجموعة سوابق النفي والحرمان

يلاحظ من ذكر السوابق التي تشتمل عليها هذه المجموعة أنها الأكثر عددًا في اللغتين الفرنسية والإنجليزية وغيرهما من اللغات الأوربية وأنها تغطي سلما واسعا من الدلالات الفرعية التي تتراوح بين النفي والحرمان والمضادة والإساءة . ومن هنا يمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات :

١- النفي والحرمان : non-,a- ,an-,un-,de-,des-,dis-, i- ,in-

٢- المضادة : anti-, contra-

٣- الإساءة : mis-, mal-

١- وجد الناطقون بالضاد طرقا وأدوات مختلفة للتعبير عن معاني ودلالات هذه السوابق وبخاصة السابقة "a-" الإغريقية الأصل والتي عبروا عنها منذ العصور القديمة،وبالتحديد في عصر ترجمة المؤلفات الفلسفية اليونانية إلى العربية . وفي تناول هذه القضية سننطلق من الأساليب والطرق والأدوات العربية المقابلة لدلالات هذه السوابق .

١-١ – لاشك أن أداة النفي " لا " تستخدم في اللغة العربية الحديثة للتعبير عن دلالات متباينة لسوابق النفي والحرمان. وقد أصبحت " لا " السابقة الحقيقية الوحيدة في اللغة العربية – إلى جانب السوابق العربية القديمة التي ذكرناها في أول البحث، طبعًا – وذلك أنها التصقت عادة باللفظ الذي تسبقه عن طريق النحت . وقد ترجم القدماء المصطلح الفلسفي الإغريقي " agnostic" بـ " لا أدري " والاسم المقابل له أي "agnosticism" بـ " لا أدرية " . ومما يلفت النظر في هذه الصيغة أن الاسم المذكور هو صيغة المضارعة للمتكلم من الفعل " درى – يدرى " ونعتقد أن اشتقاق نسبة ومصدر صناعي من فعل مضارع – وربما هذا المثل من الأمثلة القليلة من هذا النوع – ليدلل فيما يدلل على جرأة المترجمين وقدرتهم على

التصرف في اللغة . وفي النصوص الفلسفية والعلمية العربية المنقولة من لغات أخرى إلى اللغة العربية في عصر ازدهار الحضارة العربية في ظل خلافة المأمون، وبعده يمكن اكتشاف العديد من الألفاظ التي دخلت عليها أداة النفي "لا" للتعبير عن دلالة السابقة الإغريقية "لا"(٧) إلا أن استخدام هذه الأداة بصفة سابقة في العصر الحديث اتسع وتنوع كثيرا ولا ريب أن انتشار استخدامها بهذه الوظيفة يعود – على الأقل جزئيًا – إلى تأثير صيغ مماثلة من اللغتين الفرنسية والإنجليزية .

ومعروف أن المعنى الأصلي والعام للصيغة التي دخل فيها الحرف " لا " كان ولا يزال ضدًا بالقياس إلى اللفظ الأساسي، كما هي الحال في ألفاظ مثل:

قانوني :" legal " – لا قانوني "illegal"

إنسان "human" –لا إنساني"inhuman"

محدود"limited"–لا محدود"unlimited"

ديني "religious"–لا ديني"irreligious"

لكن أداة النفي " لا " أصبحت تعبر عن دلالات أخرى مثل :

أ- النفي المطلق (-non) المقرون أحيانا بالتعبير عن الصفة المضادة :

لا شيئية : "nonexistence"

لانهائي : " infinite "

لا معقول " unreasonable "

ب- الحرمان :

لا دينية " atheism "

جـ - عكس دلالة اللفظ الأساسي:

لا مركزية " decentralization "

د- المضادة النشطة أو المضادة عن طريق التتالي :

لا قومي " antinational "

لا ديمقراطي " antidemocratic "

لا سامي "antisemite "

والحقيقة أن الألفاظ المسبوقة بالسابقة "لا" باتت تعامل مثل أي ألفاظ عربية أخرى وبخاصة الأسماء منها، حيث يمكن تعريفها بـ " أل التعريف" أو بالمضاف إليه، مثل: انفجر مكنون اللاوعي كالبركان (٨) "unconscious"

لا منطقية الزمان " illogic "

لا منطق العالم الجديد " illogic "

وقد اندمجت الألفاظ المنحوتة بأداة النفي " لا " في النظم الصرفي والنحوي

والمعجمـــي للغة العربية وأصبحت تشكل مـــنظومة من الأضداد التي يمكنها أن تحل محل الألفاظ الأساسية في أي سياق .

ووجدنـــا أن " لا " النفي تسبق اسما أو مصدرا أو مصدرا صناعيا مرفوعا

اللامـــبالاة" the indifference, the unconcern "

اللاوعي " the unconscious "

اللاتسامح " the intolerance "

اللانهائية " the infinity "

وخلال السبعينيات تداولت الصحف العربية جميعا عبارة " اللاسلم واللاحرب" "non-peace and non-war . وتدلـــل هذه العبارة وغيرها من التراكيب المماثلة فـــيما تدلـــل عـــلى قابلية سابقة " لا " للاتصال بأي اسم من الأسماء ودون تأثير أجـــنبي بـــل دون مقابل أجنبي في أحيان كثيرة.

كمـــا تســـبق هذه السابقة نسبة أو اسم فاعل أو اسم مفعول وكلها مرفوعة أيضًا:

لا قانوني " illegal "

لا إنساني " inhuman "

لا أخلاقي " amoral "

لا إرادي " involuntary "

لا واعٍ " inconscious "

لا متناهٍ " unlimited "

لا محدود " unlimited "

لا مقبول " unreasonable "

وفي العصـــر الحديث شهد التركيب الـــذي تســـبق فيه " لا " اسمًا أو مصدرًا منصـــوبا غـــير معرف والمعروفة بـــ "لا النافية للجنس " انتشارًا متزايدًا . صحيح أن هذا التركيب عربي أصيل إلا أنه انتشر كـــثيرًا في العصـــر الحديث ويقابل عددًا كبيرًا من الألفاظ الإنجليزية والفرنسية التي تظهـــر فـــيها سوابق النفي والحرمان . وجدير بالذكر أن الحرف " لا " لا يتصل في مـــثل هـــذه التراكيب العربية الأصيلة بالاسم المسبوق . وبعد الاسم المنفي يمكن أن يـــأتي أحـــيانًا حرف جر (في أكثر الأحيان " لام الجر") تسبق ضميرًا متصلاً ويعتـــبر هذا التركيب بمحل نعت بالنسبة للاسم الذي يسبقه:

لا أثر له :" ineffective, ineffectual "

لا وجود له : nonexistent "

لا نهاية له " infinite "

لا حد له " unlimited "

لا مرد له " irresistible "

لا حصـــــــر له" immeasurable,

"innumerable

١-٢- الاسم " غير " أصبح كذلك قابلا للتعبير عن دلالات سوابق النفي والحرمان عـــندما يضاف إلى اسم مفعول أو اسم فاعل أو نسبة في التركيب العربي الأصيل القـــديم المعـــروف بــ " الإضافة " [٩] . لكن هذا الاسم الذي يحتل مكانة متميزة بين الأسماء العربية في نحو هذه اللغة كان يســـتخدم حتى في العصور القديمة بالقيمة ذاتها وفي مثل هذا التركيب بالذات للتعبير عن الأضداد، وكان يضاف إليه إما اسم الفـــاعل أو صـــفة [١٠]. إلا أن بعـــض المستشـــرقين يرون أن أسلوب التعبير عن الأضـــداد بمساعدة الاسم " غير " يعود كذلـــك إلى عصـــر الـــترجمة من اللغة الإغريقية[١١] . ومهما كان الأمر نجد أن عـــدد التراكيـــب التي دخل فيها الاسم "غير" ازداد في العصر الحديث ونميل إلى الاعـــتقاد بأن عددا لا بأس به منها نشأ نتيجة لتأثير الألفاظ الفرسية والإنجليزية التي اشتقت بالسوابق .

إن عـــدد التراكيب التي أضيف فيها الاســـم " عـــير " إلى صفة ليس بكبير، ونذكر منها على سبيل المثال " عير قليل " "non-little"– و"غـــير صحيح " " non correct " و "غـــير شريف " – "-not honest" إلخ ، إلا أن هـــذا الاسم أصبح يضاف في العصر الحديث في تراكيب لا تحصـــى إلى أنواع أخرى من الأسماء التي تكتســـب بذلـــك قيمة الأضداد، وهو يضاف إلى :

أ- اسم الفاعل :

عير فاعل " uneffective"

غير ممكن "impossible "

غير كاف "insufficient "

غير صالح لـــ " unfit for "

غير مناسب " inadequate "

ونذكـــر هـــنا وجـــود العديد من التراكيـــب التي يضاف فيها اسم الفاعل "قـــابل لـــ " المنفي بـــ "غير" للتعبير عن دلالات سوابق النفي والحرمان ودلالات اللواحــــــــــق able,-ible – في آن واحد،مثل:

غير قابل للتطبيق " inapplicable "

عير قابل للتجزئة " indivisible "

ب- اسم المفعول :

غير مشروع " illegal "

غير مسؤول "irresponsible "

غير مقبول " innacceptable "

غير مصدق " incredible "

ج – لكن عدد التراكيب التي يضاف فيها الاسم " غير " إلى نسبة تنتهي باللاحقة "– يّ " أكبر بكثير :

غير علمي " unscientific "

غير طبيعي "abnormal"

غير عادي "unusual"

غير رسمي " unofficial"

غير إنساني "inhuman ".

وتمثل هذه التراكيب أحيانا مرادفات للتراكيب التي تدخل فيها أداة النفي "لا " بوصفها سابقة :

غير مباشر = لا مباشر "indirect"

غير إنساني = لا إنساني " inhuman"

ومما استرعى انتباهنا أن الاسم "غير" يعبر في عدد محدود من الحالات عن دلالة السابقة " -extra " من الألفاظ الفرنسية والإنجليزية :

اجتماع غير عادي "extraordinary meeting"

أهمية غير عادية "Extraordinary importance "

ووجدنا أثناء عملية الاستقصاء عن أمثلة لإعداد هذا البحث أن الاسم "غير " يعرّف أحيانا بأداة التعريف – مثله في ذلك مثل الحرف "لا" – مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن المتحدثين بالعربية بدؤوا يشعرون بأنه يؤدي وظيفة سابقة وبالتالي يعاملونه على هذا الأساس. إن مثل هذه التراكيب ليست صحيحة من الناحية النحوية لكنها تدلل فيما تدلل على تطور جديد في هذا الاتجاه ونرى من واجبنا أن نلفت انتباه المجمع الموقر أيضًا إلى هذا الأسلوب واتخاذ موقف إزاء هذا الأسلوب ، إما قبولا له أو رفضًا له. (١٢) ونذكر على سبيل المثال عدة تراكيب من هذا النوع مستخرجة من الصحف المصرية :

الطائرات الغير مسلحة

الضباط الغير صالحين

التوزيع الغير عادل

لكـــن التراكيب التي تأتي فيها جميع الأسمـــاء الثلاثة معرفة بـــ "أل التعريف " تبدو أكثر غرابة ويصعب تفسيرها ، مثل: الأمل الغير المحدود .

١-٣- تقابل تراكيب اسمية من نوع الإضافة يدخل فيها المصدر "عدم" بصفة مضـــاف ومصـــدر فعل آخر أو مصدر صـــناعي بصفة مضاف إليه بانتظام تقريبا التراكيـــب ذات القيمة النعتية التي يدخل فـــيها "لا" و"غـــير" . ومن ناحية أخرى تقابـــلها ألفـــاظ فرنسية وإنجليزية مشتقة بسوابق مثل :" -non-,un-,in-,des " مما يـــبرهن عـــلى أن الاسم "عدم" يعبّر هو الآخر في مثل هذه التراكيب عن دلالات سوابق النفي والحرمان .

ونذكر على سبيل المثال :

عدم القبول " nonacceptance".

عدم الاستقرار " instability " .

عدم الوجود " nonexistence " .

عدم الإمكانية " impossibility " .

عدم المساواة " unequality " .

عدم القابلية لـــ " incapacity off"

عدم التدخل " nonintervention"

وفي عـــدد محدود من الحالات تمثل التراكيـــب الاسمية التي يدخل فيها الاسم "عـــدم" مرادفات لتراكيب اسمية أخرى تدخل فيها أداة النفي " لا " ، مثل :

عدم القبول=اللاقبول"nonacceptance"

عدم المركزية=اللامركزية"decentralizatio"

وربمـــا عـــن طريق الجاذبية أصبح النعت "عـــدم" يضاف أيضًا إلى اسم للتعبير عن قـــيمة نعتـــية . وتقـــابل هذه التراكيب تراكيـــب ذات قـــيمة اسمية يدخل فيها الاســـم "عـــدم" . ويمكن تفسير العدد المحدود من هذه التراكيب بالمنافسة القائمة بيـــنها وبـــين التراكيب التي يدخل فيها الاســـم "غير" والذي أصبحت مكانته في اللغـــة أكـــثر متانة بفضل سهولة إنشاء تراكيـــب بمعان مماثلة بمساعدته. ونذكر على سبيل المثال:

عدم الحياة"inanimate".

عدم الخطر"non-dangerous".

عدم النظير "unequalled" .

عدم الفائدة "unprofitable" .

عديم الإحساس "insensitive" .

عديم الأهلية"incapable".

١-٤- بالإضافة إلى طرق وأساليب التعبير عن دلالات سوابق النفي والحرمان المذكورة أعلاه وجدنا كذلك سلسلة من الطـرق التي يمكن اعتبارها عرضية طارئة والـتي تنتج عنها معان ودلالات شبيهة بمعـاني الألفاظ المشتقة بمثل هذه السوابق في اللغات الأوربية . ونذكر من بين هذه الطرق وأدواتها :

أ- الظرف " دون " :

دون انقطاع " uninterrupted"

دون كلل وملل " untired"

دون قيد وشرط " unconditional"

ب- المصـدر "قلـة"والصـفة المقابلة له"قليل":

قلة الحياء "impudence,impertinence

قليل الحياء impudent, impetinent".

قلة الأدب "impoliteness" .

قليل الأدب " impolite, uncivil".

جـ - المصدر "قصور" والصفة المقابلة له "قصير":

قصور الباع" inability, incapability"

قصير الباع" unable,incapable" .

د- المصدر "نزع" واسم المفعول المقابل له "منـزوع":

نزع السلاح " disarming" – مـنزوع السلاح disarmed, demilitarized"

هـ - المصـدر " تجريد من " واسم المفعول المقابل له "مجرد من " :

تجريد من السلاح "disarmament" مجرد من السلاح demilitarized,disarmed"

و – المصدر "فروغ" واسم الفاعل المقابل له "فارغ" :

فارغ الصبر " impatience" .

بفارغ الصبر " impatiently" .

ز – اسم الفاعل "خال من " :

خال من السكان

"uninhabited"" unoccupied"

خال من الضرر " inoffensive"

ح – المصدر "انعدام " :

انعدام الوزن " imponderability"

ط - اسم الفاعل " فائق " :

فائق الحد " unlimited "

فائق الوصف " indescribable"

ي – اسم المفعول "مقطوع" واسم الفاعل "منقطِع":

مقطوع النظير " incomparable"

منقطع النظير/القرين"unmatched"

"incomparable " "unrivaled"

"unequaled"

ك – اسم الفاعل " نافذ " :

نافذ الصبر " impatient "

ل – الظرف " فوق " :

فوق العادة " unusual "

فوق الحد " infinite,unlimited"

٢- أما السابقتان "-anti"و" -counter"

فقد لاحظنا أن اللغة العربية استخدمت أسماء الفاعل والمصادر المشتقة من عدة أفعال على وزن "فاعل" تعبر عن دلالات المعارضة والمقاومة والعداء . وحسب مدى استخدامها. وهذه الأفعال هي: "عادَى " و"ضادّ" و"ناهض" و"ناوأ" و"نافَى" و"عاكس" .

أ- لاشك أن اسم الفاعل الأكثر استعمالا للتعبير عن هذا المعنى هو "مُعاد" :

مُعاد للشعب " antipopular"

مُعاد للاستعمار " anticolonialist"

ب- ويستخدم اسم الفاعل "مضاد " على الأخص مع أسماء الآلات الحربية :

مدفع مضاد للدبابات " antitank gun"

مدفع مضاد للطائرات"antiaircraft gun"

لكنه يستخدم مع أسماء أخرى كذلك:

مواد مضادة للحيويات "antibiotics"

ج – أما أسماء الفاعلين " مناهض " و"مساوئ" و "مُناف" فإن استخدامها للتعبير عن معنى السابقة " -anti" محدود وينحصر في نفس الحالات، ويبدو أنه حديث العهد حيث لا نجدها مذكورة بهذا المعنى في القواميس الصادرة قبل منتصف هذا القرن مثل قاموس " هانس فير" العربي –الألماني أو قاموس "برانوف" العربي – الروسي وهما من أشهر القواميس الصادرة في منتصف هذا القرن.

ونذكر من التراكيب التي وجدناها في الصحف خلال العقود الأخيرة :

مناهض للاستعمار والرجعية

"antiimperialistic and antireactionary"

مناوئ للاستعمار " antiimperialistic"

مناوئ للفاشية "antifascist"

مناف للشيوعية " anticommunist"

مناف للديمقراطية " antidemocratic"
ويستخدم في الوقت الأخير اسم الفاعل "مضاد" واسم الفاعل "معاكس" أكثر فأكثر – لكن في تركيب نعتي أي بصفة نعت – للتعبير عن المعارضة على شكل رد فعل أو الرد أو التكرار ، أي بمعنى السابقة " -counter"

هجوم مضاد " counterattak"
هجوم معاكس " counteroffensive"
خطة مضادة " counterproject"
إجراء مضاد "countermeasure"
اقتراح مضاد/معاكس"counterproposal"

أما مصادر الأفعال المذكورة فإنها مقابل سابقة "-anti"
من التراكيب الاسمية :

معاداة السامية "antisemitism"
معاداة الديمقراطية "antidemocratism"
مناهضة الاستعمار "antiimperialism"

وبالإضافة إليها نجد المصادر "مكافحة" و"محاربة" و "معاكسة" بالمعنى نفسه :

مكافحة الاستعمار "anticolonialism"
مكافحة البيروقراطية"antibureaucracy"
مكافحة الفاشية "antifascism"
مكافحة /معاكسة الجاسوسية "counterespionage"

ويلاحظ أن هذه الأفعال كلها على وزن "فاعَلَ" . ويعبر هذا الوزن عن دلالتين متعارضتين : فمن ناحية يعبر عن المساعدة والمعاونة والمشاركة والمشاورة ومن ناحية أخرى يعبر عن دلالات المنافسة والمعارضة والمقاومة والمجابهة . وتطورت من الدلالة الثانية الدلالات الخاصة التي تقابل السابقتين " -anti" و "counter"

٣- أما السابقتان "-mal" و "-mis" فيقابلهما في اللغة العربية الاسم "سوء" والصفة "سيء" والفعل "أساء" .

ونذكر من التراكيب الاسمية:

سوء البخت/الحظ "misfortune"
سوء الإدارة " mismanagement, maladministration"
سوء السلوك " misbehavior, misconduct"
سوء المعاملة "mistreatement"
سوء التغذية "malnutrition"

ونذكر من التراكيب النعتية :

سيّئ الحظ " Engl. "unfortunate"; Fr.
"malheureux"
سيئ السمعة " Engl. "disreputable";
Fr."malfamé"
سـيئ المقاصد " Engl. "malevolent,
"malicious
سيئ التغذية " Engl. "malnourished"

وبـدأ يستعمل الفعل " أساء " أيضًا للتعبير عن دلالة السابقتين المذكورتين في التراكيب الفعلية :

أساء التصرف "misbehave"
أساء الاستعمال " misuse"
أساء المعاملة "mistreat"
أساء الفهم "misunderstand"

ونلاحـظ مـن الأمثلة المذكورة أن الاسم"سوء"والصفة"سيئ" يقابلان سوابق أخرى من مجموعة سوابق النفي والحرمان.

٤- يدلـل فـيما يدلل العدد الكبير من الأسـاليب والطرق التي تستخدمها اللغة العربية للتعبير عن معاني السوابق ودلالاتها القائمـة في اللغـات الأوربية على تطور إمكانـيات اللغة العربية لتحديث معجمها بحيـث يتجاوب ويتماشى مع متطلبات ومقتضيات الحضارة المعاصرة .

وقـد سـبق أن أشـرنا في معرض الحديث عن الألفاظ المستعملة للتعبير عن دلالات مختلف سوابق النفي والحرمان إلى أن أداة الـنفي "لا " أصـبحت السابقة الحقيقـية الوحـيدة مـن بين الأدوات المذكـورة في هذا البحث، حيث تلتصق بـاللفظ الذي يسبقه عن طريق النحت وذلـك مـند العصور القديمة. أما سائر الأدوات المسـتخدمة للتعـبير عن معاني سوابق النفي والحرمان ودلالاتها فتستعمل في أنواع مختلفة من التراكيب لكن سبقها دائمـا – مـا عـدا التراكيب العرضية والتراكيـب التي يظهر فيها اسم الفاعل "مضاد"واسم الفاعل" معاكس " – يجعلها تشبه السوابق القائمة في اللغات الأوربية.

ويعتبر استخدام الاسم"غير" معرفا بـ "أل التعريف " أمرا عرضيا طارئا ويبرهن ذلك على اتجاه جديد ويعتبر نتيجة للتأثر بالسـوابق وبخاصـة من جراء اختصار الأدوات المسـتعملة للتعبير عنها. إلا أننا وجدنا كذلك مثالاً آخر على هذا الاتجاه حـتى داخـل المجموعة موضع البحث. ويجري الحديث عن عبارة " الضد نسّافة"

بمعـــى "contre-torpileur" (باللغـــة الفرنســـية) والتي تعتبر في رأي الباحث الذي ذكرها نوعا من النحت.[١٣]

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أن عدد التراكيـــب الفعلية التي تقابل أفعالاً ذات ســـوابق في اللغات الأوربية محدود جدا بالقـــياس إلى التراكيب الاسمية والنعتية، على ما تبين من عرضنا هذا . ولعل ذلك يعـــود إلى وجـــود منظومة فعلية محكمة عريقة ذات ملامح واضحة،ويتعذر إدخال التغـــييرات عليها. ومن جهة أخرى تعتبر الأوزان الفعلـــية قـــادرة على التعبير عن دلالات متـــنوعة دقـــيقة مما جعل ممكنا التخـــلي عـــن استعمال أدوات أو طرق مخـــتلفة للتعبير عن معاني بعض السوابق الفعلـــية القائمـــة في اللغات الأوربية أو معانيها .

ويبدو أن استخدام الطرق المذكورة للتعبير عن دلالات سوابق النفي والحرمان – ما عدا استخدام "لا" عن طريق النحت وتراكيب عرضية أخرى– يعود إلى مطلع العصر الحديث وامتد إلى أيامنا هذه.[١٤]

ويمكن التقدير أن جميع التراكيـب التي تشـــتمل على ألفاظ تقابل سوابق النفي والحـــرمان تتميز بقيمة معجمية واضحة حيث إنها تعتبر أضدادا للألفاظ الأساسية المقابلة لها .

لاشـــك أن مـــنظومة ســـوابق النفي والحـــرمان مـــن اللغات الأوربية وبخاصة الفرنســـية والإنجلـــيزية أثرت على ظهور الطرق المذكورة للتعبير عنها في اللغة العربية إلا أن هـــده الطرق أصبحت تنفصل عن التأثير المذكور. وفي الوقت الحاضر تدخل في تراكيب جديدة لا تنطلق بالضرورة من نمـــاذج أوربـــية . وأفضل دليل على ذلك وجـــود العديد من مثل هذه التراكيب في اللغـــة العربـــية دون مقابل لها في اللغات الأوربـــية . ويمكن الحديث عن نقل نظام التعـــبير عن دلالات مثل هذه التراكيب أو تعريـــبه مما يسمح بنشوء تراكيب جديدة على هذا المنوال في اللغة العربية من غير أن يكـــون مـــن الضروري وجود ألفاظ فيها سوابق تقابلها في اللغات الأوربية .

نيقولا دوبريشان

عضو المجمع المراسل

من رومانيا

المراجع

1) Jean Cantineau, Racines et schemes, Semitica, 3,1950, P.73.
2) Henri Fleisch, Traitè de philologie arabe, I,Beyrouth, 1961,P.408; D.Cohen, Remarques sur la dérivation nominale par affixes dans quolques langues sémitiques, Semitica, 14,1964,P.76.
3) Jean Dubois, Etude sur la dérivation suffixale en francais moderne et contemporain, Paris, 1962, P.1.
4) Johe Haywood, Modern Arabic Literature, London, 1971, P.31.
5) V.Monteil, L'Arabe moderne, Paris, 1960.P172.

٦) نيقولا دوبريشان،اللغة العربية خارج حدودها، في مجموعة"اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٢٦،١٩٩٦.

7) Jozef Bielawski, Deux périodes dans la formation de la terminologie scientifiquearabe,Rocznik Orientalistyczny,20, 1956,p.283.

٨) نجيب محفوظ ، السمان والخريف ، دار مصر للطباعة ، ص ٧ .

9) V.Monteil, op.cit., p.140.

١٠) بعض الاستخدامات القديمة لاسم " غير " ، راجع التفاصيل في عبد الرحمن التاج، القول في "غير" وحكم إضافتها إلى المعرفة ودخول "أل" عليها، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ٢٥، ١٩٦٩، ص ٢٠ وما يليها .

11) Jozef Bielawski,op.cit. ,p.284.

١٢) وقد وجدنا تطورا مماثلا بالنسبة للاسم "شبه" والاسم "نصف" اللذين يعبران " إلخ ... راجع في هذا الصدد عن معاني سوابق " semi-,hemi- : مثل

Nicolae Dobrisan, Curs de lexicologie araba, Bucuresti, 1984,P.194.

13) Léon Bercher, Lexique arabe – francais avec un index francais – arabe correspondent, 1935, apud V.Monteil, op.cit,P142.
14) Jozef Bielawski, op.cit., p. 284.

دواعي التطور اللغوي في قضايا اللغة العربية*

للأستاذ الدكتور عباس محمد الصوري

١- الظاهرة :

هناك ظاهرة مفارقة ، يجابهها عادة المربون في تعليم اللغات الحية وإن كان بروز هذه الظاهرة يحصل بنسب متفاوتة بحسب نوعية اللغة ومكانتها ووظيفتها في المجتمع،لكنها في حالة اللغة العربية لأبنائها تشكل حالة خاصة، ونعني بها ظاهرة وجود مستويين لغويين يتفاوتان بحسب خصوصية كل لغة على حدة. فقد تضيق المسافة بين هذين المستويين إلى حد لا يحصل من تفاوتهما قضية بيداغوجية تحتاج إلى البحث وإعادة النظر، وقد تتسع المسافة إلى حد التباين أو القطيعة ، وبناء على ذلك يمكن تصنيف علماء اللغة في موقفهم من اللغة العربية إلى فريقين ، فريق يقول بالتباعد إلى حد القطيعة، وفريق ينظر إلى الظاهرة من زاوية التقارب الذي يمكن أن يصل إلى حد التكامل .

أما اللغويون القدماء فقد كان لمنهجهم في الجمع والتصنيف أثر في موقفهم من الظاهرة بحيث إنهم " أسقطوا من حسبانهم الظواهر التاريخية" "د.مصطفى التوني / التغير اللغوي" ومن ثم كان مفهومهم للغة مفهوما سكونيا في عملية التدوين عندما اقتصروا على عصر واحد حددوا فيه مجال الأخذ عن العرب بشكل فصل فيه صاحب المزهر هكذا. "والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم أقتدي ، وعندهم أخذ اللسان العربي من بين القبائل هم قيس وتميم وأسد . ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"(ج1. ص211).

لقد حدد السيوطي القبائل التي أخذ عنها اللسان العربي باعتبارها نموذجا تكتمل داخله جميع السمات المطلوبة في النموذج ، ومنها صفاء المتن، والبداوة،

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأربعاء 19 من ذي القعدة سنة 1418هـ من مارس (آذار) سنة 1998م .

يقـــول "لم يؤخذ عن حضري قط" لأن مخالطة الحضر لغيرهم من الأمم أدى إلى فساد لسانهم ، أما أهل البداوة ممن عاش بعـــيدا عن أطراف الجزيرة العربية، فقد بقيت لغتهم سليمة صافية يبلور سلامتها وصفاءها خاصية الإعراب ، الإعراب في معـــنى مقـــابل لـــلحن ، يقول الزبيدي صاحب (طبقات النحويين) (طباع أهل الـــبدو الإعـــراب ، وطباع أهل الحضر اللحن) ويعتبر النحاة الإعراب فرعا ، به تتم سلامة اللسان لأصل يفسر علل هذه السلامة وهو النحو .

فالعربية المستعملة بعد عصر التدوين في الحواضر خاصة يعوزها سلامة المتن، ويشوبها اللحن . يلاحظ ابن خلدون في مقدمته ، أن لغة العربي في زمانه "مغايرة للغـــة مضر وحمير" ، فهل معنى ذلك أن عربيـــتهم لم تعـــد عربية وأن المغايرة قد أدت إلى القطيعة ؟ يرى ابن خلدون أن الأمر بخلاف ذلك ، فهو يوضح أن التغير الذي أصاب لغة المشافهة في زمانه أصابها في دلالـــة الحركات أي الإعراب الذي اســـتعاض عنه الناس بالرتبة أي التقديم والتأخير ، أما بنية اللغة فما زالت سليمة تـــؤدي مقاصـــدها، والدراسات اللغوية الحديـــثة تأخذ بعين الاعتبار مبدأ التغير اللغـــوي وتعتـــبره من أعقد المشكلات اللســـانية ، وهـــم ينظرون إليه من عدة مستويات :

- التغير الصوتي : وهو مألوف في سائر اللغات ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بانتشـــارها زمانـــيا ومكانيا ولدى الأفراد.
- الـــتغير المعجمي : وهو مجال انتقال المفردات في الاستعمال فتتغير دلالاتها وقـــد يتـــبع الـــتغير المعجمي التغير الصـــوتي وما يحدث فيه من إسقاط وحذف وتسكين أو إدغام أو إبدال أو دمج... إلخ.
- الـــتغير التركيـــبي :وهو الذي أشار إليه ابن خلدون ، ولعله أخطر أنواع التغيرات ، الذي إذا تجاوز حدا معينا تحـــدث القطيعة ، أما التغيرات على مستوى الأصوات أو المعجم فهي من الأمور الاعتيادية التي تحدث في سائر اللغات حتى بين أفراد نفس المجموعة

اللغوية الواحدة ، وتعمل فيه أحيانا دوافع نفسية أو سيكولوحية إلخ .

وكان العرب يعتبرون التغير في أي شكل من أشكاله يخرج اللفظ من مستوى الفصاحة ويجعله مولدا ، والمولد في نظرهم محدث وهو إما مقبول أو مرفوض ، يرى مثلا الناقد حازم القرطاجني " أن اللفظ عندما يستعمله العرب كثيرا فهو حسن وفصيح ، وقد تستعمله العرب وخاصة المحدثين بكثرة دون عامتهم فيكون مقبولا، أما إذا كثر استعماله على ألسنة العامة واستغنت عنه العرب بتغيير اللفظ فهو مرفوض"(المزهر ج 1 ، ص190)، لماذا؟ لأن التغير في نظرهم يؤدي إلى الابتذال ، وهذا مصطلح كان يروج كثيرا عند البلاعيين أمثال حازم القرطاجني فاللفظ يصبح مبتذلا ، إذا كثر استعماله، خصوصا إذا كان الاستعمال في اتجاه عمودي إلى عصر الاستشهاد فإنه يؤدي إلى العكس من ذلك إلى الفصاحة لا إلى الابتذال المرفوض .

2 - مفهوم التطور اللغوي :

من المفاهيم اللسانية التي استعارها علماء اللغة من الدراسات اللغوية الغربية مفهوم (التطور اللغوي) بمقتضى تمييزهم حسب ثنائية التحقيب والتزامن تبين المنظور التاريخي للغة والمظور الواقعي الذي آلت إليه اللغة . والمنهج الوصفي الذي ساد مع التيار البنيوي ، إنما ركز في دراساته على اللغة في وضعها التزامني، وهذا شيء ينسجم مع الواقع اللغوي الغربي فلم يعد أحد يتكلم اللغة اللاتينية أو الإغريقية التي انبثقت عنها كثير من اللغات الأوربية الحالية . لقد انقطعت الصلة مثلا بين اللغة الفرنسية الحالية واللاتينية القديمة وهي اللغة الأم لها بحكم قوانين التطور اللغوي التي تصيب اللغة في كيانها الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو الدلالي .. وعمر اللغات الحديثة الفرعية لا يقدر بقرون كثيرة مثلما هو الحال في اللغة العربية التي انتشرت في البلاد الإسلامية منذ 15 قرنا ، وبقيت نشيطة مستعملة في المجال الثقافي والإداري والأدبي مثلما يلاحظ كثير من

الباحثين الذي يتحدثون عن حيوية اللغة العربية وقابليتها للإيفاء بحاجيات العصر . لكن المسألة لا يمكن الحسم فيها بهذه البساطة. فالتغير الذي يتحدث عنه اللغويون والذي يحصل في لغة ما خلال مسارها التاريخي له أبعاد متعددة ، فهناك التغير الذي يحدث في اللغة بفعل الانتشار في الزمان والمكان ، وهناك التغير الذي يحدثه الأفراد المتكلمون حسب أحوالهم النفسية والثقافية والاجتماعية ...إلخ .

فالتداخل بين هذه العوامل يجعل عملية الحسم ليست يسيرة ، وقد حاول علماء اللغة أن يوجدوا قاعدة لضبط تيار عوامل التغير الجارفة ، يمكن تسميتها بقاعدة التغير اللغوي ، ولاحظوا أن لكل لغة معدل تغير يكاد يكون ثابتا ، ولكنه بطيء جدا، كما أنه ليس واحدا بالنسبة لجميع اللغات . وهذا ما يفسر بقاء الاتصال بين الأجيال المتعاقبة مستمرا بشكل من الأشكال رغم ما يصيب اللغة من تحولات بفعل الزمن واختلاف أوضاع الاستعمال. واللغة العربية لا يمكن أن تشكل شذوذا عن هذه القاعدة، لكننا لا يمكن أن نسقط على مسارها مسار غيرها من اللغات الغربية التي أضحت أمهاتها ضمن اللغات الميتة ، وقد لاحظ مثلا فيرجسون عالم اللغة الاجتماعي في دائرة المعارف البريطانية أن اللغة العربية تتغير ببطء "فدرجة الاختلاف مثلا بين عربية القرن 18 وعربية القرن 20 أقل قلة واضحة منها بين إنجليزيتي هذين القرنين " (اللسان 83/20). وعلى هذا الأساس يرى كثير من علمائنا أن العربية لم يطرأ عليها تغير شديد. والسبب في دلك كما يجمع على ذلك جل الباحثين يعود إلى أنها لغة القرآن الشيء الذي حال بينها وبين طفرات التغير، وحد من تأثير اختلاف البيئات والتباين الحاصل بين مستويات الاستعمال في اللغة العربية ، لكن معيار الفصاحة الذي تبناه علماء اللغة قديما وقف سدا في وجه نشاطها وحركيتها كما سنرى .

3 ـ مسالك التطور في الفصحى :

تقتضي دينامية التطور حصول تحولات في البنية اللغوية على جميع المستويات ، ومعنى ذلك أن اللغة العربية

ليست بدعا، فالتغير الذي يصيب الفصحى قد يكون ظاهرا أو خفيا رغم أي مجهود يسعى إلى تهميشه ، لذا يعترض الشيخ أمين الخولي على الفهم القاصر لمدلول " التطور اللغوي"،الحاصل في اللغة العربية فيقول " يقرر الإخصائيون ... أن التطور يتم مع الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ، وبالفصيح من مفرداتها وشواردها ، ولا ندري أي تطور هذا الذي يكون بلا تغير".

لكن علماء اللغة خلال فترة التدوين كان لهم موقف سلبي من فكرة التغير ، لعدة أسباب ، يأتي على رأسها معيار الفصاحة الذي شكل مرجعية حاسمة في اختيار لغات القبائل التي قد تستجيب للمقاييس التي حددوها وإقصاء ما عداها، ومن هذه الأسباب أيضا المنهج الذي وظفوه في عملية الانتقاء والتصفية، كان يتنافى مع التصور التاريخي للتطور اللغوي في شبه جزيرة العرب ، بحيث إنهم كانوا يسعون إلى " تقعيد اللغة تقعيدا تزامنيا ، أي أنهم يريدون أن ينهجوا النهج الوصفي للغة . فأسقطوا من حسبانهم الظواهر التاريخية ، ومنها بطبيعة الحال التنوعات اللغوية الموجودة في أطراف الجزيرة العربية، بل وأن ينعتوها بالفساد اللغوي"، فالمنهج الوصفي إذن كان عامل انتقاء زمانيا ومكانيا أدى عمليا إلى تهميش لغات كثيرة بسبب ما لاحظه علماء اللغة من ظواهر لا تنسجم مع معيار الفصاحة ، هكذا ذهبت لغات كانت تتم بلكنات معينة لم تدرج إلا على نطاق ضيق في الأقيسة الشاذة التي تذخر بها كتب النحو التي تعوزها وسائل التدليل في العلل والتأويل ، فتعقدت المادة النحوية قديما إلى حد الألغاز .

وهذه اللغات ، وإن كانت مهمشة على مستوى التدوين ووظفت بعضها لغايات جدلية بين مدرستي الكوفة والبصرة، فإنها لم تمت على ألسنة المستعملين من أصحابها ، وسنجدها فيما بعد تشكل رافدا مهما مما سيسمى باللهجات...

وهكذا سارت اللغة العربية بعد عملية التصفية والانتقاء في مسلكين :

المسلك الفصيح الذي انبنى على الأسس التي وصفها النحاة واللغويون والبلاغيون والـــذي ســـار على هجه كبار الشعراء وكـــتاب الدواويـــن ، وأصحاب العلوم المخـــتلفة ، والمسلك اللهجي الذي يعد امـــتدادا للغـــات العربية القديمة يضاف إليها ما استجد من مولد ودخيل ومعرب ...إلخ .

يـــرى كـــثير من الباحثين أن مفهوم "الـــلهجة " قديما أو حديثا يمكن تفسيره بمعـــنى الـــتطور اللغوي أو التنوع داخل نفـــس اللغة التي انبثقت عنها اللهجة . يقول د. حسني محمود: "إن ما نتعارف عـــلى تسميته (لهجة)، كان العرب قديما يطلقون عليه (لغة) أو كلمة (لحن) .. أما اللغـــة عـــندهم فكان يشار إليها بلفظ (لسان) ثم يضيف " وما كان يسمى في كتـــب اللغـــة والـــنحو (لغـــة) مـــن الاســـتعمالات غـــير المألوفة أو قل غير صحيحة ، تلك الاستعمالات التي نسبت إلى هذيـــل أو عقيل أو أسد أو طيء أو غـــير هؤلاء ، لم يكن إلا من قبيل هذا التطور في اللغة" (اللسان 83/20) .

ويـــدرج العلاقـــة بـــين الفصحى ولهجاتها ضمن ما يسمى بالتنوع اللغوي (La diglossie) الـــذي يراه طبيعيا وغير مقصور على اللغة العربية وحدها ، وإنما هـــي سمات تتسم بها سائر اللغات الحية الكبرى .

ولقد أثار استعمال مصطلح " التنوع اللغوي diglossie " في وصف العلاقة بين اللغـــة الفصـــحى ولهجاتها ردودا متباينة عندما أطلقه عالم اللسانيات الاجتماعية (فيرجسون C.A Furguson) لوصف حالة اللغـــات العربـــية في مقـــال له نشـــره بالانسيكلوبيدية الإنجليزية، خصوصا من قـــبل اللســـانيين العـــرب الذين تناولوه بالنقد. أما "فيرجسون " فهو بعد زيارة لـــبعض الـــدول العربية (خصوصا مصر والســـودان) ، يـــرى أن مصـــطلح " diglossie " أنسب من غيره للتمثيل على وضع اللغة العربية في العالم العربي . فماذا يقصد بهذا المصطلح ؟

يـــرى فيرجسون أن (La Diglossie) التـــنوع اللغوي ، وضعية لسانية تعكس تـــنوعين (Variétés) أو أكثر لنفس اللغة

الواحدة ، تستعمل من قبل المتكلمين في ظـروف مختلفة بحيث يؤدي كل تنوع دورا محدودا . يقع اكتساب التنوع الأول في ظروف طبيعية وهو ما يطلق عليه اسم "لغـة الأم" ، ويستعمل في محيط الأسرة والأصـدقاء .. أمـا التنوع الثاني فهو يكتسب عن طريق نظام التعليم ويستعمل غالـبا في مستوى الكتابة أو في المواقف الخطابـية الرسمية ويكون موازيا للأول . لكـنه مخـتلف عنه ، بحيث يكون أكثر تعقـيدا عـلى المستوى النحوي ويكون حـاملا لأدب واسـع رفيع مكتوب .. ويقترح فيرجسون ، للتمييز بينهما تسمية التنوع الأول : (Variété) الذي اكتسب للاستعمال المحلي باسم " النوع الأدنى "، والنوع الموازي الذي اكتسب عن طريق المدرسـة " بالـنوع الأعـلى " . وهذا الموقف يتناسب مع مفهوم التعقيد النسقي للغـة في العصـر الحديث . لم يعد أحد يقول بنقاء اللغة وصفاء معجمها وخلوها مـن الـتأثير والـتأثر خارجيا باللغات المجاورة، أو داخليا بفعل استعمال أصناف متباينة من الطبقات الاجتماعية والثقافية للغة ، مما يؤدي داخل اللغة الواحدة إلى ظهـور مستويات أو تنوعات (Variétés) سواء على المستوى الصوتي أو الصرفي أو التركيـبي ، تشكل بدورها أنساقا فرعية داخـل النسق الأم. وهذا ما يطلق عليه بعض الباحثين اسم " اختلاط السنن MC" ويقصـد به وجود تنوع (Variété) أو عـدة تـنوعات لغوية مختلفة في خطاب المتكـلمين، ويعزى ذلك لعدة أسباب . مـن بيـنها استعراض المستوى الثقافي للمتكـلم ، وأحيانا يكون السبب راجعا إلى المـيل إلى عدم بذل الجهد في البحث عـن اللفظ المناسب، فيستعير المتكلم أي لفـظ عـنّ له بالصدفة،وقد يكون من مصدر مخالف للسنن الذي يتحدث به . وأكثر ما تكون الاستعارة بين سنن وآخر عـلى مسـتوى المعجم وهذا ما جعل "الدراسات تنصب على ظاهرة اختلاط السنن " (حولييت سائب 90) .

وإذا كـان بعض الباحثين قد أبدى تحفظـا تجاه مفهوم (La diglossie) وما يترتـب عـنها من القول بالتغير اللغوي داخل النسق اللساني الواحد ، فإن آخرين

قـــد تبـــنوه جملة وتفصيلا وحاولوا أن يفســـروا العلاقـــة بين الفصحى والعامية عـــلى ضوئه . ومن هؤلاء د. مصطفى زكـــي الـــتوني في كـــتابه (علل التغيير اللغوي) فهو يعقد فصلا كاملا في كتابه لتحلـــيل ماهية : "التنوع في إطار اللغة الواحـــدة (التوني 93) ، وبعد أن يشرح معـــنى "التـــنوع" في اللغـــات الإنجليزية والإســـبانية وغيرهما والعوامل الفاعلة في ظل دلك ، ينتقل إلى وضعية اللغة العربية ولهجاتها واستعمال المتكلم العربي لمختلف التنوعات اللغوية داخلها ويلاحظ أننا : "أيـــنما سرنا في البلدان العربية نجد اللغة العربـــية جـــنبا إلى جنـــب مع اللهجة الدارجـــة، وتعـــد اللغة العربية الفصحى المســـتوى الرفـــيع (H) ، وتعد اللهجة العربـــية الدارجـــة المستوى الأدنى (L) ويســـتخدم المســـتوى الأول في التعليم والطـــباعة والمواقف الرسمية في حين أن المســـتوى الثاني يستخدم في المواقف التي هـــي دون المواقف السابقة في المعاملات الأسرية والبيع والشراء وبين الأصدقاء " (نفســـه) فهو يستعمل نفس مصطلحات "فيرجســـون" دون الإشارة إليه طبعا ، ويرى أن ظاهرة التنوع في مستوى اللغة العربية كانت دائما بارزة حتى في أعصر الاحـــتجاج ، وهـــو يشير هنا إلى لغة المولديـــن التي كانت هي اللغة العامية إذ ذاك ، وقد كانت لغة خالية من الإعراب ولذلك اعتبرها اللغويون - كما أشرنا - لغـــة فاسدة، فقد روي عن حماد الراوية وهـــو مشهور بغزارة حفظه وروايته للغة والشـــعر، أنـــه " كان يكذب ويلحن ويكسر، فأجاب حماد : يا أخي إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها " ، ويروي عن الجاحظ قوله: "إذا سمعت بنادرة من نـــوادر العـــوام وملحة من ملح الحشوة والطعـــام ، فإيـــاك أن تســـتعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا ... فإن ذلـــك يفســـد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها " (د.عبد العزيز مطر 67).

ومعـــنى ذلك : أن المؤلف يرى أن هـــذه التنوعات بين اللهجات من جهة وبيـــنها وبين الفصحى من جهة أخرى طبيعـــية ويمكـــن للباحث أن يبرزها من الناحـــية اللغوية، حسب قوانين المماثلة

والقلب المكاني والقياس والصياغة الصرفية والتركيبية المعروفة عند اللغويين.

فبالنسبة لقانون المماثلة في إحداث التنوع اللغوي ، يقال إن بني تميم كانت "تقلب السين ضادا مع بعض الأصوات المفخمة كأصوات الإطباق وكذلك مع القاف .. " مثل " السقر والصقر " . وأن قريشا تقول كشطت ويقول غيرهم "قشطت" بإبدال الكاف قافا ، وبعضهم يبدل السين زايا في "غرس وغرز" ...إلخ. وقد لاحظ نفس الظاهرة أبو بكر الربيدي صاحب كتاب " لحن العامة " لدى الأندلسيين ، فهم ينطقون " حمن " بإبدال النون ميما مثلما يحدث في اللهجة المغربية، فيقولون ، " حمم "، وينطقون "حق" بإبدال القاف كافا، "حك" إلخ ... ويدخل هذا باب المماثلة .

وبالنسبة لقانون القلب المكاني أورد المؤلف عدة أمثلة ، منها : جذب وجبذ وربض ورضب وصاعقة وصاقعة وصور ممارسته في العاميات متعددة مثل (لعن ونعل) و (معه وعمه) إلخ ...

ومن الظواهر الأخرى للتنوع اللغوي أورد المؤلف التنوعات التي تتم بسقوط نهاية الكلمات فكلمة "طس" أتت من "طست" ، واستعمال "اللي" وهو اختصار يحذف النهاية للذي والتي ، وهي عملية منتشرة في سائر اللهجات العربية تعود في نظر المؤلف إلى قبيلة ربيعة التي كانت تسقط "نون اللذين واللتين " ، وهكذا .. ولكن العلاقة بين الفصحى وعامياتها تتضح أكثر على مستوى المعجم، وقد أنجزت عدة دراسات حديثة لبيان الرصيد المشترك بين الفصحى واللهجات العامية من جهة كما أن هناك أبحاثا أخرى للكشف عن الرصيد المشترك بين العاميات نفسها من جهة أخرى .

يبدو أن المعجم الفصيح كانت له مكانة خاصة ودور حاسم في تحديد المستوى اللغوي لأي لهجة عربية .. فكلما ارتفع مستوى الحديث قليلا أو كثيرا عن معالجة الأمور العادية في الحياة اليومية وجدنا المتكلمين يرتفعون بمعجمهم إلى المستوى الفصيح ، نلمس ذلك في الملتقيات الثقافية وفي الأحاديث

الجادة التي تتطلب نوعا من الدقة في استعمال المفردات. لذلك يرى بعض الباحثين أن الفصحى بقيت بالنسبة للهجات العربية هي النموذج الذي تسعى اللهجات إلى التطور نحوه على مر العصور. بل يمكن اعتبارها تشكل "المعيار اللغوي " لهذه اللهجات . وسنجد هذا واضحا في كتب القراءة التي تؤلف للتلاميذ في المرحلة الابتدائية. يعرض د. فتحي يونس دراسة لمحمد قدري لطفي تشير إلى: " أن حوالي 073% من الكلمات ذات التكرار العالي في كتب القراءة .. في المرحلة الابتدائية موجود في اللغة العامية"، كما أنه نقل عن محمد محمود رضوان في دراسة حول " تعليم القراءة للمبتدئين " أن "حوالي 080% من كلمات الأطفال المصريين الذين لم يدخلوا المدرسة بعد توجد في اللغة الفصحى " ، والمؤلف نفسه أجرى دراسة ميدانية انكشف له من خلالها " أن الكلمات التي تمت بصلة إلى الفصحى والموجودة في لغة الأطفال المصريين الشفهية قد بلغت 03.5% في السنة الأولى الابتدائية و 2.5 % في السنة الثانية و 02% في السنة الثالثة) .

وهذه النتائج التي توصل إليها الباحثون نستخلص منها ملاحظتين : الأولى كما يلاحظ د. يونس نفسه تتعلق بمكانة الرصيد المعجمي الفصيح في لغة الأطفال التي تؤكد أن الفرق بينه وبين العامية يكاد يكون غير ذي أهمية مما يوحي بالمبالغة في تقديره . والملاحظة الثانية تؤكد ما قدمناه سابقا من أنه كلما ارتقى مستوى المتكلم من الناحية التعليمية اقتربت لغته من النموذج الفصيح .

وقد أجريت دراسات على مستوى النطق بهذه المفردات المشتركة بين الفصحى والعامية ، وقد قلنا إن التغيير الذي يحصل في الفصحى كثيرا ما يرتبط بنطق المفردات فينتج عن تنوعات تحدث بفعل القلب المكاني أو الحذف أو الإبدال إلخ ... لا يكفي أن تكون المفردات مشتركة ، يجب أن يكون هناك تطابق على مستوى التلفظ حتى لا يحصل خلل في الفهم ، وهذا ما حاول أن يرصده بعض الباحثين في لغة الأطفال ، فعمد إلى جمع عينة تتكون من المفردات الأكثر

شيوعا في أحاديثهم ليرى مدى اتفاقها من حيث التلفظ مع الفصحى، كانت العينة تتألف من 372 مفردة شائعة فوجد " أن 79 كلمة من بين ال 372 لا تختلف عن الفصحى في النطق إلا بتغيير واحد في أحد أصوات الكلمة بنسبة 21% وإن من بينها 28 كلمة تفترق عن نظرائها في الفصحى في تغييرين اثنين بنسبة 8% تقريبا .. ويتضح من خلال هذه الأرقام أن نسبة الالتقاء تصل إلى 81% " (محمود السيد 85).

إن هذه الدراسات وأمثالها تحاول أن تبين لنا أن العاميات ، عكس ما يقال عنها، لم تنفصل عن الإطار الفصيح، فهي في ديناميتها لا تنزع إلى الانفصال عنه بل تجعل منه معيارا ونموذجا للتطور والترقي داخله . لكننا - كما نلاحظ - نتحدث عن عاميات وليس عن عامية واحدة، تنتشر في ربوع العالم العربي شرقا وغربا ، فالمسار اللغوي لكل عامية يختلف عن الأخرى بحكم التاريخ والظروف الإقليمية التي تأثرت بها . وقد لاحظ ذلك ابن هشام اللخمي (ت 577 هـ) عندما ألف كتابه " المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان" (عبد العزيز مطر 67) ليوضح من خلاله أن لحن عامة الأندلس يختلف عن لحن عامة المشرق . وللرد على كتابي " لحن العامة " لأبي بكر الزبيدي و " تثقيف اللسان وتلقيح الجنان " لأبي حفص بن مكي الصقلي اللذين سارا تقريبا على النهج المشرقي في معالجة اللهجات العامية ينطلق ابن هشام من فكرة "توسيع دائرة الصواب " ليشمل اللغات العامية إذا ما دل على كلامها وجه يجعلها ضمن دائرة الصواب، ولهذا حاول أن يدافع عن عامية الأندلسيين ملتمسا لما يقولونه عذرا معقولا أو وجها من الصواب ، فقد رد على الزبيدي تصويبه " غلقت الباب " بدون تشديد الشائعة في لهجة الأندلس ، ولم يعتبرها لحنا ، وروى أن اللغوي ابن دريد (حكي فيه : غلقت (بالتخفيف) وهي لغة ضعيفة ، والأفصح في ذلك : غلقت ثم أغلقت ، وهي وإن كانت لغة ضعيفة فلا يجب أن تلحن بها العامة ، لأنها من كلام العرب ، وإن قلت

وضعفت) ، ويرد عليه في تخطئته قولهم "نبلة " لواحدة النبل " إن ابن جني حكى أن واحد النبل نبلة ، فلا معنى لإنكاره على العامة على قلته " ويرد كذلك على تخطئة الأندلسيين في قولهم " أجاص" للكمثرى ، ويستشهد بأبي حنيفة الذي يقول " الإجاص عند أهل الشام الكمثرى ، ويسمون الإجاص (المشمش)، وإذا كانت هذه لغة شامية ومنهم بنو أمية الذين حكموا الأندلس ونشروا بها لغتهم ، فكيف تلحن بها العامة.

ومن هذا المنطلق أيضا تناول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله الباحث المغربي مسألة حيوية اللغة العربية كما تتجلى من خلال العاميات العربية المختلفة ، وحاول أن يقيم الدليل على وجود أكثر من رباط بين العاميات العربية مستندا في ذلك على نموذج العلاقة بين اللهجة المغربية واللهجة المصرية في القاهرة . ويبدو لي أن الباحث المغربي عمد إلى المقارنة بلهجة القاهرة بعد أن تأسس في مجمع اللغة العربية لجنة للهجات التي تكفلت باستقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا في معاجم وأطالس لغوية ، وقد اتخذت اللجنة لهجة القاهرة مقياسا ...) (اللسان 84/22) ، وبعد تحليل مصادر اللهجتين المصرية والمغربية غير الفصحى كاللغة الفارسية والتركية .

فاللهجتان تلتقيان في عدة مفردات ، وللدلالة على ذلك أشار إلى دراسة أجريت على 59 كلمة من صميم لهجة القاهرة اتضح من خلالها أن 35 كلمة فيها مشتركة مع اللهجة المغربية ، وهذا ما شجع الأستاد ابن عبد الله لإعداد نموذج لقاموس للعامية المغربية والمصرية نشره بمجلة اللسان العربي الذي يشرف على إصدارها مكتب تنسيق التعريب بالرباط (العدد 1984/22) .

وهذا التقاطع بين اللهجات العربية لا يهم فقط ما أشار إليه الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله بصدد تأليفه لقاموس اللهجة المصرية المغربية ، فقد قام د.إبراهيم السامرائي بمحاولة لجرد الألفاظ

الفصيحة في اللغة العراقية الدارجة في كتابه : (تنمية اللغة العربية في العصر الحديث) ، ونحن عندما نتأمل عينة من هذه المفردات سنجد كثيرا منها رائجا عندنا في المغرب بنفس المعنى والاستعمال، وهذه أمثلة :

بزل (شق) - تختخ العجين (إذا خمر) - الجزة (صوف الشاة) -جمز (قفز/عدا) - حجل (رفع رجلا وقفز على الأخرى) - شبح (مده ليجلده) - شكوة اللبن (وعاؤها) - الشياط (الاحتراق) - النحط (شبه الزفير) - الهرس (الدق) - خنزر (نظر بمؤخرة عينه)-دحس(أدخل الشيء بالقوة) - تربع (جلس جامعا قدميه) إلخ.

ويفسر د. السامرائي وجود مثل هذه المفردات في اللسان العراقي اللهجي بكونها فصيحة في بداية أمرها ، فيحدث للواحدة منها أن " تبتعد عن اللغة الفصيحة فيعزف عنها أهل الاستعمال وتستقر في اللغات الدارجة حتى ليخيل لكثيرين أن الكلمة عامية ولا صلة لها بالفصيحة " . وقد أشار إلى أن أحد أعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق (وهو الأستاذ شفيق جبري) كان يسمى مثل هذه الألفاظ بـ "بقايا الفصاح" والواقع أن كثيرا من هذه البقايا الفصيحة منثورة في كل اللهجات العربية وهي التي تشكل الرصيد المشترك بين المناطق العربية التي يساعد على حسن التواصل بين سكانها ، ويمثل في نفس الوقت الأساس اللغوي الذي يربط بين المتعلمين وتراثهم العربي والإسلامي ، ومن هنا دعت الحاجة إلى مزيد من البحث لتحديد ما يوحد بين اللهجات فيما بينها من جهة ، وما يوحدها مع الفصحى في مستواها العالي من جهة أخرى .

عباس محمد الصوري

مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط

مراجع البحث

1- أمين الخولي : مشكلات حياتنا اللغوية ، دار المعرفة القاهرة 1956 .

2- حسن ظاظا : كلام العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت 1976 .

3- مصطفى زكي التوني : علل التغيير اللغوي ، حوليات كلية الآداب / جامعة الكويت 1973 .

4- ابن خلدون : المقدمة ، دار القلم ، بيروت ط. السادسة 1986 .

5- منذر عياشي : قضايا لسانية وحضارية ، طلاس ، دمشق 1991 .

6- د. فتحي يونس تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب، دار الثقافة بالقاهرة 1978.

7- يوهان فك : العربية دراسات في اللغة والـلهجات والأساليب ، ترجمة د. عبد الحلـيم النجار ، مطبعة الكتاب العربي ، القاهرة 1951 .

8- د. محمود السيد : في قضايا اللغة التربوية ، وكالة المطبوعات ، الكويت .

9- د. عبد العزيز مطر : لحن العامة ، درا الكتاب العربي ، القاهرة 1967 .

10- د. إبراهـيم السامرائي : تنمية اللغة العربـية في العصـر الحديـث ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة 1973 .

- أعداد من مجلة اللسان العربي / مكتب تنسيق التعريب بالرباط .

العامي الفصيح

من المعجم الوسيط (باب الغين وباب الفاء)*

للأستاذ الدكتور أمين علي السيد

تقديم :

يرجع تاريخ هذا العمل إلى عام (١٩٩٠) حين كان موضوعا للبحث المقترح في المؤتمر الذي يعقد في كل عام مرة .

وفي ذلك العام وما بعده قدمت للمؤتمر ما يأتي :

في عام (١٩٩٠م) قدمت: باب الهمزة وباب الباء وباب التاء وباب الثاء.

وفي عام (١٩٩١م) قدمت : باب الجيم وباب الحاء .

وفي عام (١٩٩٢م)قدمت:باب الخاء وباب الدال وباب الذال وباب الراء.

وفي عام (١٩٩٣م) قدمت: باب الزاي وباب السين وباب الشين وباب الصاد وباب الضاد .

وكان هذا خاتمة الجزء الأول من المعجم الوسيط .

ثم انشغلت ببحث عن تقارض الصيغ بين مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي.

وفي مؤتمر العام الماضي (١٩٩٧م) قدمت باب الطاء وباب الظاء وباب العين .

وفي هذا العام (١٩٩٨م) أتقدم بباب الغين وباب الفاء .

وقد عقدت العزم على المتابعة ، راجيا العون من الله العلي القدير ، حتى يتم هذا العمل ، ليكون أساسا لمعجم (العامي الفصيح من المعجم الوسيط) .

والله من وراء القصد .

باب الغين

• الغاز : حالة من حالات المادة الثلاث. وقد أصبحت كلمة الغاز عند العوام كثيرة الاستعمال ؛ لاستخدامه في المواقد والإضاءة والتدفئة وغيرها . ويعرفون غاز الخردل السام المستخدم في الحروب .

* ألقي هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأحد ٢٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ٢٢ من مارس (آدار) سنة ١٩٩٨م .

• الغازوزة : شراب حلو له ألوان مختلفة ، لكل لون طعم خاص به ، والكلمة مجمعية والجاري على ألسنة العوام (كازوزة) ولعل المجمع يقرها .

• الغب : في الزيارة : زار في الحين بعد الحين، ومن محفوظاتهم زر غبا تزدد حبا. ومن استعماله لهذا المعنى قولهم فلان لا يقنع ولكنه يغب - بضم الغين .

• الغبار : من معجمهم ، ويستعملون كثيرا من مشتقاته مثل اغبر الشيء إذا علاه الغبار، وغبر بمعنى أثار الغبار، وتغبر: تلطخ بالغبار .

• الغبش : ظلمة آخر الليل . وغبش اللون كدرته ، ويستعملونه مجازا فيقولون : فلان أغبش الحظ . ووجه فلان في هذا الأمر كان أغبش .

• الغبط : من كلامهم : فلان مغبوط أي حسن الحال.واعتبط فلان : فرح بالنعمة. والغبيط:ما يوضع على ظهر البعير ليركب، ووعاء ذو عدلين كالخرج يوضع فيه التراب أو السماد تحمله الدواب للفلاح.

• الغبن: في البيع والشراء وسائر المعاملات معروف عندهم ، ومن كلامهم فلان مغبون في البيع أو غيره وتغابن القوم: غبن بعضهم بعضا .

• غبي: الغبي عندهم من لا يفهم ولا يدرك الأشياء والغباوة : عدم الإدراك كالغباء.

• غت : غت فلانا في الماء : غمسه فيه. وغت الدابة بالسوط : ضربها به ومن كلامهم : فلان غت فلانا بالسكين إذا طعنه.

• الغجر : قوم حفاة منتشرون في جميع القارات ، يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم ، ويعتمدون في معاشهم على التجارة ، والواحد منهم غجري ، والعوام يقولون : فلان غجري إذا ساءت أخلاقه .

• الغدر : غدر فلانا : نقض عهده ، وترك الوفاء به ، فهو غادر ، وغدار ، وغدور وهي غادرة وغدارة.وغادر المكان مغادرة: تركه ، ومنه رسم المغادرة . والغدارة : آلة لإطلاق القذائف بين المسدس والبندقية . والغدفة : شبه القناع تلبسه نساء الأعراب، والعامة يقولون غطفة . وغداه : أطعمه الغداء . والغد: اليوم الذي بعد يومك ، واليوم المترقب

وإن كان بعيدا ، ومن محفوظ بعضهم إن غدا لناظره قريب .

• غربــت : الشمس غروبا : اختفت في مغــربها. وغــرب فلان غربة : بعُد عن وطنه،وكذلك: تغرب. واستغرب الشيء: عده غريبا . ويقولون حبلك على غاربك - يــريدون اذهب حيث شئت. والغراب معــروف ، ومن معجمهم غراب البين ، ومنه إذا شاب الغراب . والغرب : جهة غــروب الشــمس . والغريــب : غير المعــروف أو المألوف ، والرجل ليس من القــوم ولا مــن البلد . والمغرب مكان غــروب الشمس، وزمان غروبها وبلاد المغرب معروفة ، وكذلك صلاة المغرب .

• غــربل: غــربل الحــب ونحوه : نقاه بالعربال من الشوائب ، وفي المثل : "اللي يغربل الناس ينخلوه". والعربال معروف عندهم ويجمعونه على غرابيل .

• غــرد: غرد الطائر والإنسان تغريدا : رفــع صوته بالغناء ليطرب به ، وقد سموا بناهم بتغريد .

• غــر : رجل غر أي جاهل بالأمور . يقال غره الشيطان ونحوه ، وغرته الدنيا ، ومن كلامهم : دنيا غرور ، وهو مغرور، ورجل أغر أي سيد شريف كريم الفعال ، وهي غراء . واغتر فلانا : طلب غفلته . والغرارة : وعاء من الخيش ونحوه ، يوضع فيه القمح ونحوه . والغر : من ينخدع إذا خــدع . وبــيع الغرر معروف عندهم ، وهو بيع ما يجهله المتبايعان كبيع السمك في الماء. والغرة من كل شيء أوله ، وغرة الشهر ليلة استهلال القمر .

• غرر : غرز الشيء في الشيء : أثبــته فيه. يقال : غرر الإبرة في الثوب ، وغرز العود ونحوه في الأرض . والغريزة: الطبيعة والقريحة والسحية .

• غرس: غرس الشجر ونحوه غرسا: أثبته في الأرض فهو مغروس وغريس وغرس .

• غرض : العرض معروف عندهم بمعنى الهــدف الذي يرمي إليه ، وبمعنى الحاجة والقصــد، ومــن كلامهم عرفت غرض فــلان أي قصــده ، وفلان مغرض أي صاحب غرض في شأن ما .

• غرغر: الغرغرة : ترديد الماء أو الدواء في الحلــق دون بلعه. وغرغرت الروح: ترددت في الحلق عند الموت والاحتضار.

ومن كلامهم : تغرغر فلان بالدواء للغرغرة ، ومنه تغرغرت عيناه إذا تردد فيها الدمع .

• غرف : غرف الطعام : أخذه بيده أو بالمغرفة ، واغترف الماء بيده ، وانغرف الطعام . والغرفة ما غرف من الماء وغيره باليد ، والغرفة : الحجرة (مولد) وهي من معجم العوام ومنه : غرفة فلان ورقم الغرفة ، وغرفة العمليات أو غرفة العناية المركزة بالمستشفيات والغرفة التجارية والغرفة الزراعية أو الصناعية من المتداول بينهم (محدثة) والمغرفة: ما يغرف به الطعام وغيره ويجمعولها على : مغارف ، والفصيح بكسر الميم .

• غرق : يقولون : فلان غرق - بكسر فاء الكلمة إتباعا لكسر عينها ، ومن كلامهم: فلان غرق في الدَّين أو البلوى ، وغرقت السفينة إذا رسبت في الماء ، واستغرق فلان في الضحك إذا بالغ فيه .

• غرم: يقولون : فلان غرم غرامة كبيرة - بكسر فاء الكلمة إتباعا لكسر عينها . والغرام التعلق بالشيء تعلقا لا يستطاع التخلص منه.والغرامة: الخسارة ، وما يلزم أداؤه تأديبا أو تعويضا . ويقولون : حكم القاضي على فلان بالغرامة . والغريم الدائن.والمغرم المولع بالشيء لا يصبر على مفارقته. ويعرفون الغرام بمعنى الحب، ومن الأغاني الشائعة عندهم يا دنيا يا غرامي .

• الغراء : ما يلصق به الورق والجلد والخشب . والعوام ينطقولها غره - يقصرون الممدود ويلحقون به هاء بدلا من المد . والإغراء معروف عندهم ، ومن كلامهم : فلان يغريني بكذا لأفعل كذا. ويكسرون حرف المضارعة أو يلحقون بأول الفعل باء فيقولون : بيغريني . ومنه فتيات الإغراء .

• غزر : من كلامهم : فلان يعطي بغزارة أي بكثرة .

• غز:غز الثوب أو الجسم بالإبرة ونحوها: وخزه وخزا خفيفا (محدثة).

• غزل:غزل الصوف والقطن ونحوهما: فتله خيوطا بالمغزل - وهم يفتحون ميم المغزل،والغزل:الشغف بمحادثة النساء والتودد إليهن.وغازل فلان فلانة:تودد إليها وحادثها، وتغزل فلان بفلانة. والغزال والغزالة من معجمهم. والغزل:

المغـزول. والمغـزل ما يغزل به الصوف ونحوه - بفتح الميم كما سبق ، والفصيح كسرها .

• غـزا : يعـرفون الغزوة بمعنى الحرب والقتال. ويعرفون غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم .

• غسل : غسل الشيء غسلا : أزال عنه الوسـخ ونظفه بالماء ، واغتسل بالماء : غسـل بدنـه به.والغسالة:ما يخرج من الشـيء بالغسل. والغسالة: امرأة حرفتها غسـل الثـياب ، وآلة تغسل الثياب أو الأواني ، وتـدار بالكهـرباء (مجمعـية) والغسول ما يغسل به كالصابون ونحوه. والغسـيل ما يغسل من الثياب . والمغسل موضـع الغسـل. والمغسلة المكان العام لغسـل الملابـس ، وخشبة يغسل عليها الميت (محدثتان).

• غش : غش صدره : انطوى على الحقد والضغينة،وغش صاحبه غشا:أظهر له غير ما يضمر. وغش الطالب في الامتحان فهو غاش (مولد) وغششه : أمكنه من الغش (محدثة)والغشاش والمغشوش من معجمهم.

• غشـم : يعرفون من هذه المادة كلمة "غشيم" بمعنى الجاهل بالأمور وهي محدثة.

• غشـى : ومـن هذه المادة يعرفون : الغشاء والغشاوة والغشية غشية الموت وما ينوب الإنسان حينئذ من غيبوبة .

• غصـب : غصب الشيء غصبا أخذه قهرا وظلما . وجرائم الاغتصاب مما شاع في بعض المجتمعات .

• غص : الغصة : ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب .

• غصن : غصن الغصن غصنا : قطعه . والغصـن مـا تشعب من ساق الشجرة والغصون والأغصان من معجمهم .

• غضـب: غضب عليه غضبا : سخط عليه وأراد الانتقام منه. فهو غضبان وهي غضـبانة. وأغضـبه حمله على الغضب. والغضـب انفعـال يؤدي إلى الاعتداء. والمغضوب عليهم يكررونها في قراءة الفاتحة.

• الغضـروف : كل عظم لين رخص في أي موضـع كان . وهو معروف عندهم وجمعـه غضاريف . ويقولون عند فلان انزلاق غضروفي .

• غـض:غـض البصر وغض الصوت : كفه وخفضه . وغض فلان حقه : نقصه

إيـــاه. والغضاضـــة : الذلـــة والمنقصة ، والغضاضة العيب .

• الغضنفر : من معجم العوام ، ويعرفون أنه الأسد .

• غضـــن : من كلامهم : قال فلان في غضون حديثه كذا وكذا ، أي في أثنائه . ومـــنه وجـــه فلان تغضن ، وفي وجهه غضون كثيرة أي نتن وتكسر .

• غضـــا : يعرفون من هذه المادة : فلان يتغاضـــى عن عيوب فلان ، أي يتغافل عنها ولا يظهرها .

• غطـــرس : يقولون فلان يتغطرس على غـــيره، أي يتكبر ويتطاول ، وفلان فيه شـــيء مـــن الغطرسة ، وبعضهم يعرف الغطريس بضبطه الفصيح .

• غطـــس في الماء غطسا : انغمس فيه ، وغطـــس الشـــيء في الماء : غمسه فيه ، وغطـــس فـــلان فلانـــا . والغاطس من الســـفينة أســـفلها الـــذي يغيب في الماء (محدثة) والغطاس عيد من أعياد النصارى، يسمونه عيد الغطاس،يحتفلون فيه بذكرى تعمـــيد المسيح . والغطاس : من حرفته الغطس،والغطيس الأسود.والمغطس -بفتح الطاء عندهم - موضع الغطس في الحمام .

• غط : غط في نومه : سمع له صوت ، وغـــط الـــنائم، وغـــط المذبوح وغط المخنوق، ومن كلامهم فلان يغط في نومه - بضـــم الغين - ومنه غط الشيء في الماء غطا أي غطسه وغمسه فيه . وفلان انغط في المـــاء أي انغمـــس وغاص فيه . ومنه غطغط عليه النوم إذا غلبه .

• غطا : يعرفون من هذه المادة : الغطاء - مـــع تغـــيير - وغطـــاه وتغطى ، وغطاء المائدة، وغطاء الفراش .

• غفر : غفر الله ذنبه : ستره وعفا عنه ، والله غافـــر وغفور وغفار . واستغفر الله من ذنبه : طلب منه أن يغفره .

• غفل : غفل عن الشيء غفلة : سها من قلـــة التحفظ والتيقظ . وأغفل الشيء : غفـــل عـــنه ، وغفله وأغفله وتغافل أي أظهـــر أنه غافل وليس به غفلة . واستغل فلانـــا إذا ترقـــب غفلته . والمغفل من لا فطنة له .

• غفا : غفا غفوة إذا نام قليلا .

• غلـــب:غلـــب فلان فلانا : قهره فهو غالب وغلاب . وتغلب على بلد كذا :

استولى عليه قهرا . والأغلبية الكثرة . والأغلبية المطلقة ، والأغلبية النسبية (محدثتان).

• غلت : غلت الشيء بالشيء : خلطه به. يقال غلت الحنطة بالشعير ، ويسمون الخليط : غليثة ، ولكنهم يقلبون الثاء تاء. والغليث : الخبز من شعير وحنطة ، مع قلبهم الثاء تاء أيضا .

• غلط : ينطقونها بكسر أولها تبعا لكسر ثانيها ومعناها : أخطأ وجه الصواب ويقولون : غلط في الأمر ، أو في الحساب فهو غلطان . وغالطه ، وغلطه إذا نسبه للغلط والغلطة : المرة من الغلط . والغلاط: الكثير الغلط . والمغلطاني : الذي يغالط الناس في حسابهم .

• غلظ : من هذه المادة يعرفون الغلظة ، والغليظة بمعنى العنف والشدة ، ويعرفون أغلظ الأيمان ، ويعرفون : رجل فيه غلظة أي فظاظة وقسوة .

• غلغل:غلغل الشيء في الشيء:أدخل فيه.

• غلف : لم يستعملوا الفعل الثلاثي ، وإنما استعملوا مضعف العين فقالوا : غلف الشيء ، إذا جعلوا له غلافا ، وتغلف : إذا صار له غلاف . والغلاف معروف عندهم.

• غلق: غلق الباب غلقا : أوصده . وأغلق الباب أوثقه . وغلق الأبواب ، ويحفظون من سورة يوسف قوله تعالى:"وغلقت الأبواب " وانغلق الباب خلاف انفتح .

• غلّ : انغل في الشيء واغتل فيه : دخل. واستغل المزرعة : أخذ غلتها . واستغل فلانا : انتفع منه بغير حق ، ومن كلامهم: فلان رجل استغلالي . والغل : العداوة والحقد الكامن ، ومن كلامهم : فلان يمتلئ قلبه بالغل . ومنه : شفى فلان غليله أي غيظه .

• غلم : العوام لا يعرفون الغلمة ، ولكن يعرفون الغلام والغلمان .

• غلا: غلا السعر : زاد وارتفع ، والسعر الغالي أي المرتفع . واستغلى الشيء : وجده غاليا . والغالي خلاف الرخيص . والغلا ارتفاع السعر . وغلا الماء ونحوه . والغلاية إناء يغلي فيه السائل (مجمعية).

• غمد : يعرفون منها : تغمّد الله فلانا برحمته أي غمره بها .

• غمر : غمر الماء : كثر حتى ستر مقره. وانغمر في الماء انغمس . ومن معجمهم : فلان رجل مغمور أي غير مشهور .

• غمز : غمزت الدابّة أي مالت برحلها في المشي إذا عرجت . وغمز فلان فلانا بالعين أو الحاجب إذا أشار بهما.وغمز زرّ الجرس أي ضغط عليه بإصبعه (محدثة) الغمز : العيب ، والمغموز : المتهم بعيب.

• غمس : غمس الشيء بالماء : غمره به. والغموس : ما يؤتدم به (محدثة) وتغامس القوم : غمس بعضهم بعضا في الماء.

• غمض : غمض المكان والشيء : خفي، وغمضت الدار : بعدت عن الشارع . وغمضت عينه : نام . وغمض عنه في البيع والشراء:تساهل. وغمض عن الشيء:تجاوز.وغمض عينيه:أغمضهما . وغمض في البيع : تساهل . والشيء الغامض: الخفي وهو خلاف الواضح .

• غمط : غمط الحق : أنكره وهو يعلمه. ومن كلامهم : فلان حقه مغموط .

غمغم : الغمغمة : الكلام الذي لا يبين .

• غمغم الأبطال صوتوا عند القتال،وفلان يغمغم أي لا يسمع له صوت ولا يفهم منه كلام .

• غمق : يعرفون الغامق من الألوان ، وهو المائل إلى السواد (مجمعية).

• غم : غم فلان فلانا : حزنه . وغم الثور ونحوه وضع الغمامة على عينيه وهو يدور في الساقية أو الطاحون ، والغمامة في نطقهم : (الغمى) بضم الغين وفتح الميم وألف مقصورة (غمى) واوية يائية . وغم عليها الهلال: لم يروه لغيم أو ضباب،وأكثر عوام المسلمين يحفظون الحديث الشريف: " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما " . ويعرفون الغم بمعنى الحزن ومن كلامهم : انغم فلان أي حزن ، فهو مغموم، والغم : الكرب والحزن . والغمة من معجمهم ، ومن محفوظهم في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم :"نصح الأمة وكشف الغمة ".

• غمى : غمي عليه : عرض له ما أفقده الحس والحركة فهو مغمى عليه ، وأغمى على فلان ، والغماء يوضع على وجه الدابة وهي تدور في الطاحون (محدثة) وينطقونها الغمى كما تقدم .

• غنجت : غنجت المرأة : تدللت على زوجها ، والفصيح كسر النون ، ولكنهم يفتحونها، ويعرفون الغنج والغناج بمعنى الدلال .

• غنم : يعرفون غنيمة الحرب والظفر بمال العدو . والغنم : الفوز بالشيء من غير مشقة . ومن عباراتهم :"الغنم بالغرم" والغنم : القطيع من الماعز والضأن . والغنام: صاحب الغنم والقائم عليها ، والمغنم من معجمهم .

• غنّ : الغنة : صوت يخرج من الخيشوم، وكثير من العوام يعرفون حروف الغنّة عندما يتلون القرآن الكريم ، أو يتعلمون تلاوته .

• غني : الغنى والفقر معروفان عندهم ويستعملون كلمتي الغنى والفقير كثيرا . ومن عباراتهم : الغنى غنى النفس . وأغنى الله فلانا أي جعله غنيا . وتدعو الأم لولدها قائلة : ربنا يغنيك عن خلقه يا ولدي . وغنّى : ترنم بالكلام موزونا أو غير موزون . واستغنى : اغتنى . والأغنية: ما يترنم به من الكلام الموزون وغيره ويجمعونها على الأغاني.والغناء ضد الفقر. والغناء التطريب . والغني : من أسماء الله الحسنى ، ومن أسمائهم عبد الغني، وكذلك المغني والمغنّي : محترف الغناء .

• غاث : غاثه الله وأغاثه : أعانه ونصره. وأغاثهم الله برحمته : كشف شدتهم . والاستغاثة : طلب الغوث .

• غار:غار الماء: ذهب في الأرض . وأغار الجيش على الأعداء.والغار : كل منخفض من الأرض ، والبيت المنقور في الجبل . والغارة : الهجوم على العدو . والمغار والمغارة : الغار في الجبل . وفلان مغوار أي مقاتل كثير الغارات على أعدائه.

• غاص : غاص في الماء غوصا : نزل تحته. وغاص في البحر على اللؤلؤ : نزل تحت الماء ليستخرجه . وفلان يغوص على حقائق العلم ، وما أحسن غوصه عليها !. والغواص : الشديد الغوص ، ومن يحترف الغوص ، والمجتهد في تدبير معاشه . والغواصة : سفينة حربية مهيأة للغوص في الماء والمكث فيه لصيد سفن العد و(محدثة) والمغاص : موضع الغوص ومنه مغاص اللؤلؤ للمكان الذي يستخرج منه .

• غـــاط:عــوط البئر إذا حفرها وأبعد قعرها. وتعوط : تبرز . والغوطة : مجتمع الـــبات والماء ومنه غوطة دمشق ، وهي أحد مناره الدنيا السبعة لكثرة ما فيها من الرياض والفاكهة والرياحين . والغيط من الأشـــياء البعيد القعر ومنه بئر غويطة . والغيط عند أهل مصر : الحقل .

• الغاعـــة : يستعملون هذه الكلمة بمعنى الغوغاء ، وهي الصياح والجلبة ، والسفلة من الناس لكثرة لغطهم وصياحهم .

• غاله : لا يقولون : غاله بمعنى أهلكه ، وإنما يقولون : اغتاله ، والاغتيال : الأخذ عــلى غفلة ، والاغتيالات السياسية من معجمهم، والغول : كل ما أخذ الإنسان من حيث لا يدري فأهلكه ويعدونه أحد المســتحيلات الـثلاثة ، وهـــي (الغول والعنقاء والخل الوفي).

• غـوى : غــوى فـــلان إذا أمعن في الضـــلال، وأغوى فلان فلانا : أضله ، وكذلك استغواه .

• غاب : غاب يغيب - بكســـر حرف المضارعة وغياب وعيب وغيبة وغيبوبة ، وتغيب واغتاب وجل ما أخـــذ من هذه المادة من معجم العوام .

• غـــاث : غـــاث الله البلاد : أنزل بها المطر، الذي يسقي الزرع ويدر الضرع .

• الغادة من الفتيـــات : النـــاعمة اللينة ويسمون بها بناهم .

• غـــار: غار الرجل على المرأة وغارت المـــرأة على الرجل فالرجل غيران والمرأة غـــيرى ، وفلان غيار ، وهي غيارة - إذا انصـــرف أحدهمـــا عـــن الآخر . وغير الإنســـان ثـــيابه أو دابته أو داره أو نحو ذلـــك. وغـــير الشيء : بدل به غيره ، ويقولون : عيرت داري إذا بناها بناء غير الذي كان .

كما يقولون : غيرت مسكني إذا انتقل إلى مسكن آخر . والغيار بمعنى البدال ، وهو الـــبدل من كل شيء ، ومنه الغيار على الجـــرح . و"غـــير" من الكلمات الكثيرة الـــدوران عـــلى ألســـنة العوام ، لكنهم يكســـرون أوله. ولا ضير على الفصحى إذا ضـــمت (غـــير) بكســـر أولهـــا إلى معجمعها .

• الغيط : يطلقه أهل مصر على الحقل ، كما تقدم .

• غاظه : أغضبه أشد الغضب ، وغايظه وغـيظه وهو مغتاظ وعوام مصر يحدثون به قلبا مكانيا ، فيقولون : فلان اتغاظ من فـلان وهـو متغاظ ويكسرون الميم في الكلمة الأخيرة . وكلمة العيظ تجري على ألسنتهم كثيرا ولكنهم يكسرون أولها .

• غامت السماء : غطاها الغيم : وغيمت السماء،وتغيمت،والغيم:السحاب، والغيمة: القطعة من السحاب ، ويستعملون الغيم والغيمة بكثرة ولكنهم يكسرون العين .

• الغايـة : مـن معجمهم ، وكثيرا ما يقرنونها بكلمة النهاية ، فيقولون : ... بلغ الغايـة والـنهاية في الجودة ، وبلغ فلان غايـته، وغايـة الأمـر : كذا وكذا . والغايات من معجمهم ، ويحرفون كلمة غايـة في نحـو قولهم : فلان غيته كذا ، يعـنون رغبته وهدفه . أما قول العرب : هو ولد غية بمعنى ولد زنية " نقيض " هو ولد " رشدة " فلا يعرفونه .

باب الفاء

• فـأد : الفـؤاد بمعـنى القلب ، ومن أسمـائهم: فؤاد ، ومنهم من يحفظ هذه العـبارة القرآنـية :" إن السمع والبصر والفـؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا " ويجمعون الفؤاد على الأفئدة ، ومنهم من يحفظ قولـه تعالى : " نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة " ويذكرونها إذا أصابهم وجع شديد .

• الفأر : حيوان معروف ، وتسهل الهمزة عند العامة والخاصة ، ويجمع على فيران ، وفـأرة الـنجار الـتي يقشر بها الخشب معروفة عندهم ، (محدثة)، ويكنون بقلة الفيران عند الفقر .

• الفأس : آلة ذات يد ملساء من الخشب وسـن عريض من الحديد ، يستخدمها الفـلاح كثيرًا في حقله ، يحفر بها ويعزق الأرض ، ويسهلون همزتها ، ويقولون في جمعها : فوس ، بإسقاط الهمزة.

• فأفـأ : من كلامهم : فلان يفأفئ في كلامـه، ويسكنون حرف المضارعة عند الوصل،ويكسرونه إذا جاء في أول الكلام.

• الفأل:قول أو فعل يستبشر به ، وتسهل الهمزة.ومما يجري على ألسنتهم:فلان دائما متفائل، ولكنهم يكسرون الميم ويسكنون الـتاء . ومن كلامهم : خذوا فألكم من صغاركم ، مع إبدال الذال دالا.

•الفئة:الفئات أكثر شيوعًا على ألسنتهم من الفئة، وبخاصة عند الترشيح لمجلس الشعب أو مجلس الشورى. ومنهم من ينطق الجمع بكسر الفاء وتشديد الياء المفتوحة .

• فته: دقه وكسره . ومن عباراتهم : أحب الرقاق المفتوت باللبن . والفت : كسر الخبز والمشربة بماء اللحم (مولد) . ولا يعرفون الثريد .

• فتح : فتح الله عليه : هيأ له سبل الخير. وفتح الباب المغلق . وفتح الكتاب . وفتح المسلمون مصر . وفتح القاضي الجلسة . وفتح قلبه لفلان . وافتتح الكلام باسم الله. وانفتح الباب . وتفتح اللوز عن القطن . والفاتحة من الكتاب الكريم : سورة الحمد. والفتاح اسم من أسماء الله الحسنى . والفتاحة (مجمعية) والمفتاح : آلة الفتح، والمفاتيح جمعه .

• فتر: فتر الماء الساخن . وفتر العامل عن العمل.وفتر البرد. وفتر السحاب. والفاتر: ما بين الحار والبارد.والفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتهما .

• فتش : فتش الشيء ، وفتش عن الشيء، والفتاش : الذي يكثر التفتيش ويتتبع أمور الناس ، والمفتش : موظف يقوم بتفتيش أعمال حكومية أو غيرها (محدثة) والعوام يقولون : فتش فلان سر فلان أي أذاعه و لم يحفظه .

• فتق:الفتق بمعنى الشق . والمفتقة : أخلاط من عقاقير وأفاوية تعقد بالزيت والعسل وتؤكل للتسمين (محدثة) والفتق: بروز جزء من الأمعاء من فتحة في جدار البطن.

• فتك : فتك به : غدر به واغتاله ، أو قتله مجاهرة . وفتك القطن : نفشه . والفتاك : الشديد الفتك .

• فتل: فتل الحبل ونحوه: لواه وبرمه، فهو مفتول،وفتل الشيء فتله. والفتلة : القطعة من خيط القطن والحرير ونحوهما (محدثة) والفتيلة : ذبالة السراج معروفة عندهم .

• فتن : فلان فتنه المال ، أو فتنته الدنيا ، أو فتنته المرأة بمعنى شغلته وصرفته عما يجب عليه أن يؤديه . وهو مفتون بكذا . والفتان: الشيطان .

• فتاه: فتاه فتوا - غلبه في الفتوة ، والذكر فتى والأنثى فتاة ، واستفتاه في أمر أو مسألة أو شأن : سأله رأيه . والمفتي :

مـــن يتصـــدى بين الناس وهو فقيه تعينه الدولـــة ليجيب عما يشكل من المسائل الشرعية . ومنهم من يحرف كلمة الفتوة وينطق بها الفتونة، ولكن أكثرهم يقولون: الفتوة.

• فجـــأ : فجـــأة الأمر ، وفجأه ، فجأة ومفاجأة ، والفجأة : ما فاجأ الإنسان ، ومـــوت الفجأة ما يأخذ الإنسان بغتة ، وهو موت السكتة .

• الفـــج : الطريق الواسع البعيد معروف مـــن قوله تعالى: " وأذن في الناس بالحج يـــأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ".

• فجـــر : يعرفون الفجور بمعنى الانبعاث في المعاصـــي بغير اكتراث . وفجر الرجل القذيفـــة : أشـــعلها لتنفجر (محدثة) . وانفجـــر اللغـــم . وانفجر فلان باكيا . والفجر : الصبح . والفاجر : الفاسق غير المكـــترث . وفـــلان من الفجار أو من الفجرة. والفجرة : انكشاف ظلمة الليل عـــن نـــور الصبح ، ويفرقون بين الفجر الصادق والفجر الكاذب . والمتفجرات : مواد كيماوية ناسفة تصنع منها القذائف والألغام (مجمعية).

• فجـــل : لا يعرفون من هذه المادة إلا الفجل وواحدته فجلة ، ويكسرون الفاء وهي في اللغة الفصحى بالضم .

• فحش: الفاحشة بمعنى القبيح من قول أو فعل. وجمعها الفواحش. والفحشاء، يطقونها بحذف المد والهمزة من آخرها ، ويضعون مكانهما تاء التأنيث، فيقولون مثلا : فلان يمارس الفحشة ، وربما أرادوا بها الزنا .

• فحص : فحص الطبيب المريض : جسه ليعرف ما به من علة . وفحص عن الأمر: استقصـــى في البحـــث عـــنه . وفحص الكتاب ونحوه: دقق النظر فيه ليعلم كنهه. وفحـــص الإنـــتاج العلمي لفلان تمهيدًا لتعيينه أو لترقيته .

• فحفـــح: يقولـــون مـــن هذه المادة : فحفحت رائحة الطعام ، إذا انتشرت في أنحاء البيت، وهذا المعنى ليس في القاموس المحيط ولا في لسان العرب .

• فحـــل : يعـــرفون الفحل بأنه الذكر القوي من كل حيوان ، والفحل الفحيل: الكريم المنجب . واستفحل الأمر إذا تجاوز الحـــد . ومن عباراتهم : فلان مستفحل

علينا، ولكنهم يكسرون الميم التي في أوله.

• الفحم : الفحم معروف عندهم وهو مادة سوداء ذات مسام تتخلف من إحراق الخشب ونحوه إحراقا جزئيا ، ويفرقون بين الفحم النباتي والفحم الحجري ، ويقولون لبائع الفحم : فحام ، كما يقولون للصبي إذا اشتد بكاؤه : الولد انفحم من شدة البكاء .

• فخت : لا يعرفون من هذه المادة إلا قولهم: فلان فخت عين فلان بمعنى فقأها، ولا يوجد هذا المعنى في القاموس المحيط ولا في لسان العرب ، والذي فيهما : فخت رأسه بالسيف : قطعه ، وفخت الإناء كشفه ..

• فخذ : يعرفون الفخذ ، لكنهم يسكنون الخاء ويقلبون الذال دالا، وتسكين الخاء فصيح ، أما قلب الذال دالا فقد شاع عند العوام .

• فخر : الفخر معروف عندهم ، وكذلك : افتخر فلان بكذا ، وتفاخر بمعنى تعاظم وتكبر ، وتفاخر القوم : فخر بعضهم على بعض . والفخار : أوان تصنع من الطين وتحرق.والفاخورة: مصنع الفخار (محدثة).

• فخفخ : الفخفخة تجري على ألسنتهم وهي الفخر بغير حق .

• فخم : الفخامة : عظم القدر ، وفخمه عظم قدره ورفعه ، والشيء الفخم من معجمهم .

• فدغ : فدغ الشيء فدغا : كسره . وانفدغ الشيء : لان عن يبس .

• فدم : رجل فدم : ثقيل الفهم غبي .

• فدن : الفدان في مصر : مقدار من الأرض الزراعية مساحته ٣٣٣١/٣ قصبة، أو ٤٢٠٠ متر مربع ، وجمعه : فدادين .

• فدى : فداه فداء : استنقذه بمال أو غيره فخلصه مما كان فيه . وفاداه مفاداة وفداء: دفع فديته ، أو قبل فديته وفداه بنفسه : فداه وقال له جعلت فداك . وتفادى الأمر تحاماه . والفداء ما يقدم من مال ونحوه ، وهو في بعض العبادات . والفدائي : المجاهد في سبيل الله أو الوطن، مضحيا بنفسه، والجمع : فدائيون (محدثة) والفدية من معجمهم بنطقها الفصيح .

• فرتك : فرتك الشيء : قطعه مثل الذر، وفرتك النسيج ونحوه : نقضه وأفسده .

• فـرج : فـرج الله الكرب أو الغم : كشـفه . وأفـرج عن الحبيس أطلقه . وأفرج عن المال: أعطاه لصاحبه أو طالبه. وانفـرج الهم : انكشف . وتفرج الرجل على كذا: تسلى بمشاهدته . وتفرج على السـلعة: عايـبها عند الشراء (محدثة) ، والفرج بفتح الفاء والراء من معجمهم ، ومن عباراتهم: فرج الله قريب . والفرجة: مشـاهدة ما يسر (محدثة) ، والفرجية : ثوب واسع الأكمام يتزيا به علماء الدين (محدثـة) ، والفـروج : فرخ الدجاجة والجمـع : فـراريج. ومن محفوظاتهم : "اشتدى أزمة تنفرجي ".

• فـرح : الفـرح بمعنى السرور والرضا الابـتهاج . والفـرح بمعنى بطر النعمة . والفرح : حفلة العرس على المجاز (محدثة) والفرحة : السرور والبشرى . وفرح فلان فلانا : سره بأمر من الأمور .

• أفرخ: من معجمهم: فرخت البيضة إذا انفلقـت عـن الفرخ . وفرخ الزرع إذا نبتـت أغصانه . والفرخ : كل صغير من الحـيوان والنبات والشجر وغيرها ، ومن الـزرع : مـا انفلـق عنه الحب . ومن الورق: صحيفة تختلف مقاييسها حسب حاجـة الاسـتخدام للكـتابة والطباعة (محدثـة) وجمعـه : فروخ . والمفرخة : موضع الاستفراخ وجمعها على مفارخ .

• فـرد : فرد الشيء : إذا جعله أفرادا ، وفـرد الأشـياء : إذا باعد بين بعضها وبعـض (محدثـتان) . وانفرد بالأمر : اسـتبد ولم يشرك معه أحدا . واستفرد بالأمر أو الرأي:انفرد.واستفرد فلانا: خلا به.والإفراد يعرفه الحجاج وهو عدم الجمع بين الحج والعمرة في الإحرام . والفرد : وعـاء مـن الخوص توضع فيه الحبوب كالقمح والأرز ونحوهما (محدثة) والفرد: الواحـد، والأنثى : فردة والفردية: نزوع الفـرد إلى الـتحرير من سلطان الجماعة (محدثـة) ومـن أسمـاء بناتهم "فريدة" وبحذف التاء يسمى الذكر "فريد".

• فـردوس : يعرفون الفردوس اسما من أسمـاء الجـنة ويدعـون قائلين اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى ، ويطلقون اسم " فردوس" على بناتهم .

• فـــر : الفـــرار بمعـــنى الهروب . ومن فكاهـــات العـــوام ما ينسبونه إلى شيخ الخفـــراء من قوله لمأمور المركز بلاغا عن حـــادث ضرب : "قبضنا على المضروب والضـــارب فر هاربًا يا فندم" . ويقول رئيس الجماعة في الجيش عمن غاب بدون إذن : "فلان بلغ فرار يا فندم :.

• فـــرز : فرز الشيء بمعنى ميزه ونحاه . وفـــرز القطـــن ونحوه : فصل رديئه عن جـــيده . وتحديد موعد الفرز للمحدين لأخـــذ اللائـــق منهم بالخدمة . والإفراز معروف كإفراز العرق من مسام الجسد . والفـــراز : مـــن يقوم بفرز الأشياء ليميز الطيـــب مـــن الرديء ومن كلامهم هذا شيء مفروز أو هو على الفرازة .

• فرس : افترس الفريسة : صادها وقتلها. والفـــارس : الماهـــر في ركوب الخيل . وســـلاح الفرسان معروف في الجيش ، والفرسان هم الذين يحاربون على ظهور الخيل . والفراسة : العلم ببواطن الأمور ، ولكنهم يفتحون الفاء في أولها ، والفصيح كسرها ، ومن كلامهم : فراسة فلان لا تخيـــب والفـــرس واحـــد الخيل للذكر والأنثى. وفرس البحر: جنس من الأسماك، وفـــرس النهر : حيوان ثديي معروف . والفريسة : ما يفترس السبع من الحيوان .

• فـــرش : فـــرش النبات يفرش - بكسر حـــرف المضـــارعة : انبسط على وجه الأرض . وفـــرش الشيء فرشا : بسطه . وفـــرش لفلان بساطا أو نحوه : بسطه له في ضيافته. وفرش الدار ونحوها بالحجارة: بسطها فيها . وانفرش الشيء : انبسط . والفراش معروف عندهم . والفراش : ما يفـــرش مـــن متاع البيت . والفراشة : واحـــدة الفراش . والفراشة حرفة الفراش (مجمعية) والفراش : من يتولى أمر الفراش وخدمته في المنازل ونحوها (مجمعية) ومن يؤجـــر الفرش للناس في الأعراس والمآتم ونحوهـــا من سرادقات وبسط وكراسي (مج) والمفرش : غطاء يبسط فوق المائدة ونحوهـــا (محدثـــة) ومن المعروف عندهم الشقة المفروشة .

•فرشح : بمعنى باعد ما بين رجليه . ومن كلامهم : فلان قاعد مفرشح - محرفة -. وفرشـــحت الدابة وسعت ما بين رجليها للحلب .

• فرص : يعرفون من هذه المادة "الفرصة" وهي الشيء المرغوب فيه يسنح ويتسابق إليه الناس ، ويقال : انتهز فلان الفرصة إذا اغتنمها وفاز بها (وهذا التعريف من المعجم الوجيز) والفرصة بالصاد وبالسين، وهكذا ينطقها العوام . ويقول بعضهم لبعض: هذه فرصتك فاغتنمها ، وهذه فرصتك الأخيرة . والفرصة : النوبة تكون بين القوم يتناوبونها على الماء . ويقولون لصاحب النوبة جاءت فرصتك من السقى.

• فرض : الفرض معناه عندهم ما أوجب الله على عباده ، وما يفرضه الإنسان على نفسه . والفريضة : ما أوجبه الله على عباده من حدوده التي بينها بما أمر به ونهى عنه ، والحصة المفروضة بقدر معلوم في الزكاة أو في الميراث ونحوهما . وكثيرا ما يقولون : نفرض أن كذا حدث فماذا نفعل؟ ويكسرون حرف المضارعة . ومن عباراتهم : نفترض حصول كذا بكسر حرف المضارعة أيضا ، ويستعملون من هذا الفعل الماضي والأمر . ويفرقون بين السنة والفرض في العبادات .

• فرط : في معجمهم : انفرط العقد ، إذا تفرقت حباته وهي محدثة ، وفرط في الأمر إذا قصر فيه . والفراطه آلة يفرط بها حب الذرة (محدثة) ويسمونها (مكنة تفريط) وفرط حمل الجمل ، ويفرطه ، وأفرطه بمعنى إنزاله عنه وفك الحبال التي يربط بها المحمول.

• فرطح: فرطح الشيء : بسطه ووسعه . ومنه رغيف مفرطح ، بكسر الميم عندهم.

• فرطس : يعرفون فرطوسة الخنزير ، ويفتحون الفاء ، والفصيح ضمها .

• فرع:في معجمهم من هذه المادة الفرع، والفروع ، وتفرع ولكنهم يسكنون التاء في أوائل هذا الفعل ويجتلبون همزة وصل في أوله ليمكن النطق به،ومتفرع من كذا، مع كسر الميم وإسكان التاء . وهو فارع الطول . وفلان فارعة . وفروع الشجر أغصانها . وفروع الرجل أولاده . وفروع الموضوع ما نشأ عنه .

• فرعن:تفرعن فلان إذا تجبر وطغى وتخلق بأخلاق الفراعنة (مولد) وفرعون : ملك مصر في التاريخ القديم ، وقصته معروفة عند العوام . وهم فراعنة أي طغاة ظلمة.

• فرغ : فرغ الإناء مما كان فيه أي حلا، وهم يضمون الفاء والراء . والإناء فارغ أي حال مما كان فيه . واستفرغ فلان إذا قاء واستفرغ مجهوده في كذا : بذله كله فيه واستقصاه. وتفرغ من العمل : تخلى عــنه. وتفرغ للعمل: تخلّى له . والفراغ والمفرغ. ومن التسائع بينهم : كلام فارغ، وفلان مخه فارغ ، وبيته فارغ . وبين بيتنا وبيــتكم فــراغ أي مكان خال . وفرغ الشيء : أخلاه .

• فرفــر : فرفر القطن إذا نفشه ونقضه . والفرفور : الغلام الشاب بفتح الفاء .

• فــرق : بين الشيئين فرقا : فصل وميز أحدهما عن الآخر.وفرق بين المتخاصمين: حكــم وفصل . وفرق الشيء : قسمه . وفارقــه : بــاعده . وفرق القاضي بين الــزوجين : حكم بالفرقة بينهما . وفرق الشــيء : جعله أحزاء ووزعه . وتفرق الــرجلان : ذهب كل منهما في طريق . والفاروق اسم كثير من الرجال ، ولقب أمــير المؤمنين عمر بن الخطاب ، واسم ملك مصر قبل الثورة . والفراق والفرقة والفرقان والفرق والفريق والفارق والفرقة ومــنه : فــريق الألعاب ، وفرقة المطافئ والفرقة المدرسية (محدثة)

• الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي ثابــت الموقــع تقريبًا ، يهتدى به وهو المسمى بالنجم القطبي ، ولكن العوام في مصر يسمونه : "وتد النجم" .

• فــرقع: الشــيء إذا فجــره وسُمِع له صــوت، وفــرقعة الأصــابع معروفة ، والمفــرقعات : المــتفجرات ، وهي مواد قوية الانفجار تستعمل في الحرب والهدم وبعض الصناعات (محدثة).

• فــرك : فرك الشيء إذا حكه ليزيل ما عليه من القشر. والفريك معروف عندهم وهــو أول ما ينضج من الذرة أو البُر ، والــبر يشوى أول نضجه ثم ييبس ويجش ويطــبخ (محدثة) والمفروكة : طعام لأهل مصر،يتخذ من فطير الذرة ، يفرك ويغطى باللبن والزبد (مولد).

• فــرم : فــرم الــلحم فــرما : فراه (محدثــة) والفــرامة: آلة الفرم (مجمعية) والمفــرمة هــي الفــرامة ، ويستعملونها بفــتح الميم ، والفصيح كسره لأنها اسم آلة .

• الفران : الخباز . والفرن : موقد للخبز وغيره . والأفران معروفة عندهم .

• فرهد: فرهدت نفس الغلام إذا ضاقت. والفرهود والفرهد من الغلمان : الحسن الممتلئ . وفرهد الغلام امتلأ وحسن . والعوام يستعملون الفعل من هذه المادة متعديا فيقولون : هذا الشيء فرهدني بمعنى أتعبني وأجهدني . ومن أسمائهم فرهود، ولكنهم يفتحون الفاء ، والفصيح ضمها قياسًا على : فعلول .

• الفرو : جلد بعض الحيوان ، والفروة : الجلدة ذات الشعر ، ويعرفون فروة الرأس، وفروة الدب ، وفروة الأرنب ، وفروة الثعلب ، ويميزون بينها ، ويستخدمونها . وأبو فروة معروف عند المصريين،يشوي وينزع قشره ثم يؤكل.

• فرى : فرى الشيء : فتته . ويقولون : فلان افترى بمعنى تجبر وظلم غيره ، ويقولون : هو يفتري على الله الكذب .

• فزر : فزر الثوب ونحوه إذا شقّه . وفزّر الثوب . وانفزر الثوب وتفزر . ومن معجمهم العامي الذي لم أجد له أصلا في القاموس المحيط، ولا في لسان العرب قولهم: فزّورة وجمعها على فوازير ، ولهذا اللفظ عندهم شيوع كبير .

• فزّ : بمعنى فزع ، وبمعنى نشط وتوقد ، واستفز فلان فلانا بمعنى أثاره وأزعجه ، والفزة الوثبة بالانزعاج .

• فزع : من معجمهم الفزع بمعنى الخوف والذعر .

• الفستان : ثوب مختلف الأشكال والألوان، من ملابس النساء (ج) فساتين (مع).

• الفستق : معروف عندهم ، ولكنهم يبدلون السين زايا ، والتاء دالا ، فيقولون: فزدق . ويقولون : لون فزدقي، أي ذو خضرة تشبه لون الفستق .

• فسح : فسح له في المجلس : وسع له ليجلس . وانفسح المكان اتسع . وانفسح صدره:انشرح.وتفسح: طلب الفسحة من عمل ليستريح . والفسحة الراحة في أثناء العمل، أو الراحة بين عملين (محدثة).

• فسد : فسد اللحم أو اللبن ونحوهما فسادًا إذا أنتن أو تلف . وفسد العقد ونحوه إذا بطل . وفسد الرجل إذا جاوز الصواب والحكمة . وفسدت الأمور إذا

اضطربت وأدركها الخلل . وأفسد فلان بيني وبين فلان . وأفسد الرجل القوم إذا أساء إليهم ففسدوا . والفساد معروف عندهم وكذلك المفسدة والمفاسد .

• فسر : فسّر، ويفسر بكسر حرف المضارعة ، والتفسير والاستفسار عن كذا من معجمهم.

• الفسطاط: لا يعرفون البيت الذي يتخذ من الشعر بهذا الاسم ، وإنما يطلقون عليه اسم الخيمة ، ولكنهم يعرفون جامع عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر القديمة.

• فسفس : من التداول بين الصغار في مصر قولهم : فلان فسفس اللعبة إذا أفسدها أو عطلها . ولا يعرفون فسفس فلان بمعنى : اشتد حمقه ، ولا الفسفاس ، ولا الفسفس، ولا الفسيفساء .

• فسق : فسق فلان إذا عصى وخرج عن حدود الشرع ، فهو فاسق ، وجمعه فساق وفاسقون،وهي فاسقة . وفسق فلان فلانا عده فاسقا، والفسق والفسوق: العصيان. والفسقية:حوض من الرخام ونحوه مستدير غالب ، توضع فيه نافورة ، تكون في القصور والحدائق والميادين (دخيل).

• فسل: الفسيلة : النخلة الصغيرة ، تقطع من الأم ، أو تقلع من الأرض لتغرس في مكان آخر . والرجل الفسل الذي لا مروءة له .

• فسا : يشددون السين في استعمالها فيقولون : فسّى إذا أخرج ريحًا من مفساه بلا صوت يسمع . والمفسى : مخرج الريح من الحيوان . ويحرّفون الفساء فينطقونها بكسر الفاء والسين وبعدهما هاء .

• فشج : يقولون فشج بتشديد الشين إذا فرج بين ساقية لبول أو غيره . ومنهم من ينطقها مخففة ، ومن عباراتهم : فلان فشج على فلان وبرك فوقه .

• فشخ : فلان فشخ إذا استرخى وارتخت مفاصله ، وخارت قواه .

• فش: فش الورم إذا خف وهبط . وفش غليله إذا نفس عن نفسه وخف غضبه . وفش القفل إذا فتحه من غير مفتاح . وانفش الجرح إذا هبط ورمه ، ومن كلامهم : انفشت علة فلان إذا زال . والفشة معروفة عندهم ، وهي تفش ما فيها من الهواء (محدثة) والفشوش من الأشياء: ما لا فائدة فيه ومن عباراتهم

المتداولة : النتيجة فشوش .

• فشفش : فشفش الشيء : أتلفه وأفسده ، هذا استعمالهم لهذه الكلمة ، أما المعنى المدون في المعجم الوسيط فهو : فشفش : ضعف رأيه ، وفي قوله : أفرط في الكذب.

• فشل : فشل في عمله إذا أخفق فيه فهو فشل، والعامة تقول : فاشل وهذا المعنى مجمعي ، وهو كثير الاستعمال عندهم . وفشل فشلا : تراخى وجبن . وفشل عن الأمر : هم به ثم عجز عنه ونكل .وقد ألحقت العامية بهذه المادة كلمات (فشول وفشولة ومفشولة) والخباز يقول: العجينة مفشولة إذا كانت غير متماسكة .

• فشا : أفشى فلان سر فلان إذا أذاعه ونشره. وتفشى الخبر : انتشر . وتفشى المرض في القوم : انتشر فيهم وعمهم .

• فصح : الفصاحة انطلاق اللسان بكلام صحيح واضح ، والوصف منها الفصيح . وعيد الفصح معروف عند النصارى . وفلان يتفاصح – بكسر حرف المضارعة وإسكان التاء ، وربما جعلوا قبل الهاء ياء.

• فصد : الفصد : إخراج مقدار من دم الوريد بقصد العلاج . وأبو فصادة طير من الفصيلة الفتاحية ، يتغذى بالحشرات _ معروف .

• فص: فصص الشيء: فصله وانتزعه من غيره . والفص : ما يركب في الخاتم من الحجارة الكريمة وغيرها ، ومن الليمون ونحوه ، أو الثوم ونحوه : الفلقة من فلقة . وفص العين : حدقتها . وفص الشيء جوهره . والجمع فصوص . والفصاص: صانع الفصوص للخواتم . وفصص الموضوع: وضحه وبينه.

• فصفص : فلان إذا أتى بالخبر اليقين ، وبين الحقيقة . وفصفص عندهم بمعنى فصص ، يقولون : فصفص البرتقالة للصغير أي : جعلها فصوصا ليسهل عليه أكلها .

• فصل : فصل بين الشيئين فصلا ، إذا فرق بينهما. وفصل الحاكم بين الخصمين: قضى وفصل الشيء عن غيره : أبعده . فصل الشيء : قطعه . وفاصل شريكه : فض ما بينهما من شركة . وفصل الخياط الثوب: قطعه على قد صاحبه . وانفصل

الشيء : انقطع . والفاصل بين الشيئين معروف وكذا الفاصولية. والفصل: أحد فصول السنة الأربعة . والفصل أحد أقسام المدرسة ، ويسمى الصف (محدثة) والفصلة النخل المنقولة من موضعها . والفصيلة : فرقة من الجيش . والمفصلة أداة من حديد ونحوه ذات جزأين يثبت الأول في مصراع الباب والثاني في عضادته (محدثة) وجمعها مفصلات .

• فضح: فضحه كشف معايبه،فهو فاضح وهي فاضحه . والعوام يلحقون نون الوقاية باسم الفاعل فيقولون : فلان فاضحني ، وفلانة فاضحاني ، ولهذا صلة بما وصفه النحاة بالشذوذ . ويقولون افتضح الرجل بمعنى انكشف معايبه ، لكنهم يقدمون التاء على الفاء في أكثر استعمالاتهم فيقولون : اتفضح . والفعل الفاضح ما يخدش الحياء ، والفضيحة بمعنى العيب جمعها عندهم فضايح بالياء على الأصل دون قلبها همزة .

• فضّ : فضّ الجمع إذا فرقه ، وفضّ المال على الفقراء إذا وزعه عليهم، وفضّ الأمر إذا قطعه ، وفضّ الله فاه ، دعاء عليه، ولا فض فوك ، دعاء له . فضّض الشيء إذا طلاه بالفضة أو حلاه بها . وانفضّ الجمع إذا تفرق ، وانفض الشيء إذا تكسر . والفضة معروفة ، ويتختمون بها ويصنعون منها بعض الحلي ، وتستخدم في سك النقود.

• فضفض : فضفض الثوب إذا وسعه . وثوب فضفاض أي : واسع . ومن كلامهم فلان فضفض عن نفسه إذا أزال همه وحزنه بالكلام أو البكاء ، ولم يرد هذا المعنى في المعجم الوسيط ، ولعله مجاز من قولهم : عيش فضفاض .

• فضل : فضل الشيء إذا زاد على الحاجة . وهذا رجل فاضل . والفضيلة صفة من الصفات الحسنة . وفلان أفضل من فلان . وهو يفضّل شيئا على شيء . والناس يتفاضلون. إذا تنافسوا في الفضل. تفضّل فلان على فلان بكذا ، إذا أعطاه عطاء كثيرًا . والفاضل : الباقي الزائد على الحاجة. والفضالة : البقية من الشيء — ويكسرون الفاء والفصيح ضمها . والفضل الإحسان . والفضلة : ما بقي من الشيء، وللفضلات مواسم للبيع والشراء.

والفضول : الذي لا فائدة فيه ، والفضولي من الرجال: المشتغل بالفضول. والفضائل غير الرذائل ، وهم ينطقون الهمزة ياء .

• فضا : المكان فضاء : خلا . والفضاء : ما اتسع من الأرض أو الخالي منها .

• فطحْل : الفطحل : الغزير العلم . وقول المولدين لكبار العلماء : فطاحل ، على التشبيه (مولد) يطقون هذا الجمع نطقًا سليما . أما المفرد فينطقونه بقولهم : فلان فطحول.

• فطر : فطر الله العالم : أوجده . وأفطر الصائم : قطع صيامه بتناول المفطر . وأفطر فلان : تناول طعام الصباح . وأفطر على كذا ، إذا جعله فطوره . وعمل يفطر الصائم أي يفسد صومه . وفطر الصائم إذا قدم له ما يفطر به . وانفطر الشيء إذا انشق ، ومن كلامهم : بكى الصغير حتى انفطر ، على المجاز . وعيد الفطر،وزكاة الفطر، وصدقة الفطر. والفطرة : الطبيعة السليمة التي لم تشب بعيب. والفطور: تناول الصائم طعامه بعد غروب الشمس.وتناول الطعام الأول في الصباح (مجمعية) والفطير: كل ما أعجل به قبل نضجه ، والرأي الفطير : الفاسد . والفطيرة خبزة تؤدم بزيت ونحوه ، ولها أنواع (مولدة) وتجمع على فطاير بالياء والفصيح بالهمزة.

• فطس : مات من غير علة ظاهرة . وفطس إذا انخفضت قصبة أنفه ، فصار : أفطس ، والأنثى فطساء ، ولكن العوام يقولون : فطسة بتاء التأنيث .

• فطم : فطمت المرضع الرضيع : قطعت عنه الرضاعة ، فهي فاطم وفاطمة . وانفطم الرضيع إذا انقطع عن الرضاع . وانفطم عن الشيء : انصرف . والفطام : انقطاع الولد عن الرضاع . والفطيم : المفطوم ذكرًا كان أو أنثى . ويعرفون السيدة فاطمة الزهراء ، ويسمون بناتهم باسمها ، كما يعرفون الدولة الفاطمية التي أسسها المعز لدين الله الفاطمي (سنة ٣٥٩هـ - ٥٦٧هـ) .

• فطن : الفطانة والفطنة وفطين وفطن وفطّنه بالأمر أي جعله يفطن له .

• فظّ : يعرفون الفظاظة بمعنى القسوة والإساءة ، ويقولون : عند فلان فظاظة ويصفونه بقولهم : هو فظّ . ومنهم من

يحفظ خطاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله:" ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ".

• فظع : هذه المادة مستعملة عندهم ومن ألفاظها : الفظاعة والفظيع وفظع الأمر واستفظع الأمر إذا رآه فظيعًا .

• فعفع : في أمره إذا أسرع . والفعفاع : الجبان — لا يعرفون هذين المعنيين ، ولكنهم يستعملون هذا الفعل في معنى إقلاق النائم ، فيقولون : فلان فعفع فلانا إذا أقلق نومه .

• فعل: فعل الشيء إذا عمله ، وافتعله إذا اختلقه وزوره ، وانفعل بكذا إذا تأثر به انبساطًا وانقباضا.وتفاعلا : أثر كل منهما بالآخر . والفاعل العامل الذي يشتغل في أعمال شاقة كالبناء وغيره،ومن كلامهم: فلان يشتغل في الفاعل . ومنه: فلان له فاعلية في هذا الأمر ، أي له تأثير في إنجازه (مجمعية) والمفاعل الذري (مجمعية).

• أفعى : الأفعى حية من شرار الحيات قاتلة، وجمعها الأفاعي .

• فقد : الشيء فقدًا وفقدانًا : ضاع منه. يقال فقد الكتاب، وفقد المال، خسره وعدمه. وفقد الصديق ، وفقدت المرأة زوجها ، وفقد الرجل زوجه ، فهو فاقد، والمفعول مفقود وفقيد . وافتقد فلانا: سأل عنه عند غيابه . وتفقد أحوال القوم: دقق النظر فيها ليعرفها حق المعرفة. والفاقد من النساء التي مات زوجها أو ولدها أو حميمها . والفقيد : المفقود .

• فقر : الفقر والفقير ، والفقيرة ، والفقراء ، وأفقر الله فلانا : جعله فقيرًا ، وفلان افتقر : صار فقيرًا ، وفقر الدم (مولد) والفقير إلى الله — كل هذا معروف عندهم .

• فقس : فقس الطائر بيضته : كسرها ليخرج الفرخ.والفقوس : نوع من القثاء.

• فقش : فقش البيضة ونحوها : كسرها بيده ليخرج ما فيها .

• فقط : الحساب : ختمه بكلمة (فقط) حتى لا يزاد عليه (مولد) .

• فقع : فقع : تشدق وجاء بكلام لا معنى له. ومن عباراتهم : فلان كلامه مفقع . وفلان فقع فلان كفا — أي ضربه بكفه. وفقع الشيء المنفوخ : ضربه بكفه فانشق وصوت . وانفقعت الكرة :

انشـــقت . وفقاقيع الجمع معروف ، ولا يعرفون المفرد.

• فقفــق : فـــلان فقفقت يده من كثرة العمل بالفأس ونحوها ، ويده مفقفقة .

• فقــم : تفاقم الأمر : استفحل شره ، ولكـــنهم يســـكنون التاء ، ويأتون قبلها همزة وصل.

• فقــه : الفقـــيه : العالم الفطن، والعالم بأصـــول الشريعة وأحكامها ، ومن يقرأ القـــرآن ويعلمه . ويحذفون الهاء من آخر الكـــلمة ويقولـــون : فقي ، ومنهم من يكســـر الفـــاء ويقول : فقي . والجمع عـــندهم : فقهــه . بحذف المد والهمز ، وإلحاق الهاء في آخر الكلمة .

• فكر : فكر في الأمر بالتضعيف أشيع في الاستعمال من المخفف . والتفكير والفكر والفكرة والمفكر ، والمفكرة : دفتر صغير يدون فيه ما يراد تذكره (محدثة).

• فك : فك الشـــيء : فصل أجـــزاءه ، ويقـــال: فك الآلة ونحوها. وفك النقود: قدم وحدة كبيرة من العملة وحصل على مـــا يقـــابل قيمتها من العملات الصغيرة (مولد) وانفك الشيء : انفصل . انفكت العقدة ونحوها : انحلت . وتفكك الشيء انفك . والفك : اللحى ومغرس الأسنان، ولكـــل حـــيوان فكان : أعلى وأسفل .

والمفـــك : أداة تدار بها المسامير اللولبية لكـــي تثبت أو تفك ، والجمع مفكات (محدثة).

• فكه : الفكاهة تعني المزاح وما يستمتع به من طرف الكلام . والفكه الذي يكثر من الدعابة . وتفكه بالشيء : تمتع وتلذذ بـــه . والفاكهة : الثمار اللذيذة والحلواء (ج) فواكه والفاكهاني : بائع الفاكهة ، وينطقونها : فكهاني .

• فلـــت : الولـــد الذي غلط فلت من العقاب ، أو أفلت منه . وانفلت : تخلص ونجـــا بسرعة، والفلتة : الأمر يحدث من غير روية وإحكام، والهفوة غير المقصودة. وبعضهم يقول: هذا من فلتات اللسان .

• فـــلج : يعرفون من هذه المادة : رجل مفـــلج الثنايا ، أي منفرجها . وفلجت المرأة أسنانها ، إذا فرّقت بينها للزينة .

• فـــلح : فلح الأرض للزراعة إذا أعدها بالحرث وما يتبعه من أعمال . والفلاح : محـــترف الفلاحة . وأفلح فلان : ظفر بما

يريد . و " قد أفلح المؤمنون " أي فازوا بنعيم الآخرة . وحي على الفلاح من محفوظاتهم .

• تفلحس : من معجمهم ، لكنهم يعنون بها من يتحدث بالمراء وسخف القول مما لا يدري عواقبه ، وكأنه متطفل . أما الإلحاح في السؤال فلا يعرفونه . والفلحاس من الرجال : القبيح السمج . وإذا قالوا فلان فلحاس كان شتما .

• فلد : الفولاذ معروف وهو نوع من الصلب متين جدًا ، ويصنع بخلط الصلب بعناصر أخرى (مجمعية).

• فلس : من هذه المادة يعرفون : أفلس فلان، إذا فقد ماله ، ويقولون عنه : فلان مفلس أو مفلس— بتشديد اللام مكسورة. وفلس القاضي فلانا : حكم بإفلاسه . والإفلاس : حالة تترتب على توقف التاجر عن الوفاء بديونه (مجمعية) والفلس والفلوس : عملة متداولة في بعض البلاد العربية، والفلوس في مصر ترادف النقود بالغة ما بلغت .

• فلسف : كلمة الفلسفة يعرفها كثير من العوام، ويعرفون بعض مشتقاتها كالأفعال وبعض الأسماء . ومن قبل كانوا يحدثون فيها قلبا مكانيا ، فيقولون "فلفسة" وفلان قاعد يتفلفس ، وهذا تطور ملموس في العامية .

• فلطح : فلطح الشيء : بسطه ووسعه ، ومنه رغيف مفلطح (وانظر فرطح).

• فلفل : فلفل الطعام : جعل فيه الفلفل . وفلفل الأرز : أنضجه دون أن يتعجن (محدثة) والفلفل معروف عندهم . والمفلفل : ما يتبل بالفلفل . والفليفلة — بوزن المصغر معروفة عندهم أيضًا ، لكنهم يحذفون لام التعريف وينطقونها (افليفلة)ويفرقون بين الحريف منها وغيره.

• فلق : فلق الشيء:إذا شقه . فلق الشيء مبالغة . تفلق الشيء : تشقق . والفلق: الشق ، وجذع النخلة يشق اثنين. والفلق مفرق الشعر في الرأس . والفلق : الصبح ينشق من ظلمة الليل . والفلقة : القطعة ويفتحون الفاء منها . والفلقة — بثلاث فتحات: خشبة وعود يتصل به حبلان تمسك بهما القدمان للجلد (مولد).

• فلك : الفلك السفينة (للمذكر والمؤنث والواحد والجمع) وعلم الفلك معروف ،

وأول الشهر فلكيًا أي بحساب علم الفلك، والمشتغل بهذا فلكي . والفليكة السفينة الصغيرة ، والعوام يقولون فلوكة (للمركب الصغير أو القارب) .

• فل : الفلة سدادة القارورة من الفلين (محدثة) والفل اسم يطلق على الياسمين.

• الفلم : شريط تسجيلي أو تصويري ، وجمعه أفلام (بجمعية) وكلمة فلم كثيرة الدوران على الألسنة .

• الفلين : مادة معروفة عند العوام ، وتصنع منها سدادات القوارير (دخيلة).

• فلان : كناية معروفة عن العلم المذكر العاقل ، مؤنثه فلانة . ومن استعمالهم لها قولهم : اجتمعنا وحضر فلان وفلان ، دون ذكر الأسماء ، وقولهم : الشيء الفلاني أو السكن أو الأمر أو العمل — لا يصلح لك ولا يليق بك .

• فلى : لم يستعملوا المخفف منها ، وإنما استعملوا المضعف فقالوا : فلى الشعر أوالثوب أو نحوهما ، إذا بحث عما قد يكون فيه من قمل ونحوه . والأم تفلي رأس أولادها . والفلاية مشط تضيق فرج أسنانه يفلى به الشعر (مولد).

• الفلية : نبات بري معروف عند المصريين ذو رائحة عطرية ، يتداوى بالزيت المستخرج منه ولهم أغنية تقول: "بياع الفليه يا عالي عليه ".

• الفم : من الإنسان معروف ، وبداخله جهاز النطق وجهاز المضغ . والعوام يضمون الفاء ، ومن دعائهم لمن يحسن القول : يسلم فمك ، بكسر حرف المضارعة،وضم الفاء وتشديد الميم . وهذا كله عامي فصيح .

• الفنجان : هو الفنجال المعروف والجمع فناجيل أو فناجين .

• فنخ : فنخ العقد والعزم إذا لم يمضه ، وفنّخ بالتضعيف مبالغة فيه . ومن كلام العوام : خطبة فلان لفلانة فنخت — بالتخفيف—أو فنخت بالتضعيف—ومعناه: فسخت الخطبة.وربما قالوا:فنيخت بإبدال النون الثانية ياء ، هربا من التضعيف، وهذه الصيغة الأخيرة ليست في لسان العرب ولا في القاموس المحيط،ولها وجه .

• فنّد : فنّد رأي فلان : أضعفه وأبطله .

• الفندق : من الكلمات المستعملة كثيرًا الفندق والفنادق ، (معربة).

• الفنار : مصباح قوي الضوء ينصب على سارية عالية ، أو شبه برج مرتفع لإرشاد السفن في البحار والمحيطات إلى طرق السير وتجنب مواطن الخطر (محدثة) (وهو المنار محرفًا) .

• الفانوس : معروف عندهم ويجمع على فوانيس (معرب).

• فنّش:فنّش في الأمر:استرخى فيه، وفنّش عنه : نكص ورجع عنه . وهم يقولون: فلان نجح وفلان فنش بمعنى رسب.

• الفنطاس : حوض لادخار الماء العذب ، ويستعمل للتموين في السفينة . ووعاء كبير أسطواني لحفظ السوائل (محدثة) والجمع فناطيس .

• الفنيك : محلول سام مطهر (دخيل) ويستعملونه في تطهير دورات المياه ونحوها.

• الفن : يعرفون الفن بمعنى المهارة التي يدركها الذوق ، وجمعه : فنون . والفنان صاحب الموهبة.

• فنى : فنى الشيء إذا انتهى وجوده ، ويحفظون قوله تعالى : "كل من عليها فان"، ومن كلامهم : فلان مبذر لو عنده مال قارون يفنيه — بكسر حرف المضارعة. ومنه أيضًا:فلان يتفانى في عمله إذا أجهد نفسه فيه حتى كاد يفنى(محدثة).

• الفهد : سبع بين الكلب والنمر ، وهو معروف عندهم .

• الفهرس : يعرفه من يعرف القراءة من العوام ، وينظر في فهرس المصحف الشريف ليستبين رقم الصفحة التي توجد بها السورة التي يريد قراءتها .

• فهم :يعرفون من هذه المادة الأفعال الثلاثة: الماضي والمضارع والأمر : فهم يفهم افهم، ويعرفون اسم الفاعل الفاهم ، واسم المفعول المفهوم،كما يعرفون المصدر الفهم.ويعرفون المزيد منها ومشتقاته أيضًا كالتفاهم والتفهيم والتفهم والاستفهام.

• فات : فات الأمر فواتا : مضى وقته. وفات فلان : مر ومضى . وفات الأمر فلانا: لم يدركه . فوت فلان الأمر : جعله يفوته . وتفاوت الشيئان : اختلفا في التقدير. ومن العبارات المعروفة : (فوت علينا بكرة) برد الفعل إلى أصله وعدم حذف عين الأجوف مع سكون لامه . ولام حرف الجر مكسورة . وهذا

شائع في العامية نحو قولهم : قوم بدل قم . ونام بدل نم ..

• الفوج : الفوج الجماعة من الناس . والحجاج يسافرون أفواجًا فوجا بعد فوج، وهم ينطقونها بضم الفاء والفصيح فتح الفاء . لكن العامية تضم ما قبل الواو في كل ما شابه هذه الكلمات مثل العوم والنوم واللوم ، بصم ما قبل الواو .

• فاح : فاح الشيء إذا انتشرت رائحته طيبة أو غير طيبة . وفاحت رائحة الأمر إذا انتشرت له سمعة سيئة .

• فاد : استفاد المال وغيره : حصله . والفائدة لفظة مستعملة عندهم ، لكنهم يجعلون الهمزة ياء ويحذفون ألف المد ، فيقولون (فيدة) والفائدة : المال الثابت وما يستفاد من علم أو عمل أو مال أو غيره ، وربح المال في زمن محدد بسعر محدد (بجمعي) ويجمعون الفائدة على : فوايد — بالياء في موضع الهمزة .

• فار : فار الماء فورانا إذا خرج من الأرض وجرى متدفقًا فهو فوّار . وفارت القدر إذا اشتد غليانها وارتفع ما فيها . وفارت النار إذا اشتد اشتعالها . وفوّر القدر إذا جعلها تفور . والفور أو الوقت، وهم يقولون : احضر فورًا — بفتح الفاء، ولكنهم يضمونها عندما يقولون الدفع فوري أي في الحال . ويعرفون الفوّار من الدواء ونحوه .

• فاز: فاز فلان بالخير يفوز ، إذا ظفر به، والفوز عندهم بضم الفاء . والفائز والفائزة — بالياء بدلا من الهمزة ، ومن كلامهم : الجائزة للفائز ، لكنهم يضعون الياء بدلا من الهمزة ، ويحذفون ألف المد من الجائزة ويشددون الجيم بعد همزة الوصل ويسقطون اللام ، فتصبح عبارتهم (إجّيزة للفايز).

• فاوض : فلان فاوض فلانا في الأمر إذا بادله الرأي فيه بغية الوصول إلى تسوية واتفاق . وفوّض الأمر إليه : جعل له التصرف فيه . ومن محفوظهم قول الله : "وأفوض أمري إلى الله " ، ويدعو المظلوم على الظالم فيقول فوّضت أمري إلى الله في فلان . والفوضى من الناس من ليس لهم رئيس . والمفاوضة تبادل الرأي في شأن طلبا للوصول إلى تسوية واتفاق . والوزير المفوّض، يمثل دولته في بلد أجنبي،

ورتبته دون السفير وفوق القائم بالأعمال،ومقر عمله يطلق عليه:المفوضية.

• الفوطة :نسيجة من القطن ونحوه يجفف به الوجه واليدان . أو توضع فوق الركبتين عند الأكل وقاية للثوب من الطعام . وجمعها فوط (مولدة) والفواط : من ينسج الفوط أو يبيعها .

• فاق : فاق أصحابه : فضلهم وصار خيرًا منهم . وأفاق فلان من غشيته ، وأفاق من سكره ، أو من جنونه ، أو من نومه. وأفاق النعاس عن فلان . وتفوق فلان على أقرانه : فاقهم وترفع عليهم . والفائق : الجيد من كل شيء ، والممتاز على غيره من الناس . وفوق : ظرف مقابل لتحت . ومن كلامهم : رأي فلان فوق رأي فلان أي أفضل منه . وفلان أعلاهم فوقا أي حظًا ونصيبًا .

• الفول : معروف ، ويستعمل غذاء للإنسان والحيوان ، والفوال : بائع الفول. ومن كلامهم : الفول فطور الأمير وغذاء الفقير وعشاء الحمير . والفوالة : قدر تخصص لإنضاج الفول فيها ، وتوضع غالبا على سخان كهربي حتى ينضج الفول. والمعجم الوسيط لم يضف "الفوالة" إلى متن اللغة العربية ، وينبغي أن تضاف لأنها جارية على القياس .

• الفيتامين : من الكلمات المحفوظة عند العوام بأنواعها المختلفة .

• فاح : فاح المسك إذا انتشرت رائحته ، ويقال فاحت رائحة المسك . وفاح الحر : اشتد وهاج . وفاحت القدر : غلت (واوية يائية).

• فاد : أفاد فلان علما ومالا : اكتسبه (واوية يائية).

• الفيروز : حجر كريم غير شفاف معروف بلونه الأزرق ، يتحلى به (معربة) واللون الفيروزي هو اللون الأزرق المائل إلى الخضرة قليلا .

• فاض : فاض الماء يفيض فيضانا : كثر حتى سال . ومنه فاض النهر ، وفاض السيل . والماء فائض – وينطقونها بالياء بدل الهمزة. وفاض الإناء : امتلأ حتى طفح . وفاض الخير: كثر . وفاض الخبر ذاع وانتشر . وأفاض الحجاج من عرفات إلى منى : انصرفوا إليها بعد انقضاء الموقف . واستفاض الخبر : انتشر .

الإفاضة : انصراف الحجاج من عرفة . وطـواف الإفاضــة : طواف يوم النحر والعودة إلى منى.والفائض:فائدة تعود على المرابي من رأس المال (محدثة) وتنطق بالياء والظاء . والفيض : الكثير الغزير .

ومن كلامهم: فيض الله كثير. والفيضان: طغيان النهر واندفاعه ، وينطقون الفيضان فصيحة ، ويكسرون فاء فيضة .

• الفـيل : حـيوان ضـخم الجسم ذو خرطوم طويل يتناول به الأشـيـاء، وله نابان بارزان كبيران يتخذ منهما العاج ، وهـو معروف عندهم ، ويجمعونه على أفـيال ولكنهم يحذفون الهمزة ويسكنون الفاء ويأتون قبلها بهمزة وصل مكسورة . ويعرفون داء الفيل، كما يعرفون أصحاب الفيل .

والحمد لله رب العالمين

أمين على السيد

عضو المجمع

الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة*

للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني

لا يزال موضوع الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة مطروحًا بقوة على صعيد حياتنا الثقافية بعد مضي أكثر من قرن على بروزه. وتبدو اليوم أمامنا أخطار التقصير في الوفاء بمتطلباته، متجلية بصورة حادة لم يسبق لها مثيل، في أزمات تفجرت في بعض أنحاء وطننا العربي الكبير فعل انعدام الحوار بين التيارات الثقافية فعله في تكوينها وتأجيجها وهناك مجال لعمل صالح لمعالجة هذه الأزمات ولقيام أمتنا بإسهام حضاري في عالمنا من خلال العناية بهذا الحوار وتكثيفه، والوصول إلى جوامع أفكار وأفكار جامعة يلتقي عليها العاملون، وينطلقون منها إلى الإصلاح.

يتداعى إلى خاطري وأنا أتأمل في هذا الموضوع الحيوي شريط سينمائي شاهدته قبل أربعة عقود من السنين مأخوذ عن مسرحية ظهرت آنذاك في بريطانيا اسمها "موائد منفصلة" ، تدور أحداثها في نُزل بمنتجع حل فيه نزلاء ، كانت تجمعهم قاعة الطعام، فيجلسون إلى موائد منفصلة، كل مجموعة منهم أو فرد يعيش عالمه الخاص، لا يتواصل مع الآخرين. ثم تطرأ أحداث وتطورات تلزمهم بالتواصل وتحثهم عليه، فإذا بالموائد في قاعة الطعام تصبح متصلة.

تشبيه لحال التيارات الثقافية في وطننا فيما يخص علاقتها بعضها ببعض، أنها تسكن جزرًا في يم ، لا جسور بينها . وقد طرحه قبل حوالي عقدين من السنين المفكر العربي زكي نجيب محمود . ودعا إليه في مقاله يومذاك – الذي بقي راسخًا في ذاكرتي- إلى أن نقيم جسورًا بين تلك الجزر. وحين تداعى إلى خاطري هذا التشبيه رجعت إلى بعض كتب زكي نجيب محمود ، ومنها كتاباه " هموم

---

* ألقي هذه البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأحد ٢٣من ذي القعدة ١٤١٨هـ الموافق ٢٢ من مارس (آذار) ١٩٩٨م.

المثقفين" و" هذا العصر وثقافته" ، فوجدته قد عاود معالجة حال هذه التيارات والدعوة إلى الحوار بينها مرات.

لقد عني الفكر العربي بهذا الموضوع الحيوي، فتناوله بالنظر عدد من مفكرينا. وأذكر أني عرضت لبعض ما طرحوه من أفكار بشأنه ولما وصلت إليه في بعض كتبي، وبخاصة "فكر وفعل" و"حوار ومطارحات" و"وحدة التنوع" و"عمران لا طغيان" و"تجديد الفكر" ، وأخيرًا "تفاعلات حضارية وأفكار للنهوض" . وأود في هذا الحديث أن أتناوله بالوقوف أمام واقع حال هذا الحوار، والأخطار الناجمة عن ضعفه، وما ينبغي عمله لمتابعته وتوجيهه إلى المسار الصحيح الموصل .

نظرة طائر على واقعنا الثقافي العربي :

حين نلقي نظرة طائر على واقعنا الثقافي العربي، نلاحظ حركة نشطة إلى حد لا بأس به، تجري عبر مختلف وسائل الاتصال الثقافي الحديثة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية (تلفزة) ومسرح وسينما وأشرطة مسموعة ومرئية ، وعبر وسائل الاتصال القديمة الشفهيَّة في التجمعات والمقروءة في الكتب.

نركز النظر على المشاركين في هذه الحركة، فنجد جلهم من المتلقين يستقبلون ثقافة تقدم لهم. وفيهم من يبحث عما يشده ويستهويه من الثقافة المتداولة. ونميز من بينهم قلة مبدعة أعطت الثقافة حقها ونذرت نفسها لها وسعت إلى الابتكار. ونرى حول هؤلاء المبدعين ناشرين للثقافة مثقفين وغير مثقفين يعمدون إلى نشر الأعمال الإبداعية؛ وبعض هؤلاء من التجار الذين أدركوا ما يمكن أن تدره بعض أنواع الثقافة " الخفيفة" من أرباح؛ وفيهم حامل رسالة ثقافية .

يلفتنا أن هؤلاء جميعا يتوزعون مجموعات، كل منها يمثل في حركته تيارًا يموج بمن فيه. ونلاحظ أن تيارين منها متباعدان، وأن في أحدهما فريقين يحتدم بينهما جدل، ويتبادلان معًا نظرات شزر ملؤها الشك والاستنكار. وهناك تيار ثالث يتواصل مع التيارين. ونرى باستمرار أفرادًا من هذين التيارين ينتقلون

إلى هـذا التـيار الثالـث ، وأحيانًا بين بعضها.

يـتداعى إلى خاطرنا ونحن نستحضر تاريخـنا الثقافي الحديث أن ما نراه اليوم رأيـناه، مع أجيال سبقتنا على مدى ما يقارب قرنين من السنين. فالتيارات الثلاثة هي هي منذ برزت في القرن الثالث عشر الهجـري الموافـق القـرن التاسع عشر الميلادي، مع اختلاف محدود في عدد كل منها بين فترة وأخرى .

جديـد ظاهر نراه اليوم هو انشغال التـيارات الثلاثة بكيفية التعامل مع ثقافة مصنوعة وافدة تضغط عليها جميعا يجري فرضـها عـبر وسـائل الاتصال بإعلام ترويجي، من سماتها إعلاء قيمة الاستهلاك والعناية بزخرف يخطف الأبصار، وهدفها صـياغة إنسـان مسـتهلك يتمشى مع متطلـبات "العولمة". وحين نمعن النظر في هـذه الثقافة الوافدة نلاحظ أن جذورها تعود إلى ما يقارب القرنين من السنين في حلقات متصلة في سلسلة . كما نلاحظ أن لكـل من التيارات الثلاثة موقفه من الحضارة التي أوجدت هذه السلسلة حين احتكت بحضارتنا.

في واقعـنا الثقافي المعاصر إذًا ثلاثة تيارات ثقافية نجمت عن احتكاك حضارة الغـرب بحضارتنا العربية الإسلامية. فأما الأول فقـد اتخـذ موقف" انكماش" من الحضـارة الغربية التي حاولت أن تفرض نفسها علينا بقوة السلاح والتسلط بغزو اسـتعمارى. وأمـا الـثاني فقـد اتخذ موقـف"انغماس" بتلك الحضارة بعد أن سلم لها بالغلبة ، ظنًّا من السائرين فيه أنهم بتقليدها يحاذون أبناءها . وأما الثالث فقد اتخذ موقف"الاستجابة الفاعلة" لتحديات تلك الحضارة ونصب عينه توفير شروط الـنهوض والوفـاء بهـا وتحقيق انبعاث حضاري لحضارته العربية الإسلامية.

لقد أوضحت في كتاباتي التي تناولت هـذا الواقع الثقافي أن موقفي الانكماش والانغماس ينتميان إلى رد الفعل، في حين أن موقـف الاستجابة الفاعلة ينتمي إلى الفعـل الـذي يدخل فيه عنصر الفكر وتحكمه الإرادة . كما أوضحت أن رحلة الإنسان الفكرية تشهد انتقاله بين الموقفين الأول والـثاني ثم إلى الموقف الثالث حين

ينضـــج . ويستوقفني وأنا أراجع ما كتبه زكـــي نجيـــب محمود عن " أزمة المثقف العربي" في كتابه " هموم المثقفين" أنه بعد أن أوضـــح أن التيار الأول " يجعل ثقافتنا الموروثـــة هي معيار الصواب والخطأ" ، وأن التـــيار الـــثاني" يجعل الثقافة الغربية العصـــرية هي معيار الصواب والخطأ" ؛ قـــرر أن المجموعة الأولى تلوذ من حاضر الدنـــيا بركن من أركان التاريخ انقضت عهـــوده، وأن المجموعـــة الثانية تفر من الحاضر العربي إلى حيل من حيال أوربا أو أمـــريكا لتعتصم به. وقد فات المجموعتين لب المشكلة. وحديثه هذا يذكرنا بحديث أرنولـــد ترينبي عن المتعبين " الزيلوتيين" والمقلدين "الهيرودين".

نـــزداد فهمًـــا لهذه التيارات الثقافية الـــثلاثة حين نستحضر نشأتها مع بداية الغـــزو الاســـتعماري الغـــربي لدائرتنا الحضـــارية ووطننا العربي، وما طرأ عليها مـــن أحداث على مدى قرنين. فالسياسة الاســـتعمارية عمـــدت إلى التركيز على حقـــل التربية والتعليم وأسست مدارس التبشـــير وعلمـــت طلاب هذه المدارس اللغـــات الأوربـــية وما اصطلحت على تســـميته بحضـــارة الدولة الغربية المعنية، فرنســـية كانـــت أو ألمانية أو إيطالية أو بريطانية . وهكذا خرجت طلابا مهيئين بحكـــم ما تعلموه لأن يكونوا انغماسيين. وقوى هذا الاتجاه نظام البعثات إلى بلاد الغـــرب. وناصبت السياسة الاستعمارية حين احتلت البلاد وتسلطت معاهد العلم القائمـــة العداء، فتهيأ طلابها بحكم وطأة هـــذا التســـلط لأن يقع بعضهم في أسر الانكماش. واتسعت الهوة بين التيارين مع ممارسات المستعمر الهادفة لذلك. وحدث في الربع الثاني من القرن العشرين أن شهد تـــيار الانغماس بروز مدرستين فيه بفعل الخـــلاف الـــذي احتدم في الغرب بين "الليـــبرالية الرأسمالـــية" و"الاشـــتراكية الماركســـية" . وكـــان " تيار الاستجابة الفاعلـــة" الثالث يشق طريقه أثناء ذلك، ويجـــذب إليه أفرادًا متميزين من التيارين، مـــن بيـــنهم مـــبعوثون عبروا مرحلتي "العكـــوف" التي تجاوزوا أثناءها مجتمعهم إلى مرحلة "العودة" إلى مجتمعهم والتلاحم معه.

حين نستحضر تاريخ أمتنا في القرنين الأخيرين ، نرى بوضوح الأثر الكبير للواقع الثقافي العربي بتياراته الثلاثة على مختلف جوانب الحياة في وطننا العربي. وقد بان هذا الأثر على حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والعقيدية؛ وذلك بفعل ما للثقافة من فعل. وهكذا رأينا كلا من هذه الجوانب موزعًا بين توجهات انكماشية وأخرى انغماسية وثالثة مستجيبة فاعلة .

لقد استشعرت الأمة، منذ أن برزت فيها هذه التيارات الثلاثة الثقافية بين أبنائها ، الحاجة إلى حوار يجري بينهم يستهدف تجاوز سلبيات الاختلاف وتوظيف إيجابياته للنهوض بحياتنا. وقد قوي هذا الاستشعار للحاجة إلى هذا الحوار في فترات تضخمت فيها السلبيات بسبب ضعفه وانعكست على مختلف مجالات حياتنا، تخبطًا في السياسات الاقتصادية، وإخلالا في السلام الاجتماعي والعلاقة بين شرائح المجتمع، وتفردًا سياسيًا يرفض التعددية والمشاركة ويقع في هاوية التسلط، وسطحية فكرية تعتمد الحكم المطلق على الأفكار وتقطع الطريق أمام تلاقحها، وتطرفًا عقيديا لا يعرف السماحة وينزع إلى الإكراه. وتستوقفنا فترات أخرى شهدت مباشرة هذا الحوار وقطفت الأمة خلالها ثمراته الطيبة، وحدة وطنية على صعيد كل قطر ، ونهوضًا في مختلف مجالات الحياة، وقدرة على مواجهة المستعمر المعتدي، وتقدمًا في طريق تحقيق مشروع الأمة الحضاري بأهدافه الستة تحريرًا ، وتوحيدًا للجهود، وشورى ديمقراطية، وعدلا ، وتنمية ، وتجددًا حضاريا. ولكن ما كان أقصر تلك الفترات . وتلفتنا في الواقع الثقافي القائم جهود مباركة مكثفة على الصعيد الأهلي تعنى بتقدم هذا الحوار. ومع ذلك فإن الانطباع العام الذي تخرج به نظرة الطائر على الواقع الثقافي العربي المعاصر هو أن الحوار بين التيارات الثقافية العربية المعاصرة دون المستوى المطلوب بكثير . وقد نجم عن قصوره في ربع القرن الأخير تفاقم أزمات سياسية في عدة أقطار عربية تفجر بعضها عنفًا، وطرح بقوة قضية الهوية .

أخطار قصور الحوار :

تعـد الأخطـار الناجمة عن قصور الحوار بين التيارات الثقافية في المجتمعات أخطـارًا شـديدة . وفي مقدمـة هذه الأخطار غلو في الرأي والموقف ، يتزايد ويتصاعد مع استمرار القصور في الحوار، يتجـلى في التطرف والبعد عن الوسطية، ويولد ردود أفعال . ويؤدي هذا الغلو إلى اهـتزاز الهويـة في المجتمع، ومن ثم إلى المسـاس بوحدة المجتمع الوطنية ، ويحول بذلك دون الوصول إلى المشروع الوطني الذي يلتقي عليه الجميع.

الأمـثلة على الأزمات السياسية التي تنشأ عن تفاعل الأخطار، نراها في أماكن مختلفة من عالمنا، في إقليم الباسك وإسبانيا في شبه جزيرة أيبريا، وفي أيرلندة الشمالية وبريطانـيا، وفي الفلـبين وفي الـبلقان. ونذرها تتتالى في الأمريكتين . كما نراها في دائرتنا الحضارية الإسلامية ، في تركيا وفي أفغانسـتان وفي كشمير. ونراها في قلـب هـذه الدائرة في وطننا العربي في الجزائـر بعد أن اكتوينا بنارها في لبنان ، ونرى نذرًا لها في أكثر من قطر عربي .

الغلو في الرأي والموقف ، الناجم عن قصور الحوار بين التيارات الثقافية ، تجلى في كـتابات أهـل قـلم مـن التيارين الانغماسـي والانكماشي تناولت قراءة تاريخنـا والحديث عن واقعنا واقتراح ما يكون عليه مستقبلنا . وما أسخن المعارك الـتي نشـبت بسـبب هذه الكتابات . ويـتداعى إلى الخاطر مثلا عليها، اعتبار الـبعض غـزو بونابـرت لمصر وحملته العسـكرية علـيها وعلى فلسطين بداية النهضة في مصر. وقد بلغ الأمر بواحد من المغـالين أن نسـب إلى هذه الغزوة بناء "مؤسسـة الديوان" الذي كان قائمًا عبر تـاريخ طويـل، فضلا عن أمور أخرى لاسند تاريخي لها، ساكتًا في الوقت نفسه عـن جـرائمها الفظيعة وكونها عدوانًا صـارخًا . وهـا نحن لا نزال نرى اليوم بقايـا هذا الغلو بمناسبة مضي قرنين على ذلك العدوان الصارخ ، متمثلا في قضية الاحتفال بذكراه .

هـذا الغلو الناجم عن قصور الحوار يصـيب برشاشـه أكثر ما يصيب لسان الأمة، فيمس أحد أركان الهوية الثلاثة ،

ومن ثم ركن عقيدة الأمة وركن تراثها.
وإذا كان حافظ إبراهيم قد تحدث بلسان لغتنا العربية وهي تنعى حظها بين أهلها عام ١٩٠٣م فقال:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم أجزع لقول عداتي
وسعت كتاب الله لفظًا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماءٍ لمخترعات

فإن غلو دعاة الفرنكفوبية اليوم مسَّ حرمات اللسان العربي، الأمر الذي دعا صالح الخرفي إلى القول مستحضرا دور رابطة العلماء، والشيخ بشير الإبراهيمي في الحفاظ على العربية :

رسل (الضاد) هل دروا أن حرفًا
زف بالروح ، أصبح اليوم رهنًا
يا أبا (الضاد) ، يا بشير الأماني
حسرة (الضاد) في رحيلك عنا
تشتكي (الضاد) غربة في حماها
كنت منها تزلزل الدار ، ركنا
فرحة (الضاد) في الدساتير سادت
غربة الضاد واقعًا جر حزنا
غالها الأبعدون بالأمس ، لكن
غيلة اليوم أقربون وأدنى
يا دعاة التفرنس اليوم ، مهلا
خفتم العهد في الغد المتمنى

ما أخطر هذا الغلو حين يحكم سياسات تتبناها حكومات في تعاملها مع التيارات الثقافية المختلفة في المجتمع ، فتعمد إلى حرمان واحد منها من التعبير عن نفسه، وترفض الحوار معه فارضة عليه عزلة وحصارًا، ومقاومة حوار التيارات الأخرى معه، ومحاولة استمالتها في إحكام العزلة والحصار عليه. الأمر الذي يؤدي إلى لجوئه للنزول تحت السطح والوقوع في أسر رد فعل مغالٍ. وفي ظل هذا الوضع يتعرض المجتمع بسبب التضييق على حرية التعبير المسؤولة إلى " نقص مناعة"، يؤدي إلى بروز عنف في العلاقة التي تحكم السلطة والناس. ويؤثر هذا العنف على مختلف جوانب الحياة في المجتمع، وعلى جيل الشباب بخاصة. ذلك أن بعض هؤلاء الشباب ينساقون إلى

دورة العنف هذه بحكم نزوع جيلهم إلى المغالاة ، كما يفر بعضهم منها بعيدًا عن المشاركة في الحياة العامة، وأحيانًا من الحياة نفسها بالعيش في عالم وهمي تصنعه كيماويات "تسطل".

في ظل نقص الحوار بين تيارات الثقافة، وغلبة الغلو والمغالاة والمغالين على النطق بلسان كل منها والتعبير عنها، تعاني مناهج التربية والتعليم من عجز عن إقامة جسور الحوار في المجتمع وتمثل ثقافاته وحضارته، الأمر الذي يودي إلى اهتزاز الهوية، ويفعل الإعلام المعبر عن عزلة كل تيار فعله في هذا الاهتزاز واصلا به إلى مداه، وفاتحا الباب أمام صراع ثقافي لا يلبث أن يتفجر حربًا أهلية، تفسح المجال لتدخل عامل خارجي يستغلها لإضعاف الأمة والتسلط عليها واستترافها اقتصاديًا بتسويق أسلحته لها، وتمزيقها نفسيًّا بفعل العداء المستشري بين الأخوة .

لقد وصل الأمر في ظل هذا الصراع الثقافي في بعض الأقطار إلى أن يبرز التساؤل بين بعض أبنائه " أهو عربي الهوية؛ أم نصف عربي؛ أم غير عربي؛ في حمى الاقتتال؟" وحدث في الاقتتال الذي نشب في أكثر من قطر المساس بحرمات كثيرة واقتراف جرائم بشعة .وكم احتاج إيقاف الحرب المتفجرة التي نشبت من جهود. وكانت مباشرة الحوار هي السبيل إلى الاتفاق . ويتداعى إلى الخاطر هنا ما كتبه كريم بقردوني في كتابه" لعنة وطن من حرب لبنان إلى حرب الخليج" ، كمثل من بين أمثلة كثيرة، في فصل "هوية وطن" عن "مسألة علاقة لبنان بمحيطه العربي" التي ثارت في أوساط تيار ثقافي بعينه فبدت أمامه " علامة استفهام محورية ومعضلة مطروحة قبل الاستقلال اللبناني وبعده، وقبل الحرب اللبنانية وبعدها" وهو يقرر أن السنين الخمسين المنصرمة علمتنا أن الاتفاق بين اللبنانيين حول حد أدنى من الجواب كان حافزًا رئيسيًا من حوافز الاستقلال عام ١٩٤٣، كما أن الاختلاف حول هذا الحد الأدنى كان دافعًا أساسيًا من دوافع الحرب عام ١٩٧٥". ونحمد الله أن الحوار بين أهلنا في لبنان أوصل إلى إنهاء تلك الأزمة بتأكيد هويته وبالاتفاق على دوره

وخصوصيته في إطار الكل . ولكن محنة قطر آخر عربي لا تزال على أشدها تنتظر الحوار الشامل الذي يؤكد الهوية ويوصل إلى الاتفاق على "جامع مشترك" للدور والخصوصية . كما أن نذر محن أخرى تمثل أحيانًا هنا وهناك، مهددة بالتفكيك والتفتيت ، ومذكرة بصراعات نشبت في دائرتنا الحضارية حين توقف الحوار بين أبناء الحضارة الواحدة واصطنع التناقص بين أركان الهوية الثلاثة .

جهود للتقدم بالحوار :

حق لنا وقد وقفنا أمام أخطار قصور الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة وتوقفه، أن نقف أمام تلك الجهود المباركة المكثفة التي عنيت بتقدم هذا الحوار في وطننا العربي، ولفتتنا إليها .

كثير من هذه الجهود قامت بها طلائع عربية على المستوى الأهلي ، استشعرت أهمية الحوار وخطورة توقفه، واستلهمت تراثا حضاريًا موحيا تألق إبان ازدهار حضارتنا العربية الإسلامية من خلال الحوار وتلاحق الأفكار وتوليدها ونذكر من بين أمثلة عدة مجلة " الرسالة " وصاحبها وكتابها . ونحن نرى اليوم متابعة لهذه الجهود تظهر في تجليات عدة ، منها "جوائز " خصصت للإبداع العربي في الأدب وفي العلوم ، و" محافل " لتحقيق التعارف والتفاعل بين المثقفين العرب، و"مجلات " و"صحف" تعنى بهذا الهدف من بين أهداف عدة .

تتجلى هذه الجهود على الصعيد الرسمي العربي في " مجامع" قطرية تضم بين أعضائها عربًا من أقطار الوطن الكبير، وفي "أسابيع ثقافة " و"مهرجانات" و"ندوات"و"مؤتمرات" يلتقي فيها مثقفون عرب من مختلف التيارات. وهذا المهرجان مثل. ومعارض الكتب ومنها معرض القاهرة الدولى مثل آخر .

تتداعى إلى الخاطر هنا جهود أخرى عنيت بالحوار على صعيد الفكر السياسي بعامة وفي مجالات محددة منه أحيانًا . ولافت أن صيغة المؤتمر القومي العربي التي برزت منذ مطلع التسعينيات الميلادية، جمعت في إطارها مختلف تيارات الفكر العربي ملتقية على العمل لتحقيق المشروع الحضاري العربي. ولافت أيضًا أن صيغة

المؤتمـــر القومي الإسلامي التي بررت عام ١٩٩٤م مـــيلادي بعد خمس سنوات من حـــدوث نـــدوة الحوار القومي الديني، ضمت في إطارها إخوة مسلمين ونصارى مـــن التـــيار الديني وأخوة عربًا مسلمين ومســـيحيين مـــن التـــيار القومي بكل مدارسه.

إن مؤرخ الأفكار متشوف المستقبل يعـــنى بتتبع هذه الجهود . وهو يقف أمام مـــا تثمره من صنع مناخ صحي وأجواء صافية في الوطن الكبير وفي سمائه وأمام ما تعد به من خير مستقبلا . وهو يرى من واقـــع اعتـــباره ازدهار الحوار علامة من علامات الانبعاث الحضاري ومعيارًا له، إن هذه التجليات دليل على هذا الانبعاث وعلى صحوة نعيشها اليوم ، يهيب بنا أن نـــتابع الجهـــد ليبلغ الانبعاث غايته تألقًا حضاريًا وعمرانا .

أمـــر آخر يلفت نظر مؤرخ الأفكار متشـــوف المستقبل هو أن مباشرة الحوار بـــين تيارات ثقافتنا العربية المعاصرة أهلنا لمباشـــرة حـــوار حضاري على الصعيد العـــالمي. وقد أثمرت جهودنا المبذولة فيه معـــرفة أدق لعالمـــنا المعاصـــر، وتفاعلا حضـــاريًا صحيا أساسه الندية مكن من الإفـــادة ممـــا لـــدى الآخر من إيجابيات حقيقية، بعيدًا عن الانبهار والتوهم. كما مكـــن من الإسهام الحضاري في شؤون عالمنا . وأمثلة على هذه الجهود نراها في الحوار الإسلامي المسيحي والحوار العربي الأوربي وحوارات أخرى متنوعة دولية . وخلـــيق بـــنا أن نعنى بكتابة تاريخ هذه الحوارات، ليتابع النهوض بمسؤوليتها جيل جديد.

إن ما نخلص به من هذه الوقفة أمام أخطـــار قصور الحوار وأمام ثمار الجهود المـــباركة لمتابعته والتقدم به ، هو اقتناع بمتابعة هذه الجهود بقوة للوصول بالحوار إلى المســـتوى المطلـــوب ، والإفادة من الدروس المستخلصة في الحالين في ترشيد مساره .

تقوية جسور الحوار :

الحاجة ماسة اليوم لتقوية الجسور التي قامـــت بـــين جزر تيارات ثقافتنا العربية المعاصـــرة في بحر وطننا العربي الكبير في دائرة حضارتنا العربية الإسلامية الواسعة ،

ولتوسيع هذه الجسور وإقامة جسور أخرى، كي تتقارب الموائد المتباعدة المنفصلة وتتصل . فما السبيل لمتابعة الجهود الرامية إلى الوصول بالحوار القائم بين هذه التيارات إلى المستوى المطلوب ؟

منطلق هذا السبيل ومبدؤه هو التسليم بأن الحوار فرض لازم وجّه الله الخالق سبحانه بني آدم إليه ليتعارفوا على البر والتقوى . وهو تعالى يسمع هذا التحاور، ويدعو مباشريه إلى أن يكون بالقول المناسب وبالتالي من الأحسن أن تحكمه الحكمة والاقتناع بأن الاختلاف القائم بين المتحاورين من سنن الاجتماع الإنساني، وأن ما يعبر عنه من تنوع يغني الحياة، وأن جميع أفراد الأمة في سفينة واحدة؛ وأن الحوار الرشيد له آدابه، ومنها صيانة حرية التعبير عن الرأي واحترام الرأي الآخر واستهداف الحقيقة ، وأن هذا الحوار يثمر أطيب الثمار. وهذا ما يصدقه تاريخ ازدهار العمران والحضارات ، ومنها حضارتنا العربية الإسلامية التي شهدت مجالس من أمثلتها ما حفظه لنا أبو حيان التوحيدي في "الإمتاع والمؤانسة" وفي "مقابساته" وما حدثنا عنه أحمد أمين في فجر الإسلام وضحاه وظهره ويومه، وغيره من مؤرخي الأفكار ، وما شهده تاريخنا الحديث .

سياج هذا السبيل التي تصونه وتحميه، وتحول دون الخروج عنه واتباع سبل تفرق بنا إلى سبل أخرى يضعف فيه الحوار ويقف،هو التزام "السلطان" بحرية التعبير المسؤولة، والحرية قرينة المسؤولية. واعتراف "السلطان" قبل ذلك بكل حقائق التنوع في المجتمع .

التقدم في هذا السبيل يقتضي استحضار المثقفين والسلطان على السواء لأطلس المجتمع بكل خرائطه أقوامًا ومللا وأنماط حياة بدوًا وريفًا وحضرًا . وشرائح اجتماعية ، واستذكار حكمة تباين الأجيال وخصائص كل منها وروعة تواصلها .

تتسابق إلى الذهن الأمثلة المشرقة الإيجابية على السير في هذا السبيل . والمجال لا يتسع إلا إلى إشارات لبعض منها. فمتحف النوبة الذي تم افتتاحه في أسوان أواخر العام الميلادي ١٩٩٧

الموافق رجب ١٤١٨، قدم للثقافة العربية المعاصرة عطاءً سخيًّا ، وعبر عن موقف صحيح من الثقافات الفرعية في إطار الثقافة الواحدة. ومعجم اللسان الأمازيغي الذي أصدرته بالأحرف العربية أكاديمية المملكة المغربية من تأليف العضو محمد شفيق، عطاء سخي آخر عبر عن هذا الموقف الصحيح. ولا أزال أذكر سعادتي بقراءة ترجمة من الكردية إلى العربية لقصة " مم دزين" في دمشق في الخمسينيات ، وأحاديثي مع أخوة أكراد منتمين للثقافة العربية عنها. وقد حرصت في كتاب حديث لي هو "تفاعلات حضارية وأفكار للنهوض " على أن أعرض لثلاثة أعلام رحلوا أعطوا الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة حقه هم: محمد أنيس ، وإسحق موسى الحسيني،وإبراهيم مدكور. كما أفردت فصلا لجهد العالم يوسف القرضاوي في حوار العروبة والإسلام .

يعترض التقدم في السبيل الموصل لازدهار الحوار بين تيارات ثقافتنا العربية ضغط قوى طغيان خارجية علينا لفرض حوار مع عدد يحتل الأرض ويمارس العنصرية ويجاهر بالعدوان ، باسم حوار السلام وبزعم بلوغ هدف ترسيخ ثقافة سلام. وما ذاك بحوار ، وإنما هو " إملاء". وما ذاك " السلام" إلا استسلام وثقافته "رضوخ" . وتعمد قوى الطغيان هذه إلى استمالة نفر من المثقفين للانخراط في هذه "التمثيلية " مستخدمة أساليب ترغيب ثم ترهيب، وقصدها أن تغطي بها عدوان المعتدي الصهيوني اليومي ، وتمكنه من المضي فيه ، وأن تعكر صفاء مناخ الحوار الحق في أوساطنا وتلبد سماءه بالغيوم.

إن التقدم بالحوار يقتضي استحضار الثوابت التي يكون منها الانطلاق والبدء، ونصب عينيها تعزيز الهوية وتحقيق المشروع الوطني. وهذا يتطلب أن يأخذ الحوار مكانه اللائق به في مناهج تربية الأجيال وتعليمها احتراما وممارسة عملية، في البيت والمدرسة والمجتمع . وقد أولى الفكر التربوي العربي هذه المناهج عنايته. ويبقى أن يبذل جهد لتعميمها نظريًّا وتقديم الأمثلة العملية لها. ولابد هنا من التأكيد على أن هذه التربية تبدأ منذ مرحلة الطفولة الأولى ، وإن من بين

حقـــوق الطفل علينا أن يحاورنا ونحاوره ونجيـــبه عن أسئلته المتتالية التي من خلالها يصل إلى المعرفة.

هـــذا الـــتقدم يتطلب أيضًا أن يخدم الإعـــلام الحوار ، ويساند عملية التربية والتعليم . وأثر الإعلام اليوم قوي في ظل ثـــورة الاتصـــال ، ولـــلتلفزة والسينما والحاسب جاذبيتهم . وهناك مجال واسع رحب لتقديم صورة صحيحة من خلالهم لـــلحوار المثمر . وهذا يتطلب الحذر من الوقوع في أسر حوار الصم وما بدأ يشيع مـــن " مصـــارعات حوارية" تحت اسم الرأي والرأي الآخر .

التقدم بهذا الحوار يتطلب فيما يتطلب أن يلـــتزم " السلطان " بالحوار ، يحترمه ويولـــيه عـــناية ويمارســـه ويحرص على مستلزماته، ويتحمل بالصبر . ومستلزماته كما سبق أن أوضحنا حرية تعبير مسؤولة واعتراف بحقائق التنوع وحق الاختلاف وصولا إلى واجب الالتزام الفردي . وهذا الالـــتزام السلطاني الرسمي هو السبيل إلى ممارســـة الشـــورى والديمقراطية وقطف ثمارهـــا الطيبة ، أصوب الآراء والتلاقي عـــلى تحقـــيق المشروع الوطني ومشروع الأمة الحضاري وبلوغ الأمن الاجتماعي .

لـــن نمل نحن أهل الفكر من الحديث عن قصور الحوار على هذا الصعيد، ومن التنبيه على مخاطر هذا القصور . وسنظل ندعـــو إلى أن تكون " السياسة الأمنية " الرسمية في إطار السياسة العامة جزءا منها وليس حاكما عليها مهيمنا . وهذا يتحقق حـــين تغتني هذه السياسة الأمنية الرسمية بالفكـــر وآراء المفكـــرين. ولافـــت أن المؤسســـات المعنـــية لا تزال في غالبيتها مغفلة تلبية حاجتها هذه .

إن من أهم جوانب الحوار الرسمي هو ذاك الذي يتصل بجيل الشباب في المجتمع . وعـــلى صعيده يجب أن يتحلى التحمل بالصـــبر في أروع صوره. ذلك لأن لجيل الشباب خصائصه التي من بينها نزوع إلى الغلو والتطرف. وهذا النـــزوع لا يتعامل معـــه بـــالقمع الذي يورث العنف. وإنما بتوظيفه لصالح المجتمع من خلال الحوار . ولـــن يفتأ الشيخ المفكر يذكر بحق جيل الشـــباب على جيله وجيل بلوغ الأشد وهـــو يـــتابع بأســـى ما ينســـاق إليه

"السلطان" أحيانا من " عنف " في التعامل مـــع بعـــض أبنائنا من الشباب . ويسلم الشـــيخ المفكر بأن الغلو في مجموعه ليس حسنًا ولكن السماح به من خلال حرية الفكـــر يمكن أن يخفف منه ويأتي به إلى الوسطية والاعتدال هذا فضلا عن أن في الشباب " حدسًا" أشار إليه ابن الخطاب كمـــا ذكـــر المـــاوردي في "أدب الدنيا والديـــن"، تشـــتد حاجة صاحب القرار للاغتناء به حين يبلور قراره. وقد أوضح جمال إلينا في حديثه عن الإسلام والحرية أنه إذا كان الغلو في مجموعه سيئ ، فإن حرية التعبير عنه تفسح المجال لاستكشاف مـــا لا يستكشـــفه الـــنقاش المـــألوف، واستشـــهد بمـــا قاله شوقي في رثاء أمين الرافعي :

قيل غال في الرأي قلت هبوه

قد يكون الغلو رأيا أصيلا

وكم استنهض الشيوخ وأذكى

في الشباب الطماح والتأميلا .

وبعد

فـــإن هذا الحديث عن الحوار بين تيارات الثقافة العربية المعاصرة يدعو إلى الخاطر ما جاء به الهدي الإلهي من تعليم الله الخالق مخلوقـــه الإنســـان البيان، وإخباره نبيه ورســـوله صـــلى الله عليه وسلم " والله يسمع تحاوركما " حين جادلته الصحابية رضـــي الله عنها في زوجها واشتكت إلى الله، وأن الكـــثير من آيات الكتاب المبين جاءت في صورة حوار شمل نماذج شتى ، فـــنحمد الله سبحانه ونصلي على رسله وخاتمهم محمد بن عبد الله ، ونستلهم من ذلـــك عـــزيمة للمضـــي في سبيل الحوار الموصل إلى تحقيق مشروع أمتنا الحضاري الـــذي يلتقي عليه أبناء الأمة من مختلف تيارات ثقافية ، ليسهموا في عمران عالمنا.

أحمد صدقي الدجاني

عضو المجمع المراسل

من فلسطين

اللغة العربية لغة الإسلام *

للفريق يحي بن عبد الله المعلمي

اللغة: أي لغة هي لسان كل الشعب المعبر عن أفكاره وآرائه ومشاعره وأحاسيسه وآماله وآلامه وتطلعه وطموحه .

كما أن اللغة وما دُوِّن من آثارها من شعر ونثر وفكر وأدب هي تاريخ الأمة وتراثها الذي تعتز به وتباهي .

ولذلك فكل أمة تفخر بلغتها ، وتعتز بها ، وتحرص على انتشارها ومنع اختلاطها بغيرها من اللغات لتظل نقية صافية .

وأمة العرب تتميز عن جميع الأمم بأن لغتها ليست لغة شعب أو وطن أو إقليم . وإنما هي لغة أمة عظيمة العدد . متعددة الأوطان ، منتشرة على مساحة كبيرة من رقعة العالم . فهي لغة الإسلام : الدين الحنيف الذي يدين به مئات الملايين من البشر في مختلف بقاع المعمورة وبه تقام شعائر الإسلام في كل بلد ، فالأذان يرتفع خمس مرات من المآذن في كل مدينة أو قرية في كل وطن به عدد من المسلمين . والقرآن الكريم يرتل كل يوم بأفواه المقرئين وتنقله الإذاعة المرئية والمسموعة إلى المسلمين في كل بلد .

والقرآن الكريم يتلى أيضًا في كل بيت فيه مسلم . ومن لا يجيد قراءة القرآن الكريم باللغة العربية فهو يحفظ على الأقل سورة الفاتحة أم الكتاب وسورًا أخرى من قصار السور في القرآن الكريم يقيم بها صلاته ويؤدي بها ما فرض عليه من مشاعر ومناسك .

ولذلك فإن تعلمها وإجادة النطق بها وإحسان ترتيل القرآن بها أمر يحتمه الدين قبل أن يكون واجبًا وطنيًا أو قوميًا .

ونحن نرى الأمم من حولنا تعمل الكثير من أجل نشر ثقافتها عن طريق الإذاعات أو الأشرطة المسجلة . أو إنشاء المعاهد في الدول التي لا تتكلم لغاتها إضافة إلى إنشاء المعاهد العالية والكليات

* ألقي هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الأحد ٢٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ٢٢ من مارس (آدار) سنة ١٩٩٨م .

المتخصصة لتعليم اللغة، وآدابها، وتاريخها، ونحوها، وصرفها، وما تحويه من معان ومن أوجه الإبداع فيها.

والدول العربية تبذل في هذا الاتجاه جهودًا مشكورة فأنشأت المدرس والمعاهد التي تنشر اللغة العربية وتعلمها لغير الناطقين بها وتجعل الناطقين بها أكثر إجادة لقواعدها وتطبيقاتها.

ومدارس تحفيظ القرآن الكريم منتشرة في المساجد والزوايا والأحياء، والمسابقات تنظم للتشجيع على حفظ القرآن الكريم، والجوائز المغرية تقدم للناجحين في ذلك على مستوى كل بلد عربي، وعلى المستوى الدولي الإسلامي، ولا يغيب عنا مسابقات حفظ القرآن الكريم وتجويده التي تقام في ماليزيا وإندونيسيا وغيرها من الدول الإسلامية وترصد لها الجوائز المالية للفائزين. ويقوم على التحكيم فيها قراء من مختلف الدول العربية وبخاصة من الأزهر الشريف الذي يُعد حصنًا للغة العربية، ومعقلا من معاقلها الحصينة التي لها فضل الكفاح والدفاع عن اللغة العربية في مواجهة الدعوات الاستعمارية التي كانت تحاول طمس اللغة العربية وكتابتها بالحروف اللاتينية وتشجيع الكتابة باللغات العامية لتبديد شمل الأمة العربية وتشتيت لغاتها وإضاعة تراثها العريق المجيد.

ولكن الله الذي وعد بحفظ القرآن الكريم حمى اللغة العربية وسيظل يحميها من كيد الكائدين وعنت المستعمرين الطاغين.

ولكن المشكلة الكبرى التي تواجه اللغة العربية هي عقوق أبنائها وسعيهم في سبيل حصارها وتحطيمها بالقول والفعل. ومن أفاعيلهم إهمال اللغة الفصيحة واستبدال لهجات محلية بها لا يقتصر استعمالها على الحديث الشفهي وإنما أدخلوها إلى الصحف والمجلات. وأقاموا المهرجانات الدولية للأزجال العامية. ورصد بعض الأثرياء العوام جوائز مالية ضخمة فتسابق الناس إلى ارتضاخ العامية والخوض في مستنقعاتها لم تمنعهم غيرة على عروبتهم ولا حمية لدينهم.

ففي بلد عربي كريم تصدر الصحف اليومية وفيها صفحات تبلغ نصف عدد

صفحات الجريدة كلها وهي كلها باللغة العامية من الأزجال التي أطلقوا عليها اسما جذابًا وقالوا بأنها شعر شعبي فخلعوا عليها لقب الشعر وهي تخلو من أهم صفة من صفات الشعر وهي سلامة اللغة ونسبوها إلى الشعب العربي كله والشعب ليس كله من العوام بل إن منه العلماء والأدباء والكتاب والصحفيين والطلاب والموظفين والقضاة والمحامين ورجال الأعمال وكلهم متعلمون يجيدون القراءة والكتابة باللغة العربية الفصيحة ولا تخفى عليهم معانيها .

وزعموا أن اللغة العامية أقرب إلى أفهام الناس، ونحن نرى الناس كلهم يذهبون إلى صلاة الجمعة كل أسبوع ويستمعون إلى خطبة الجمعة ولم يقل أحد منهم، إنه لم يفهم الخطبة، ونراهم يقرؤون القرآن الكريم ولم يقل أحد إنه عسير الفهم وإذا أشكل عليه فهم شيء منه أسرع إلى من يعرف القرآن واللغة فاستوضح منه .

ولم يَدْعُ أحدٌ أبدًا إلى الخطبة بالعامية لكي يفهم الناس الموعظة .

ولم يَدْعُ أحد إلى قراءة القرآن وطبعه باللغة العامية ليكون سهلاً على الجهلاء.

وزعموا أن اللغة العامية أقرب إلى الوجدان في الغناء وهم يستمعون إلى أغاني أم كلثوم باللغة العربية مثل : ولد الهدى ، ونهج البردة وقصة الأمس وذكريات ، وحديث الروح ، وإلى عرفات الله ، وإلى أغاني محمد عبد الوهاب مثل الكرنك ، والجندول ، وكليوباترا ، والنهر الخالد ، وفلسطين وغيرها فيطربون لها أيما طرب ويستمتعون بألحانها ويتذوقون كلماتها ومعانيها .

وهذه الأغاني هي التي سوف تخلد فن أم كلثوم وعبد الوهاب وليس الطقاطيق الأمية التي انتشرت ثم اندثرت ولما يمض عليها ربع قرن من الزمان .

وزعموا أن اللغة العامية هي التي يتحدث بها الناس وأن علينا أن ننزل إلى مستوى العوام. وأنا أقول لهم : إن من العار أن يتحدث مثقف باللغة العامية في منزله أو في السوق وتتضح شناعته إذا كان المتحدث مدرسًا في فصل أو خطيبًا في محفل أو متحدثًا في مجلس رفيع يتناول

موضوعات الساعة من سياسة واقتصاد ومشكلات دينية أو دنيوية .

ونحن نقول : إن من واجبنا أن نرفع الناس إلى مستوى اللغة العربية الفصحى لا أن ننزل إلى مستواهم وكذلك عندما نرى المستحذلقين يخاطبون أتباعهم من الخدم والسائقين الذين استقدمناهم من دول لا يتكلم أهلها العربية . فإننا بدلا من أن نحملهم على فهم لغتنا والحديث بها نلوي ألسنتنا فنذكر المؤنث ، ونؤنث المذكر ، ونخاطب الفرد والجمع بضمير الغائب الفرد ونظن أننا بذلك نيسر اللغة ونحن نعقدها ونجعلها صعبة عسيرة على السامع .

والأدهى أن ينشأ أطفالنا فيألفون لغة الأتباع وينشأ جيل جديد ضيع اللغة العربية ولم يتقن لغة أجنبية فكان كالغراب الذي خطر له أن يقلد خطو الحمام فأصيب بالعرج وسمي أبا مرقال .

وبعد أيها الأخوة الكرام فأنتم تعلمون عندما نكون في المغرب العربي إذا تحدث أحدهم مع الآخر بلغته العامية لا تفقه من حديثه شيئًا أما إذا تكلم اللغة الفصحى فإننا نفهمها جميعًا .

ولذلك فاللغة العربية تربط الشعوب العربية وتوحد لغتها وتربط قلوب أفرادها بعضهم إلى بعض وقد لقيت من الدفاع عن اللغة العربية ومهاجمة العامية عنتًا ولكني أقول :

أحمي حمى الفصحى وأفخر أنها
لغتي بها جاء الكتاب المُنْزل
وبها أحاديث النبي المصطفى
وبغيرها القرآن ليس يرتل

وسلمت اللغة العربية ورفع الله شأنها

يحيى بن عبد الله المعلمي

عضو المجمع المراسل

من المملكة العربية السعودية

أصل الكلمة العربية "هرم"

والتي تعني " Pyramid"*

للأستاذ الدكتور إسكندر فودور

إن أصل كلمة "هرم " و(جمعها:أهرام) هي المماثل لكلمة " Pyramid" ، وعلى ما يبدو فإنها لم تحتل مكانا خاصا في الأبحاث العلمية. وطبقا للطبعة القديمة لدائرة المعارف الإسلامية فقد ورد عن كلمة "هرم" : "كلمة قبطية مشكوك في مصدرها(١)" ، بيْد أن الطبعة الجديدة كانت أكثر حذرًا ، فكل ما جاء عنها هو: "كلمة ذات أصل مشكوك فيه"(٢). ومن مظاهر عدم التحيز لأصل كلمة"هرم" وفيما يتعلق بمشتقاتها ، فإن كلتا الطبعتين لدائرة المعارف الإسلامية قد استشهدت فقط بدراسة كتبها " دي ساسي " في سنوات ماضية.(٣) وبالرغم من أسفنا فإن تلك الدراسة لم نتمكن من التوصل إليها ، لكنني حصلت على دراسة كتبها " هاجر" "Hager" نقل خلالها إلينا أراء "دي ساسي" حولها.(٤)

وفي استعراض تاريخي ، فإن المضمون المختصر لدراسة كل من "دي ساسي" و"هاجر" سيكون له قيمة واضحة. وسوف نرى أنهما لم يحاولا ببساطة اقتفاء أصل كلمة "هرم" بل تتبعا الأصل العام المزعوم لكلمتي "هرم" و" Pyramid".

وقد عدّد "دي ساسي" في مبدأ الأمر الاشتقاقات المتنوعة لكلمة " Pyramid" التي اقترحها آخرون، وتبعا لذلك فإنها ترجع إلى كلمات يونانية: نار وبر (حنطة) كلمة " Pyr" و " Pyros"، وإلى كلمة فرعونية تعني رجلاً "Piromi" ومحاولة ربطها بمعنى كلمة قبطية للدلالة عن ملك ومولد، "puro" و "misi" أو ربطها بكلمة قبطية تعني شمسًا، أي " Pire " أو "Pira" أو بالأداة المصرية (القبطية) "pi"وربطها بكلمة سامية تعني الارتفاع ، أي " rama" وللتوصل إلى عرض آرائه

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة عشرة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والستين يوم الأحد ٢٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ٢٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م .

الخاصة فإن "دي ساسي" ذكر بأنه تتبع لبعض آراء المستشرقين فوجد أن كلمة هرم تعني"pyramid"وهي ترجع إلى جذر عربي ثلاثي وهو "هرم" بمعنى "هرم" بكسر الهاء وفتح الراء وذلك للدلالة عن مبنى "الهرم" القديم والعتيق .

وتبع ذلك بعرض رأيه الخاص بأن كلمة " pyramis" اليونانية ذات الأصل العربي " حَرَم " وتعنى " المقدس" وبمعنى آخر فإنها تعني بالأصل المبنى المقدس جانب استحالة ذلك تاريخيًا فإن فرضية "دي ساسي" تقودنا إلى افتراضات غير مقبولة بالأساس وهي:

١) إن هرم العربية وتعني pyramid يجب أن تنطق بحرف الحاء الحلقي.

٢) ورغم ذلك فإن المصريين القدماء لم يكن لديهم بد من استخدامها.

٣) إن أداة التعريف " Pi" كان ولابد أن تسبقها .

٤) ولنطقها فإن حرف الحاء كان ولابد أن يختفي ، تاركا النطق التالي : " Piram" لكل من "piharam" و " pihram" .

٥) وأخيرًا فإن حرف الابسلون اليوناني "Y" في كلمة "pyramis" اليونانية كان ولابد أن يكون سابقة من الإغريق أنفسهم .

وبالنسبة "لهاجر" فإنه كان من المهم لديه أن يقيم الدليل قبل كل شيء بأن المصريين قد استخدموا في الواقع هذا المصطلح . ولم يجد "هاجر" في ترجيحه للتفسيرات المشتقة للكلمة قبولاً لديه ولاسيما أنه أراد أن يرجح استخدام كلمة "هرم" وتخريجها من العصور القديمة الأثرية ومن الكلمة "Hermes"و "Hermonthis"أو"Cheremon" والتي اعتبرها اشتقاقا مباشرا لكلمة "هرم". وأشار "هاجر" مدللا بأن المسألة إذا كانت كذلك فإنه ليس من الضروري أن اسم Pyramid يشتق من "الهرم"ذات الأصل العربي .

في الوقت الذي أسقط "هاجر" فرضية "دي ساسي" ، فإنه قدّم رأيه الخاص في الاشتقاق . وطبقا لذلك، فإن نماذج الأهرامات المصرية، توجد في الأضرحة الضخمة للملوك بابليون

"mausilems" وهـــو المصـــطلح الذي قد يكـــون نابعا من كلمة سامية (العبرانية الكلدانـــية) أي كلمة عمود النار " -ur camud". وإن المصـــريين قد يكونوا تبنوا صـــيغة " ur-amud" مذيلـــين لهـــا أداة تعـــريفهم " pi" ، وهكذا تشكلت كلمة " piramis" . وكشرح بديل ، فإنه يذكر أيضًا احتمالية استخدام كلمة النار "pyr" اليونانـــية بدلا من المقطع الجزئي للكلمة أي " ur" والـــتي تعـــني النار كذلك في الكلدانية العبرانية .

وفي التحقـــيق في أصل كلمة "هرم" يجـــب التأكيد على خلاف ما قاله "دي ساسي" في أن كلمة"هرم" تعني pyramid ظهرت في وقت متأخر وطبقا لما نعرفه ، فإنهـــا أول ما ظهرت للمرة الأولى كانت في أعمال كل من ابن خرداشبة (المتوفى في ٨٤٨م) (٥) وابن عبد الحكم (المتوفى في ٨٧١م)(٦) ثم لدى ابن معشر البلخي (المـــتوفى في ٨٨٥م) (٧): والأمر الأكثر تشوقًا ، أن التقاليد العربية اعتبرت كلمة "هـــرم" كلمة قديمة تنتسب إلى اصطلاح منســـوب إلى جاليـــنوس، وتبعا لهذا فإن كلمة هرم (بفتح الهاء وكسر الراء) تعني "عتـــيق أو قديم" وإنما قد استخرجت من كـــلمة أهرام التي تعني "Pyramids" (٨) ومن البديهي أن جالينوس في القرن الثاني الميلادي لم يكن قد ذكر شيئًا مماثلا لهذا ، ولكن من الأكيد فإن كلمة هرم (بكسر الـــراء) أي "عتـــيق" يمكن تتبعها بشكل منطقي من التصور" عاديات" الأكثر قربا مـــن ألـــ" pyramids" عن انتحال أن ألـــ pyramid أخذت اسمها من كلمة هرم (بكسر الراء) كما ذكر دي ساسي.

في حـــين أن د. هـــ. موللر تناول بشكل أكثر اقترابا أصل كلمة هرم وذلك في أحـــد تذيـــيلات مقالاته حول نقوش العربـــية الجنوبـــية المنشـــورة في عـــام ١٨٧٦م.(٩) فقد ذكر بأن " هرم " (من الـــثلاثي ر.و.م) يمكن أن تدل على بناء طويـــل في كـــل من الحميرية والعربية. وأضاف قائلا بأن هناك مدينة في العربية الجنوبية تسمى (هرم) (١٠) . حيث قام ج. هـــالفي بجمع العديد من النقوش التي كانـــت ذات شهرة بسبب العمارة التي أقامهـــا الملوك الحميريون. واقتبس مولر

ملحوظة لنشوان الحميري ، وهو من أشهر المؤلفين الذين وصفوا العربية الجنوبية القديمة بقوله: "هرم اسم مكان في " الجوف" باليمن حيث وجدت صروح شيدها ملوك حمير. والهرمان في مصر توجد فيهما على نفس النمط صروح مثيرة للعجب. وهي كما قيل كانت مقابر لاثنين من ملوك مصر الأوائل ". وقد ظن المؤلف العربي بأنه قد كشف عن علاقة وثيقة بين اسمين يتشابهان في النطق. وفي النهاية فإن مولر دعم رأيه مستخلصا أن العرب أشاروا إلى النقوش الهيروغليفية كخط المسند (١١) ذات الأصل العربي الجنوبي وأنهم على نفس المنوال قد استخدموا كلمة هرم للدلالة على الأهرامات المصرية ذات الحجم الكبير.

ولم يلتقِ تصور مولر مع أي استجابة في الأدبيات التي يمكن أن تكون قد تجاهلتها بالتمام. ومنذ بضع سنوات مضت فإن w.vycichi قد مزج الكلمة السامية "rym" وتعني : متراس أو لحد مع الجذر " rwm" التي تعني الارتفاع والعلو التي ذكرها مولر مرتبطة بالهرم"pyramis" وليس من خلال هرم العربية، ولكن من خلال الكلمة المصرية القديمة "mr" وتعني الهرم. وقد أراد إثبات أنها تتناسق في مساواتها مع المصطلح السامي (كنتيجة لقلب موضع حرفي "م"و"ر" والخلل في كتابة عين الفعل "y"أو "w") (١٢)

إن تلك الفرضيات لا تتلاءم ولا تفي بالغرض الأساسي لأنها قد تناولت بشكل مباشر وعلى سبيل الحصر القضية اللغوية كجانب من مشتقات "هرم" ولم تحاول أبدًا تحقيقها تاريخيا . وفي التحليل الأخير فإن افتراضية مولر أيضًا قد بقيت فقط مجرد فرض .

إن أصل العربية الجنوبية للكلمة العربية "هرم" تتناسب بالكامل مع الصورة التي رسمها "VADET" في إحدى دراساته (١٣) للعلاقات الوثيقة بين مصر في العهد الإسلامي وبين العربية الجنوبية . وكما برهن فإن القبائل اليمنية كانوا جنود الفتح الإسلامي لمصر وأنهم قد لعبوا دورا واضحا ونجحوا في ربط مصر ربطا جيدا مع العالم الإسلامي . فتنافس القبائل

اليمنية مع القبائل العربية الشمالية القوية من الناحية العسكرية ولم يكن أمامهم إلا تأكيد ماضيهم المجيد، وإظهار تفوقهم الحضاري. وقد حاولوا دائما الربط بين أسلافهم الذين اختفوا من صفحات التاريخ وبين واقعهم الجديد .

وقد استقرت القبائل اليمنية المشاركة في الفتح العربي لمصر في الحواضر والعواصم. وخلال القرون الأولى قد سادوا بشكل ظاهر على القضاء والضرائب والحياة الفكرية في البلاد . وقد نجحوا في إقامة علاقات طيبة مع المسلمين الجدد المحليين الذين وجدوا فيهم خير نصير لهم في تنافسهم مع أقرانهم الشماليين فقد كانوا يرتبطون برباط عام معهم إذ إنهما كانا يعتبران أنفسهما ممن ورثوا حضارة قديمة. وإلى جانب وجهة النظر الثقافية فإن سياسة الانصهار والاندماج العربي كانت تهدف إلى تجريد المصريين إلى حد ما من الميراث المصري. ولم يذكر "vadet" المرتبات اللغوية لهذه المحاولة ولكنها بدون شك تبدو أنها قد تبت ونشرت كلمات عربية جنوبية مثل "هرم" و"مسند" .

إسكندر فودور

عضو المجمع المراسل

من المجر

الحاشية

١) دائرة المعارف الإسلامية (ليدن – ليبزج) ، ١٩٢٧ ، جزء ٢ ص ٢٧٨ انظر كلمة هرم .

٢) دائرة المعارف الإسلامية (ليدن – لندن) ، ١٩٧١ ، جزء ٣ ص. ١٧٣ انظر كلمة هرم .

٣) S.de Sacy : Observations sur l'origine du nom donné par les Arabes aux Pyramides d'Aegypte, " Magasin Encyclupédiqe, 1801, VI, 456-503 وهـــذه المعطيات في دائرة خاطئة للأسف، وحـــول المـــادة المنشورة (انظر حاشـــية رقم ٤) ويمكن وجودها في ١٨٠١ جـــزء ٥٠والـــرقم الصحيح للمجلد هو ٤/٦ .

٤) HAGER: Observations sur le nom et sur l'origine de pyramides d'Aegypte , Magasin Encyclopédique, 1801, V, 334-347.

٥) Graefe : خطـــط المقريزي مادة الأهرام (ليبزج ١٩١١)ص ٣٧ .

٦) نفس المصدر،صفحات٧٣– ٧٤.

٧) ابـــن أبي أصـــيبع : كتاب عيون الأنباء ، القاهرة، ١٨٨٢ ص١٦.

٨) جرايف:نفس المصدر ، ص ١٢ .

٩) D.H. MULLER: Himjarische Studien, ZDMG , XXX/1876,704,n

١٠) انظـــر مديـــنة هـــرم في J.Hamordtmann: Miszellen zur himjarische Altertumskunde. ZDMG/XXXI/ 1877, 83; A. Fakhry: An Archeological Journey to Yemen, I, Cairo, 1952,145.

١١)بالنســـبة لاستخدام خط المسند لـــدى المؤلفـــين العـــرب انظر، G.WIET: L'Egypte de Murtadi fils du Ghaphiphe, Paris, =953, المقدمة ص ٨٥ . وطبقا للروايات العربية فإن المسند أطلق عليها هذا الاسم الذي أسند بواســـطة هود بن جبريل (وهب بن منبه : كتاب التيجان، حيدر آبـــاد ص٥٤) وحـــول الأرضية الجنوبـــية للكـــلمة انظـــر : E. OSIANDER: Zur himjarischen Alterthumskunde ZDMG/XIX/1865,165,n

l;J.HALEVy: Etudes vrbéenes JA, VII/I 1873, 441; MULLER: Himjrische Inschrioten ZDMG, 29,1875,594;
انظر MORDTMANN: PP. 73
رايكمانـز فـيما يخص مصطلح النقوش
RYCKMANS: Inscriptions historiques sabéens Muson, 66 / 1953/285f, . 304,306,308

١٢) W, Vycichl: Aegyptische MR " Pyramige" und seine arabische Etymologie h Le Museon, 71/1958/149-152

١٣) J.C.VADET: L'Acculturation des Sud-Arabiques de Fustat au lendemain de la conquéte arabe. Bulletin d'Etudes Orientales,22/1969,/,7-14.

ثانيًا: بحوث
لم تُلــــقَ في المؤتمر

مقدمة لدراسة

الحداثة الشعرية العربية

للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

في ظل المتغيرات المتسارعة ، خلال نصف القرن الأخير ، في الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتطوُّر أساليب العلم والمعلومات واتصالات الفضاء والتقدّم التكنولوجي ، كان لابدّ أن تحدث تحولات عميقة في صورة المجتمعات ، والعلاقات الإنسانية ، وحياة الأفراد ، وأن يكون لكل ذلك آثاره في المشاعر والتصورات والرؤى والأفكار والتطلعات . وهكذا لم يَعُدْ من المستطاع أن تنفصل أساليب التعبير وعناصرُه عن بواعثه ودواعيه الفكرية والوجدانية الجديدة المتغيرة ، ولا أن تَثْبُتَ عند صورة بعينها لا تتجاوزها حين كانت تلك الأساليب والعناصر – على مدى سبعة عشر قرنًا – مناسبة لنبض الحياة، مواكبة لتطورها المستدرج ، فألفتها الآذان واستكانت لها ، والتصقت بها النفوس حتى كانت لا تطيق عنها افتراقًا ، ولا تكاد تتصوّر لها بديلا .

وفي السنوات الخمسين الماضية تلاحقت الأحداث السياسية ، واضطربت المفاهيم والمقاييس ، واختلطت القِيَم والمُثُل، ثم انطلقت صواريخ الفضاء ومَرْكباته ومحطاته واكتشافاته ، وجال معها الإنسان حتى سبح في فراغ الفضاء ، واستقرت قدماه على القمر ، وانطلق إلى كواكب أخرى . وارتفعت وتيرة الحياة، واشتدّ صَخَبُها ، وتسارع نبضها ، وأخذ الإنسان يلهث وراء كل ذلك مشدوهًا مدهوشًا . فكان لابدَّ له من صور للتعبير تتناسب، في موسيقاها وألفاظها ومعانيها، مع نبضِ حياته الحقيقية الواقعية، ومع نبضِ عصره هو ، وليس مع نبض حياة أسلافه وعصورهم .

ولكنّ الأمر لم يكن سهلاً ، فهذا التراث كانت له تقاليده الأدبية الضاربة في أعماق التاريخ ، وكانت له جدوره

الممتدة في باطن الأرض . ولا يستطيع المبدع أن ينحّي ذلك كله ، ويبدأ من جديد أو ينطلق من فراغ . وبذل رواد نهضتنا الأدبية — في أواخر القرن الماضي ومطالع القرن الحالي — جهودًا متواصلة لمسايرة المتغيرات في الحياة ، فتمثل جهد الرائد الأكبر محمود سامي البارودي في تمزيق الأكفان التي كادت تدفن شعرنا العربي، وانطلق يعبر عن مضامين جديدة بديباجة مشرقة وموسيقا عذبة ، أحيا بهما رونق الشعر العربي . وسار من تلاه من الشعراء على أثره ، وكان أوضح تجديد لشوقي الانتقال بالشعر من القصائد المتفرقة إلى المسرحيات الشعرية ، واستمر هو وغيره في التعبير عن الأحداث السياسية والاجتماعية في عصرهم ووصف المكتشفات والمخترعات الحديثة حينئذ . ومع ذلك ظل هؤلاء الروّاد العظماء يدورون في موسيقا شعرهم وألفاظهم وشكله في دائرة التراث الشعري ، في عصور ازدهاره ، منذ الجاهلية حتى أواخر العصر العباسي .

وجاءت محاولة جديدة تمثلت في إطلاق أواخر الأبيات من قيود القافية ، وسُمِّي هذا الشعر بالشعر المرسل ، وكان من أوائل روّاده : توفيق البكري (في مطالع القرن العشرين الميلادي) ، وممن نظم هذا الشعر المرسل : الزهاوي وعبد الرحمن شكري وأحمد زكي أبو شادي وباكثير وغيرهم . ولم يكتب لهذا الضرب من التجديد الشيوع والسيرورة ، فقد نَبَتْ عنه الأذواق والأسماع ، إذ كان تقليدًا محضًا لما يسمى بالإنجليزية Blank Verse.

وما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهي حتى كان نفر من الشعراء — من الجيل الثالث بعد روّاد النهضة — قد اطّلعوا على الحركات الشعرية التجديدية في الغرب ، وخاصة ما قام به عِزرا باوند، وتوماس ستيرنز إليوت . فكان أن أدرك هؤلاء الشعراء أن جميع محاولات التجديد السابقة قد حافظت على البيت الشعري بشَطْرَيْه، وعلى تفعيلاته المتكررة ، سواء أكان البيت تامًّا أم مجزوءًا أم مشطورًا . وأدركوا أن هذا الالتزام بالشطرين

والتفعيلات المتكررة يقيّد حرّيتهم في الانطلاق نحو تجديد يجعل من شعرهم نمطًا مغايرًا للبيت الشعري. فاتخذوا من التفعيلة أساسًا لشعرهم ، بدلا من الشطرة ، ونوّعوا في عدد هذه التفعيلات في السطر الواحد ، فهو أحيانًا تفعيلة واحدة وأحيانًا تفعيلتان أو ثلاث أو أكثر ، وانتفى التساوي في عدد التفعيلات، وأصبحت تُكْتب في سطور تطول وتقصُر، بدل الأبيات المتساوية . وهكذا أحسّوا بالانعتاق والانطلاق ، والتدفق في التعبير عما يريدون التعبير عنه دون أن تَحُدُّهم قافية واحدة يلتزمونها دائمًا ، ودون أن تقيدهم الشطرتان بتفعيلاتهما المتساوية المتكررة .

وكان اتصال رواد النهضة الأدبية أولا ثم رواد هذا التجديد الشعري اتصالا وثيقًا بشعر التراث عامّة في مختلف عصوره. وكان هذا الاتصال واضحًا في ديباجتهم ونسجهم وألفاظهم واقتباساتهم وإشاراتهم ورموزهم وتضميناتهم ، وكل ذلك من الوضوح والكثرة بحيث لا يحتاج إلى ضرب الأمثلة .

ولم يبدأ رواد التجديد حركتهم — منذ أواخر الأربعين من هذا القرن — إلا بعد أن قطعوا شوطًا بل أشواطًا في نظم الشعر الموروث أو العمودي ، واشتهروا أولا من خلال نظمهم لذلك النمط من الشعر ، ثم ساروا في طريق التجديد عن بيّنة وبصيرة وعلى هَدْي سَنَنٍ لاحب . حتى إن بعضهم لم يلتزم دائمًا بهذا النوع من الشعر في كل ما ينظم ، بل أخد يُدخِل في ثناياه أبياتًا كاملة من ذات الشطرين .

ومع دلك فقد أوغل بعض هؤلاء الروّاد المجددين في تقليد الاتجاهات الأدبية الغربية الحديثة في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة . وأسرفوا في استعمال لغة الحديث اليومي في الشعر ، ويكفي أن نقتبس ما قاله ييتس Yeats : "لقد كنا نريد التخلص لا من مقاييس البلاغة وحدها فحسب ، بل من العبارات الشعرية أيضًا ، لذلك حاولنا أن نخلع كل ما يتّسم بالتكلف وأن نختار أسلوبًا أقرب إلى الكلام ، بسيطًا كأبسط أنواع النثر ..." بالإضافة إلى ذلك غلب على

بعضـــهم أسلوب ت.س. إليوت باتباع الأســـلوب الصُّـــوري ، والتعبير بتقديم صـــورة تعقبها صورٌ غيرُها تنقل للقارئ فكـــرة القصيدة ، وكان الذي أقام هذا الأســـلوب في العقـــد الأول مـــن القرن العشـــرين الشاعر الأمريكي المَوْلِدِ عزرا بـــاوند ، "ويعـــود الأسلوب في جذوره الأولى إلى الرمـــزية الفرنسية التي تبلورت في أواخـــر القرن التاسع عشر ... ويقوم الأســـلوب الصوري على بلورة صور أو سلســـلة من الصور تؤدي إلى التعبير عن فكرة ... "(*)

وكـــان إليوت واسع الثقافة ، متعدد مصادرها ، وكان يرى أن غزارة الحصيلة الثقافـــية وسعة قاعدتها لدى الشاعر هي أساس الشعر الذي يستحق هذا الاسم . وقـــد نشر أكبر قصائد القرن العشرين في اللغة الإنجليزية ، وأهمها ، وهي "الأرض اليباب"جمع فيها ثقافات عصره وثقافات السابقين عليه بلغات عديدة وملأ القصيدة بإشـــارات إلى ٣٥ كاتبًا وكتابًا ، بسبع لغات غير الإنجليزية، بغير شرح ولا تفسير ولا إشارة قد تُروي الغليل . فترسَّخت — مـــن هـــذه القصـــيدة — صفة الغموض والتعقـــيد في شعر إليوت ، وظهرت فيها خلاصـــة مركـــزة للصور التي سبق أن رأيـــناها في بواكـــير شعره . ولابدّ لمن يتصدَّى لقراءة القصيدة أن يطيل التأمل في الصـــور والعلاقات التي تبدو غير مألوفة حـــتى بعـــد قـــراءات عديدة . ليس في "الأرض اليـــباب " "شـــكل" شعري أو "نمـــط" مألوف من حيث عدد التفعيلات أو الأبيات أو نظام القوافي مما ألِفه قارئ الشـــعر . فهـــي مثالٌ على "الشعر الحر" الـــذي بدأه الأمريكي " والت وتمن" عام ١٨٥٥م يـــوم أصـــدر مجموعة "أوراق العشب " وأثار ضجة في الأوساط الأدبية بســـبب غـــياب الـــوزن والقافية بالمعنى المـــألوف . في هـــذه القصيدة يستعيض إلـــيوت عن ذلك كله ، بما يدعوه الناقد الكبير "رتشاردز" (I.A. Richards) باسم "موسيقا الأفكار " وهي التي تعوّض عن غـــياب الوزن التقليدي والقافية المعتادة . وفيها نجد " الفكرة " هي الأســـاس في

(*)عبد الواحد لؤلؤة ، جريدة الدستور (الأردنية) عدد ١٩٨٥/١/٤م.

القصـــيدة ، تـــتكرر أو تتواتر بطريقة أو بأخـــرى لتقدم صورة متكاملة لما يريده الشاعر. وكذلك فإن طول الشطر مرتبط بالعـــبارة التي تصور الفكرة وليس بعدد تفعـــيلات مفروضٍ على الشطر أو نوع قوافٍ يرصفها الشاعر طلبًا لموسيقا لفظية غنائـــية الأثـــر ... دعـــائم التراث هذه ضرورية في نظر إليوت لكل شعر يستحق الاسم ، ومن أجل ذلك كان شعر إليوت موضع اتهام بأنه "شعر الخاصة" أو "شعر الشـــعراء " وليس شعر العامة ومتوسطي القراء ، وكان الاتهام ، وما يزال ، أن هذا الشعر يتصف بإفراط في العقلانية وإفراط في الغموض [1] .

وقـــد أوضـــح إلـــيوت رأيه في التطور والتجديد في الأدب، بقوله[2] :" من حين إلى حـــين تحدث ثورة ، أو تحوّل مفاجئ في شكل الأدب ومضمونه . حينئذ يرى عـــدد غـــير قلـــيل من الناس أن بعض الكتابات التي شاعت على مدى جيل أو أجيال ، أصبحت بالية و لم تعد تستجيب لأســـاليب الـــتفكير والشـــعور والكلام المعاصر . ويبرز نوع جديد من الكتابات يقابل في أول الأمر بالإنكار والسخرية . ونســـمع أن التقالـــيد قد حُقِّرت ، وأن الفوضـــى قـــد عمّت . وبعد حين تظهر الطريقة الجديدة أنها ليست عامل هدم أو تخريب إنما هي إعادة بناء وتكوين [إعادة خلق]. إن الأمر ليس أننا أنكرنا الماضي، كمـــا يحلو للخصوم العنيدين لكل حركة جديدة – وكذلك للمؤيدين الأغبياء – أن يعـــتقدوا ، ولكنـــنا وسَّعنا تصوّرنا للماضـــي ، ورأينا الماضي – في ضوء ما هو جديد – في صورة جديدة ".

وهكـــذا نرى – مما نقلناه من كلام إليوت ومما ذكرناه عن قصيدته " الأرض اليباب " – أن الحداثة عند إليوت لم تكن قطيعة مع التراث ، بل كانت تواصلا به وتفـــاعلا معه ، على نقيض ما ذهب إليه غيره من دعاة الحداثة،وخاصة من العرب.

والكـــلام على الحداثة كلام طويل متداخل، فيه قدر من الغموض والتناقض،

(١) الفقرة السابقة مقتبسة بشيء من التصرف،من مقالة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة التي أشرنا إليها، المنشورة في جريدة الدستور.

(٢) نقـــلا عـــن : T.S. ELIOT, American Literature and American Language, 1965
. Revolutions of The word, Edited by Patricia Waugh, 1997

حتى ليخيَّل للمرء أن كل أديب أو ناقد له حداثــته ، أو له فهمه الخاص للحداثة . وسحاول أن نقول كلامًا واضحًا في هذا الموضوع غير الواضح :

الأصــل في الحداثة أنها منهج فكري ومذهب اجتماعي ونظرة في الحياة . وقد اخـــتلف مؤرّخوها في منشئها ، فذهب بعضـــهم إلى أنها تعود إلى عصر النهضة الأوربــية ، في القـــرنين الخـــامس عشر والســادس عشــر المــيلاديين ، وذهب آخرون إلى أنها تعود إلى عصر التنوير في القرن الثامن عشر ، وتأخّر بها بعضهم إلى نهايات القرن التاسع عشر .

وكمـــا اختلفوا في مبدئها ، اختلفوا كذلـــك في معناها ، وينكر أكثرهم أن تكـــون بمعنى العصرية ، كما يردّون قول القـــائل : لكل عصر حداثته ، فهم يرون أن الحداثـــة سمة عامة تصلح لكل عصر ، ولا تخـــتلف باختلال العصور . ذلك أنها تقوم على أسس ثابتة ، أهمها :

١-رفض سلطان الكنيسة ورجال الدين، وقد تدرج هذا الرفض إلى ما يسمى بظاهـــرة العَلْمانـــية أو الدنـــيوية (Secularism أو Laicism) ووصل بها بعض المغالين إلى رفض الدين نفسه ، ولــيس الاقتصار على رفض سلطان الكهنوت.

٢-تقديس العقل والاعتماد عليه في فهم قضايا الكون ومظاهر الحياة . وذهب المغـــالون إلى إنكـــار الوحي ورفض النص الإلهي ، وتأليه العقل وحده .

٣-الأخذ بالعلم ومناهجه . وكما كان موقـــف المغـــالين من العقل ، كان كذلك موقفهم من العلم في تقديسه وتأليهه .

٤-الإيمـــان بفكرة التقدّم ، وأن الحاضر خـــير من الماضي،والمستقبل خير من الحاضـــر، والحياة تسير إلى الأحسن والأرقـــى . وذهـــب المغالون إلى أن التقدم وقَفٌ على أوربا ، وأن البلاد الأخرى بلاد متخلفة ، وخاصة البلاد الآسيوية والإفريقية ، ومن هنا نشأت فكرة الاستعمار ووجوبه لتمدين تلك البلاد.

وبهـــده الأسس الثابتة تكون الحداثة مـــنهجًا فكريًا ومذهبًا اجتماعيًا صالحين

لجميع العصور ، مستمرّين مع الحياة ، وليست خصائص أو سمات لعصر معيّن تختلف باختلاف العصور .

وحين ننظر إلى ما عند المسلمين ، منذ عصر النبوة وخلال تعاقب العصور ، نجد أن الحداثة كانت من صفات الحضارة الإسلامية ، بعد أن نخلص الحداثة من الغلوّ وآراء المغالين . فليس في الإسلام كنيسة ولا رجال دين من الإكليروس ، بل إن الإسلام ينكر أن يكون أحد من الناس وسيطًا بينه وبين الله ، والحاكم فيه يستمد وجوده وسلطانه من الأمة بالبيعة ، وإن كان يحكم بشريعة الله ، فهو ليس ظل الله على الأرض ، وليست له قداسة ، والحكم في الإسلام قائم على الشورى . ثم إن الإسلام يمجّد العقل ، ويدعو إلى استعماله، وما أكثر الأحاديث التي تحضّ على التفكير واستخدام العقل . والإسلام دين العلم ، فالعلماء هم الذين يخشون الله من عباده ، والعلماء ورثة الأنبياء ، وغير ذلك كثير مما يُستشهد به في هذا المقام وفي المقام الذي قبله ، وهو العقل ، مثل : الحث على طلب العلم ولو في الصين ، (ولا يكون العلم الذي في الصين إلا علمًا دنيويًّا ، وليس تفسيرًا ولا فقهًا ولا حديثًا نبويًّا) ، ومثل الحث على الاجتهاد وإثابة المجتهد ولو أخطأ . والإسلام مع التقدم ، إذ هو دين العمل والأمل وعمارة الأرض. وجميع ما ورد فيه عن تفضيل العصر الأول ثم العصر الذي يليه ، إنما المقصود منه قرب الناس من عهد النبوة والصحابة، فهو تفضيل ديني وليس تفضيلا دنيويًّا .

وقد تأثّر الأدب بالحداثة ، وخاصة الشعر والرواية والقصة ، وهو ما يسمّى هذه الأيام بـ "الإبداع" . وحين نعود إلى الصفحات السابقة سنستخلص من أقوال النقاد والأدباء الذين ذكرناهم الأسس التي قامت عليها الحداثة في الأدب، وربما كان أهمها :

١-الخروج على الشكل الشعري أو النمط المألوف من حيث عدد التفعيلات أو نظام القوافي مما ألِفه قارئ الشعر، بل غياب الوزن والقافية بالمعنى المعروف. ويستعاض عن غياب الوزن التقليدي والقافية المعتادة بما يسمّى "موسيقا الأفكار".

٢-غلبة العقلانية بحيث تصبح "الفكرة" هـي الأساس في القصيدة ، تتكرر أو تتواتر لتقدم صورة متكاملة . فطول الشطرة مرتبط بالعبارة التي تصور الفكرة. وتقديم صورة تعقبها صُوَر غيرها تنقل للقارئ "فكرة" القصيدة . ذلك هو التعبير بالصور ، أو الأسلوب الصوري الذي يقوم على بلورة صورة أو سلسلة من الصور تؤدّي إلى التعبير عن فكرة. وانتهى الشعر إلى الخلو من تدفق العاطفة وجياشانها ، وأصبح كأنه مجموعة خواطر نثرية .

٣-استعمال لغة الكلام اليومي في الشعر والتخلص من مقاييس البلاغة والفصاحة. فليست عندهم ألفاظ ولا عبارات شعرية أو غير شعرية ، وصار الشعر كلامًا أقرب إلى أبسط أنواع النثر.

٤-استخدام الأسطورة والرمز والإشارات التراثية وخاصة الصوفية ، فغلب على الشعر الغموض . وبسبب هذا الغموض، واستخدام الصور المتراكبة أصبح على من يتصدى لقراءة القصيدة أن يطيل التأمل في الصور والأفكار والإشارات والعلاقات التي تبدو غير مألوفة حتى بعد قراءات متعددة .

وقد حرصتُ في استخلاص هذه الأسس على اقتباس الألفاظ والعبارات نفسها التي أوردها هؤلاء النقاد والأدباء ، مع أنها تبدو تكرارًا لبعض ما سبق ذكره .

ونعود إلى هذه الحركة أو الظاهرة التجديدية الحديثة في الشعر العربي ، فنجد أنها لم تنل الفرصة الكافية لتبلغ مداها ، وتحقق ذاتها ، وتتطور مع المراحل والأجيال المتعاقبة ، فقد وقفت عند روّاد هذه الحركة ، ولم يقم من بين تلامذتهم وأتباع مدرستهم من يعمل على وضع أصول وقواعد واضحة المعالم لحركتهم ، ولم تتعاقب في أكثر شعراء الجيل الثاني بعد هؤلاء الرواد النماذج الشعرية التي تتجاوب مع الذوق العربي المعاصر بحيث تستسيغها الأذن وتَسْكُنُ إليها النفس .

ويبدو أن تحرّر أبناء هذه المدرسة من قيود الإيقاع المنظم وقيود القافية ، ومن التمرّس بأساليب الشعر العربي الأصيل ،

ومس رياضة النفس على العوص في أسرار اللغـــة واختـــيار الألفـــاظ والعـــبارات والأســـاليب الشعرية المصفّاة ، ومعالجتها حـــتى تُسلسَ لهم القياد ، والانحراف إلى اســـتعمال ألفاظ الكلام اليومي العادي ، بالإضـــافة إلى هذا الغموض الذي أسيء فهمـــه والهـــدف مـــنه، كل ذلك جعل التلامـــيذ يستســـهلون اقتحام ما ظنّوه محـــراب الشعر ، فأتوا بكلام لا يمتّ إلى التعر بأدنى نسب،ولا إلى الكتابة الأدبية بأوهى صلة .

ولذلـــك أنكر الآباء أبناءهم ، وتبرأ الأساتذة من تلاميذ مدرستهم ، وأصبحوا يقولـــون فيهم ما كان يقوله فيهم الجيل السابق عليهم من الشعراء والنقاد . وربما كان أول مس انقلب على هده الاتجاهات الشـــاعرة العراقية المجددة نازك الملائكة ، فأصـــدرت في ذلـــك كـــتابًا تشرح فيه موقفهـــا . ثم نجد رائدًا آخر هو الشاعر المجدد المبدع صلاح عبد الصبور الذي أعلـــن قبل موته[1] : أن خطيئته عظيمة لأنه قد يكون مهّد لهذا النوع مس الشعر الســـائد الآن ! ". فكيف به لو عاش إلى أيامـــا هذه ورأى ما نرى ؟ وبعدهما نجد الشاعر الروائي القاص جبرا إبراهيم جبرا يقـــول مـــن حديـــث طويـــل لجريدة الحوادث[2] : "بعد ثلاثين سنة من بدايتنا في عملية التحديث الشعري تحقق الكثير لكنه في تحققه انفلت . كان للشعر العربي نوع من القدسية ، الآن فقد الشعر العربي هـــذه القدسية . لقد حضرنا ثلاثين سنة حتى أصبح قول مثل هذه القصائد الحديثة ممكـــنًا ولكن يخيل لي أحيانًا أننا أخطأنا بذلك التحضير لأننا مهدنا لهدا النوع من الشعر " .

ثم هـــذا هو الشاعر محمود درويش يشتدّ في توضيح موقفه ، فيقول: " إن ما نقـــرؤه مند سنين بتدفقه الكمي المنهور لـــيس شـــعرًا إلى حد يجعل واحدًا مثلي متورطًا في الشعر منذ ربع قرن مضطرًا

---

(١) مجلـــة "الحوادث " ١٩٨٢/٧/٩م ص ٤٧ ، وحديث جبرا المفصل في العدد نفسه ص ٥١-٥٤ . وحديث محمود درويش نشر مفصلا في جريدة الكرمل .

(٢) مجلـــة "الحوادث " ١٩٨٢/٧/٩م ص ٤٧ ، وحديث جبرا المفصل في العدد نفسه ص ٥١-٥٤ . وحديث محمود درويش نشر مفصلا في جريدة الكرمل .

لإعلان ضيقه بالشعر . وأكثر من ذلك : يمقته ، يزدريه، ولا يفهمه . إذ كيف تسنى لهذا اللعب العَدَمي أن يوصل إلى إعادة النظر والتشكيل بكامل حركة الشعر العربي الحديث ، ويغربها عن وجدان الناس إلى درجة تحولت فيها إلى سخرية ؟ لقد اتسعت تجريبية هذا الشعر بشكل فضفاض حتى سادت ظاهرة ما ليس شعرًا على الشعر واستولت الطفيليات على الجوهر لتعطي الظاهرة الشعرية الحديثة سمات اللعب والركاكة والغموض وقتل الأحلام والتشابه الذي يشوش رؤية الفارق بين ما هو شعر وما ليس شعرًا ".

ونستمر مع هؤلاء الشعراء المجددين الرواد فنرى الشاعر الناقد أحمد عبد المعطي حجازي يكتب في سلسلة مقالاته عن أحفاد شوقي في جريدة الأهرام فيقول عن قصيدة النثر[1] :" إذا كنا نريد أن نأخذ قصيدة النثر مأخذ الجد ، وأن نميّز فيها بين الجيد والرديء ، وأن نتوقع لها مصيرًا نطمئن إليه بعض الاطمئنان ، فعلينا أن نفهم الأساس الذي قامت عليه ، وأن نختبر ما يقال حولها من كلام ، وما يُستخدم في هذا الكلام من معلومات واصطلاحات . ولنبدأ بالاسم الذي يبدو لنا من أول وهلة أنه يجمع بين طرفين متناقضين ، فالقصيدة من حيث هي شعر لابد أن تكون موزونة ، فإن خلت من الوزن فهي ليست شعرًا وليست قصيدة . هذه النظرة قد تتهم بالمحافظة ، ويبقى علينا أن نختبر هذا الاتهام.إذا كنا ننظر إلى الشعر انطلاقًا من التراث العربي وحده، ومن معرفتنا لطبيعة الأصوات في اللغة العربية ، وبالتالي لطبيعة الوزن في الشعر العربي ، فالقصيدة لابد أن تكون موزونة وإلا فلن تكون . لكن قصيدة النثر لم تظهر من التراث العربي ، ولم تأخذ اسمها من اللغة العربية ، وإنما ظهرت في الشعر الفرنسي ، وأخذت اسمها من اللغة الفرنسية Poeme en proso ،وقد ترجمنا هذا الاسم إلى اللغة العربية فكان قصيدة النثر . معنى هذا أننا نحاول أن نلقح الشعر العربي بشكل جديد ينتمي في

(١) جريدة الأهرام ٢٦/٢/١٩٩٢م ، ص ١٦

الأصـــل إلى الشـــعر الفرنسي ، ويعتمد اعتمادًا جوهريًّا على الخصائص الصوتية للغـــة الفرنسية ، وهذا ما ينفي التناقض الذي وحدناه في الاسم من ناحية ، لكنه من ناحية أخرى يحدد المشكلة الأولى التي تواجهـــنا في كـــتابة قصـــيدة نثر باللغة العربـــية، وتتمثل هذه المشكلة فيما بين لغتـــنا واللغـــات الأوربـــية من اختلاف جوهـــري في الطبـــيعة الصوتية نشأ عنه اخـــتلاف جوهـــري بين عروض الشعر العـــربي وعـــروض الشعر الأوربي، وهو اختلاف يسمح للشاعر الأوربي بأن ينشئ قصيدة غير موزونة يبدو أن اللغة العربية لا تسمح بها للشاعر العربي".

وبعد :

فهـــل آن الأوان – بعد نصف قرن من محاولات التجديد والتجريب، ومن الشعر المرسل والشعر الحر (شعر التفعيلة) ثم من قصيدة النثر ، ومن شعر الحداثة وشعر ما بعـــد الحداثة (!) أن تستقر صورة الشعر الجديـــد أو الحديـــث عـــلى أسس فنية مستساغة؟ ما أظن ذلك بمستطاع ، فلابد أن تتجاوز في كل عصر صور ومستويات مختلفة من الإبداع والإنتاج . ونرى ذلك في عصورنا الأدبية السابقة ، مثلما نراه في أوربا وأمريكا في هذا العصر ، إذ لا يمثل نتاج الحداثة أو تيارها إلا جزءًا من النتاج الأدبي هـــناك . فهل نقبل أن نوسع الحيز الشـــعري بحيث تتعايش الأنواع الشعرية المخـــتلفة ، ونـــترك للقـــراء وللـــنقاد (الحقيقـــيين) أن يجولوا في هذه الأنواع كما يحلو لهم وكما تسيغه أذواقهم ، على أن لا يَلْبِسُوا الحقّ بالباطل ويكتموا الحق وهم يعلمون.

ناصر الدين الأسد

عضو المجمع من الأردن

النص المعجمي في المعجم الوسيط

حرف الباء عينة (١)

للأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي

١- مدخل : هل يمكن لنا أن نتحدث عن النص المعجمي مثلما نتحدث عن النص الأدبي محتوى ومقاييس من دون أن نستغرب من ذلك ؟ نجيب عن ذلك بالإيجاب مبدئيا وتطبيقيا لأن كل المعاجم ترتكز على نصوص متنوعة ، نثرية وشعرية تزخر بالقضايا اللغوية والنحوية والدلالية ، والأدبية والثقافية والحضارية التي تحتاج إلى عناية، لاسيما وأنها تتوافر في أشكال متنوعة ومتخالفة ، لا تستقر على حال من النظام منها الطويل الموسوعي ، والمطاطي الفوضوي ، والمختصر ، والمقتضب والتلغرافي المتميز بقحطه وجفافه . يضاف إلى ذلك أن أغلب معاجمنا قد بنت نصوصها على عنصرين غالبين ظاهرين للعيان وهما : الجمع والوضع حسب تعبير ابن منظور الإفريقي والمراد بهما : المادة من حيث محتواها شرحًا وتفسيرًا ، ومن حيث ترتيبها على حروف الهجاء عمومًا . ولم يفلح أحد حسب رأيه في التوفيق بينهما إذ قال - وهو على حق -: "ورأيت علماءها بين رجلين. أما من أحسن جمعه، فإنه لم يحسن وضعه ، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه . فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع " (٢) مما يفيد أنه كان على وعي بإشكالية النص المعجمي الذي كان و مازال ضالة كل معجمي ، فضلا عن المستفيد منه وما يجد فيه من عناء لمقاربته وفهمه .

إن كل ما سبق يكفينا لأن نطرح قضية النص المعجمي لأنها من أهم القضايا المطروحة اليوم في اللسانيات الحديثة وفي المعجمية المعاصرة على وجه الخصوص . وقد فصلنا في هذا الموضوع في مؤلفاتنا المختلفة (٣) ، راجين أن يحظى النص المعجمي بالمكانة التي يستحق في أعمالنا المختلفة ، لاسيما المستقبلية

منها . فلقد أفادتنا اللسانيات الحديثة بمجموعة من المفاهيم والمصطلحات تتعلق بالنص المعجمي، سعينا إلى أن نستخرج منها بنية نظرية وتطبيقية للمعجم عموما، وللمعجم العربي على وجه الخصوص ، وبصفة أخص للمعجم الوسيط الذي اتخذناه مثالا تطبيقيا لذلك .

٢- القضية : فما هو النص المعجمي حسب المفهوم الحديث وحسب تخريجنا العربي له ؟ يتكون هذا النص من عنصرين أساسيين ، يستوجبان العناية بهما ، ويتفرعان إلى أقسام مهمة (٤) وهما : العنوان والتعريف .

ويعنى بالعنوان ما سماه القدامى المادة، ويسميه اللسانيون المحدثون المدخل (٥) — ويتكون من معيجمة بسيطة (أي مفردة واحدة) مثل "عين" ، أو من معيجمة مركبة (مركب ثنائي)مثل" فرس بحر ، أو من معيجمة معقدة (نسق أو جملة) مثل عروة تأخر الطور (٦) . وهذا النوع الأخير كثير في المعاجم العلمية والتكنولوجية (٧) المعاصرة . ويرتب هذا المدخل ترتيبًا خارجيًّا وترتيبا داخليا .

فالترتيب الخارجي متنوع منه الصوتي (٨) والأبجدي،والألفبائي(٩)والموضوعي(١٠) .. إلخ . أما الترتيب الداخلي — وهو مهم جدا — فيكون بالاشتراك أو بالتجنيس. ومفاد الأول أن نقتصر على مدخل واحد نحشر تحته كل المعاني والدلالات التي يعبر عنها في سياقات مختلفة ، ومفاد الثاني أن نخصص لكل معنى مدخلا خاصا به — مثال ذلك يخصص مدخل واحد للمفرد "عين"، تليها كل معانيها في الحالة الأولى. ويخصص مدخل مستقل لكل معنى من معاني " عين " في العربية في الحالة الثانية . والفرق واضح علميا وتربويا لأن ذلك يفترض على الأقل ترتيبا تاريخيا للمعاني لتحقيق الترتيب بالتجنيس ، وهو مفقود في كل المعاجم العربية المعروفة .

يأتي الحديث الآن على النص المحض وهو التعريف ، وقد سماه القدامى الشرح، أو التفسير . وهو عدنا ينقسم إلى تسعة أقسام : الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والمجازي والبلاغي والأسلوبي وبالشاهد وبالصورة. ومفادها باختصار ما يلي :

أ- التعريف الصوتي : وبالأحرى الفونولوجي –وهو غائب في معظم المعاجم العربية وإن كان الجوهري قد طرح قضيته في الصحاح . وتقتصر فيه معاجمنا المعاصرة على شكل حركة عين المضارع. وذلك لا يكفي إذ لابد من ضبط نطق المدخل كاملا حسب سياق المنطوق – فالباء العربية تنطق"P"في جملة"جاء يبكي" و " T" الإنجليزية تنطق طاء في جملة" He is Tall " ، فضلا عن نطق " A" بعدها. وللتعريف الصوتي أهمية كبرى كذلك في المستوى الدلالي . فالفرق واضح بين كشَح (بالفتح) وكشِح (بالكسر).

ب- التعريف الصرفي : وعليه يعول للتمييز بين أشكال الصيغ وغاياتها الدلالية، لاسيما إذا كانت الصيغة المجردة تؤدي معنى الصيغة المزيدة مثل قَبَل وأقبَل.

ج – التعريف النحوي : وبه تميز المقولات النحوية ودلالاتها المختلفة – والفرق واضح في الجموع التالية من "بيت" بيوت _ أبيات _ بيوتات .

د- التعريف الدلالي : وهنا حدث ولا حرج . وهو ينقسم بدوره إلى فروع منها الاسمي (وهو بالمرادف ، وبالضد والإحالة .. إلخ) ، والمنطقي (وهو بطبيعة الشيء ووظيفته . وهو غالب في المعاجم العلمية والتكنولوجية) ، والبنيوي (وهو تعريف الشيء بما يعوضه في نفس السياق .. إلخ).

هـ – التعريف المجازي : وهو تعريف تاريخي تطوري دياكروني يستوجب التأريخ لتطوير المداخل حسب سياقاتها المختلفة زمانًا ومكانًا . وهو أساسا تعريف تأصيلي ، غائب تمامًا في المعاجم العربية، إلا ما قل وندر . (١١)

و – التعريف البلاغي : ويعتمد للأدب الراقي المعياري ودرره الخالدة بالتعبير عن الصور البلاغية الواردة في نصوص المبدعين. وذلك ما مثل له الزمخشري في أساس البلاغة ، وإن كان اعتمد مصطلح "المجاز" المختلف عن تعريفنا السابق ، وعن تعريف ابن حجر العسقلاني (١٢)

ز – التعريف الأسلوبي أو التضميني : وهو الذي ينفرد فيه النص المعجمي باستعمالات وأساليب تعبير عدولا عن المعيار المعتمد. ولقد ضرب لنا أبو عبيدة

معمر بن المثنى أمثلة منه في مجار القرآن — من ذلك"ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم". وقد ضمنت أكل معنى ضم فتعدت بحرف معناها.

ح- التعريف بالشاهد : وهو تعريف كلي يشـــمل كل ما سبق تقريبًا . ولعله أقوم التعريفات المعجمية وأصعبها ، كما أشار إلى ذلـــك أستاذنا الكبير شوقي ضيف في مقالـــته القـــيمة الصادرة بمجلة المعجمية العربية بتونس (١٣).

ط- الـــتعريف بالصورة : وهي تستعمل غالبا للتعبير عن الأشياء مادية وحسية في معـــاجم العلـــوم والتكنولوجيا وكذا في المعاجم العامة ، وقل أن تدل على المفاهيم المجردة مثل الحب والصدق والثراء .. إلخ.

هـــده أهـــم عناصر النص المعجمي الـــنظرية بالمعجم العام على وجه العموم وبـــالمعجم العلمي على وجه الخصوص . فما هو نصيبها من معاجمنا القائمة ؟ لقد اخـــترنا لـــلجواب عنها التطبيق لها على نصـــوص المعجـــم الوسيط ، في انتظار تطبـــيقها في مناســـبة أخرى على المعجم الكـــبير إن شاء الله . ولابد أن نؤكد هنا على أن هذه الآراء تهدف أساسا إلى دعم مـــنـــزلة المعجـــم الوسيط الإيجابية التي نقدرها كل التقدير .

٣- التطبيق : لقد ركزنا على حرف الباء من المعجم الوسيط واتخذناه عينة لذلك . والملاحـــظ في هذا الشأن أن حرف الباء يحـــتوي عـــلى ٣٣٥٥ مدخلا تقريبًا ، وبالأحرى على ٣٣٥٥ عنوانا أو مدخلا بنصوصـــها وتعريفاتها . وغايتنا من ذلك أن نقارنها حسب الأنواع التي فرعها إليها المجمع . ونعني بذلك : المداخل الفصيحة والمداخـــل المعـــربة والمداخـــل الدخيلة والمداخـــل المحدثـــة والمداخـــل المجمعية والمداخل المولدة . وهي ستة وما وراءها من نصوص. ولقد قررنا أن نأخذ مثالين عموما من كل صنف منها . فمن ذلك :

*** المداخل الفصيحة العامة :**

١- بت : مدخل فعلي — طويل نسبيا — مرتـــب خارجيا حسب الاشتراك الذي يـــزودنا بـــأحد عشر معنى أفعاله لازمة ومـــتعدية متداخلة _ فيه تعريف صوتي جـــزئي يتعلق بحركة المضارع والباقي من التعريفات غائب .

٢- البين : مدخل - مرتب خارجيًا حسب الاشتراك - له تعريفان بالترادف وتعريف نحوي وذلك بذكر جموعه : أبيناء وبيناء وأبيان - يفتقر للتعريفات الأخرى .

٣- البغام : مدخل اسمي - نصه يكاد يكون معدوما . عرف بالترادف فقط : يمثل النص القحل .

* المداخل المعربة : ويشار إليها بالوسيط برمز (مع) :

١- البخت : مدخل اسمي - معرف بالمرادف ونحويا - جمعه بخوت - لا غير.

٢- البرقوق : مدخل اسمي - معرف تعريفا منطقيا طويلا (بطبيعة البرقوق ووطيفته) ، وبالصورة (غصن برقوق) - الباقي من التعريفات غائب .

* المداخل الدخيلة : ويشار إليها بالوسيط برمز (د) :

١- الباذنجان : مدخل اسمي - معرف تعريفًا منطقيا متوسطا كميا (بطبيعة الباذنجان فقط) وبالصورة .

البرش : مدخل اسمي - معرف تعريفا منطقيا فحسب (بطبيعته ووظيفته) .

* المداخل المحدثة : ويشار إليها بالوسيط برمز (محدثة) . وهي أكثر من المعربات والدخيلات عددا وتعزى للكتاب والأدباء والصحافيين ... إلخ .

١- التبشير : مدخل اسمي - معرف تعريفًا مقتضبا جدًا رغم ما وراء هذا المفهوم من خلفيات عقدية وحضارية تستوجب نصا معجميا متكاملا - فلقد اقتصر تعريفه على : الدعوة إلى الدين .

٢- البنت : مدخل اسمي قديم حديث - معرف بالترادف ، وبالنحو (تصغير وجمع) وبلاغيا : بنات الهموم - بنات الليل ، ومنطقيا : بنات نعش . وهي أربعة تعريفات تستحق النظر .

* المداخل المجمعية : ويشار إليها في الوسيط برمز (مج) : وهي كثيرة تأتي في المرتبة الثانية بعد المداخل الفصيحة العامة مما يدل على الجهد الكبير الذي بذله المجمع لإثراء المعجم العربي بمداخل حديثة من وضعه، وهي تأتي عربية فصيحة ، ودخيلة ومحدثة .. إلخ . ومنها :

١- البازلت : مدخل اسمي - معرف منطقيا (بالطبيعة والوظيفة) .

٢- باحثه : مدخل فعلي — معرف بالترادف فحسب .

* المداخل المولدة : ويشار إليها بالمعجم برمز (مو) :

وقد جاء فيه أنها الكلمات التي دخلت اللغة بعد عصر الرواية ومنها :

١- البصار : مدخل اسمي — معرف تعريفا منطقيا (الوظيفة والطبيعة) . ويراد به مطبوخ متخذ من جريش الفول والملوخية أو النعناع وبعض الأفاويه .

تبعدد : مدخل فعلي— معرف بالترادف فقط ويعني : زها عليه وتكبر .

هذه أنواع المداخل ونصوصها الواردة في المعجم الوسيط . ولقد سعينا إلى استعراضها بعجالة وإلى أن نقيسها بمداخل ونصوص النص المعجمي النظري تحليلا ومقارنة ، عسى أن نستشف منها بعض الملاحظات بغية تقييم معجمنا العربي المعاصر على ضوء اللسانيات الحديثة والمعجمية العصرية ، طمعًا في تطويره وتغييره ، وفقا لمتطلبات العلوم والمعارف الجددية ومواكبة لها .

وعلى هذا الأساس يمكن لنا أنْ نبدي الملاحظات التالية :

١- إن العينات المتسقرأة هنا تفيد أن المعجم الوسيط قد استعمل تقريبًا كل التعريفات التسعة الواردة في النص المعجمي النظري المثالي .

٢- لم يوفق الوسيط إلى تطبيقها كاملة أو بنسبة معقولة على مثال واحد من العينات المذكورة ، ما عدا مثالاً واحدًا بلغ أربعة تعريفات (مدخل البنت لأنه اختلط فيه الفصيح القديم بالمولد).

٣- الأمثلة المدروسة تفيد أن أغلب نصوص المعجم تقتصر في غالب الأحيان على نص متكون من تعريفين فقط،وذلك قليل لا يفي بالحاجة معرفيا وتربويا وثقافيا.

٤- النصوص مضطربة من مدخل إلى آخر، وحتى من نفس النوع ، سواء أكان مدخلا اسميا أم فعليا أم صفة أم من المداخل المختلفة (الفصيح والمعرب والدخيل والمحدث والمجمعي والمولد). ومن المنتظر أن تتفق الأساليب في تعريف المقولات المتشابهة.

٥- يوجد تنافس غالب في الوسيط يتمثل في المداخل العلمية التي كثيرًا ما تتكون

مـــن نصـــوص يعتمد فيها التعريف على التعريف المنطقي بطبيعة الشيء ووظيفته ، مع صورة مرافقة .

٦- المداخـــل المقترحة مفردة لا تنافسها المداخـــل المركبة أو المعقدة . فلقد جاء المدخل المركب بخ بخ تحت مدخل مفرد وهـــو بخ وجاء تعريفه : كلمة — وهو كلمـــتان — تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح ، أو الفخر تقول بَخْ ، بَخْ ، وتقول مكررا ، بخْ بخْ ، وبخٍ بخٍ — والملاحظـــة أنـــه حاء ذكره في الحديث الشريف مكررا ، واستعمله المحدثون تعبيرا عن Bravo! Bravo الغربية .

٧- النصوص المعجمية المقترحة ، لاسيما الحضـــارية مـــنها تحتاج إلى عمق فيه من المعلومـــات والمعارف ما يفي بخلفياتها . ولقد ضربنا مثالا على ذلك بكلمة التبشير المـــتفجرة. واجتهد المجمع في تلافي ذلك نسبيا في الكلمات العلمية .

٨- المفاهـــيم ومداخلها المعجمية النظرية الـــتي عرفها المجمع في مقدمة المعجم مثل المعرب، والدخيل ، والمحدث ، والمجمعي والمولـــد ... إلخ . متداخلة متضاربة في المتن. فلقد وصف الباذنجان والبيمارستان، والبروتســـتنتية .. إلخ . بأنها معربة وهي دخيلة لأنها لا تخضع لأوزان عربية . أما المداخل مثل البشت والبشملة ،والبرمودة، فإنها قد عدت من الدخيل رغم أنها على أوزان عربية — ومن المداخل ما لم يذكر نوعـــه بتاتا من ذلك البرتقال — من بلاد الـــبرتغال — وقد سماه إخواننا الجزائريون تشـــينا لأنـــه عدهم من الصين . وذلك شأن البركان والبركار .. إلخ .

٩- المداخل المجمعية يقتصر على وضعها بأنهـــا مجمعـــية فحسب ، دون تعريفها بصـــفات أخرى إذ الكثير منها معرب أو دخـــيل مثل : الباليه (Ballet) والبدال (Pedales) والبرجوازية(Bourgeoisie) والبلشفية (Bolchevisme) والبنكنوت (Banque Note) .. إلخ .

١٠- المداخل التي تعتبر مولدة تحتاج إلى نظير ، لاسيما عندما نقارن تعريف المولد النظري في مقدمة المعجم، والتطبيق له في المـــتن. فإن أخذنا بأنه اللفظ القديم الذي استعمله الناس بعد عصر الرواية ، فما هي النصـــوص التاريخـــية الموثقة التي تسمح

للمجمع بأن يقرَّ أن البُحران، وهو داء ، والبصارة وهي أكلة وبس بس وهما صوت، أنها مولدات؟ ذلك ما يحتاج إلى دليل لأن بس بس في الشرق هي بش بش في المغرب . فما هو المولد الصائب ؟ ولنفترض أن الأمر كما هو مذكور في الوسيط ، علينا حينئذ أن نعتبر كل المداخل مثل تبغدد، والمبلغ ، وحادث ، والباذنجان، والبنك ، والبسلة من معربات ودخيلات ، ومحدثات ومجمعيات ، مولدات لا أكثر ولا أقل لأنها أتت كلها بعد عصر الرواية ، ونخلص نص المعجم السابق وخاصة من مفهوم الفصيح وأن يطلق على مفهوم "Neologisme" الأوربي الأمريكي الذي ترتب تحته أغلب المفاهيم السابقة. فهو اسم جنس وهي أنواع منه. والمطلوب أن تركز العناوين المداخل على ثلاثية نوعية:

١- العربي الفصيح ٢-المعرب٣- الدخيل مع وصف كل واحد منها بقديم (ق) ومحدث(مح) ومجمعي(مج) لأن(١) و(٢) و(٣) مواصفات لغوية ثابتة و (ق) و(مح) و (مج) مواصفات زمانية متحولة.

وبالتالي نربط ولو شكليا بين الثابت والمتحول ، في انتظار تحقيق ذلك في معجم أكثر نظاما ودقة .

٤- الخلاصة : إن النص المعجمي قضية أساسية وعنصر جوهري في المعجم الدولي عموما وفي المعجم العربي على وجه الخصوص ، لأنه في حاجة ملحة إلى الاستدراك على نصوصه بنفس الدقة والجرأة اللتين اعتمدهما القدماء للاستدراك بدون هوادة بعضهم على بعض ، وذلك في سبيل المحافظة على منزلة هذه الأداة المعرفية والعلمية والحضارية التي نرجو لها أن تتخلص من سلبياتها المذكورة سابقا – إن اتفقنا عليها – وأن تهتم لجنة الأصول، ولاسيما لجنة المعجم بالنظر من جديد في هذه القضايا ، وأن تتعاون مع الاختصاصيين من المعجميين لبناء المعجم العربي بجميع أنواعه على نصوص تتفق ومقاييس المهنة ومعايير المعرفة العلمية الصحيحة المتطورة .

محمد رشاد الحمزاوي

عضو المجمع المراسل

من تونس

الهوامش

١-لقد سبق لنا أن طرحنا نفس القضية في بحث عنوانه " النص المعجمي في المولدات والأعجميات – حرف التاء من المعجم الوسيط نموذجا " إسهاما في تكريم الأستاذ الدكتور تمام حسان – وسيصدر هذا البحث بالسعودية – جامعة أم القرى – أما بحثنا هذا فهو يشمل كل أنواع مداخل المعجم الوسيط.وغايتنا من العودة إليه موسعا، العناية به والدعوة إلى أهميته.

٢-ابن منظور . مقدمة لسان العرب .

٣-محمد رشاد الحمزاوي: أ- من قضايا المعجم العربي – بيروت ١٩٨٦م .
ب- المعجم العربي – إشكالات ومقاربات – تونس١٩٩١م.

٤-انظر المشجر رقم ١ الملحق بهذا البحث .

٥-المدخل يعبر عنه بالفرنسية ENTRE وبالإنجليزية ENTRY . وهو مصطلح محايد قد استقر استعماله بالنسبة لمصطلحات أخرى كثيرة لا تفي بالحاجة .

٦-يمثل هذا التركيب وحدة معنوية متكاملة Syntagme لا يستقيم معناها إذا سقط أحد عناصرها – وهي مقابل Delay Lock Loop بالإنجليزية .

٧-انظر في هذا الشأن قائمة مصطلحات الاتصالات للاتحاد الدولي الذي أشرفنا على مشروع ترجمته إلى العربية– جنيف ١٩٨٧م – ط أولى.

٨-ومثال ذلك ترتيب كتاب العين للخليل .

٩-ومثال ذلك ترتيب أساس البلاغة للزمخشري .

١٠- ومثال ذلك ترتيب المخصص لابن سيده الأندلسي .

(*) انظرها في المعجم الوسيط .
والأمثلة من هذا القبيل واردة فيه بكثرة . ولابد أن نلاحظ بهذه المناسبة أن المجمع قد بذل جهودًا كثيرة لنقل الأصوات الأعجمية إلى العربية ، دون أن يفكر في نقل الأصوات نقلا وظيفيا (فونولوجيا) لاعتمادها في المعاجم وفي سياقها المنطوق (Allophone) – انظر محمد رشاد

الحمزاوي : أعمال مجمع القاهرة بيروت ١٩٨٨م ص ١٩٧-٢٢٩ .

١١- سعى المستشرق الألماني فيشر عضو المجمع إلى تحقيق ذلك لكن معجمه لم ير النور—ولقد قمنا في هذا الشأن بمحاولة في نطاق المصطلحات الحضارية في معجمنا " المفاهيم الحضارية من خلال الرائد التونسي (١٨٦٠-١٩٠٠)حيث سعينا إلى أن نضع أسس المعجم التاريخي نموذجا لهذا التأصيل المعجمي التاريخي .

١٢- ابن حجر العسقلاني : غراس الأساس ، الذي انتقد فيه مفهوم المجاز عند الزمخشري .

١٣- شوقي ضيف:صعوبات الاستشهاد في المعجم التاريخي – مجلة المعجمية / تونس عدد (٦) ١٩٨٩م .

(*) انظر نصوص كل المداخل المدروسة هنا في مواقعها من المعجم الوسيط – حرف الباء .

ملحق البحث

النص المعجمي من حيث الوضع (الترتيب)

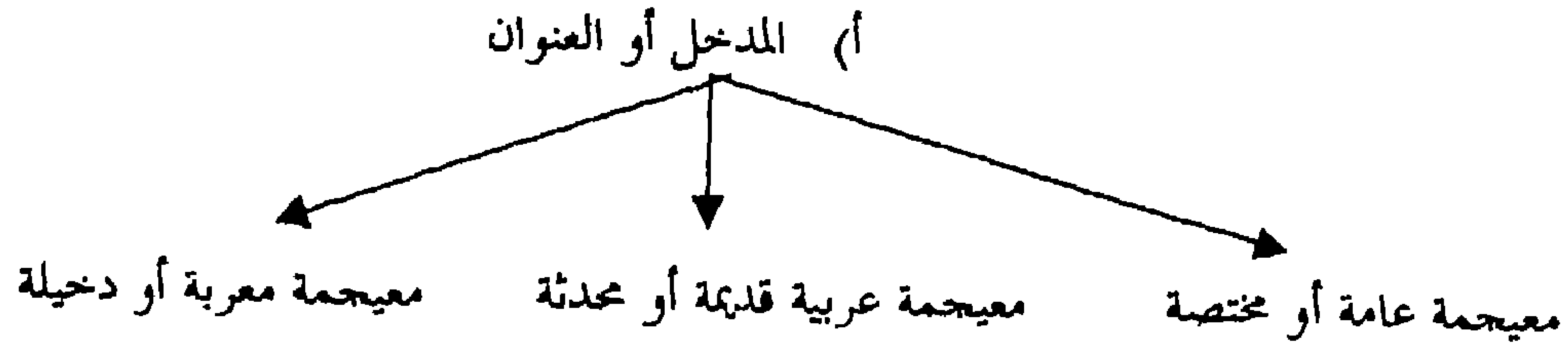

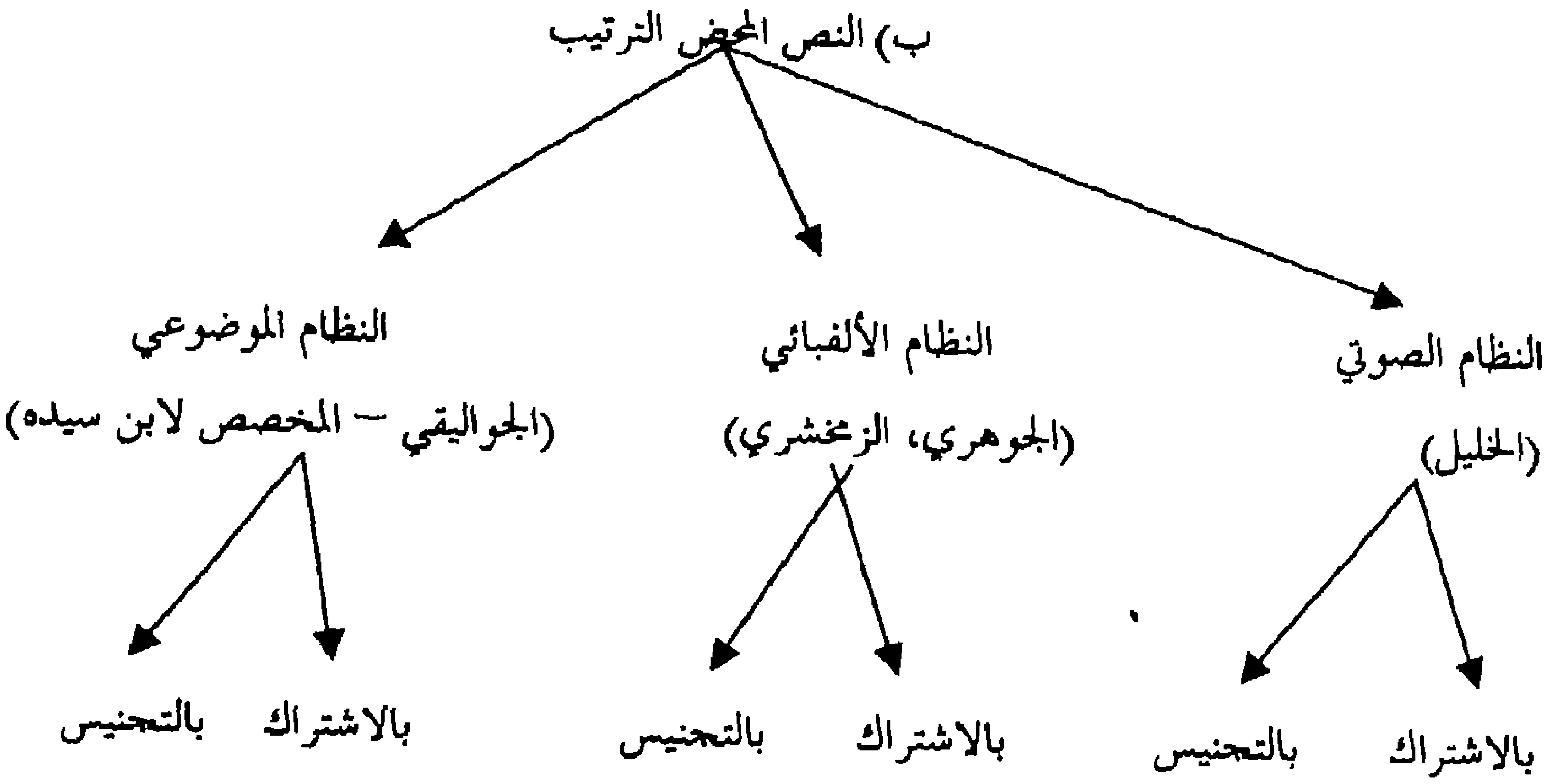

ملاحظة مهمة : هذه محاولة وقراءة لضبط النص المعجمي عموما والنص المعجمي العربي بالخصوص حتى نتخلص من الفوضوية الموسوعية (*) وحتى نجد له مقياسا عاما نسير عليه ، وإلا استحالت قراءته ومقارنته وموازنته ، فالمشجرات تفيدنا بغزارة وثراء عناصره التي تستوجب الإلمام بها وبمفاهيمها.

(*) النصوص في لسان العرب أو تاج العروس متاهة لا نعلم رأسها من ذيلها ولا تدل على أنها مبنية على نظام مطرد .

النص المعجمي في مستوى الجمع (المحتوى)

أ) المدخل أو العنوان

عناصره المكونة له

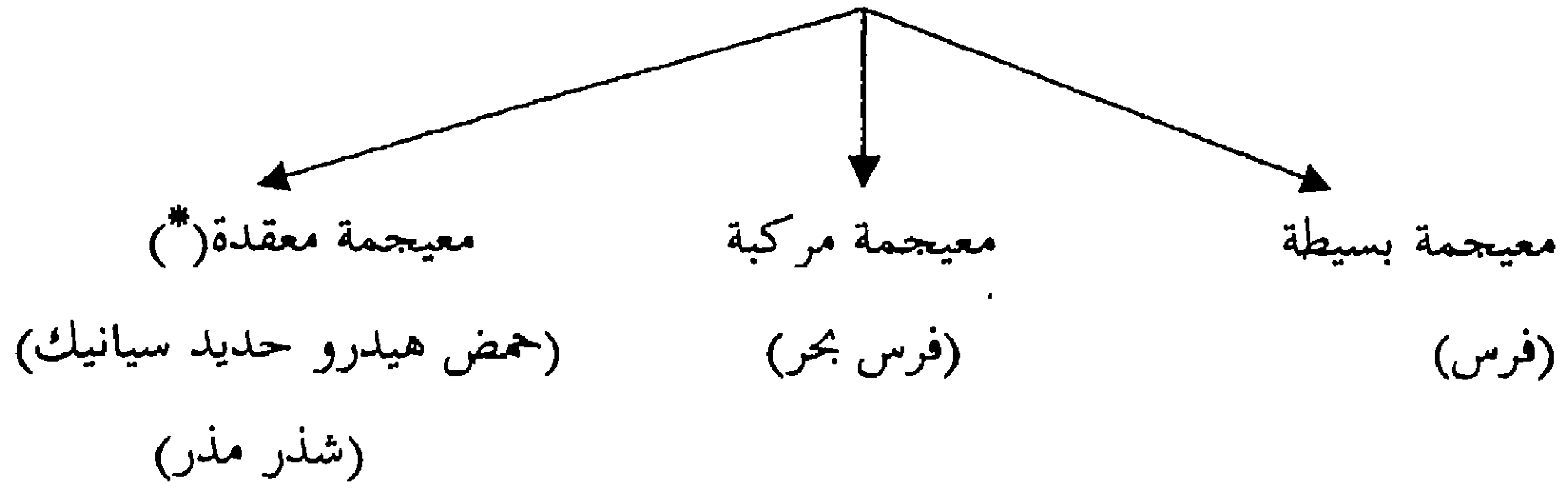

ب) النص المحض

أنواع التعريف

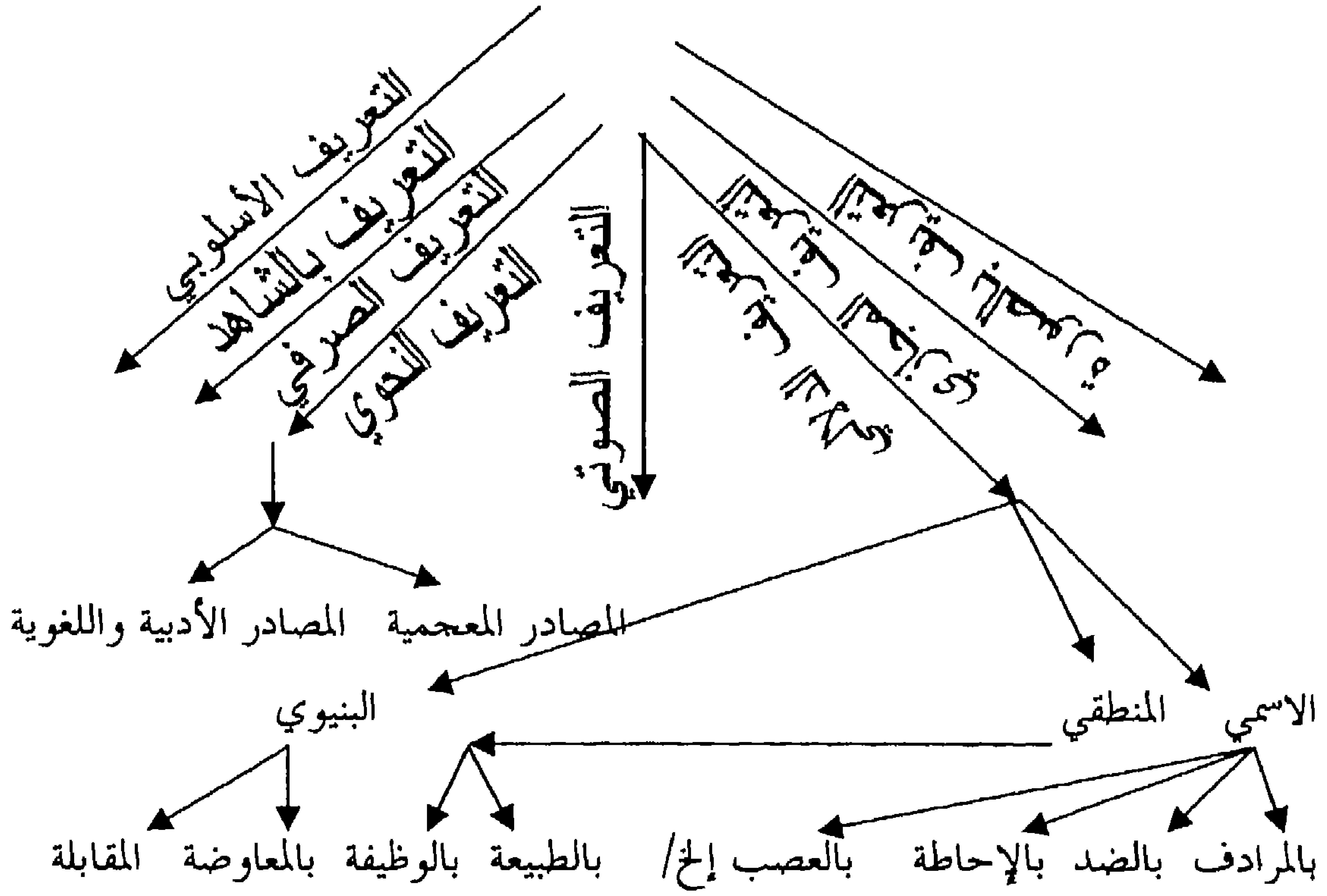

(*) تعبيرًا عن مصطلح "Lexie complexe" الوارد في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية لمجمع القاهرة . وهذه المعيجمات أطول من ذلك في معاجم التكنولوجيا.

شخصيات مجمعية

أولاً- استقبال تسعة من أعضاء المجمع الجدد وهم:

١-الأستاذ الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل

٢-الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط .

٣-الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي .

٤-الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع .

٥-الأستاذ الدكتور محمد عماد الدين فضلي.

٦-الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر .

٧-الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي

٨-الأستاذ فاروق محمد البغدادي شوشة.

٩-الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي .

تنويه

رأى المجمع أن يحل السادة الأعضاء اللغويون محل نظرائهم اللغويين، ويحل السادة الأعضاء العلميون محل نظرائهم العلميين ، على النحو التالي :

١- الأستاذ الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئيس المجمع السابق .

٢- الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ حسين مؤنس .

٣- الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب .

٤- الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر .

٥- الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ الدكتور أبي شادي الروبي .

٦- الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ محمود محمد شاكر .

٧- الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرازق البسيوني .

٨- الأستاذ فاروق محمد البغدادي شوشة في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ مصطفى أمين .

٩- الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي في المكان الذي خلا بوفاة الأستاذ عبد الكريم العزباوي .

أولاً- استقبال ثلاثة من الأعضاء التسعة الجدد بالمجمع وهم:

١-الأستاذ الدكتور أحمد هيكل .

٢-الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط .

٣-الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي .

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٧ من شعبان سنة ١٤٢٠هـ الموافق ١٥ من نوفمبر سنة ١٩٩٩م عقد المجمع جلسة علنية لاستقبال ثلاثة من أعضائه الجدد هم:

- الأستاذ الدكتور أحمد هيكل .
- الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط .
- الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي .

وقد ألقى كلمة المجمع في استقبالهم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في هذه الجلسة :

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف
رئيس المجمع
في استقبال الأستاذ الدكتور أحمد هيكل عضو المجمع الجديد

الزملاء المجمعيون الأجلاء

السيدات والسادة:

هــذا يــوم عيد من أعياد المجمع اللغوي الذي يستقبل فيه تسعة من أعلام الأمة في اللغة والأدب والعلم . وإني أهنئ هــم مجمعنا والمجامع اللغوية للأمة العربية وهيئاتها العلمية وجامعاتها؛ لما سيزودونها بــه من أفكار وآراء لغوية وعلمية خصبة للعربية والنهوض بها لغويًا وأدبيًا وعلميًا.

ويسعدني أن أستقبل باسم المجمع اليوم ثلاثة أعلام من هؤلاء الأعلام ، لكل أســتاذ فيهم مدرسته وتلامذته ومريدوه. وأبدأ باستقبال الأستاذ الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل عضوا عاملا بالمجمع.

وهــو علم كبير في دراسة الأدب الأندلســي، والأدب المصــري الحديث، وشــاعر مــبدع. ولد بمدينة الزقازيق في أبريل سنة ١٩٢٢ وأتم دراسته الابتدائية والثانوية بمعهد الزقازيق الديني سنة ١٩٩٤م والتحق بكلية دار العلوم وتخرج فــيها ســنة ١٩٤٨م بترتيب الأول في دفعته، وعين بالكلية معيدًا، واختير سريعًا في أول بعثة للمعهد المصري الذي أنشأه الدكــتور طه حسين بمدريد للدراسات الإســلامية ومضــى في جامعــة مدريد يتخصــص في الأدب الأندلســي، وظفر بدرجــة الدكتوراه سنة ١٩٥٤م وكان موضوعها : "ابن سهل الإشبيلي: عصره وحــياته وشعره" وقدم معها ملحقا لها: تحقيق ديوان ابن سهل تحقيقا علميًا دقيقًا.

وعــاد إلى كليته في سنة ١٩٥٥م وتدرج في مناصب هيئة التدريس بها حتى أصبح أستاذا للأدب سنة١٩٧١م وانتدب مستشــارًا ثقافيًا ومديرًا للمعهد المصري للدراســات الإســلامية بمدريد من سنة ١٩٧٣م إلى سنة ١٩٧٨م واختير عميدًا لكلية دار العلوم من سنة ١٩٨٠م إلى سنة ١٩٨٤م إلى أن عــين نائبًا لرئيس جامعة

القاهرة في سنتي ١٩٨٤م و ١٩٨٥م واختير وزيرًا للثقافة من سنة ١٩٨٥ إلى سنة ١٩٨٧ ونهض بها على خير وجه، وعاد إلى كليته وانتدب أستاذا زائرا في جامعات عربية متعددة وحاضر في جامعات إسبانية مختلفة، وأشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وأفاد طلابها بتوجيهاته العلمية السديدة، واشترك في مناقشة رسائل كثيرة بمصر وخارجها. ومؤلفاته العلمية والأدبية غزيرة ونذكر طائفة من أهمها، وفي مقدمتها:

١-الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية :

كتاب في أربعمائة وست عشرة صفحة درس الدكتور هيكل فيه بالتفصيل فترة الولاة القصيرة وما كان بها من منازعات وإشعاعات مبكرة للثقافة الإسلامية والأدب،وأفاض في الحديث عن عصر الدولة الأموية، وقسمه إلى فترات: فترة تأسيس الإمارة الأموية وما كان بها من أولية الثقافة الأندلسية ونشاط الشعر ويترجم لخمسة من الشعراء الأندلسيين. ثم فترة الصراع وما كان بها من تحضر وتحرر ومن وثبة الثقافة والأدب واختراع الاتجاه الشعبي (الموشحات) ويترجم لشاعرين ويتحدث عن أولية النثر الأندلسي. وينتقل إلى فترة الخلافة وما كان فيها من رفاهية ونهضة للثقافة والشعر والشعراء والنثر الفني والنثر التأليفي. ويتحدث عن فترة الحِجَابة وهي فترة حكم استبدادي وتحلل اجتماعي، ويشيع في المجتمع الضياع والمرارة. وتتبع هذه الفترة فترة جمود الأدب.ويترجم فيها للشاعرين: الرَّمَادِيّ وابن دَرَّاج ، ويتحول إلى فترة الفتنة ويترجم فيها لابن حزم وابن حيان. ويعرض حركة الشعر والشعراء ويترجم لأبي عامر بن شهيد وشعره.ويتحدث عن النثر الأدبي، ورسالة التوابع والزوابع ويقرنها إلى رسالة الغفران لأبي العلاء. ويعرض قصة المعراج وأثرها في الكوميديا الإلهية، ويمضي إلى النثر التأليفي ويعرض آراء نقدية لابن شُهيد وكتاب طوق الحمامة لابن حزم. وذكر في نهاية الكتاب مراجعه العربية من المخطوطات والمطبوعات، ومراجعه

الأوربية. والكتاب دراسة تاريخية نقدية تحليلية للأدب الأندلسي في نشأته وتطوره في زمن الإمارة الأموية، وزمن الخلافة الذهبي، وزمن الحِجَابة، وما أعقبها من الفتنة، وهي دراسة علمية أدبية رائدة بديعة.

٢-تطور الأدب الحديث في مصر (من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية)

الكتاب موسوعة كبيرة في نحو ٤٤٠ صحيفة بدأها الدكتور هيكل ببيان مجمل عن الحركة الثقافية والأدبية قبل العصر الحديث في مصر. ثم أخذ في بيان فترة اليقظة: من الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ إلى ولاية إسماعيل سنة ١٨٦٣. ويتحدث عن محاولات التجديد في الأدب شعرًا ونثرًا. ويتحول إلى فترة الوعي من عهد إسماعيل إلى ثورة عرابي، وفيها تتضح الصلة بين الثقافة الحديثة والتراث العربي وتنفك الكتابة الديوانية من السجع، وتنشط الخطابة وتولد المسرحية. وينتقل الدكتور هيكل إلى الفترة الثالثة التي تمتد من الاحتلال البريطاني لمصر حتى ثورة سنة ١٩١٩م ويتحدث عن تطور النثر ونشاط المقالة فيه والخطابة والرواية بأنواعها وميلاد القصة والنشاط المسرحي. وتلي هذه الفترة فترة ما بين الحربين العالميتين، ويتحدث عن غلبة التيار الفكري الغربي والاتجاه التجديدي وبعض محاولات مسرحية وقصصية، كما يتحدث عن المقالة وخصائص طريقتها عند خمسة من كبار كتابها، كما يتحدث عن ازدهار الخطابة ، واستقرار اللون الفني في القصة وتأصيل الأدب المسرحي. والكتاب دراسة تاريخية تحليلية قيِّمة للأدب المصري الحديث وتطور فنونه حتى نشوب الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين.

٣- الأدب القصصي والمسرحي في مصر (بين الحربين العالميتين في القرن الحاضر)

أجمل الدكتور هيكل الحديث في كتابه "تطور الأدب الحديث في مصر " عن الأدب القصصي والمسرحي، فرأى أن يُفَصِّل الحديث عنهما في كتاب مستقل يقع في ٣٦٦ صفحة ، ويبدأ فيه بالحديث عن القصة القصيرة ونموها وسماتها وأبرز

الأعمال فيها، وكتابها المبدعين، ويتحدث عن الرواية، وأهم ملامحها، وأهم الأعمال الروائـــية، وأصحابها، ويفصل الحديث في كــل رواية عن كتَّابها الروائيين الكبار. ويمضي إلى عرض الفن المسرحي، ويعرض مســرحيات شوقي عرضا تحليليًا وبالمثل مســرحيتي توفيق الحكيم: أهل الكهف وشهر زاد . والكتاب دراسة ممتعة مفصلة لأهم الأقاصيص والروايات والمسرحيات بين الحربين العالميتين في القرن الحاضر.

٤- دراسات أدبية

الكـــتاب في نحـــو ٣٠٠ صفحة موزعة على ثلاثة أبواب ، يتناول الدكتور هـــيكل في أولها بعض قضايا الأدب من مـــثل الأدب بـــين الحرية والالتزام، وبين الأصـــالة والتجديد، وموسيقا الشعر بين التقـــيد والتحرر، ولغة المسرح بين الشعر والنثر، والشعر الشعبي الأندلسي، ويعرض في الـــباب التاني ثمانية من كبار الكتاب والشـــعراء، بينهم المنفلوطي وطه حسن وشـــوقي وإبراهيم ناجي ونجيب محفوظ. وخـــص الـــباب الثالث بستة من كبار الأدباء في الأندلس، بينهم ابن هانىء وابن ريدون والمعتمد بن عباد. والكتاب مرجع في الـــتعرف عـــلى بعض قضايا الأدب وبعض كبار الأدباء.

٥- قصائد أندلسية

هـــذا الكتاب تحليل نقدي بارع لمختارات من قصائد كبار شعراء الأندلس المجيدين؛ ليقف قارؤه على ما يتميزون به في أفكـــارهم وتصـــاويرهم تميزا جذابا طريفا.

٦- شخصيات أدبية

الكـــتاب يعـــرض ثلاث عشرة شخصية أدبية مصرية مرموقة، وما نهضت بـــه من أعمال، وأهم ما يميزها من بعض الخصـــائص، ومـــن شخصياته: الرافعي وهـــيكل وطـــه حسين والعقاد . وخص هـــذا الكـــتاب الـــبديع سلسلة القراءة للجميع .

٧- سيرة ذاتية

وهي بعنوان سنوات وذكريات، وتتمـــيز بجمـــال العرض والأداء وروعة الأسلوب. وللدكتور هيكل كتابان ألفهما بالإسبانية أولهما: منهاج عربي للمتحدثين بالإسبانية (طبع مرارا) . ومحاضرات عن

الإسلام ورسالته الكبرى ومبادئه وتعاليمه الرفيعة .

والدكتور أحمد هيكل بجانب كونه مؤرخًا للأدب العربي وناقدًا ودارسًا محللاً شاعر بارع شغف بالشعر ونظمه منذ بواكير حياته وله فيه ديوانان: أصداء الناي، وحفيف الخريف، ويكثر فيهما من الشعر الوجداني المرتبط بالأحداث الوطنية والنزعة الإسلامية.

والدكتور هيكل عضو في المجلس الأعلى والقومي للثقافة والمجلس القومي للتعليم والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ومجلس أمناء الإذاعة والتليفزيون ومجمع البحوث الإسلامية ومحكمة القيم العليا. وعضو الأكاديمية الملكية للتاريخ بإسبانيا. ونال جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٧٠م والتقديرية سنة ١٩٨٤م ووسام العلوم والفنون مرارا، ووسام الاستحقاق، ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى ووسام الاستحقاق من ملك إسبانيا، ووسام سان مارتين من رئيس جمهورية الأرجنتين.

وأنا أهنئ الدكتور هيكل بعضوية مجمعنا وأهنئ المجمع بدخوله فيه ولا ريب في أنه سيثري المجمع ببحوثه القيمة وأشعاره التي تمتع القلوب والأفئدة.

شوقي ضيف

رئيس المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد هيكل

في حفل استقباله عضوًا جديدًا بالمجمع

أستاذَنا الجليل، رئيس مجمع الخالدين.

صديقنا العزيز، الأستاذ الأمين.

أساتذتَنا الأجلاء،أعضاءَ المجمع الموقَّرين.

سادتي حضورَ هذا الحفلِ الكريم:

بعــد حمد الله يسعدني أن أتقدم بأجــزل الشكر وأعظم التقدير إلى مجلس المجمـــع الموقر، الذي تفضل بمنحي شرفَ عضويته ، وكرمني بهذا تكريما أعتز به كل الاعتزار، وأدعو الله أن يجعلني دائما أهلا له وجديرا به،وأن يعينني على تحمل تبعاته وأداءِ واجــباته، كما أدعوه سبحانه، أن أظل دائما موضع ثقةِ المجمعيين، مستحقا لتزكيتهم قَمِينًا باختيارِهم .. كما أسأله جــل شـــأنه، أن يجزيهم عني صحةً في أبدانهـــم، وعافـــيةً في نفوسهم، وطُولاً مـــباركا في أعمـــارهم .. ولا يَفُوتني أن أسألَ المولى سبحانه، أن يَغْمر بفيضٍ من الرَّحَمات، كلَّ الأساتذةِ الأجلاء ، الذين رحلوا إلى جوار ربهم، وكانوا قد تحمسوا سنواتٍ لاختياري لعضويةِ المجمع،و لكنَّ الظروفَ لم تسمح بتحقيق ما تحمسوا له وسَعَوْا إليه .. أسأل المولى سابغَ الرحماتِ لأساتذتي : مهدي علام، وتوفيق الطويل، والطيب النجار، وأحمد الحوفي، ولا أنسى أســتاذي " جارثيا جومث "، الذي كان كلما جاء إلى القاهرة لحضور افتتاح دورة المجمـــع السنوية، سألني: ألم يختاروك بَعْدُ لعضـــوية المجمع؟؟ ولّما كثرت التساؤلاتُ مـــنه وتكـــررت الإجابات بالنفي مِنّي؛ زكاني لَدَى الأكاديمية الملكية للتاريخ في إسبانيا، لأكون عضوًا بها، وبفضل مسعاه الحمـــيد، تَــمَّ اختـــياري لعضوية تلك الأكاديمية، سنةَ ١٩٨٢م.

أيها السادة:

ومما يجعلني أُضاعفُ الشكر لمجمع الخالدين الموقَّر، اختيارِي لشَغْلِ الكرسيِّ الـــذي خلا برحيل طيب الذكر، الأستاذ الدكـــتور إبراهـــيم بيومي مدكور. فهذا الاختـــيار ، فَضْلٌ ثانٍ يُسديه المجمع إلىّ، بعـــد أن كرمني بفضله الأول حين خلع

شَرَفَ العضوية عليّ .. علَى أني أرَى في جعـلي – ولو شكلا – خَلَفًا للدكتور مدكــور ، إلباســي ثوبــا أوسعَ مني، وإجلاسِــى في مكانٍ أرفعَ من قامتي .. فالدكــتور مدكور ، أحد كبار المفكرين والأكاديمــيين واللغويــين والمصــلحين والمناضلين السياسيين، في عصرنا الحديث، وأين أنا من هذا كُلّه ؟؟ ومع ذلك، أراني أعــتز بهذا التكريم ، ولا أجد الكلماتِ التي تَفِيه حقّه من التشكر..

ولأن التقاليد جرت على أن يَقُومَ الخلفُ بالحديث عن السلف، استسمحكم في أن أقــول كلمة موجزة على سلفي العظيم، راجيا أن تَفِيَه ولو بعضَ حقه من الإشادة والتكريم.

وقــد رأيــتُ أنّ مســيرةَ حياة الدكــتور مدكــور، تنقسم إلى مراحلَ ثلاث:

المرحلة الأولى ، مرحلةُ النشأة والتكوين اللغويّ والفكري:

وخُلاصةُ هذه المرحلة ، أنــه ولــد سنة ١٩٠٢م في قرية أبي النُّمْرس، إحدى قرى محافظــة الجــيزة، وحين بَلَغ سنّ التعلم، حفــظ القــرآن الكريم، ثم أتم الدراسةَ الأولــية،وبعد ذلــك، الــتحق بالأزهر الشــريف عــدةَ سنوات، التحق بعدها بمدرســة القضــاء الشرعيّ، التي اجتاز قِسْمَها الأول؛ ثم التحق بدار العلوم ، التي نال إجازتها سنة ١٩٢٧م .. وبعد تخرجه عمــل بالــتدريس في إحــدى المدارس الابتدائية بالقاهرة . ولتفوقه حين تَخَرَّج، اخــتير لبَعْثة علمية حكومية إلى إنجلترا، ولكــنَّ الخلافــات السياسية، وكذلك الاضطهاداتِ الحزبيةَ آن ذاك؛ حالت دون ســفره إلى إنجلترا، وسلبتْه حقه في البعثة، بــل كانت سببا في نقله من القاهرة إلى إدفو؛ فقد كان هو وكبارُ أسرته ، ينتمون إلى حزب لا يرضى عنه الحزب الحاكم في ذلك الوقت .. وفي تَحدٍّ للظلم، وبرغبة مُلِحّة في تحقيقِ الحُلْم؛ استقال مدكور من عمله في وزارة المعارف، وسافر إلى فرنسا على نفقته سنة ١٩٢٩م؛ ليكمل دراسته العلــيا، وليظفر بما كان يطمح إليه، من الجمع بين الثقافة الغربية والثقافة العربية .. ومــن حسن الحظ، أنه بعد عام رُد إليه حقــه، فضُم إلى البعثة المصرية الرسمية في

فرنســا التي قضى بها ست سنوات، تزود خلالهــا بزاد وفير من الثقافة الغربية في مجالات شتى؛ فأتقن اللغة الفَرنْسيَّة، كما درس الفلسفة والقانون، بل تجاوزت ذلك إلى علوم ومعارفَ أخرى، وحَصَل على أربــعِ إجــازات، في المنطق والفلسفة، والاجــتماع والأخــلاق، والتربية وعلم الــنفس، ثم في الاقتصاد. وكذلك نال ليسانس الآداب من السربون سنة١٩٣١م ثم ليســانس الحقوق من جامعة باريس، سنة ١٩٣٣م، وأخيرًا نال درجةَ دكتوراه الدولــةِ في الفلســفةِ من السربون سنة ١٩٣٤م.

وفي سنة ١٩٣٥م عاد إلى مصر، وضُــم إلى هيــئة التدريس بكلية الآداب بجامعــة القاهرة (فؤاد الأول حينذاك)، وانــتدب للــتدريس بــبعض الكليات الأزهرية .. وظل في هذا العمل الجامعي سنتين ، بــدأت بعدَهما المرحلةُ الثانية من مسيرة حياته المباركة، وهي :

مرحلةُ النشاط السياسيِّ والإصلاحيّ:

وهذه المرحلة وإن بدأت باختياره عضوا في مجلــس الشيوخ سنة ١٩٣٧م؛فإن لها جــذورا منذ سنة ١٩١٩م،حيث اشترك مدكــور في ثــورة ذلك العام، واعتُقل بسبب ذلك بعضَ الوقت .. ولكنَّ هذه الــــنزعةَ السياســيةَ الإصلاحيةَ تجلَّت بشكلٍ واضح عند مدكور، بعد اختياره عضــوا بمجلس الشيوخ، الذي رأى في عضــويته به فرصةً لتوسيع دائرة عطائه، حتى لا ينحصرَ هذا العطاء خَلْفَ أسوار الجامعة، وحتى لا يَقِفَ عند دائرة التأمل الفكــريِّ والبحــثِ الفلســفيّ، ورأي بطبيعــته النضالية الإصلاحية، أن يوظف علمه وثقافته في المشاركة في خدمة الحياة العامــة، والإسهام في الإصلاح السياسي والاجتماعي. وحين تَعذَّرَ لمدكور الجمعُ بــين العمــلِ في الجامعة وعضوية مجلس الشــورى – لأن القانون كان في ذلك الوقت لا يسمح بهذا الجمع – استقال من الجامعة، ووجَّهَ معظم نشاطه إلى متطلَّباتِ العضــوية، وإلى هــذا الميدان العلميِّ من ميادين الخدمةِ الوطنية..

وفي مجلس الشيوخ، تجلَّتْ مواهبُ مدكور السياسيةُ والإصلاحيةُ الفذة، كما اتضــح عطاؤُه بشكل يستحق الإعجابَ

والإكبار؛ فقد ظل عضوا بمجلس الشيوخ نحو خمسةَ عشرَ عاما، اهتمَّ خلالها بالعمل العــامِّ في المجالات السياسية والاقتصادية، والاجتماعــية والإصلاحية؛ فعمِلَ مقررا للجــنة المالــية، كما عمل مقررا للجنة الأوقاف والمعاهد الدينية، وعُنِيَ في كثير مــن اقتراحاته، بالجوانب الإصلاحية التي تتصــل بــالأداء الحكومي، كما تَصَدَّى لمحاربة الفساد الذي يتورط فيه الرسميون، ولــو أدت هــذه المحاربةُ إلى الاصطدامِ بأعــلى رأسٍ في الــبلاد، ولهــذا تَبَنَّى اســتجواب الأســتاذ مصطفى مرعي، الخــاصَّ بالأسلحة الفاسدة، الأمر الذي كــان من عوامل تفجير ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م .. كذلك كان من أوائل المنادين بتحديد الملكية الزراعية، تلك القضية التي التفتــتْ إلــيها الثورة فيما بعد، وكان حَسْمُها من أهم إنجازاتها .. وقد خُتمتْ مرحلةُ النشاط السياسي والإصلاحي لَدَى مدكــور، باختــياره وزيرا بعد الثورة، وذلــك في التعديل الوزاري الذي أجراه عــلي ماهر على وزارته في السادس من ســبتمبر سنةَ ١٩٥٢م وهي الوزارة التي كان قد ألفها في اليوم التالي للثورة أي في الــرابع والعشــرين من شهر يوليو سنة ١٩٥٢؛ ففــي هذا التعديل الذي أجراه عــلي ماهر على وزارته، اختير الدكتور مدكور وزيرا للإنشاء والتعمير .. ولكنَّ هــذه الوزارة لم تستمرَّ إلاَّ يومين اثنين؛ حيث حَلّتْ محلها وزارة محمد نجيب يومَ الثامنْ من سبتمبر، سنة ١٩٥٢م .. وكأنَّ الأقــدار قد أرادت بهذا الحديث الفريد أمــرين: الأول- أن تكــرم مدكــورًا السياســيّ وذلــك بسعيِ الوزارة إليه. والأمــر الــثاني- أنَّ الأقدار أرادت أن تصــرف مدكــورًا إلى مجاله الأساسيّ، وذلك بصرف الوزارة سريعا عنه ..

ومــن الجدير بالتسجيل، أن عمل مدكور في مجلس الشيوخ – الذي ظل به نحــو خمسة عشر عاما – لم يقطع صلته بالحــياة العلمــية والأكاديمية، فقد كان يحاضــر في بعــض الكليات منتدبا، كما يشارك في بعض المؤتمرات العلمية عضوا بارزا ..وما لبث أن شُدَّ أكثر إلى ميدان العطــاء العلمي، وذلك حين اختير عضوا بمجمــع اللغة العربية، سنة ١٩٤٦، وهو

مـا زال عضوا في مجلس الشيوخ. وبهذا الاختيار، تبدأ طلائع المرحلة الثالثة من مراحل حياته المباركة، وهي:

مرحلةُ العطاء العلمِيّ والمجمعيّ:

وهكـذا نـرى أن هذه المرحلة الأخيرة، لم تبدأ منفصلة تماما عن المرحلة السابقة، وإنما تتصل أُولياتُها بأُخريات المـرحلة الثانية، مرحلةِ النشاطِ السياسيِّ والإصلاحيّ .. ومهما يكن من أمر فقد تجلت معالُمها أكثر، بعد ترك مدكور لمجلس الشيوخ، وانصرافه بكل نشاطه وعطائه، إلى الميدان المجمعيّ الأكاديميّ..

وقد كان اختيارُه لعضوية المجمع في الـرابعةِ والأربعـين من عمرِه، وكان بذلـك أصغر الأعضاء سنًا، وكان ضِمْنَ العشـرَةِ الذين عُينوا بمرسوم ملكي، ليتم بهـم عدد أعضاء المجمع أربعين، وهؤلاء العَشَرة، هم الذين داعبهم المرحوم الأستاذ أحمـد أمين في حفل استقبالهم فسماهم "العشـرة الطيبة " .. ورغم أن مدكورًا كان أصغر الأعضاء سنًا؛ قد أنابوه عنهم لإلقـاء كلمتهم، التي يردون بها على ما كان من تكريمٍ لهم، وحفاوة باستقبالِهم.

وقـد ظـل مدكور عضوا عاملا بـالمجمع، حتى سنةِ تسعٍ وخمسين، حين اختير خلفا للدكتور منصور فهمي"كاتبِ سر المجمع"، وهو اللقب الذي أصبح"أمينَ عامِّ المجمع " سة إحدى وستين .. وظل رحمه الله أمينا عاما إلى سنةِ أربعٍ وسبعين، حين اختير بجدارة رئيسا للمجمع، وبَقِيَ رئيسـا إلى أن لقي ربه في ديسمبر، سنة خمسٍ وتسعين وتسع مئة وألف .. رحمه الله رحمة واسعة ..

وكانت الحصيلة العلمية للدكتور مدكور، سواء في المرحلةِ السابقة– مرحلةِ النشـاط السياسي والإصلاحيّ – أو في مـرحلةِ التفرغ للعمل المجمعيِّ والعلمي؛ حصـيلةً موفـورةَ الثراءِ والعطاء .. وقد تَجلَّى هذا فيما يلي:

أولاً – في مجال تأليف الكتب:

في هذا المجال تتألق كتبه التالية:

" الفلسفة الإسلامية – منهج وتطبيق "

" في الأخلاقِ والاجتماع "

" في الفكـر الإسلامي " فصلٌ في كتاب "صلة العرب والإسلام بالنهضة الأوربية "

" مجمع الخالدين في ثلاثين عـاما"" مَعَ

الخالدين " " بحوث وباحثون "
وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة تتصل اتصالاً مباشــرا بــالمجمع، الذي كان يمثل حُبَّه الكبير.. هذا في مجال تأليف الكتب.

ثانيًا – في مجال البحوث والدراسات:

في هذا المجال نَرَى للدكتور مدكور كثيرا مــن العطــاء، ممــثلا فيما كان يُلقيه في دوراتِ المجمع المتلاحقة ، وما كان ينشره في مجلــته، منذُ العدد الرابع والعشرين ..

ومن أهم بحوثه ودراساته ما يلي :

بحث عن " نشأةِ المصطلحاتِ الفلسفيةِ في الإسلام" بحث عن" منطقِ أرسطو والنحوِ العربي " بحث عن " مدَىَ حقِّ العلماءِ في التصرف في اللغة " بحث عن " لغةِ العلم "

ثالثًا – في مجال الإشراف:

وفي هــذا المجــال، نــرى أن الدكتور مدكورًاأشــرف عــلى إخراج عدد من الأعمــال العلمية القيمة، سواء في مجالِ التأليف أو مجالِ التحقيق . ومن أبرز هذه الأعمال ما يلي:

تألــيفُ " المعجم الفلسفي" تحقيقُ كتاب " الشــفاء " لابــن سينا .تحقيقُ كتابِ "الفتوحات المكية " لابن عربي .

عــلى أن جهود مدكور رحمه الله، تجلت بشــكل معجب في دفع عجلةِ العملِ في المجمع، مِنْ موقعه الرياديِّ مذ كان أمينا عامــا، إلى أن صار رئيسا، وإلى أن لقي وجــه ربــه .. فبفضل حماسته، وحسن إدارته وتفانيه في أداء رسالته ؛ عمل على أن يُنْجزَ المجمعُ كثيراً من الأعمال القيمة، الــتي جعلت له مكانة رفيعة في الأوساط العلمية، وبين جميع المجامع العربية.

ومــن أبــرز الأعمال القيمة التي شجع على إنجازها وتحمس لها:

المعجــم الوسيط، ومعجم ألفاظ القــرآن الكريم، ومجموعات المصطلحات العلمية ..وتقديرًا لجهود مدكور وعطائه المتميزِ على المستوى المصريّ، مُنح جائزة الدولة التقديرية وتكريما لإنجازاتِه واعترافًا بمكانته على المستوى العربيّ، اختير رئيسًا لاتحاد المجامع العربية. واعتزازًا به وبعلمه على المستوى العالمــيّ ، منحتْــه جامعةُ " برنستون " درجَة الدكتوراه الفخرية.

وعودا على بدء، أرجو – أيها السادة – أن تــأذنوا لي بــأن أختم كلمتي في هذا الحفل الكريم، بقصيدة قصيرة، أوحى بها

إلىَّ الشعورُ الجارفُ بوجوب شكرِ المجمعِ الجليل، على ما كان منه إزائي من موقفٍ نبيل .. وفي هذه القصيدة أقول للأعضاء الأجلاء :

تحية

إلى أعضاء المجمع الخالدين

كَيْفَ يَرْقَى إِلَى ذُرَاكُمْ بَيَـــانِي
وَيُـــؤَدِّي تَحِيَّـــةَ العرفَـــان؟

أَيُّهَا الخَالِدُون فِي القِمَمِ الشَّمْـــ
مَـــاءِ، عُذْرًا، فَقَدْ أَسَرْتُم كِيَانِي

بالأَيَـــادِي البيض الَّتِي طَوَّقَتْنِي
وسَمَتْ بِـــي إلى أَجَـــلِّ مَكَـــانِ

فَإِذَا فَضْلُكُم يَجِلُّ عنِ الوَصْـــ
ـــفِ، ويُعْيِي بَلاغَتِي وَلِسَانِي

وَإِذَا كُـــلُّ خَفْقَـــةٍ فِـــي فُـــؤَادِي
هِـــيَ نبضٌ بِالْحَمْدِ والشُّـــكْرَانِ

* * *

أَيُّهَا الذَّائِدُونَ عَـــنْ لُغَـــةِ الضَّـــادِ
لِسَـــــانِ التُّـــرَاثِ والقُـــرْآنِ

مَجْمَعُ الخالِـــدِيـــنَ أَمْنَـــعُ حِصْنٍ
فِـــيـــهِ أَنْتُمْ طَلِيعَـــةُ الفُـــرسَانِ

بِجِهَـــادِ الجُنْـــدِ الأُبَـــاةِ حَمَيْتُـــمْ
لُغَةَ الضَّـــادِ من عَوَادِي الزَّمَـــانِ

مِنْ عَوَادِي التَّغْـــرِيـــبِ تَنْفُثُ سُمًّـــا
مِـــــنْ أفاعِي التَّضْلِيلِ والبُهْتَانِ

مِنْ عَوَادِي التَّحْـــرِيفِ تَنْشُرُ لَغْـــوًا
وتُصِـــيبُ الإِحْسَـــاسَ بِالْغَثَيَانِ

مِنْ عَوَادِي (حَـــدَاثَةٍ) تُعْمِلُ المِعْـــ
ـــوَلَ هدْمًا فِي شامِخِ البُنْيَانِ

لِيَضِيعَ التُّـــرَاثُ والـــدِّينُ والـــذَّاتُ
وتُطْـــوَى في عالَـــمِ النِّسْـــيَانِ

* * *

لَيْسَ مَعْنَى التَّحْدِيث (عَوْلَمةَ) الأَلْـــ
سُـــنِ، مَحْوًا لِجَوْهَـــرِ الإِنْسَانِ

فلِسَـــانُ الإِنْسَـــانِ مَعلَمُـــه الفَـــا
رِقُ بَـــيْنَ السِّـــمَـــاتِ وَالأَلْوَانِ

والتُّـــراثُ العَظِيـــمُ أَحْـــرُفُ نُـــورٍ
حَفِظَـــتْها الفُصْحَى علَى الأَزْمَانِ

والكِتَابُ الكَرِيمُ بَـــاقٍ علَى الدَّهْـــ
ـــرِ بِوَعْدٍ مِنْ حَـــافِظٍ رَحْـــمَنِ

وَبِجَهْدِ الفُرْسَانِ مِنْ حَرَسِ الفُصْـ
ـحَى، وَأَنْتُم ذُؤابَةُ الفرسـانِ

وبَقيتمْ مَـعَ الخُلُـودِ رُمُـوزًا
لِشُمُوحِ النُّهَي وَأَسْمَى المعَـانِي

* * *

سَـدَّدَ اللَّهُ لِلنَّجَـاحِ خُطَـاكُمْ
وهَـدَى دَرْبَكُمْ لأَغْلَىْ الأَمانِي

وَجَزَاكُمْ عَنِّـي الإِلَـهُ فَـإِنِّي
لَيْس يَـرْقَى إِلى ذُراكُم بَيَـانِي

أحمد هيكل

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع
في استقبال الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط
عضو المجمع الجديد

الزملاء المجمعيون:

السيدات والسادة:

يشـــرفني أن أستقبل باسم المجمع العالم الكبير في النقد الأدبي للشعر العربي قديمـــا وحديـــثا ولفني القصة والمسرحية المعاصرتين نظريا وعلميا أو تطبيقا الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط.

ولـــد بقرية ريفية شرقي المعصرة بمركز بلقاس في شمال الدلتا التابع لمحافظة الدقهلـــية سنة ١٩١٦. وكان بدء تعلمه في المـــرحلة الابتدائـــية بمدرسة بلقاس، وانتقل منها في المرحلة الثانوية إلى المدرسة التوفيقـــية بالقاهـــرة. ولما أتم تعلُّمَه فيها التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وتتلمذ فيه على صفوة من الأســـاتذة في مقدمتهم طه حسين وأحمد أمـــين، وتخـــرج في سنة ١٩٣٨ متميزًا، وعيِّن أمينا بمكتبة جامعة القاهرة سنة ١٩٣٩ إلى أوائل سنة ١٩٤٥ إذ أوفد في بعـــثة إلى جامعـــة لـــندن لنـــيل درجة الدكـــتوراه، واخـــتار لها دراسة مفهوم الشـــعر عند العرب كما يتمثل في كتاب "الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدى" بإشـــراف مستشـــرق إنجليزي كبير هو الدكـــتور أربرى المشهور بترجمته للقرآن الكريم والمعلقات.

وأكبَّ الدكتور عبد القادر على رسالته، ونال درجة الدكتوراه من جامعة لـــندن ســـة ١٩٥٠ بإشراف الدكتور أربـــرى. وعاد إلى مصر، وعُيِّن مدرسا بكلـــية الآداب بجامعـــة عين شمس حين إنشـــائها ســـنة ١٩٥١م، وأخذ يحاضر الطـــلاب في قســـم اللغة العربية بالكلية، حتى إذا كانت سنة ١٩٦٢م أصبح رئيسا لقسمه حتى سنة ١٩٧٣ إذ انتخب عميدا للكلية، وفي سنة ١٩٧٥ انتقل منها عميدا

لكلية الآداب في جامعة بيروت العربية حتى سنة ١٩٨٢.

وفي أثناء عمل الدكتور عبد القادر حسن القط بجامعة عين شمس رأس تحرير ثلاث مجلات أدبية على التوالي: مجلة الشعر في سنتي ١٩٦٤م و ١٩٦٥م ومجلة المسرح في سنتي ١٩٦٦م و ١٩٦٧م ومجلة المجلة من سنة ١٩٧٠م إلى سنة ١٩٧٣م. وفي سنة ١٩٨٣م رأس تحرير مجلة إبداع حتى سنة ١٩٩٢م.

وطبيعي أن تكون للدكتور عبد القادر حسن القط مقالات أدبية وتحليلية نقدية كثيرة، لا تكاد تحصى بحكم إشرافه على تحرير أربع مجلات أدبية، وبعض مقالاته النقدية جمعه ونشره، وأكثرها لا يزال غير منشور، وهو جدير بالنشر لانتفاع دارسي الأدب به.

وللدكتور عبد القادر مؤلفات متعددة، ولن أستطيع أن أتحدث عنها جميعا لضيق الوقت، وأكتفى بالحديث عن طائفة منها:

أولا- في الأدب المصري المعاصر:

عُنِي الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط في هذا الكتاب ببيان السلبية في القصة المصرية المعاصرة، ويقول إن أبطالها سلبيون لا يقاومون أوضاعهم الاجتماعية مهما كانت مظلومة، مما يُثبِّط همَمَ القراء ويدفعهم إلى السخط على الحياة والاستلام لما يدور حولهم من قهر وعجز. ويقول إن سلبية الشخصيات الروائية يجعلها شخصيات ضعيفة فاترة لا حيوية فيها، ولذلك لا تظفر بشيء من تعاطف القارئ معها. وناقش في هذه السلبية القصصية قصصا ليوسف السباعي ومحمد عبد الحليم عبد الله، ونشب بينه وبينهما جدل عنيف. ورأى أن واجب الكاتب في إيراد هذه الشخصيات السلبية في قصصه أن يتخذ لها إحدى طريقتين: الطريقة الأولى- أن يضيف للشخصية من الأحداث والمواقف ما ينفى عنها عجزها، فيتعاطف القارئ معها.والطريقة الثانية-أن يجعل سلبيتها اضطرارية،إذ هي ثمرة ظروف تصارعها، ولا تستطيع التخلص منها ولا التغلب عليها، مما يجعل القارئ يتعاطف معها، وتصبح هي وقصتها مقبولة عنده.

ويناقش ثلاث مسرحيات لتوفيق الحكيم، هي مسرحية أهل الكهف،

ومسرحية شهر زاد، ومسرحية بجماليون، ويقول إنها مسرحيات ذهنية لا تعبر عن واقع، وهي لذلك لا تصلح للتمثيل على خشبة المسرح. ويقول إنه كان جديرا بالحكيم أن يدع – في رأيه – الأساطير، ويصور بعض ما في حياة المصريين المعاصرين من مشكلات اجتماعية، ويعترف توفيق الحكيم بأنه لم يكتب هذه المسرحيات للتمثيل، وإنما كتبها للمتعة بها في القراءة.

وينقد الدكتور عبد القادر حسن القط ديوان الشاعر الفيتوري:" أغاني إفريقيا " الذي يصور بؤس الزنوج واستعباد الأوربيين لهم، ويقول إن أصحاب المشكلة من الزنوج ولا يخدم قضيتهم بأي صورة.

وينقد مسرحية غروب الأندلس لعزيز أباظة نقدا عروضيا، إذ يقول إنه نظمها من الشعر العمودي المؤلف من شطرين، وهذا الشعر لا يلائم – في رأيه – المسرح لما فيه من الإطالة والحشو وفقدان التركيز المطلوب.

ثانيا– قضايا ومواقف:

مجموعة مقالات نشرت في المجلات التي كان يرأس تحريرها، استهلها بموقف الأستاذ عباس العقاد مقرر لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية؛ إذ هاجم مجلة الشعر التي كان يرأس تحريرها الدكتور عبد القادر لنشرها منظومات من الشعر الحر الجديد، ولم يكن يعده شعرا، وطالب المسؤولين بأن يكون للجنة حق الإشراف على كل وسائل نشر الشعر من مجلات وغير مجلات، وردَّ عليه الدكتور عبد القادر بأن الشعر دائما يتطور بتطور مجتمعه، وتحدث عن الصراع بين القديم والجديد وانتصار الجديد دائما.

واستهل الدكتور عبد القادر القضايا في الكتاب بالحديث عن المذهب الأوحد في النقد الذي كان يدعو إليه الدكتور رشاد رشدي والذي كان يتمسك فيه بعرض الجوانب الجمالية في الشعر ويرفض التمسك بواقع المجتمع وظروفه، وحاوره في ذلك بمقالات متعددة.

ثالثا- الشعر الإسلامي والأموي:

درس الدكتور عبد القادر الشعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي ونفذ إلى آراء علمية وأدبية قيمة، منها أن شاعر صدر الإسلام لم يكن يصدر عن تصور ديني ضد المشركين، وكان فخره وهجاؤه امتدادا للفخر والهجاء الجاهليين، وعلّل ضعف الشعر حينذاك بانقضاء عصر الفحول الجاهليين. وانتقل إلى دراسة الشعر الأموي، ورأى أن ما حدث من تطور وتجديد فيه إنما حدث على لسان العذريين والغزليين، أما الشعراء الكبار مثل الفرزدق وجرير والأخطل فشغلتهم السياسة كما شغلت الكميت الشيعي، وفي رأيه أن الخوارج لم يكونوا شعراء إنما كانوا مناضلين سياسيين.

رابعا- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر :

يرى الدكتور عبد القادر أن هذا الاتجاه مر بأربعة مراحل - أولاها: عند مدرسة الإحياء ورائدها البارودي الذي فرض عليه ما عاشه من محن أن يعود إلى ذاته ويصدر عنها في شعره بحيث يعد إرهاصا للحركة الرومانسية في الشعر العربي، وتأثر باتجاهه الرصافي والزهاوي في العراق وشوقي في مسرحياته. وفي المرحلة الثانية: ينمو الاتجاه الوجداني عند خليل مطران وشكري والعقاد والمازني وأبي شادي وشعراء المهاجر الأمريكي. والمرحلة الثالثة: مرحلة الازدهار عند ناجي وعلي محمود طه وأضرابهما. والمرحلة الرابعة: تحول فيها شباب الشعراء إلى مذهب الواقعية والشعر الحر. والكتاب يعرض هذه المراحل الأربع للاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر عرضا رائعا.

ولا يخلو عدد من أعداد المجلات الأربع التي رأس الدكتور عبد القادر تحريرها من مقال نظري أو تطبيقي في فنون الشعر والقصة والأقصوصة والمسرحية . وله ديوان شعر بديع : ذكريات شباب. واسمه منذ نصف قرن يتألق في نهضتنا الأدبية المعاصرة.

والدكتور عبد القادر مترجم كبير أثرى الأدب العربي بثلاث مسرحيات لشكسبير هي: هاملت — ريتشارد الثالث —

بريكليس. بالإضافة إلى أربع مسرحيات وقصة لكتاب أمريكيين ومجموعة قصص قصيرة للكاتب الروسي بوشكين.

وتقديرا للأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط وأعماله وبحوثه الرائعة نال جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي سنة ١٩٨٠ وجائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٨٤. وهو الآن أستاذ متفرغ بكلية الآداب في جامعة عين شمس وعضو بالمجلس الأعلى للثقافة ومقرر لجنة الشعر فيه . وأنا أهنئه بعضوية المجمع اللغوي، وأهنئ به المجمع وسيحظى ببحوثه اللغوية والأدبية النقدية القيمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

شوقي ضيف

رئيس المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور عبد القادر حسن القط
في حفل استقباله عضوًا جديدًا بالمجمع

الأستاذ الدكتور رئيس المجمع

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع

السيدات والسادة:

أودّ أن أعبّر عن شكري للصديق الكريم رئيس المجمع وثنائه الجميل الذي أرجو أن أكون أهلاً له، وللأعضاء الأجلاء الذين أتاحوا لي الانتماء إلى هذا الصرح الفكري الجليل الذي انتميت إلى مجالاته اللغوية والأدبية والحضارية على مدى زمنٍ طويل من قبل.

والحق أن اللغة العربية بفكرها وأدبها وتراثها الحضاري كانت حبي الأول منذ عهد بعيد. كان حبًّا فطريا ينشأ وينمو مع الطفولة والصّبا ، تغذيه روح العصر وثمار أعلام النهضة الحديثة في اللغة والفكر وفنون الأدب والقول.

كانت اللغة العربية في بداية هذا العصر الحديث عُدَّة الشعب العربي في نهضته الحضارية، ووسيلته إلى المعارف العصرية في العلم والأدب، وسلاحه الفكريّ والنفسيّ في مواجهة الغزو الغربي المزوّد بآلة الحرب وسلطان المعرفة والعلم.

وقد حمل عبء هذه النهضة القومية الحديثة، بأدبها وعملها وسياستها، أعلام كانوا – على اختلاف ملكاتهم – يؤمنون بأن اللغة وما تحمل من تراث وتاريخ وروح حضارة هي المنطلق الأول لكي يتصل القديم بالجديد ويتوحد فكر العرب ووجدان الشعب العربي في صورة عصرية تأخذ من القديم أصلحه للبقاء وتقتبس من الحديث أنفعه للنهضة وأقدَرَه على مواجهة حاجات العصر.

وفي ظل هؤلاء الأعلام ونورهم نمت الفطرة عند الكثيرين فغدت موهبة واعية قادرة، بما اكتسب من علم وخبرة ؛ ومن فكرهم العصري المستنير نشأ هذا المجمع العربي الجليل الذي أشرُف اليوم بانتسابي إليه.

أمد طويل ذلك الذي يمتدّ بين البدايات الأولى لهذا الحب القديم، وما

اكتسب صاحبه على طول الدرب وامتداد الأجلاء من الرواد الراحلين. ولعلّ العشق الفطري أصبح اليوم أكثر وعيا وحكمة لكن أوتاره ما زالت مشدودة إلى القلب تستجيب لكل لمسة من أنامل ذلك الحب القديم. فما بالي اليوم ومئات الأنامل من هذا الجمع الجليل.تمتدّ في كرم لتشدَّ من بعض أوتاره التي قد يكون بعضها قد وهَي مع الزمن، فتحرّكه ليعزف لحنا لعلّه ما زال قادرا على أن يطرب أهل زماننا المتحوّل السريع !

الأساتذة الأجلاء

السيدات والسادة:

كان من نصيبي أن أقوم في هذا المجمع مقام الراحل الكريم الأستاذ الدكتور حسين مؤنس، وأرجو أن أوفق إلى بعض عطائه للغة والأدب، وما أظن أني ببالغٍ شيئا من عطائه الجزيل في التاريخ.

عرفته منذ صباه ، إذ كان قد سبقني إلى الفراغ من دراسته الجامعية بأربع سنوات، وقامت بيننا —كالمعهود حينذاك بين أبناء الجامعة القليلي العدد المشغولين بقضايا الفكر والمجتمع — صداقة طيبة امتدت سنينَ غير قليلة، حتى تفرّقت بنا سُبُل العمل.

كان رحمه الله متعدّد المواهب يجمع بين معرفة المؤرخ وموهبة الأديب، وقدرة القائد الذي تتحول الإدارة على يديه إلى فكر وثقافة وأدب وعمل حضاريّ كان في دراسته للتاريخ أحد القلائل الذين يتحول لديهم التاريخ — في التعليم والتأليف — إلى ظواهر حضارية ومظاهرَ اجتماعية، ولا يحفل كثيرا بحياة الملوك والأمراء والقواد والأحداث إلا بمقدر ما تجلو من حياة الشعوب وسيْر الحضارة.

أدكُر بهذا المنهج الفريد أستاذي الجليل الأستاذ عبد الحميد العبادي، الذي كانت محاضراته في التاريخ — بصوته الهادئ العميق — متعة للعقل والوجدان، في السياسة والاجتماع والحضارة وبعض نصوص الأدب التي يتخذها المؤرخ الكبير مفتاحا من مفاتيح التاريخ. كذلك كان حسين مؤنس المؤرخ.

علـــى أن الأدب لم يكـــن عنده مفتاحا للتاريخ فحسب، بل كان إبداعا متميزا في فن المقال والقصة والمسرحية، تتخلله روح دعابـــة وسخرية غيرِ جارحة تنبئ بوعي سياسي واجتماعي فريد.

أما الإدارة فكانت لديه وسيلة إلى تحقيق طموح ثقافي قومي تحفزه إليه وتخطط له ثقافته وحسّه الحضاري. وكان مـــن ثمـــار ذلك مشروعه الثقافي الكبير " الألـــف كتاب " تحية لذكراه وإكبارًا لعطائه الباقي على الزمن.

وشكرا لكم .

والسلام عليكم ورحمة الله.

عبد القادر القط

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع
في استقبال الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي
عضو المجمع الجديد

الزملاء المجمعيون

السيدات والسادة:

يسعدني أن استقبل باسم المجمع الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجاري عضوًا عاملا فيه، وهو علم كبير في الدراسات اللغوية وخبير قديم في اللجان المجمعية.

ولد في أول يناير سنة ١٩٤٠ بمدينة المنصورة، وبدأ تعلمه في مدرستها الابتدائية الأميرية ثم في مدرسة الملك الكامل الثانوية، وحصل منها على التوجيهية (شعبة العلوم) والتحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وتخرج فيه سة ١٩٥٨ حاصلا على درجة الليسانس الممتازة بتقدير ممتاز، وعمل فترة قصيرة بمدرسة العباسية الثانوية، وإعجابا من أساتذته في كلية الآداب بتفوقه في الدراسة عُيِّن بها معيدا، وسرعان ما أوفدوه إلى ألمانيا للحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات اللغوية سة ١٩٦٠ وقضى بها سنة في جامعة إرلانجن وأربعا في جامعة ميونخ، وفيهما درس علم اللغة الحديث، وكان موضوع رسالته للدكتوراه منهج السيرافي في التحليل اللغوي، وحصل عليها سنة ١٩٦٥.

وعاد إلى مصر، وعين مدرسا بكلية الآداب، وتدرج في الوظائف الجامعية إلى أن أصبح أستاذا في الدراسات اللغوية سة ١٩٧٧ وعمل وكيلا لكلية الآداب مں سنة ١٩٨٩ إلى سنة ١٩٩٤ وأمينا لمجلس الدراسات العليا بجامعة القاهرة من سنة ١٩٩٠ إلى سنة ١٩٩٤ وأمينا ثم مقررا للجنة الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين للغة العربية في الجامعات المصرية.

وقد ألف الدكتور حجازي وترجم ونشر عددا كبيرا من الكتب

والدراسات،ومما ألف مبكرا كتاب (اللغة العربية عبر القرون) سنة ١٩٨٦ و(علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة) سنة ١٩٧٠ . ومنذ أن كان طالبا بألمانيا اشترك في تأليف معجم ألماني عربي ضخم، ظل يقدم له أعمالا حتى سنة ١٩٧٠ وفيه أعدَّ سبعمائة وخمسين عمودًا كبيرا للمداخل الألمانية وما يقابلها في العربية، وطبع هذا المعجم سنة ١٩٧٣ بألمانيا ، وتعددت طبعاته فيها وفي بيروت. ومن أهم مؤلفاته:

١- علم اللغة العربية

هذا الكتاب محاولة للربط بين الأصول العربية لعلوم اللغة والاتجاهات التاريخية، والمقارنة في دراسة العربية على ضوء اللغات السامية، وتناول فيه موقع العربية بين اللغات السامية وأهم ملامح تاريخها في الحقب الإسلامية.

٢- أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي

يدرس هذا الكتاب فكر الطهطاوي: أصوله العربية ومصادره الأوربية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية، ويضيف إليه تحقيقا كاملا لكتاب الطهطاوي : تخليص الإبريز في ضوء المراجع الفرنسية، مع تعليقات لغوية وفكرية مفيدة.

٣- مدخل إلى علم اللغة

عرَّف هذا الكتاب باللغة وطبيعتها ووظائفها وبعلوم اللغة ومناهجها وبالأصول العربية لعلم الأصوات والاتجاهات الحديثة فيه، وعرض الكتاب أصول التحليل النحوي والصرفي، وأوضح مصطلحات التحليل الدلالي، وعرَّف تعريفا علميا دقيقا بالفصائل اللغوية في العالم.

٤- الأسس اللغوية لعلم المصطلح

استهل الدكتور حجازي هذا الكتاب بتعريف علم المصطلح، وحلّل بنية المصطلحات التي أقرها المجامع اللغوية العربية ، ودرس في ضوء المصطلحات نظم التوحيد المعياري لترجمة السوابق واللواحق، وحدَّد الاتجاهات المستقرَّة في المجامع بالنسبة للتعريب ومجالاته ومشكلات التدوين، وتحدث عن المصطلحات والتنمية وقضية المصطلح اللغوي.

٥- اللغة العربية في العصر الحديث

يعرض هذا الكتاب دراسات في الإطار التاريخي للقضية اللغوية في الوطن العربي الحديث، كما يعرض الاتجاهات العامة في وضع المصطلحات وقضية تيسير الكتابة العربية، وموقعَ اللغة العربية بين اللغات العالمية المعاصرة.

٦- البحث اللغوي

يقدم هذا الكتاب رؤية للاتجاهات المعاصرة في دراسة اللغة، وركز على الأسس النظرية في ضوء مدارس القرن العشرين، وتناول صناعة المعاجم وسمات المعجمات العامة، وعرَّف باتجاهات البحث اللغوي في الجامعات العربية والأوربية.

تعليم العربية لأبناء اللغات الأخرى:

أُلِّفت بإشراف الدكتور حجازي سلسلةُ كتب لتعليم العربية في ماليزيا، وخطط لمركز تعليم العربية لغير الناطقين بها في جامعة القاهرة. وبجانب ذلك قدَّم خبرته لتطوير تعليم العربية بوزارة التربية والتعليم سنوات متصلة.

مشاركته في ترجمة وتأليف موسوعات مهمة منها:

١- تاريخ التراث العربي لفؤاد سِزْكِين

هذه الموسوعة عشرة أجزاء من الترجمة العربية. خطط الدكتور حجازي لترجمتها من الألمانية، وأكثر الأجزاء بترجمته وراجع مادة الأجزاء جميعا بالرجوع إلى الأصول العربية. وطبعت الأجزاء جميعا بين سنتي ١٩٨٠ و١٩٨٢.

٢- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان

كانت الأجزاء الستة الأولى من هذا التاريخ قد ترجمت ونشرت، فأشرف الدكتور محمود حجازي على الأجزاء المتبقِّية من الجزء السابع إلى التاسع عشر في مجالات التراث العربية ومخطوطاته، وترجم بعض الأجزاء، وأشرف على الطبعة الكاملة منه حتى ظهور القسم الأخير في هذا العام.

٣- موسوعة الأسماء العربية

هي موسوعة لعُمان في ثمانية أجزاء، شارك الدكتور حجاري فيها، وهي عمل مرجعي حديث

لأسماء الأعلام المعاصرة خاصة من الجوانب الإحصائية واللغوية والاجتماعية نشرها عمان في سنتي ١٩٩٠ و١٩٩١.

انتدابه لدار الكتب والوثائق القومية

انتدبت وزارة الثقافة الدكتور حجازي رئيسا لمجلس إدارة الكتب والوثائق القومية، فنهض بها طوال ثلاث سنوات نهضة عظيمة، إذ طورّ فيها عدة قاعات، وحدّث مطبعتها أو جعلها حديثة، ونشر خمسين مجلدا من روائع التراث العربي، وأدخل في دار الكتب نظام التأمين للمخطوطات، وأنشأ بها مركزا حديثا لترميم الكتب مخطوطة ومطبوعة، وحصر بها المقتنيات. وقبل مبارحتها اقترح خطة لتنظيم المكتبات بمصر وافق عليها مجلس الشعب في مارس ١٩٩٧.

انتدابات وزيارات ومحاضرات

لشهرة الدكتور حجازي العلمية انتدبته جامعة الكويت وقطر ليحاضر طلابهما في علم اللغة، واستدعاه مكتب تنسيق التعريب في الرباط ليشارك في دورتين من دوراته، وحاضر بمجمع دمشق عن مستقبل العربية. وعرفته البيئات العلمية الغربية فاستدعته لزيارتها والمحاضرة بها جامعات نور مبرج بألمانيا وأمستردام في هولندا وبودابست في المجر، ودعته جامعة ليون بفرنسا هذا العام فألقى بها سلسلة من المحاضرات عن اللغة العربية في العصر الحديث.

وصلة المجمع اللغوي بالدكتور محمود حجازي قديمة، وهي صلة علمية، إذ شارك في أعمال المعجم الكبير ثلاث سنوات من سنة ١٩٧٦ إلى سنة ١٩٧٩ بتأصيل المواد اللغوية في ضوء علم اللغة المقارن، وبعد ذلك خبيرا بلجنة الألفاظ والأساليب وسوّغ لها كلمات عامية كثيرة وهو أيضا خبير بلجنة اللهجات، والبحوث اللغوية، وقدم لها ثلاث مجموعات كاملة من مصطلحات الفصائل اللغوية أقرها مجلس المجمع ومؤتمره، وقدم لها في سنة ١٩٩٨ بحثا عن اللغة الأجريتية السامية: بنيتها وعلاقتها بالعربية، ونشر عددا كبيرا من البحوث في مجلة المجمع.

وهو عضو مراسل بمجمع دمشق وعضو بالمجمع العلمي المصري وأهْدى إليه وســام الاســتحقاق من جمهورية ألمانيا الاتحادية سنة ١٩٩٧ والجائزة التقديرية في العلوم الإنسانية لجامعة القاهــرة . وأنــا أهنئه بعضوية المجمع وأهنئ المجمع به وهو ســيظل - بــلا ريب - يقدم إليه بحوثه ومقالاته اللغوية والأدبية القيمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

شوقي ضيف

رئيس المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي
في حفل استقباله عضوًا جديدًا بالمجمع

السيد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف
السيد الأستاذ الدكتور محمود حافظ
السيد الأستاذ إبراهيم الترزي
سادتي أعضاء مجمع الخالدين
سيداتي سادتي:

اللغة العربية لغتنا الوطنية ورمز الانتماء. هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ولغةُ الحضارة العربية الإسلامية ، لها تاريخها العلمي وواقعها المعاصر ومشكلاتُها القائمة. لقد كان قيامُ مجمع اللغة العربية بالقاهرة تحقيقا لأمل المثقفين في كل الأقطار العربية، ومن هنا مكانةُ مجمع الخالدين. ولهذا تُعلِّق الأمةُ كلُّها على المجمع أملا كبيرًا من أجل تنمية العربية للوفاء بالمتطلبات المعاصرة. لقد آثرتموني بانتخابي عضوا بالمجمع الموقر في عهد أستاذنا الدكتور شوقي ضيف، وأرى لزاما عليَّ أن أشكر لكم انضمامي لهذه الصفوة المتميزة من علماءِ مصر والأمة العربية. أما أستاذي الفاضلُ فقد تحدث عني ورأى فيّ أملا للعطاء المجمعي . أشكر لسيادته هذه الكلمة الراقية، وأتمنى أن أكون أهلا لها من أجل اللغة العربية والتخطيط لمستقبلها.

لقد بدأت صلتي بمجمع اللغة العربية منذ زمن بعيد، وأذكر بالاعتزاز والاحترام المجمعي الكبير الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله، فقد اقترح منذ نحو خمسة وعشرين عاما أن أعاونَ في لجنة المعجم الكبير. وكان لي عملٌ في مجالِ مصطلحات العلوم اللغوية في سنوات تالية مع الأستاذ الدكتور كمال بشر في لجنة اللهجات والبحوث اللغوية ، ثم مع أستاذي العلاّمة شوقي ضيف في لجنة الألفاظ والأساليب. وإلى جانب هذا كله كان لي شرفُ نشرِ عددٍ من الدراسات اللغوية في مجلة مجمع اللغة العربية، التي ينهض بها المجمعيّ الكبير الأستاذ إبراهيم الترزي. أشكر لكم هذه الثقةَ الغالية، وأعتز بترشيح أخي الأستاذ

الدكتور محمود علي مكي لي لعضوية مجمع اللغة العربية. وهذا كلُه تكريم للغوي يحب العربية ويجعل معرفته بعدد من اللغات الأوربية والشرقية أداةً لبحثها ومنطلقا لدراسة بنيتها وألفاظها وللنظرِ في مستقبلها.

إنه لشرف عظيم لي أن أكون عضوا بمجمع الخالدين في الكرسي الذي قضى نظامُ العضوية أن أجلس فيه حلفا لجامعي كبير ومجمعي مرموقٍ هو المرحوم الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاّب. كان رحمه الله من أعلام الجامعات المصرية. درس في كلية الآداب على نخبة من الأعلام، في مقدمتهم الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور، والأستاذ الدكتور محمد شفيق غربال، والأستاذ الدكتور مصطفى عامر، والأستاذ الدكتور محمد عوض والأستاذ الدكتور سليمان حزين. وبعد أن تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة وحصوله على دبلوم في التربية، أوفدته الجامعة إلى بريطانيا فنال درجة ماجستير الآداب في الجغرافيا من جامعة مانشستر، وعاد إلى مصر فأعد رسالته لدرجة الدكتوراه وحصل عليها من جامعة الإسكندرية . ارتبطت حياته كلها بالجامعة، كان له دور كبير في جامعة الإسكندرية، ثم في فرع جامعة القاهرة بالخرطوم، ثم في كلية الآداب بجامعة القاهرة. اهتم منذ فترة مبكرة بدراسة فلسطين، وبدراسة شبه جزيرة سيناء. وعندما خطط المجلس الأعلى للعلوم والمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لعمل دراسةٍ علمية عن هذه المنطقة كان الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب على رأس البعثة العلمية التي كُلفت بذلك. عاش بعد ذلك بالسودان في فترة تحوّل دقيقة، وكانت جامعة القاهرة بالخرطوم أملا كبيرًا، وهنا نجد دوره حاسما في تطوير الدراسات الأفريقية في مصر. وبفضل جهوده نشأ كيان علمي كبير، وهو معهدُ البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة. وهذا دور يُذكر فيُشكر، كان الحوار بيننا متصلا في عددٍ من الموضوعات المتصلة بالتخطيط لدراسة القارة الأفريقية من كل جوانبها. وأذكر حوارا كان عن أهمية دراسة اللغات

الأفريقــية. وأنجز الأستاذ الدكتور محمد السـيد غلاب ما خطط له، ونشأ لأول مرة في مصر قسمٌ للغات الأفريقية، وأخد جـيلٌ جديدٌ من المتخصصين المصريين في اللغات الأفريقية يتكون ويشارك في بحث الهوسا والسواحلية على وجه الخصوص. لقــد كانــت له جهودٌ واضحةٌ في هذا المجال، واهتمامه باللغات الأفريقية امتداد لحبه للغة العربية.

كــان الأستاذ الدكتور محمد السيد عــلاب مــن العلماء أصحاب المؤلفات القـيمة في الجغرافيا وعلاقتِها بالإنسان. نذكر منها: تطور الجنس البشري ، والبيئة والمجتمع ، والجغرافيا السياسية ، والجعرافيا التاريخـية، وجغرافية الحضر، إلى جانب عددٍ كبيرٍ من البحوث العلمية المنشورة في مصر والخارج. وشارك ببحوث قيمة في عدد كبير من المؤتمرات العلمية.

وقــبل أن ينضــم الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب إلى مجمع الخالدين عضوا به كانــت جهــودُه قد عَرَّفت به، لقد ظل خـبيرًا بمجمــع اللغة العربية عِدَّةَ أعوامٍ وتعــاون في مجــال تخصصه مع أستاذنا الأستاذ الدكتور سليمان حزين — مد الله في عمــره — كان عطاءُ الأستاذِ الدكتور محمد السيد علاب في لجان المجمع شاهدا عــلى تكــاملٍ نــادرٍ بين التخصص في الجغرافيا والتعمقِ في اللغة العربية والمعرفةِ الجادةِ باللغة الإنجليزية. شارك في أعمال لجــنة الجغرافــيا ولجــنة المعجم الكبير، وكانت جهودُه في المصطلح العلمي العربي واضحةً ومتميزةً.

ولي كبيرُ الشرف أن يختارني المجمعُ الموقر في المكان الذي خلا بوفاة صديقي الأستاذ الدكــتور محمد السيد غلاب. تغمده الله بواسع رحمته.

السيد رئيس المجمع

سيداتي سادتي:

إن مجمعَ اللغة العربية بالقاهرة يُعد أمــلَ الأمــة العربية كُلِّها في التخطيط لمستقبل اللغة العربية في عصرٍ جديد . لقد قــام مجمــعُ الخــالدين بعمــلٍ كبير في المصــطلحات وفي قضايا اللغة. نحن اليومَ نعيشُ عصرَ تقنيات المعلومات، وهنا مجالٌ كــبيرٌ للإفادة منها من أجلِ تصورٍ جديدٍ للــتعاون الدائــم بين المجامع اللغوية من

جانب ولإتاحة نتائج أعمال المجمع لكل المؤسسات والأفراد في الأقطار العربية وفي كل أنحاء العالم من الجانب الآخر . وفوق هـــذا كُلّـــه فإن العلماء والمثقفين وكُلّ المهـــتمين بالعربـــية ينـــتظرون الأعمال المعجمية لمجمع اللغة العربية، وأملُهم عظيمٌ في اكـــتمالِ المعجمِ الكبير، وفي التطوير الدائـــم لـــلمعجمِ الوسيط، وفي التجديد المستمر للمعجم الوجيز.

وكـــلها أعمـــال جـــادة لها أهميتُها المجتمعية من أجل العربية، ودعم الانتماء الـــثقافي العربي. إننا ندخل عصرًا جديدًا تزيد فيه أهمية الذاتيةِ الثقافية لتحقق ضربا مـــن الـــتوازنِ مـــع العولمة. واللغة أهمُ مقومـــاتِ الذاتية الثقافية، ومن هنا أهميةُ دورِ مجمـــع اللغـــةِ العربية بالقاهرة مـــن أجلِ التخطيطِ لمستقبلِ اللغة العربية.

إنّ دورَ مجمع اللغةِ العربيةِ بالقاهرة واضـــحٌ في التنمـــيةِ اللغويةِ، ويتأكد هذا الـــدورَ في المرحلةِ القادمةِ التي تعاظم فيها دورُ التعلـــيم والإعلام وأصبح فيها لقاءُ الحضارات ضرورةً متجددة. ومن هنا فإن وصـــولَ قـــراراتِ مجمع اللغةِ العربية إلى العـــلماءِ والمثقفين على نحوٍ سهلٍ وسريعٍ يُعـــد من أهم متطلبات الحاضر. إنّ البعد الاجتماعيّ في عملِ المجمع لابد أن تكتمل حلقاتـــه، مـــتابعة لكل جديد في العلم وألفاظ الحضارة والنظم، ونظرًا في كل ما يُثرى اللغة في كل هذه المجالات ، وتقديمًا لنـــتائج هذه الجهود لكل المستفيدين في الداخل والخارج. وهده المنظومةُ الاتصاليةُ واضحة في فكر المجمعيين، والعملُ كفيلُ بتحويـــلها إلى واقـــعٍ من أجلِ مزيدٍ من العمل المجمعي في التنمية اللغوية.

وفي الـــنهاية ما كان لي أن أكونَ في هـــذا المكـــان إلا بفضل الله، وأدعو لوالـــديّ بالـــرحمة والمغفـــرة، فقد كانا حريصَـــين على التنشئة العلمية لي. وأعتز بـــأنني حصـــلتُ في جامعة القاهرة على أفضل ما تقدمه الجامعةُ لأبنائها أوفدتني في بعـــثة جامعـــية إلى ألمانيا للحصول على الدكـــتوراه في علـــوم اللغة، فأتيح لي أن أدرس عـــلى نخـــبة من علماءِ اللغة فيها، أذكرهم بالروحِ العلمية والعملِ الجاد.

حاولتُ أن أقدم ما أستطيع خدمة للغـــة العربية والثقافة ولقاء الحضارات.

ومنحتني حكومةُ جمهورية ألمانيا الاتحادية وسامَ الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٩٧، وكرمتني جامعةُ القاهرة بمنحي جائزتها التقديرية في العلوم الإنسانية لعام ١٩٩٨.

وإذا كنتُ قد شرفتُ بالانتساب إلى مجمع اللغة العربية بدمشق عضوا مراسلا ١٩٩٣، وإلى المجمع العلمي المصري عضوا عاملا منذ ١٩٩٤ فإنني سعيدٌ بأن أكون إلى جانب هذه النخبة الراقية عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وبعد عمل علمي بدأ مبكرًا واستمر نحو أربعين عاما أجد نفسي اليوم بين أعضاء المجمع الموقر. حفظكم الله، وبارك في جهودكم، أشكر لكم ثقتَكم، وأعتز بتقديركم لعلمي وبالعبارات الكريمة التي قدّمني بها أستاذنا الكبير الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع. وأملي أن أكون عند حسن ظنكم، وأن أشاركَ من خلال العضوية العاملة في تنفيذ مشروعات المجمع الموقر من أجل مستقبل العربية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

محمود فهمي حجازي

عضو المجمع

ثانيًا- استقبال اثنين من الأعضاء التسعة الجدد بالمجمع وهما :

١-الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع .

٢-الأستاذ الدكتور محمد عماد الدين فضلي.

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ١٤ من شعبان سنة ١٤٢٠ هـ الموافق ٢٢ من نوفمبر سنة ١٩٩٩م، عقد المجمع جلسة علنية لاستقبال اثنين من أعضائه الجدد هما:

- الأستاذ الدكتور شفيق بلبع .
- الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي .

وقد ألقى كلمة المجمع في استقبالهما الأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في هذه الجلسة :

كلمة الافتتاح للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

هذا اليوم هو اليوم الثاني من أعياد المجمع الذي يستقبل فيه اثنين من الأعلام الكبار، الذين عينوا بالمجمع هذا العام، عالمان كبيران في كلية الصيدلة ، وفي كلية الطب، يستقبلهما المجمع، وهما: الأستاذان العالمان الجليلان الدكتور شفيق إبراهيم بلبع، والدكتور محمد عماد الدين فضلي الأستاذ بكلية الطب جامعة عين شمس، والأستاذ الدكتور شفيق بلبع عميد الصيدلة قديمًا، ثم تركها إلى رئاسة جامعة المنصورة، وعاد إلى جامعة القاهرة أمينًا للمجلس الأعلى للجامعات، وهو شخصية فذة ، له مشاركة في علوم الصيدلة والعقاقير منذ القديم وله مؤلفات كثيرة فيها، وفي النباتات الطبية والعطرية، وله كتابان عظيمان في الطب ، وله مئة وستون بحثًا في النباتات نشرت في مجلات علمية كبيرة وحظيت به جمعيات كثيرة، وهو عضو في جمعيات علمية كثيرة في مصر وأمريكا وكنا نتمنى أن يكون معنا الآن، ولكنه اضطر فجأة أن يبرح القاهرة إلى أمريكا لإجراء عملية جراحية، ندعو الله له بنجاح العملية والشفاء عاجلا والعودة إلينا إن شاء الله .

ويتولى الأستاذ الدكتور الجليل محمود حافظ إلقاء كلمة المجمع في استقباله فليتفضل .

كلمة الأستاذ الدكتور محمود حافظ
نائب رئيس المجمع
في استقبال الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع

العالم الجليل الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية العلماء الأجلاء، سيداتي سادتي

نستقبل اليوم عالما من علمائنا البارزين ورائدا من رواد العلوم الصيدلية في مصر والعالم العربي، اكتسب بعلمه وخبرته الواسعة في هذا المجال مكانة علمية عالمية ذلكم هو الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع أستاذ العقاقير والنباتات الطبية المتفرغ بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة؛ وعميد الكلية الأسبق، نستقبله اليوم عضوا بمجمع اللغة العربية من بين كوكبة من علماء مصر الأعلام أعضاء مجمع الخالدين.

وإني على يقين أن الزميل العزيز سعيدٌ حقا بهذه الثقة الغالية التي منحها له زملاءٌ هم صفوة من جهابذة الفكر والعلم و اللغة يقدرون علمه وخبرته ومكانته.

هذه الثقة هي التي أفسحت له مكانًا عزيزًا في هذا المجمع العظيم درة المجامع اللغوية في الوطن العربي وكعبة العربية وحصنها الحصين.

ولست في حاجة إلى القول إن المكانة التي يتبوؤها اليوم هو بها جد جدير لمكانة رفيعة حقا فأهنئه تهنئة خالصة أبعثها إليه عبر الأثير، أهنئه عضوًا بين سدنة اللغة وحماتها في مجمع الخالدين.

ولد زميلنا الأستاذ الدكتور شفيق بلبع في الثالث عشر من شهر فبراير عام ١٩٢٠ بمدينة دمنهور. وفي ضيعة والده ومزارعه الواسعة عاش طفولته بين مروجها ونباتاتها الخضراء وظلالها الوارفة وكانت لهذه الطبيعة الخلابة انعكاساتها عليه فأحبها وعشق نباتها وعطرها وأريجها. وظلت هذه الأحاسيس تنمو معه في صباه وشبابه فما أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس دمنهور عام

١٩٣٨ حتى مضى إلى كلية الزراعة بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) وبعد أربع سنوات عام ١٩٤٢ حصل على درجة البكالوريوس في العلوم الزراعية واتجه بعد ذلك إلى زراعة النباتات الطبية والعطرية وإنتاجها في المزارع التي يمتلكها والده إلا أنه واجه بعض المشكلات الفنية في هذا المجال فاتجه إلى كلية الصيدلة بجامعة القاهرة وتقدم للحصول على دبلوم في النباتات الطبية والعطرية لكن نصحه بعض أساتذة الكلية بالدراسة للحصول على درجة البكالوريوس في العلوم الصيدلية.

وفي كلية الصيدلة تفوق الدكتور بلبع في دراسته على أقرانه بما رسخ في خلفيته من علوم ومعارف تلقاها إبان دراسته بكلية الزراعة ويتصل بعضها - وبخاصة علوُم النبات والكيمياء- بالعلوم الصيدلية ووجد ضالته في النباتات الطبية والعطرية وعلم العقاقير فشغف بهما وتخصص فيهما بعد ذلك في دراسته العليا بعد حصوله على درجة البكالوريوس في العلوم الصيدلية عام ١٩٤٦، وقد كان لدراسته الجامعية المزدوجة وحصوله على درجتي بكالوريوس الزراعة وبكالوريوس الصيدلة مزايا كثيرة وفوائدُ جمة، كان لها تأثير إيجابي واضح على مسيرته العلمية والأكاديمية- وقد تابع الدكتور بلبع دراسته العليا فحصل على درجة الماجستير في علم العقاقير عام١٩٥٠، سافر بعدها في بعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة بجامعة فلوريدا، وحصل على درجة دكتوراه الفلسفة في علم العقاقير من هذه الجامعة عام ١٩٥٣.

وبعد عودته انضم إلى هيئة التدريس بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة مدرسا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذ كرسي كيمياء العقاقير عام ١٩٦٤، فرئيسًا لقسم العقاقير، فعميدًا لكلية الصيدلة عام ١٩٦٦ لست سنوات متصلة، عين بعدها أمينًا عامًا للمجلس الأعلى للجامعات حتى عام ١٩٧٨ حين اختير رئيسا لجامعة المنصورة. وفي عام ١٩٨٠ بلغ عامه

الستين فعين أستاذًا متفرغًا بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة حتى الآن- وفي هذا العام أيضًا عين الدكتور بلبع وكيلا لمجلس الشورى-وفي جميع هذه المناصب التي تقلدها تميز الدكتور بلبع بسعة الأفق والعمل البناء والفكر الثاقب والبصيرة النافذة والتحلي بمكارم الأخلاق.

وقد حفلت حياته العلمية التي امتدت أكثر من خمسين عامًا حتى اليوم بنشاط علمي كبير وإنجازات وأعمال إنشائية بارزة في مجال تخصصه، فله ما يزيد على (١٦٠) مئة وستين بحثًا علميًا في مجال العقاقير والنباتات الطبية نشرت في أكبر المجالات العلمية المتخصصة المصرية والعالمية تناولت فصل المكونات الفعالة من بعض النباتات في صورة نقية بغرض استخدامها في العلاج، واستحداث طرق جديدة ودقيقة مبتكرة لتقييم المكونات الفعالة في عدد من النباتات الطبية والعطرية وقد أدخل الدكتور بلبع زراعة أكثر من خمسة وعشرين نوعًا من النباتات الطبية والعطرية في مصر لأول مرة استجلبها من الخارج وتأقلمت في البيئة المصرية-كما شملت دراستهُ وبحوثه ما يزيد على(٨٠) ثمانين نوعًا من النباتات الطبية والعطرية التي تنمو بريًّا في مصر وقد ركز اهتمامه على النباتات ذات الفائدة الاقتصادية مثل السكران المصري وحشيشة الليمون والبلادونا والداتورة وحلف البر والخلة والشطة والنعناع وزيوت الموالح والبيرثروم والبلانتاجو وغيرها وقد قام بدراسة التركيب الكيميائي لبعض المكونات الفعالة ومعرفة خواصها الفيزيقية بهدف استخدامها في العلاج.

وللدكتور بلبع مدرسة علمية رائدة في كلية الصيدلة بجامعة القاهرة تخرج فيها العديد من تلاميذه الذين يشغلون الآن وظائف الأساتذة بالجامعات والباحثين والعاملين في المؤسسات الصيدلية ومصانع الأدوية ومراكز البحوث في مجال العقاقير والنباتات الطبية ذات الأهمية

الاقتصـــادية . وحصل العديد من طلبته عـــلى درجـــتي الماجســـتير والدكتوراه تحـــت إشـــرافه ومـــن أعماله الإنشائية البارزة:

ـــ إســـهامه في إنشاء أول محطة تجارب نموذجية للنباتات الطبية والعطرية في مصر والوطن العربي مجهزة تجهيزًا متميزًا لإجراء الدراسات والبحوث العلمية والحقلية في هذا المجال.

-كمـــا أسهم في إنشاء معشبة للنباتات الطبية والعطرية لضم الأنواع المختلفة التي تنمو في مصر بريًّا أو التي جرى إدخالُها وزراعتها وأقلمتُها في مصر.

-أشـــرف عـــلى إنشـــاء قسم العقاقير والنـــباتات الطبية في شعبة الصيدلة بكلية الطـــب بجامعة المنصورة، وهو الذي أنشأ هـــذه الشعبة عام ١٩٦٦، وأشرف على تطويـــرها حـــتى أصبحت كليةً للصيدلة قائمةً بذاتها بهذه الجامعة.

-كمـــا أشرف على إنشاء شعبة للصيدلة وتجهـــيزها وإقامة قسم للعقاقير والنباتات الطبية بجامعة الأزهر.

-وأســـهم كذلـــك في إقامة نظام يكفل تـــبادل المعلومـــات عن النباتات الطبية والعطـــرية وبذورها مع محطات ومراكز بحثـــية تعمل في هذا المجال في بلاد مختلفة من العالم.

الكتب والمؤلفات العلمية

وللدكـــتور بلـــبع عدد من الكتب بين التأليف والترجمة منها:

١-**مكونـــات النـــباتات الطبية**،٦٤٥ صفحة، باللغة الإنجليزية، وهو أول كتاب مـــن نوعه على المستوى المحلي والعالمي، وقـــد طلبـــت دار النشر الأمريكية جون وايـــلي أن تقوم بإصدار طبعة منه ونشر الكـــتاب في مصـــر بمطبعة دار الشعب للطباعة والنشر.

٢-**كيمياء العقاقير**، **باللغة الإنجليزية**

الناشر دار الشعب للطباعة والنشر.

٣-**النـــباتات الطبـــية والعطرية**، باللغة العربية.

الناشر: الجهاز المركزى للكتب الجامعية.

٤-**التعلـــيم الجامعي وسوق العمل في مصر(بالاشتراك)** ٥٦٠صفحة

إصدار المعهد الدولي لتخطيط التعليم التابع لمنظمة اليونسكو بباريس.

٥-تاريخ العلوم الصيدلية(بالاشتراك)، باللغة العربية

إصدار أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا.

٦-شارك في ترجمة كتابين عالميين في علم العقاقير النظرى والعملي تأليف ت. واليس، الأستاذ بجامعة لندن.

مظاهر التقدير العلمي في الداخل والخارج

ولمكانته العلمية البارزة وبحوثه العلمية والتطبيقية الرائدة نال الأستاذ الدكتور شفيق بلبع جائزة الدولة التقديرية في العلوم عام ١٩٨٢م، وحصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام١٩٨٣م، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٧٨م، وعلى الميدالية الذهبية لأحسن بحث في العقاقير عام ١٩٧٢ م من اتحاد الصيادلة العربي، وعلى جائزة نيوكومب التذكارية لأحسن بحث في العقاقير على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٤م.

وامتد نشاط الدكتور بلبع وخبرته العلمية الواسعة على الساحة القومية فاختير مستشارًا ورئيسًا وعضوًا في عدد كبير من الهيئات العلمية والمجالس العليا والجمعيات واللجان القومية ومنها:-

-عضو المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي، ومقرر شعبة التعليم الجامعي بالمجالس القومية المتخصصة- رئيس الأكاديمية المصرية للعلوم- مستشار مركز الأبحاث والرقابة الدوائية-مستشار النباتات الطبية والعطرية لوزارة الزراعة-عضو المجلس الأعلى لقطاع الدواء - نائب رئيس مجلس البحوث الطبية بأكاديمية البحث العلمي - رئيس اللجنة التنفيذية للبعثات -رئيس اللجنة الثقافية والتبادل الثقافي بالمجلس الأعلى للجامعات - عضو المجمع العلمي المصري -عضو الجمعية الكيميائية الأمريكية الشرقية، والجمعية الأمريكية للنباتات الطبية والعقاقير، وعضو الاتحاد الدولي للصيدلة،

والجمعية الأوربية للنباتات الطبية.. والجمعية الصيدلية المصرية والشعبة القومية للكيمياء البحتة والتطبيقية بأكاديمية البحث العلمي.

- وهذا جزء يسير من الهيئات التي ينتمي إليها ويوجه نشاطه إليها، هذا فضلا عن أنه كان عميدًا لكلية الصيدلة بجامعة القاهرة، ورئيسًا لجامعة المنصورة، وأمينًا عامًا للمجلس الأعلى للجامعات، ووكيلا لمجلس الشورى. وقد اتسمت حياته العلمية التي امتدت أكثر من خمسين عامًا بالخصوبة والنماء والإنتاج العلمي الغزير والخبرة الواسعة، مما هيأ له الريادة في مجال تخصصه وأسبغ عليه مكانةً علميةً بارزةً على الصعيدين القومي والعالمي.

- هذا هو الزميل الذي نستقبله اليوم عضوًا بمجمع الخالدين، وكنت أرجو أن يكون بيننا اليوم لولا ما أصابه من علة مفاجئة اضطرته إلى السفر إلى أمريكا لإجراء عملية عاجلة، ندعو الله له بالصحة والسلامة.

- وإني على يقين أنه بعلمه وخبرته سيكون خيرَ عون للمجمع ليمضي بقيادته الحكيمة وعلمائه الأعلام في مسيرته وجهوده الرائدة نحو إعلاء شأن اللغة العربية والحفاظ عليها ودفعها إلى آفاق رحبة من التطور والتجديد لتواكب ذلك الإيقاع السريع الذي نشهده اليوم في ثورة المعلومات وثورة الاتصالات، وما قد يأتي به الغد من فيض غزير من التقدم العلمي والارتقاء التكنولوجي.

وشكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود حافظ

نائب رئيس المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور شفيق إبراهيم بلبع

في حفل استقباله عضوًا عاملا بالمجمع

ألقاها الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد عضو المجمع

يشرفني أن أنوب عن الأستاذ الكريم شفيق بلبع في إلقاء كلمته التي أعدها قبل سفره إلى العلاج داعيًا ، وداعين كلنا له بالعودة بتمام الصحة ومكتمل العافية إن شاء الله .

الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية ،

سادتي أعضاء المجمع الموقرين :

سيداتي سادتي :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

في هذا المقام، وأمام هذا الجمع الموقر من الجهابذة العظام أرباب البلاغة والإبداع ، وقادة الفكر وأساطين العلم والأدب والبيان، وأفذاذ المعارف ، يسعدني أن أبدأ بإسداء الشكر العميق لكم جميعًا على ما أوليتموني من ثقة وما أسبغتموه على من فضل بانتخابي عضوًا بمجمعكم العظيم إذ تفضلتم فحبوتموني بهذا الشرف، الذي لم أكن لأتطلع إليه، أو يصبو إليه مثلي ، ولكن سماحتكم كانت فوق ما أتصوره، ولا شك في أن أهم ما تفعم النفس به من مشاعر في مثل هذا الموقف إنما هو الشعور بالاعتزاز بالانتساب إلى مجمعكم الموقر الذي يسجل له الزمن كل يوم من الخدمات في سبيل إعلاء لغة القرآن وإبراز طاقاتها الخلاقة، والذود عنها بمفتريات أعدائها الكثيرين ما يجعل الانتساب إليه شرفًا لا يدانيه شرف وأمنية يحلم بها أعلام العلماء والأدباء ، وإني أعلم جيدًا أن اختياركم هذا تكليف قبل أن يكون تشريفًا ، ويسعدني في هذه المناسبة أن أسجل شكري الجزيل وعظيم امتناني للصديقين الكريمين الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع ، والأستاذ الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح عضو المجمع لتفضلهما بترشيحي لعضويته .

وإني إذ أعتز بهذا الشرف الذي أوليتموني إياه ، ليشاركني في ذلك زملائي من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ؛ ليروا أن في ذلك تقديرًا للدور الخطير

الـــذي تلعـــبه العلوم الطبيعية في عصرنا الحاضر، ليس هذا فحسب ، ولكنه أيضًا تقدير لمظلة بلادنا العربية في أمس الحاجة إلـــيه من نشر الوعي بالعلم بين شعوبها، وتعريب التعليم العلمي في جميع مراحله، وهذه هي الأمور التي يزداد الإحساس بها، والحاجة إليها يومًا بعد يوم ، والتي يتطلب منا جهودًا مضاعفة للحاق بالتقدم المذهل الذي تحرزه العلوم في كل لحظة من سائر بقاع العالم ، وليكون أقوى عدة وأكمل عتادًا بما يجابهنا وسيجابهنا من مشكلات.

وممـــا لاشـــك فيه أن هناك ميادين مشـــتركة بين عمل مجمعكم الموقر وعمل المشـــتغلين بـــالعلوم الطبيعية والتجريبية والتطبيقية فإن المعرفة في المجالات الطبيعية لا تصـــبح علمًا إلا إذا خضعت للوصف المدقـــق والتعبير السليم والقياس المحكم، وهـــل بدون الكلمة الصحيحة المختارة يمكن أن تسجل معرفة ما أو أن تنقل من شخص إلى آخر أو من جيل إلى ما بعده مـــن أجيال ، لذلك فالمشتغلون بالعلوم الطبيعية حريصون كل الحرص على وزن اللفـــظ بـــأحكم الموازيـــن لتطابق المعنى المنشود وتعريف الأشياء والأفعال بأوضح التعاريف ، فلا يطلق اللفظ إلا على معنى واحد أو شيء واحد، فلا تلتبس المعاني، ولا تـــتداخل المفاهيم ، فاللغة هي وعاء كـــل فكـــر، ومفتاح كل قول، ويقوم مجمعكم الموقر بتجديد شباب اللغة العربية وإحـــياء مـــا اندثر منها، أو من قبع بين صفوف المؤلفات والمراجع، أما ما أخفاه الـــزمن، والحاجة إليه ماسة، أو ما تردده الألسنة الآن ويحتاج إلى تصويب ، أو ما يهتدى إليه العلم من مصطلحات جديدة.

ووسائل العلم الموروثة تفيد بإرجاع هـــذه المصـــطلحات إلى قواعد اللغة، أو إيجـــاد وسائل أخرى لاحتضانها، وضمها إلى ثـــروتها، وهـــذا أيضًا هو سبيلكم في عملكم الذي يسعدني أن نسير معكم فيه عـــلى هديكـــم ، ومجمعكم ليس فقط للغويـــين والـــنحاة ، بل هو أيضًا مجمع الموســـوعيين والـــثقات، جمع فأوعى فلا يعـــرف الفجوات ، ولست في حاجة إلى القـــول: إني لســـت متفقهًا في اللغة ولا مالكًا لناصيتها ، ولكني أراكم وقد بلغتم الأوج في اللغـــة والقمة وبيانها وبديعها ،

وغصتم في أعماق تاريخها، وألممتم بكل أبعادهـا، وأضفتم علومًا متعددة متنوعة، وتخصصات جديدة، وفي دلك إثراء للغتنا الجميلة وإثبات لقدرتها على مجارات التقديم السريع فاللغة كائن حي يتطور وينمو ويتسع فيضم فيما يضم هذه المصطلحات الجديدة ويخضعها لأساليب اللغة العربية ، لغة المجمع .

لقد حافظت اللغة العربية على قواعدها ونظامها أكثر من ستة عشر قرنًا من الزمان، وهي لغة علم وفن لا تضيق بالمصطلحات الحديثة، لأن القرآن الكريم قد حاء حافظًا لها من الاندثار أو التخلف أو الاختفاء كما اختفى غيرها من اللغات أو غاب عن التداول أو توارى ، وإن النظرة العلمية غير المتحيزة تعترف لما للغة العرب من تفوق .

سادتي أعضاء المجمع الموقرين:

لقد شئتم أن أشغل الكرسي الذي كان يشغله المغفور له بإذن الله الأستاذ الجليل حامد جوهر ، ومن تقاليد مجمعكم الموقر أن يتحدث العضو الجديد عن حياة سلفه الذي دعى لخلافته ويعرف بآثاره وإنجازاته. وفي ذلك ظلم للراحل الكريم، ولقد كنت أوثر أن يحمل عبء هدا من هو أبلغ مني لسانًا، وأقدر بيانًا ليفي ذلك العالم الجليل حقه، وإني لأستأذنكم أيها السادة أن أقف هنيهة أترحم فيها على روح شيخنا الفاضل وأبكي فيها أخلاقه القويمة ، وعلمه الغزير ، وفضله الوفير، وأتجه إلى الله تعالى أن يسكنه فسيح جناته ويجزيه بما عمل الجزاء الأوفى .

ولد الأستاذ الدكتور حامد جوهر في الرابع عشر من نوفمبر سنة سبع وتسعمئة وألف بمدينة القاهرة، والتحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ، وحفظ جانبًا من القرآن الكريم، والتحق بالمدرسة الثانوية الملكية، وتتلمذ على الأستاذ عبد الله عفيفي ، فتأثر به في حب اللغة العربية، وبخاصة الشعر الذي حفظ منه الكثير، إنه من الجيل الذي تتلمذ على أعلام الشعر واللغة والأدب في العصر الحديث، شوقي وحافظ ومطران والمنفلوطي والعقاد والزيات وطه حسين وأحمد أمين ، إنه الجيل الذي كان يحرص على قراءة إنتاجهم الفكري والشعري

والأدبي مـــا اســـتطاع إلى ذلك سبيلا . تخـــرج الدكـــتور حامد جوهر في كلية العلـــوم بمرتبة الشرف الأولى ضمن أول دفعـــة في ســـنة تسع وعشرين،وتسعمئة وألـــف وعمل معيدًا بها لتفوقه ، واحتاره أســـتاده ليبحـــث في فسيولوجيا الحيوان فحصـــل عـــلى درجة الماجستير في هذا الفـــرع من العلم بعد عامين من تخرجه ، ولكنه ما كاد يرى البحر الأحمر في محطة الأحـــياء الـــبحرية في الغردقة حتى شغفه حـــبًا، ولاعـــبارات علمية ووطنية آثر الدكتور جوهر المقام على شطآنه ليعمل مســـاعدًا للرئيس الأجنبي وقد لاحظ أن العيـــنات الـــبحرية الثميـــنة من كائناته ورخوياتـــه ومرجانـــياته يبعـــث بها إلى المتاحف الأجنبية، فآثر النية زهر شبابه أن يكون حارسًا أمينًا على ثرواتنا العلمية من الـــبحر، وكأنما فتنته عرائسه، فاتخذ من البحث العلمي في كائناته وأسماكه رريعة ليبقى بجوارها متبتلا في محرابها خبيرًا عالمًا مـــن خبراء البحر المرموقين ، وكان هو صاحب الرأي القائل بأننا يجب أن نعيش عصر البحار، قبل أن نحاول عصر الفضاء ، وأن أعـــالي البحار حق مشاع للجميع فما لنا نتطلع للفضاء الواسع العريض قبل أن نـــرتاد البحار ، ونغوص في أعماقها ونستخرج ما فيها من كنوز ونستفيد بما فيها من ثروات .

إن ثلاثة أخماس سطح الكرة الأرضية إنمـــا هي بحار ومحيطات ، بها من الكنوز المعدنـــية والغذائـــية والبروتينية ما يكفي مـــئات الملايـــين من البشر غذاء وكساء وصـــناعة إن نفقـــات البحوث البحرية محـــدودة وعائدهـــا مضمون أما نفقات بحـــوث الفضـــاء فـــباهظة وعائدها غير مضمون.

وكذلك تابع الدكتور جوهر البحث العـــلمي المنظم في كائنات البحر الأحمر حـــتى حصـــل على درجة الدكتوراه في العلوم .D.SC في هذا الفرع من المعرفة ولعلـــه أول من حصل على هذه الدرجة العلمـــية الرفـــيعة من خريجي الجامعة في مصر، فهو أول مصري في العصر الحديث يشـــتغل بعلوم البحار على البحر الأحمر، وقد أمضى زهرة شبابه بل وفي كهولته، وكـــرس حـــياته على مدى أربعين عامًا

باحثًا ودارسًا للبحر حتى غدا خبيرًا عالميًا مرموقًا من خبرائه، فخرج على الناس بعشرات البحوث المنشورة في أرق المجلات العلمية العالمية، وقام بقيادة البحث العلمي البحري في الوطن العربي في القرن العشرين.

لقد بقي الأستاذ جوهر في صومعته فكان طلابه ومريدوه يحجون إليه ويتتلمذون عليه ردحًا طويلا أو قصيرًا إلا أنهم لا يلبسون أن يدفعهم الحنين إلى المدينة، وهو قائم بالبحر لا يبرح ولا يلين، ويبقى في مهجره الذي ارتضاه لنفسه طائعًا مختارًا، وقد كرس حياته لدراسة علوم البحار ، ويكون مدرسة من الباحثين ، وينشئ جيلا يستطيع الاطلاع بشتى نواحي البحث في البحار المصرية ويستطيع بفهمه الأكاديمي حل المشاكل المختلفة الخاصة باستغلال هذه الثروة المائية لهذه البحار استغلالا حسنًا على أنه وجه جانبًا من اهتماماته إلى أحياء المياه العذبة، وبخاصة القواقع ناقلة الأمراض الطفيلية للإنسان والحيوان وكذلك أسماك النيل، ذات القيمة الاقتصادية وتمتاز دراساته وبحوثه بأنها متكاملة لا ينتقل من بحث إلى آخر إلا بعد أن يحيط بجوانبه المختلفة . ولقد أنشأ متحفًا بحريًا رائعًا به مجموعات تحتوي على الغالبية العظمى من حيوانات البحر الأحمر ونباتاته بحيث تعبر عن دراسة هذا البحر، كما أنشأ مكتبة تضم أغلب المراجع الأساسية لدراسة البحر الأحمر، تجمع معظمها عن طريق التبادل مع المعاهد العلمية البحرية العالمية ، كما نهض بمحطة الأحياء البحرية بالغردقة حتى غدت معهدًا له مكانته الدولية ، يفد إليه للدراسة العلماء والطلاب من كل أرجاء العالم ، كذلك أنشأ معهد أحياء البحر الأحمر، كما أنشأ الكثير من معاهد البحث المائية التي تزود بمياه البحر الجاري، وقد قام الدكتور حامد جوهر بنشر بحوث محطة الأحياء البحرية وأشرف على طبعها، وتبادلها مع ما يزيد على ثلاثمئة من المعاهد العالمية المناظرة في الخارج، وظل يشرف على نشرها بانتظام ما يزيد على ربع قرن من الزمان.

وقد كسب الدكتور جوهر ببحوثه ودراساته شهرة عالمية، ولعل من مظاهر

تقديره العلمي بالخارج ، وفي الوطن العربي ، أن دعته جامعة كمبردج لمتابعة بحوثه التي بدأها في الخارج ، ولعلها كانت أول دعوة من نوعها بالنسبة لمصر وللمصريين واختارته هيئة الأمم المتحدة سنة سبع وخمسين وتسعمئة وألف مستشارًا للسكرتير العام في علم البحار ضمن هيئة من عشرة مستشارين ، وكذلك قد أبرمت معه الوكالة البريطانية للطاقة الذرية عقودًا لإجراء بحوث للكشف عن التلوث الذري لماء البحر لاستعمال الأحياء البحرية كما اختارته أيضًا منظمة الأغذية والزراعة لهيئة الأمم المتحدة عضوًا بلجنتها الاستشارية.

وقد رأس الدكتور حامد جوهر جمعية علم الحيوان بمصر منذ إنشائها سنة ثمان وخمسين وتسعمئة وألف ، كما أنه رأس الجمعية المصرية لعلوم البحار، وهو زميل بالأكاديمية المصرية للعلوم مد سنة ثمان وأربعين وتسعمئة وألف ، وعضو بالاتحاد العلمي المصري، والمجمع العلمي للثقافة العلمية،وزميل أكاديمية علم الحيوان الدولية بالهند وعضو بلجان ومجالس علمية كثيرة، وقد انتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية في المكان الذي حلا بوفاة المرحوم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي سنة ثلاثة وسبعين وتسعمئة وألف.

وقد كسب ببحوثه وجهوده شهرة عالمية ، فدعى للاشتراك في المؤتمرات الدولية في علم الحيوان، وعلوم البحار والمصائد والبيولوجيا الإشعاعية، وأسهم فيها ببحوث مبتكرة وقام بزيارة عدد من الجامعات والمعاهد الخاصة بعلوم البحار ، وقد حصل على جائزة الدولة في العلوم سنة ثلاث وخمسين وتسعمئة وألف وعلى جائزة الدولة التقديرية للعلوم سنة ثلاث وسبعين وتسعمئة وألف.

وكان للدكتور جوهر برنامج تليفزيوني متخصص في عالم البحار يتطلع إليه المشاهدون المثقفون وطلاب المعرفة.

والآن أرجو أن تأذنوا بكلمة أتوجه بها إلى الأخ الفاضل الصديق العزيز الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع، وقد تفضل بتقديمي لحضراتكم بالشكر الجزيل خالصًا عاطرًا . وإني لم أوت من البلاغة بعض ما أوتي ولم أتمكن من الرد

علـــيه بمثل ما قال ، وإنما يحق لي أن أعتز كـــل الاعتزاز بهذا العالم الجليل ومكانته العلمـــية الـــبارزة ورسوخ قدمه في اللغة العربية.

وأخـــيرًا أكـــرر لكم جميعًا شكري الجزيل، وعرفانًا بعظيم جميلكم، وأدعو الله تعـــالى أن يجعلني أهلا لثقتكم الغالية، وأن يوفقـــنا جميعًا إلى ما فيه خير أمتنا ، ولغـــة القـــرآن الكريم، وأن يهدينا سواء الســـبيل، حفظكـــم الله ونفع بكم وأدام مجمعكـــم قلعـــة للفكر ومنارًا للمعرفة ، وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

شفيق إبراهيم بلبع

عضو المجمع

كلمة للأستاذ الدكتور شوقي ضيف
رئيس المجمع

والآن نحن مع استقبال العضو الثاني اليوم وهو الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي الطبيب المعروف والأستاذ العلامة الذي يقود دراسة علوم النفس والعلوم العصبية في جامعة عين شمس منذ سنة ثمان وخمسين، فله فضل كبير في هذه الجامعة، أولا لأنه خرج منها مجموعة كبيرة من الشباب العلمي حوالي اثنين وعشرين طالبًا حصلوا على درجة الماجستير، وسبعة عشر طالبًا حصلوا على درجة الدكتوراه ، فهو قد وفّى حقوق الأستاذية في الجامعة من جهة إشرافه على الطلاب وتخريجهم علميًا . وهو أيضًا وفّى علوم النفس حقها، كما وفّى العلوم العصبية أيضًا حقها. وله دراسات وكتب كثيرة، وأيضًا له ترجمات في هذه العلوم، وهو يحتل مكانة علمية كبيرة في مصر والبلاد العربية، فهو رئيس الجمعية المصرية للأمراض العصبية والنفسية ، وهو رئيس المجمع المصري للثقافة العلمية، ورئيس اتحاد أطباء الأمراض النفسية والعصبية في مصر والعالم العربي. فهو شخصية جليلة جدًّا، والمجمع اصطفاه منذ سنة ثمان وسبعين ليكون خبيرًا في لجنة الطب، وهو يقدم إليها سنويًا ما لا يحصى من المصطلحات الطبية وترجمتها وتعريفاتها تعريفات علمية قيمة، وقد حضرت معه ندوة في تونس ، حملنا إليها الجزء الأول من أجزاء معجم الطب ، وهناك دافع دفاعًا صارمًا عن وجوب تعريب الطب إلى اللغة العربية، واستطاع أن يأخذ من الندوة اعترافًا بأن معجم المجمع اللغوي الطبي في المجمع وجامعة عين شمس وخارجهما ، بما يؤلف من كتب وأبحاث علمية، ونحن اليوم نهنئ المجمع بهذين العلمين الجليلين ونرجو للمجمع أن ينتفع بعلمهما انتفاعًا عظيمًا .

ويتفضل الآن الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم بإلقاء كلمته في استقبال الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي .

كلمة الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم في استقبال الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي عضوًا عاملا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

يشرفني المجمع مشكورًا بالقيام بمهمة استقبال الأستاذ الدكتور عماد فضلي وقد سرني هذا كثيرًا ، وأول ما سرني أني وجدت أني أكبر منه سنًا بكثير، فقد ولد الدكتور فضلي في القاهرة في أول يوليو عام ١٩٣٠م بينما كانت ولادتي في التاسع من سبتمبر سنة ١٩١٤م ، فقد كنت بالنسبة إليه -كما يدعونني أحيانًا - (أبيه) ، ولكنني لم أقل له إلا يا دكتور عماد، غير أني كنت في بعض الأحيان أقول له: يا عماد، بالرغم من أنني -خلال العشرين سنة - عرفت أنه أكبر مني علمًا وأدبًا، وكان الأولى به أن يكون هو رئيسي في القسم كي يقدمني للالتحاق بالمجمع.

في ذات مرة ألفت قصيدة طويلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت في حوالي مئة وخمسة عشر بيتًا ، وأعطيت الدكتور عماد القصيدة فقال إنها جميلة ثم فاجأني بقوله سألحنها إن شاء الله، وعرفت في هذه اللحظة أنه موسيقى يجيد العزف على العود، فقلت له إني أحب نغمة (الفردان) في تلحين القصائد فوافقني وبعد مدة طويلة سألته عن القصيدة فقال إنها تكون أحسن في نغمة (الرسط) فقلت له توكل على الله ولكن يبدو أن القصيدة لم تنفع حتى الآن في أحد من هذين اللحنين ، كان هذا منذ خمس عشرة سنة تقريبًا.

والأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي الآن أستاذ غير متفرغ في الأمراض العصبية والنفسية في كلية طب جامعة عين شمس.

المؤهلات : بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة عين شمس سنة ١٩٥٤م، وكان أول التوجيهية في سنة ١٩٤٧م، وقد نال دبلوم الأمراض العصبية والنفسية من جامعة عين شمس سنة ١٩٥٧م.

المناصب التي تولاها : عضوية كلية الأطباء الأمريكية تخصص أمراض عصبية، معيد ، فمدرس ، فأستاذ مساعد في الأمراض العصبية والنفسية بكلية الطب في جامعة عين شمس من سنة ١٩٥٨ إلى ١٩٩١م ، ثم أستاذ متفرغ بها .

وهو رئيس الجمعية العصبية المصرية للأمراض العصبية والنفسية وجراحة الأعصاب، وهو رئيس المجمع المصري للثقافة العلمية، ورئيس الاتحاد العربي للأمراض العصبية، ثم أصبح رئيسًا شرفيًا لهذا الاتحاد الآن، وهو مقرر لجنة التربية وعلم النفس بالمجلس الأعلى للثقافة ، وهو عضو لجنة الآداب والفنون بمجلس أمناء الإذاعة والتليفزيون ، ورئيس تنظيم الندوات التربوية للمعلم الجامعي بجامعة عين شمس منذ عام ١٩٧٦م حتى اليوم، وهو المشرف على إنشاء قسم الأمراض العصبية والنفسية بجامعة الأزهر، وهو عضو اللجنة المشرفة على إنشاء كلية الطب بجامعة قناة السويس ، ثم صار عضوًا بمجلس إدارة تلك الكلية لمدة أربع سنوات ، ثم الإشراف على إنشاء قسم التخاطب بكلية طب عين شمس، ثم إنشاء قسم المسنين في كلية طب عين شمس، ثم صار عضوًا بانتظام في المؤتمر الطبي السنوي بكلية الطب جامعة عين شمس، ورئيس مؤتمره الخامس.

أشرف على اثنتين وعشرين رسالة للماجستير ، وسبع عشرة رسالة للدكتوراه بكلية طب عين شمس، كما أشرف على رسائل أخرى للماجستير والدكتوراه في جامعات عين شمس والقاهرة والأزهر، والمنصورة ، وأسيوط، والزقازيق.

أعماله الخاصة بمجمع اللغة العربية:

عمل خبيرًا في المصطلحات الطبية منذ عام ١٩٩٠م ، شارك في الأجزاء الثلاثة الأولى من معجم المصطلحات الطبية التي أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والجزء الرابع والخامس في طريقهما للإصدار ، عضو وفد مجمع اللغة العربية القاهري في اجتماع اتحاد المجامع العربية في تونس سنة ١٩٩٣م في موضوع الأسس النفسية لتعريب الطب، وهو يشارك الآن في نشاط المعجم الكبير .

كتبه بالعربية : أسرار الطب النفسي، الأمراض العصبية ، كتاب الأهرام.

كتبه بالإنجليزية : الجسم والعقل .

لـه عـدة مقالات نشرت في مجلة العلوم بالكويت ، وله مقالات أخرى نشرت في الدوريات الأوربية.

وأخيرًا أعترف أن الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي رجل علم كما أنه رجل دين، وهو حسن الصورة، جم الأدب ، واسع الاطلاع ، مقنع في كلامه عن علم، وأظن أن هذا اليوم هو يوم مشهود للمجمع. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حسن علي إبراهيم

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي
في حفل استقباله عضوًا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبيه الأمين وآله وأصحابه أجمعين.

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، رئيس مجمع اللغة العربية

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع.

أيها السادة والسيدات.

منذ عشرين عامًا تلقيت دعوة من مجمعكم الموقر لأنضم إلى لجنة المصطلحات الطبية خبيرًا، ومنذ ذلك الوقت بدأت علاقتي المباشرة بالأستاذ الدكتور أبي شادي الروبي بعد أن كنت قد سمعت عنه الكثير من طيب الذكر.

وكان مقرر اللجنة حينئذ الأستاذ الدكتور أحمد عمار. أستاذي بكلية طب عين شمس، وكانت اللجنة تضم الأساتذة الدكتور حسن إبراهيم والدكتور مهدي علام والدكتور محمد داود التنير وكانت المناقشات التي تدور في اللجنة غاية في إثراء المعرفة الأدبية والطبية، بحيث اقترحت يوما على أستاذنا الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع حينئذ أن تُسَجَّل هذه المناقشاتُ صوتيًا لما لها من قيمة فكرية قل أن تتوافر في ظروف أخرى، وزاد من قيمة هذه المناقشات ما كان يضيفه زائرو اللجنة الأفاضل مثل الشيخ محمود شاكر الذي كان يطيب له أن يشاركنا جلساتنا فيضيف إليها دُرَرًا من علمه العميق وذوقه اللغوي النادر، كما كان يزورنا–من آن لآخر–الأستاد الدكتور عبد الحافظ حلمي والأستاذ الدكتور مجدي وهبة فننعم بإضافات قيمة منهما.

في هذا الجمع الممتع والمثير للتفكير استمر لقائي بالأستاذ الدكتور أبي شادي الروبي أسبوعا بعد آخر فإذا بي أشعر بعد وقت قصير أنه أصبح قريبا مني جدًا فكريًا وإنسانيًا مما انعكس على إنتاج لجنتنا من المصطلحات الطبية كمًّا وكيفًا، وهنا راح يلحّ عليّ سؤالٌ بقوة: كيف تلاقت

أفكارنـــا واهتماماتنا بهذه السرعة، علما بأن الدكتور الروبي كان ذا دوق مرهف وعقـــل مدقق بحيث لا يرضيه من الفكر والعلم إلا ما بلغ المستوى الأعلى؟ إلا أنني توصـــلت إلى إجابـــة هذا السؤال عندما عَرَفْــتُ معالَم التكوين الفكري والعلمي للأســـتاذ الدكـــتور الـــروبي يوم قدمه الأســـتاذان الدكـــتور حســـن إبراهيم والدكتور محمود حافظ يوم انتخابه عضوا بـــالمجمع؛ إذ عَرَفـــتُ أن اهتمامه باللغة العربـــية كان قد بدأ مبكرا وهو يعد في دراســـته الـــثانوية عندما تقدم لامتحان المســـابقة في مادة اللغة العربية فنجح فيه بعـــد أن امتحـــنه عمـــيد الأدب العربي الدكـــتور طـــه حُسَين مع شاعر العروبة الأستاذ علي الجارم، وتذكرت أنني كنت قـــد تقدمت لمثل هذه المسابقة ودرست ديـــوان حـــافظ إبراهيم تمهيدا لاجتياز امـــتحانها إلا أن ظروفًا أبعدتني عنها إلى مسابقة مادة الأحياء.

ثم علمـــت أن الدكتور الروبي أحب الصـــحافة وكادت هوايته هذه أن تبعده عن ممارسة الطب ليصبح محررا في أخبار اليوم، فذكرني هذا بما مارسته وأنا طالب بكلية الطب من إعداد تحقيقات صحفية مصـــورة نشرت في مجلة كانت تصدر في الأربعينيات إلا أنني توقفت عن ذلك بعد سنتين.

كمـــا اهتم الأستاذ الدكتور الروبي بالموسيقا ودرس العزف على آلة الكمان في معهـــد متخصص هو معهد "شولتز" فـــإذا بي أنا أيضا قد التحقت بهذا المعهد بـــالذات لدراسة آلة البيانو، وقد استمر اهـــتمام الدكـــتور الروبي بالموسيقا طيلة حياته، بحيث انضم إلى لجنة مصطلحات الموسيقا وألفاظ الحضارة بالمجمع، وكنت قد درست موسيقانا الشرقية والعزف على آلة القانون، وبهذا كان اهتمامنا المشترك بالموســـيقا يجمعـــنا بين حين وآخر بدار الأوبرا، أما حين نناقش شيئًا عن موسيقانا الشـــرقية فقد نختلف شيئا ما إلا أن هذا الاخـــتلاف عـــلمني كيف أحافظ على الصداقة والود حتى مع من أختلف معه.

وقـــد درس الدكتور الروبي طبعا في كلية طب قصر العيني ودرست أنا نفس الدراســـة بكلية طب عين شمس، إلا أن

الدكـــتور الـــروبي كـــان قد سبق هذه الدراسة الطبية بدراسة بكالوريوس العلوم فازداد تفقها في الفكر العلمي.

واهتم الدكتور الروبي بتاريخ الطب وعَلّمــه لطلبة الطب، واهتممت أنا أيضا بهــذا التاريخ وعلمته باللغة العربية لطلبة عين شمس، وذلك قبل أن ألتقي بالدكتور الروبي، إلا أنه كان سباقا في هذا الاهتمام وألــف فيه عدة كتيبات، وأعد في مادته عـــدة مقـــالات امـــتازت بعمق التفكير والحَـــيْدة في تناول التاريخ وقد قدمها في مؤتمـــرات مجمعـــنا السنوية وفصَّل فيها الخصـــائص المميزة لتاريخ الطب العربي، وكيف أنه استوعب العلم الطبي القديم ثم أضـــاف إلـــيه وضـــوحًا في الممارسات الإكلينيكـــية، كما أدخل المنهج التجريبي الذي كان إرهاصا للنهضة الطبية الأوربية فيما بعد، وكان الدكتور الروبي كثيرا ما يمـــدني بمؤلفـــات حديثة وقيّمة في تاريخ الطب، كان يعود بها من المؤتمرات الطبية العالمـــية العديدة التي كان يحرص على ألا يفوتـــه واحـــد مـــها خصوصًا في مجال تخصصه الدقيق، وهو طب المناطق الحارّة وأمراض الكبد ثم النظائر المشعة ومناظير الألياف الضوئية.

لا جرم أن كل هذه النقاط المشتركة بـــين الدكتور الروبي وبيني قد قرّبتْ بيننا فكـــريًا وإنسانيًا في وقت قصير وجعلت عملنا المشترك ممتعا ودقيقا وعزيزًا.

إلا أن الدكتور الروبي كان موسوعيَّ الثقافة شديد الدقة في تفكيره، فكان لزاما أن يهـــتم بفلسفة العلم، فكان له في هذا المجـــال جولات متعمقة تَعِزّ على من لا يجمع مثله بين التفكير الفلسفي والتطبيق العـــلمي في مجال الطب، ولهذا كنتُ ألجأ إلـــيه كثيرا ليحاضر الدارسين في دورات إعـــداد المـــدرس الجامعي في جامعة عين شمـــس، وكانـــت هذه المحاضرات تَلقى تقديـــرا واهتماما فائقا من الدارسين ومن أساتذة الجامعة معًا، فكنا نطبعها ونوزعها عليهم استكمالاً للفائدة.

ثم كان أن ضمنا وفد مجمعنا المصري إلى نـــدوة اتحاد المجامع بتونس، وهنا برز وفدنـــا وتمـــيز ســـواء بأستاذية الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الوفد الذي تلقـــاه طلبـــته التونسيون بتقدير وحب

نادرين، أو بدقة الدكتور الروبي ورأيه مما جعـــل هـــذه الندوة تتبنى كل ما اقترحه وفدنـــا مـــن قواعد الترجمة والتعريب في المصـــطلحات الطبـــية. كما زاد اقترابي الفكري من الدكتور الروبي بعدما تعايشنا لمدة أسبوع .

ثم ضمتنا اللجنة الدائمة لترقية أعضاء هيـــئة الـــتدريس في الجامعة، ولما عرفت أسماء الأساتذة الذين ضمتهم هذه اللجنة، توحشْت من العمل فيها؛خوفًا لما تميز به كـــل هؤلاء الأعضاء من الدقة والتمسك بأعلى المستويات في العلم واللغة والتفكير، فـــإذا هـــذه اللجنة تبرهن عمليًا على أن الموضـــوعية والبعد عن الهوى والتمسك بـــالحق كفيلة بتيسير العمل في مثل هذه الـــلجان، وكـــم كنت أبتهج بما يبديه الدكـــتور الـــروبي من فرح واهتمام بأية معلومات جديدة يأتي بها المتقدمون للترقية فيناقشهم فيها مناقشةَ مَنْ يزداد فهمًا وأن يتعمق في العلم، ولو كان مَنْ يناقشه من تلاميذ تلاميذه.

وهناك تجربة فريدة مرّت بها علاقتي بأســـتاذنا الدكتور الروبي، فقد مرت به فـــترة عابرة تغيرت فيها الدورة الدموية بالمخ فتأثرتْ وظيفةُ اللغة عنده تأثرا طفيفا إلا أن هذه التجربة زادتني تقديرا لما كان يتميز به الدكتور الروبي من قدرة فكرية ونفسية، فقد أمتعني وقتها الدكتور الروبي بوصفه الدقيق لتفاصيل مراحل الشفاء التي مر بها مرحلة بعد أخرى حتى تم شفاؤه، ومثل هذه التجربة لا يقدر عليها إلا من كان ذا بصيرة وذكاء لمّاح، بحيث يستطيع أن ينســـلخ من ذاته ليتابع تجربته في دقة وحَيْدة، وهي تجربة تُذكَر أحيانا في كتب الطـــب على أنها أمثلة نادرة لا تُروى إلا عن عظماء الأطباء الذين قد تمر بهم مثل هذه الحالة، ونادرٌ ما هم.

ولكل هذا كان الدكتور الروبي رحمه الله أخـــا قريبًا جدًا إلى نفسي وإلى كل أعضاء لجنتنا في المجمع؛ وكان الأخ الأكبر والأكـــثر حكمة ورسوخا في العلم، ولا أنســـى أبـــدا الأيام التي كنا نعرض فيها مصطلحاتنا على مجلس المجمع، ففي تلك الأيـــام يبكر في الحضور لنراجع معا تلك المصـــطلحات، فـــإذا به يتبين كثيرًا من النقاط التي غابت عَنى بما في ذلك أخطاء

الهجـــاء أو علامات الترقيم وغير ذلك، الأمـــر الـــذي يـــدل عـــلى مدى دقته وإحساسه بالمسؤولية العلمية، ثم هو يصر على استصحاب القاموس الأجنبي معنا في قاعة المجلس، ثم هو يتقبل تعليقات المجلس برضا ورغبة أكيدة في الوصول إلى أكمل المصطلحات.

هـــذا وقد تبوأ الدكتور أبو شادي الـــروبي الكثير من المراكز العلمية والطبية المميزة، فكـــان عضوًا بالجمعية المصرية لـــتاريخ الطب، وعضوا بمجلس البحوث الطبـــية بأكاديمية البحث العلمي، وعضوًا في اللجنة العليا للأدوية ومستشارَ التحرير للمجلة الدولية للطب، وكان نائبًا لرئيس المجمع المصري للثقافة العلمية.

كمـــا حصـــل الدكتور الروبي على العديـــد من الجوائز العلمية، بدأها مبكرًا بجائزة في اللغة الإنجليزية، وهو بعد يدرس لشـــهادة الـــثقافة، ثم نال جائزة الجمعية المصـــرية للجهاز الهضمي، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى،ثم توج كل هذا بجائزة الدولة التقديرية الطبية عام١٩٩١م.

إن الدكتور الروبي كان مثلاً يحتذى في علمه وفكره وفي دماثة خلقه وتواضعه وعفـــة لســـانه، رحمـــه الله رحمة واسعة وعوضـــنا عنه خيرًا وجزاه أحسن الجزاء، والله لا يضيع أجر المحسنين. .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

محمد عماد فضلى

عضو المجمع

ثالثًا- استقبال ثلاثة من الأعضاء التسعة الجدد

بالمجمع وهم :

١-الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر .

٢-الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي

٣-الأستاذ فاروق محمد البغدادي شوشة.

في الســاعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢١من شعبان سنة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٩ من نوفمبر سنة ١٩٩٩م، عقد المجمــع جلسة علنية لاستقبال ثلاثة من أعضائه الجدد هم :

- الأستاذ الدكتور شفيق بلبع .
- الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي .
- السيد الأستاذ فاروق شوشة

وقــد ألقى كلمة المجمع في استقبالهم الأســتاذ إبراهــيم الــترزي الأمين العام للمجمع.

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في هذه الجلسة :

كلمة الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع

في استقبال الأعضاء الثلاثة الجدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف

رئيس المجمع :

الأساتذة الزملاء الأجلاء :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد

فقد حَظيَ مجمعُنا — في انتخابه الأخير- بصفوة من الأعلام،يختلفون في تخصصاتهم اللغوية، والأدبية،والعلمية.. ولكنه اختلافٌ يَؤُولُ إلى ائتلاف، يَدْعَمُ التكامل المطلوب للعمل المجمعيّ ، الذي تَتنوَّع مَشارِعُه، وتمتدُّ إلى كل مجالات اللغة، والأدب والعلم، فتَرْفِدُ لجاننا المجمعية، التي تبلغ خمسًا وعشرين لجنة، تَتطلّع إلى العطاء المجمعيّ ، لهذه الصفوة الطّيبة المباركة !

ويسعدني، ويُشرِّفني ، أن أستقبل اليوم ثلاثة من هؤلاء الزملاء الأعزاء الأجلاء : الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، والأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي ، والأستاذ فاروق شوشة .

وإذا كان هؤلاء الزملاءُ تجمعهُم وشيجةُ الفصحى، فقد رأيتُ — وأنا أتابع سِيرهم- وشيجةً أخرى تجمعهم .. حيث نشأ كلٌّ منهم في كَنَف رعاية أبويَّةٍ حميمة، نَشَّأتْهم على حبٍّ العربية: لغتها، وآدابها بخاصَّة، وثقافتها، وقيمها الأصيلة بعامَّة.. وقد ظَلّت هذه الرعاية الأبوية الحميمة تحتضن ملكاتِ هؤلاء الزملاء حتى أفْرَخَتْ نبوغًا ناميًا في اللغة، والأدب.

الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر

فأولُ الزملاء الثلاثة- الدكتور أحمد مختار عمر- كان والده من رجال التربية والتعليم، الذين لا يتوقّفُ نشاطهم التعليمي والعلمي عند حدود العمل الوظيفي؛ فقد كان طلعة يجول هنا وهناك في مجالات اللغة والأدب ، ويتابع ما تنشره المجلات الثقافية ، والجرائد السّيّارة، متابعة الغَيُور الجَسُور، الذي يُراقب ويُحاسب، وكثيرًا ما كان يُطالعنا بتعليقاته، التي تُمسك بتلابيب أيٍّ خطأ

أو تجــاوزٍ فــيما يُنْشَرُ في هذه المجلات والجرائد!

ولقــد ورث ذلك عنه ولده أحمد ، فصــار عادة له، بل طبعًا فيه .. ولعلكم قــرأتم في الأشهر القريبة الماضية ما نَشَرتْه بعضُ صحفنا اليومية من تعليقاته الغاضبة عــلى مــا يَشِـيعُ من أخطاءٍ لغوية في الصحف، والإذاعتين : المسموعة والمرئية، والمحافل الثقافية والسياسية .

ذلــك أثرٌ من آثار هذه النشأة التي وَرِثَ فــيها أحمد الكثير عن والده، من دأبٍ عــلى العمل وحرصٍ على الدقة ، وتَحـرٍّ للســداد ، وغَيرةٍ على الفصحى تجعله في تَغيُّظ دائم على ما يَسْتَشْرى فيها مــن أخطاء لغوية، أو نحوية، فإذا هو لا يكُــفُّ عن تَصدِّيه لها، مُتحفزًا لمتابعتها، مُــتوحزًا لمحاسبتها، حيث ينهال بمطرقته اللغوية على هذه الأخطاء الشائعة، فيَدُقُّ أعــناقها، ويَذودُهــا عن حِمَى العربية الشريفة!

وكم نَعْجَبُ لأحمد، ونتساءل:

كيف يجد وَفْرة من الوقت يُتابع فيها مــا تنشــره الصــحف، ومــا يُقال في الإذاعتيْن: المسموعة والمرئية،وفي الندوات والمؤتمــرات دون أن يَشْغَلَه ذلك كلُّه عن الدرس الجامعيّ، والبحث والتأليف؟!

ولكــنَّ أحمــد هكذا خُلق .. عشق اللغــة العربــية ، فصــنعته على عَيْنها، وأخلصــته لها، فلم تَدَعْ لسواها في نفسه مكانًا، ومكانة.. وأخلص أحمد لها ، فلم يــدع لســواها في حياته شاغلا يشغله، فوقف عليها كل ملكاته، وطاقاته، وليله، ونهاره، فصار يحيا بها ، ولها، هي الوسيلة والغاية، والأنفاس التي بها قوامُ حياته .

ذلكــم هو الدكتور أحمد مختار عمر الذي وُلد في السابع عشر من مارس عام ثلاثــة وثلاثين ، وحصل على الليسانس الممتازة من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عــام ثمانــية وخمســين ، وعلى درجة الماجستير منها في علم اللغة، ثم سافر إلى إنجلترا حيث حصل على درجة الدكتوراه في علم اللغة من جامعة كمبردج، وتدرج في سُــلَّم التدريس الجامعي من معيد إلى أستاذ ، في كلية دار العلوم، وأعير خلال ذلــك إلى كلية التربية بطرابلس في ليبيا، وكلــية الآداب بجامعة الكويت، ثم عُيِّن

وكـيلا لكلية دار العلوم، حتى أُحيل إلى المعاش، فعُيِّن أستاذًا متفرغًا بها.

وقـد حصـل على جائزة التفوق العلمي من المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالـرِّباط عام اثنين وسبعين، وعلى جائزة مجمـع اللغـة العربية بالقاهرة في تحقيق النصوص عام تسعة وسبعين، وعلى وسام صدام وجائزته في الدراسات اللغوية عام تسعة وثمانين .

وقد اختير مقررًا للجنة المعجم العربي الحديـث – بالصـندوق العربي للإنماء الاقتصـادي ، ومستشـارًا للعديـد من الأعمـال والمؤسسـات المحلية والعربية، مـنها: لجنة مدخل قاموس القرآن الكريم ومؤسسـة الكويت للتقدم العلمي، ولجنة المعجم العربي الأساسي- بالمنظمة العربية للتربـية والـثقافة والعلوم، وهيئة معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، والهيئة الاستشـارية لمعهد المخطوطات العربية، وقسم المعاجم بمؤسسة "سطور".

وقـد أشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعات المصرية والعربـية ، وهـو عضو اللجنة العلمية الدائمة لفحص الإنتاج العلمي للمتقدمين لشَـغْل وظـائف الأسـاتذة والأساتذة المسـاعدين بالجامعات المصرية، وعضو لجـان الترقـية في العديد من الجامعات المصرية والعربية.. وقد شارك في كثير من الـنَّدوات والمؤتمـرات العلمية في مصر، وغيرها من البلدان العربية والأجنبية وحين نمضـي معه في مسيرته العلمية نراه يمضي بنا مع العربية، علمًا، وتعليمًا ، ويجول في مجالاتها ، بحثًا ، ودراسة .

ففـي مجال تاريخ العربية أَبْحَر أحمد إلى القـرن الأول الهجـري – عَبْرَ أربعة عشر قرنًا – حيث التقى بالعربية في مصر حـين دخـلها العرب في العام الحادي والعشرين للهجرة النبوية الشريفة. وأخذ يرصـد لقـاء اللغـة العربـية باللغـة القبطية، ويتتبع مراحله، حتى انتهى الأمر بانتشـار العربـية في كل أرجاء مصر، بعـد أن دخـل المصـريون في الإسلام أفواجًـا ، وصـار لهم في العرب نسب وصِـهْر، فجـدَّدوا بذلـك صهرًا قديمًا يضـرب عِـرْقُه إلى هاجـر المصرية، أمِّ العرب!

ولم يتوقف أحمد في رحلته التاريخية مع العربية عند حدود مصر، بل تجاورها إلى ليبيا، وتُونس ، حيث رافق العربية في لقائها مع البربرية، وظلَّ يرصد مراحل هذا اللقاء الذي انتهى بسيادة العربية، مستعينًا في بحثه بتجربته السابقة مع العربية والقبطية في مصر، فمضى حثيثًا مع العربية في بلاد المغرب مُضيَّ الخبير البصير.. ثم خرج علينا بكتابه " تاريخُ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى ".

ثم أقبل على "علم اللغة" في عالمه الرَّحب، يشقُّ آفاقَه في كل اتجاه، بادئًا بالنظر في جهود العرب في الدراسات اللغوية، فوضع كتابه " البحثُ اللغويُّ عند العرب" . استهله بعرض مُوجز للدراسات اللغوية عند غير العرب، الذين سبقوهم أو عاصروهم، في ميدان البحث اللغوي، وهم : الهنود ، واليونانيون، والمصريون القدماء بالإسكندرية، والسريان ، والعبرانيون ، والصينيون.. ثم أخذ في دراسة البحث اللغوي عند العرب منذ بدأت بواكيره، في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، حول تفسير غريب القرآن الكريم، ومحاولات ضبط الحروف، وتقعيد النحو، إلى أن شب البحث اللغويُّ عن الطوق في القرن الثاني الهجري، وأخذ يرود مجالات متعددة ، كالقراءات ، وتجويد القرآن الكريم، اللذين ظهرت فيهما بوادر الدراسة الصوتية، كما ظهرت كذلك مبثوثة في الدراسات النحوية ، والصرفية، والمعجمات.

ثم عرض لنشأة الدراسات النحوية والصرفية لدى العرب، حتى آتتْ أُكلها على يد الخليل ، وتلميذه سيبويه ، الذي صار إمامًا للنحاة بمؤلفه الضخم "الكتاب" الذي يُنْسَبُ الكثيرُ منه إلى أستاده الخليل. وقد افتتن النُّحاة بالكتاب ، وتحلقت حوله الدراسات النحوية . ثم أخذ أحمد يتتبع علم النحو في تطوره ، وازدهاره ، حتى رمى بعلوم المنطق والفلسفة ، وابتلى بالإغراق في التأويلات ، والتقديرات، والتعليلات، والإفتراضات، وهبَّتْ عليه ريح المذهبية ، والعصبية ، حتى صار النحو للنحاة وحدهم، ولم يَعُدْ للناس الذين وُضِعَ النحو من أجلهم، فقد عُمِّيَتْ

عليهم مسائله ، وغشاه ما غشاه من غبار معاركهم . فاستفز ذلك همم بعض العلماء الذين نهضوا لتحرير النحو من كل ذلك ، حتى يعود إلى سننه القويم سهلا ميسورًا ، فيؤدي رسالته للقارئين والكاتبين .. وقد نوّه أحمد بجهود هؤلاء المصلحين .

ثم عرض أحمد لنشأة المعجمات العربية بنوعيها : معاجم الألفاظ ، ومعاجم المعاني ، أو الموضوعات، ومضى يتتبع نموهما ، وتنوعهما ، وتطورهما ، دارسًا خصائص كلٍّ منهما ، مقارنًا بينهما، موضحًا ما أخَذَ بعضها عن بعضها الآخر. متناولا ذلك كلّه تناول العالم الحاذق الخبير، الذي لا يَدَعُ شاردة ولا واردة إلا أحصاها، وأولاها حاجتها من التفسير والتحليل والتعليل .

ومضى يرصُدُ نُمُوَّ البحث اللغوي ، وتطوره في كل مجالاته ، حتى القرن الخامس الهجري ، حين أدرك علوم العربية خمول، وترهل فأخذت تجتر معارف السابقين ، أو تضع لها مختصرات ، أو تسلكها في منظومات، ولكن أحمد لا يفوته أن يشير إلى نهضة معجمية ، بعد القرن الخامس ، تمثلت فيما وضعه بعض أعلام اللغويين من معجمات ، كالزمخشري، وابن بري ، والفيومي، والصاغاني ، وابن منظور، والفيروزأبادي، والزبيدي ، إلى أن بلغ القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث ظهر أحمد فارس الشدياق، الذي وصفه بأنه واضع المنهجية الجديدة للمعجم العربي.. وظل يتتبع النهضة المعجمية في عصرنا الحديث ، حتى وصل إلى ما قام به مجمعنا في هذا السبيل، منوهًا بجهوده في إخراج معاجمه: المعجم الوسيط، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، والمعجم الكبير، والمعجم الوجيز.

ولم يَنْسَ أحمد جهود بعض المستعربين في ميدان المعجمات العربية ، وهم فيشر ، ولين ، ودوزي .

وقد أفرد بابًا في نهاية كتابه ناقش فيه قضية التأثير والتأثر بين العرب وغيرهم، في حذر الباحث الفاحص المدقق ، الذي لا يقطع بتأثر أو تأثير دون شواهد قاطعة، وبراهين حاسمة .. ولم يفته أن ينوه بالتأثير الواضح للنحو العربي في النحو العبري،

وقد نوه بذلك أيضًا المستعرب الفرنسي الكبير" ماسينيون" — عضو مجمعنا — في بحث له عن " عبقرية النحو العربي" ألقاه في مؤتمر المجمع عام ستين .

ورد أحمد مزاعم تأثير الهنود في نشأة المعجمات العربية ، والنحو العربي، التي تبناها بعض علمائنا العرب، واقتضاه ذلك إلى وضع كتاب خَصَّصَه للبحث اللغوي عند الهنود .

ومن أهم الشواغل التي تستأثر باهتمام أحمد ، وتثير شجنه وسخطه بل تجعله يتميز غيظًا حال لغتنا الفصحى المعاصرة التي هان أمرها على كثير من أبنائها ، فأدركهم عقوق جعلهم يدينون بولاء وانتماء إلى لغات أخرى أجنبية أكثر من ولائهم وانتمائهم إلى لغتهم القومية.. وفي شأن هؤلاء يقول في كتابه " العربية الصحيحة " ؛ وكلماته تنتفض غضبًا ونقمة، وسطوره تقطر أسى ومرارة: "إنك لتجد المثقف العربي يتحرى الصواب حين يتكلم أو يكتب بلغة أجنبية، ولا يعبأ حين يتكلم أو يكتب بلغته العربية.. وما بالنا لا نشعر بالخجل حين نخطئ ، وما بالنا نتجاوز عن عشرات الأخطاء ، ونمر عليها دون إحساس ، وإذا أحسسنا بها فبدون اكتراث ، وإذا اكترثنا فبدون سَعْيٍ إلى التخلص منها "!

ويَعْرِضُ أحمد في كتابه لما ابتليت به الفصحى على يد أبنائها من كلمات عامية ودخيلة ، بل إن بعض كتابنا دعوا إلى عربية معاصرة ، تتجرد دون حياء من ضوابط العربية ، وشن عليهم حملات مظفرة ، أجهزت على ما ساقوه من حجج تتمسح بأذيال التيسير ، والتعسير!

ويعالج أحمد في كتابه قضايا لغتنا المعاصرة، كما يُعْنَى بجوانب تطبيقية لحال لغتنا . ويقول في شأن لغتنا الفصحى في عالمنا المعاصر : "لسنا نريد أن تصبح الفصحى لغة الحوار اليومى فهذا إغراق في الخيال ، ومحاولة للوصول إلى وضع ما نظن أن اللغة العربية ، أو أية لغة في العالم قد حَقَّقَتْه في يوم من الأيام .. وكل ما نريده لها أن تُصبح لغة المثقفين ، في أحاديثهم ، وحواراتهم، ومحاضراتهم.. ولن يكون ذلك إلا إذا تغير أسلوبنا في تعليم

اللغة العربية ، وتعلمها، واتخذنا خطوات جريئة في تيسير اللغة العربية، وربطها بالحياة ، وقبلنا الكثير من التعبيرات والألفاظ والأساليب المستحدثة ، مادام لها وجه في العربية تخرج عليه". وذلك ما جعله يشيد بمجمعنا في موضع آخر — حين عرض لما ينهض به من خلال لجنة الألفاظ والأساليب ".

وإني ليضيق بي المقام هنا عن متابعة الإنتاج العلمي لأحمد ، فهو غزير ، ومتنوع ، وسألحق بكلمتي قائمة كاملة به، وسيكون هذا شأني في كلمتي عن زميليه : علم الدين، وفاروق .. وحسبي الآن أن أذكر من كتبه: "دراسة الصوت اللغوي" و "علم الدلالة، و"اللغة واللون"، و"اللغة واختلاف الجنسين" و " معاجم الأبنية في اللغة العربية " و " صناعة المعجم الحديث " و " من قضايا اللغة والنحو" و"أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإداعيين " .

وهكذا نرى أحمد لم يدع مجالا لغويًّا إلا جال فيه جولان الفارس البارع الخبير!

ولكن الفارس ترجل عن ظهر جواده ليمتطي ظهر براقه، الذي عرج به إلى سماء البحث اللغوي، حيث الأفق الأعلى للدراسات القرآنية ، وحيت ألف كتابيه الفريدين: "لغة القرآن" ، و" أسماء الله الحسنى" !

الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي

وثــاني الــزملاء الذين أشْرُفُ اليوم باســتقبالهم : الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي ، الذي نشأ في بيت مُضمخ بعطر الصوفية الأصيلة، حيث ولد في قرية " أتمــيدة" ، بمحافظة الدقهلية ، في الثامن مــن فبراير عام أربعة وعشرين وتسعمئة وألف.. فقد كان أبوه من أوتاد الصوفية في إقليمه ، ولكن صيته بلغ مسامع بعض المتصــوفة في بلــدان إسلامية، في إفريقيا وآسيا، فكانوا يفدون إلى داره — وبخاصة في موسم الحج — حيث يُضَيِّفهُم في قاعة كبيرة ، أعدها لاستقبال إخوانه المتصوفة، تســمى "الحضــرة"، لأنهم يقيمون فيها حضــرة يُــرَتِّلون بهـــا القرآن الكريم، ويتدارســون الحديث الشريف، وبعض أمور الفقه ، والتصوف، والسيرة النبوية ، وسير الصحابة،وصُلَحاءِ المسلمين،ويؤدون بعــض الأذكــار والأدعية.. وكان ذلك يجــتذب "علم الدين" في طفولته الباكرة، فيقــبع في ركن من أركان القاعة، حيث يرمقهم مأخوذاً بما يرى ويسمع منهم!

وفي كُتَّاب القرية أخذ يحفظ القرآن الكــريم ، ويتلقى مبادئ العلوم وحرص والــده عــلى أن يراجع معه كلَّ يوم ما حفظه ، وتعلمه، في الكُتاب .. فإذا انتهيا مــن ذلــك نهض علم الدين في حماسة طفولية إلى قاعة الحضرة. التي شَغَفَتْه حُبًّا، فصــار بها كلفا، حتى رغب على أبيه أن يعهــد إلــيه وحــده بكنسها ، وتنسيق فرشها، وتبخيرها، لتكون مهيَّأة لاستقبال الزائــرين مــن المتصوفة، حيث تحلو له المشاهدة والسماع !

هكذا كانت نشأة علم الدين، حيث تَفتَّحَــتْ مداركُه العقلية، والروحية، في هذه الأجواء العطرة ، واقترن نُموُّه العقليُّ بنموه الرُّوحي ، وازدادا مع الأيام قُرْبًا ، وتواصــلاً ، حــتى امتزجا ، فصار عقله يُفَكِّرُ على نبضات قلبه، وصار قلبُه ينبض بين حنايا عقله!

ودَفَــعَ به والده إلى رحاب الأزهر الشــريف، حيث تلقَّى تعليمه الابتدائي، والــثانوي، وحصل على شهادته الثانوية مــن معهــد الــزقازيق الديني عام سبعة

وأربعــين، ثم الــتحق بكلية دار العلوم فتخرج فيها في العام الحادي والخمسين.

ولو جرى علم الدين على ما يقضي به منطق العقل والعرف لواصل في كليته دراســته العليا في علوم اللغة، وبخاصة في النحو والصرف، حتى يحصل على درجتي: الماجستير ، والدكتوراه.. ولكن رغبة قوية اجتاحـــت نفسه وفكره، ودفعت به إلى الــتعرف عــلى أســرة اللغات السامية، ودراسة صلاتها بشقيقتها العربية، فالتحق بمعهد اللغات الشرقية، التابع لكلية الآداب بجامعــة القاهــرة، فأمضــى به سنوات دراســته الأربع، وحصل على دبلوم عام ستة وخمسين .

ولاحتْ له في هذا العام فرصةُ السَّفر إلى الصـــين، للــتدريس في كلية اللغات الشــرقية بجامعة بكين، فشد رحاله إليها، ليتعــلم الصينية، ويعلم العربية .. ولعله اســتجاب للقــول المأثور : اطلبوا العلم ولو في الصين " ، فحَوَّلَ مَدْلُولَ الامتناع في "لـــو" إلى واقـــع مشــــهود، وراد عــلى طلبه العلم في الصين تعليمه لأهل الصين!

وقد اجتذبته الصين بسحرها القديم، وما يختلج في تاريخها من حضارة روحية عريقة .. وقد كانت الصين – حينذاك – محتفظة بطابع هذه الحضارة ،وهي لما تزل في بداية تحولها إلى الشيوعية !

وهنالك في الصين فوجئ علمُ الدين بنبأ العدوان الثلاثي على مصر ..

وفي اجــتماع سياسي كبير عقد في القاعــة الكبرى بجامعة بكين ، حضره بعــض الــوزراء، ورئــيس الجامعـــة ، وأســاتذها، وطلابها – ألقى علم الدين كــلمة حماسية ضافية، نَدَّدَ فيها بالعدوان عــلى مصــر، ودَعَــا إلى مساندها في مواجهـــته.. ونُشِرَتْ كلمته في الصفحة الأولى لصحيفة "الشعب"، كُبْرَى صحف الصين!

ولم يحصــر عــلم الدين نشاطه في الــتدريس بكلية اللغات الشرقية بجامعة بكــين، فقــد امتد به إلى أقاليم عديدة بالصــين، حيث التقى بالمسلمين الصينيين في "كانســو" ، و" شانسى"، و"هونان"، و"شــانتونج"، وغيرهـــا من الأقاليم التي انتشــر فــيها الإسلام ، واللغة العربية ،

وتـدارس مـع علمائها المسلمين وسائل النهوض بالدراسات الإسلامية، والحفاظ عـلى اللغة العربية، ونشرها بين المسلمين في تلك الأقاليم .

ثم عاد علم الدين إلى مصر، وحصل على درجة الدكتوراه في اللغات السامية الحـية، والـلهجات ، من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام خمسة وستين ، ثم عُيِّن مدرسًـا بكلية الألسن بجامعة عين شمس عـام ثمانية وستين ، وكان قد اشتغل قبل ذلـك بالتدريس في مدارس وزارة التربية والتعلـيم ، وبقسـم الترجمة في مشروع "الألـف كتاب" بالإدارة العامة للتأليف والترجمة والنشر، التابعة لوزارة الثقافة ، ثم انتقل إلى كليته الأولى "دار العلوم" أستاذًا مسـاعدًا ، في قسـم الـنحو والصرف والعروض عام سبعين ، ثم أعير إلى جامعة الفـاتح بليبـيا عام ثلاثة وسبعين، وبعد أعـوام ثلاثـة عاد إلى كليته حيث رقِّيَ أستاذًا بها عام ثمانين ، وكانت جامعة أم القرى بمكة المكرمة مسك ختام إعاراته، حيـث أعـير إليها عام اثنين وثمانين ، واخـتارته هـذه الجامعة عضوًا بمجلس الدراسـات العلـيا بها، ثم انتهى مطافه العلمي والتعليمي بالعودة إلى كليته ، إلى جانـب عملـه في مجمعـنا خبيرًا بلجنة الأصول ، وكان قد اختير من قبل خبيرًا بلجـنة اللهجات بالمجمع. ولكن صلاته العلمية بالجامعات العربية لم تنقطع، فهو عضـو بالـلجان العلمية لترقية الأساتذة والأسـاتذة المساعدين في العديد من هذه الجامعات . كما أشرف بها على كثير من رسـائل الماجسـتير والدكتوراه ، ونال جائـزة التقدير العلميِّ من جامعة القاهرة عام ثمانية وتسعين .

وأهـم المحـاور التي يدور في فلكها الإنتاج العلمي لعلم الدين ثلاثة محاور:

أولها : نحو العربية .

وثانيها : اللهجات العربية .

وثالثها: صوتيات اللغة العربية ، وصرفها.

وفي "نحـو العربية" صدر له في أوائل السبعينيات كتاب" قواعد اللغة العربية" في أجزاء ثلاثة، وكتاب" في علم النحو".

وقد وضع علم الدين النحو على قمة الدراسـات اللغوية ، وقال فيه "لن تجد عـلمًا مـن علوم العربية، من فقه ، أو

تفسير، أو بيان، وغير ذلك، إلا كان افتقاره إلى نحو العربية بينًا لا يدفع، وواقعًا لا ينكر" . وبعد إشادته بما قام به أسلاف النحاة من تدوين النحو، على نحو رائع، من جمع أجزائه، واستخدام القياس، وبيان العلل، ومعالجة قضاياه، على امتداد العصور – عرض لحركات الإصلاح والتجديد في الدراسات النحوية، ولكنه يرى أن بعضها لا يعدو الشكل والمظهر إلى اللباب والجوهر، كما أن بعضها جدد في زاوية ضيقة من النحو، وبعضها الآخر أسرف في تجديده، وقد يكون ذلك بدافع هدام لنحو العربية الأصيل ، أو باندفاع لا روية فيه وراء نظريات غربية لا تصلح للتطبيق على نحو العربية . ويرى أن النحو العربي لا يضيقُ بالإصلاح أو التجديد ، على أن يَتمَّ ذلك بعد الرجوع إلى أصول النحو القديم ، حتى ينهض الإصلاح أو التجديد على أساس قويم سديد .

ولِعَلَم الدين بحوث عديدة في مجال الدراسات النحوية، منها بحثه "الأصول والفروع بين الدراسات الفقهية والنحوية"، عرض فيه لتأثر النحو بعلم أصولِ الفقه ، حيث نقل النُّحاةُ من هذا العلم نظرية الأصول والفروع ، كما استخدموا بعضَ المصطلحات الفقهية ، كالقياس ، والاستحسان ، ونَوَّه بمظاهر التأثر والتأثير بين علمي النحو والفقه .. وله بحوث في الإعراب ومشكلاته ، وعلامات الإعراب بين النظرية والتطبيق ، و"الإعراب بالحركات والحروف".

أما اللهجات فقد ألف فيها كتابًا ضخمًا يقع في أربعة أجزاء، عنوانه "اللهجات العربية في التراث العربي"، ووضع معجمًا للهجات عنوانه "معجم لهجات القبائل العربية " وله بحوث سبعة في مظاهر الصراع بين القراء والنحاة، قال في مستهله : "يجب أن نقرر أولا أن موقف النحاة من القراءات، ورميهم باللحن والخطأ ، أو الضرورة والشذوذ، وإخضاعهم القراءات للمذاهب النحوية ، والأقيسة العقلية ، هو الذي جرأ المستشرقين على الطعن في كثير من القراءات ، والنيل منها ".

أما بحوثه في صوتيات اللغة العربية وصرفها فهي أيضًا كثيرة، منها بحثه:

"دراسات في النظام الصوتي الصرفي"، وبحثه: "بين الأصول والفروع في التغيير الصوتي الصرفي "، وبحثه "التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي الصرفي".

ولا يسعني إلا أن أنوه بأمر يلتزمه علم الدين في كل ما يكتب، فهو لا يعرض لشيء إلا وعينه على التراث العربي والإسلامي ، حتى حين يعرض لجديد في اللغة، أو النحو ، أو الصرف.. فهو يرصد القديم بمجهره اللماح البصير ، لعله يرى لهذا الجديد أصلا ينسب إليه ، ويتطور منه، أو نظيرًا مجهولا ، أو مغمورًا ، في تراثنا يكشف عنه، فإن لم يجد هذا ، أو ذاك، حكم بحداثته، وبأنه أصلٌ في جدته!

وبذلك كانت لِعَلَم الدين في مجال التراث العربي والإسلامي قدمٌ راسخة، وجهد خلاق ؛ فهو حين يعمد إلى التراث لا يتوقف بنصوصه عند التوثيق ، والتحقيق ، والتعليق، بل يجعله بعد ذلك موضع دراسات لغوية ، ونحوية، وصوتية، وقد يستنبط من ذلك التراث نظريات تناظر ما جد في ميدان الدراسات اللغوية الحديثة من نظريات يأخذ بها كثيرٌ من الباحثين.. وكم هو دائب السعي وراء مخطوطات اللغويين والنحاة، وبخاصة ما عُرِفَ بأنه مُبَعْثَر هنا وهناك، أو حُكم بأنه تائه أو مفقود.. وقد عَلِمَ أن للفراء — علامة اللغة والنحو — كتابين مفقودين، هما "كتاب اللغات في القرآن"، وكتاب لغات القبائل"، فمضى يتتبعهما في بطون كتب اللغة التي نقلت العديد من نصوصهما ، ويضم بعضها إلى بعض في مثابرة ومصابرة استغرقتا الكثير من وقته وجهده ، حتى جمع أشتات كتابي الفراء، ونفخ فيهما من روح توثيقه وتحقيقه، فعادا إلى الحياة من جديد ليؤدِّيا دورهما في الدراسات اللغوية .. وقد جعلهما علم الدين — على عادته - موضع دراسة لغوية، ونحوية، وصرفية، وصوتية.. وقد أشاد أستاذنا المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام بجهد علم الدين في هذين الكتابين فقال: "هذا العمل جهد إنشائي علمي، قلما حاوله أحد من العلماء، فإنه يحتاج إلى اطلاع شامل ، وبصر دقيق، بالسمات المميزة للمؤلفين ومؤلفاتهم، ومقدرة دقيقة على

المقارنــات، وحِــسٌ مــرهف في مجال الاستنتاج"!

وقــد ورد ذلــك في تقريــر أعده الدكتور مهدي علام عن الأعمال العلمية لعلم الدين، التي تقدم بها للترقية إلى درجة أســتاذ بكلــية دار العلوم ، وقد اختتم الدكــتور مهدي تقريره بقوله: "إن هذا التقرير أشبه بقمة جبل الثلج، تبدو فوق سطح البحر؛دليلا على عظمة الجبل الذي يضمه البحر.الإنتاج غزير،وعميق وأصيل. لقد كتب الدكتور أحمد علم الدين الجندي في الــنحو العمــلي والنحو الفلسفي، والنحو اللغوي، والنحو المقارن، فأضاف في هذه الميادين إضافات جادة وأصيلة"!

ومضــى عــلم الديــن إلى أستاده الدكــتور مهــدي علام ليشكره، بعد حصوله على درجة الأستاذية، وقدم إليه كــتابًا حققه للإمام القشيري عنوانه" نحو القلوب الصغير " ثم لقيه الدكتور مهدي بعد أيام كان قد اطلع فيهما على كتابه، فقال له : "لو قدمت إلى هذا الكتاب مع إنتاجك العلمي لأضَفْتُ في تقريري : إنك أول من هندس النحو الصوفي "!

وكــان عــلم الدين قد أضاف إلى كــتاب"نحــو القلوب الصغير" تعقيبات ضــاعفت حجمه ، وكشفتْ عن فكره الصــوفي ، حيث أفاض في الحديث عن "نحــو القلوب " الذي ينتقل بعلم النحو الكلامي إلى مجال أخلاقي صوفي ،حيث يُحَلِّــقُ في عوالم رُوحية وضيئة مضيئة . فإذا كان الخروج على "نحو الكلام خطأ فإن الخروج على " نحو القلوب" خطيئة !

أو كما قال الإمام القشيري :

نحو اللسان فعيبٌ
والنحو بالقلب ذَنْبُ
وأقْبَحُ اللحنِ عندي
كِبْرٌ ، وتيهٌ ، وعُجْبُ

وهكــذا عاد علم الدين بــ " نحو القلــوب" إلى نشــأته الصوفية الأولى ، وكأنــه يصنع دائرة لمسيرته العلمية ، يبدأ طَــرَفُها الأول في طفولته، ليلتقي بطرفها الآخر في شيخوخته.. أو كأنَّه قد استَهَلَّها هــلالاً ، لتكتمل بعد ذلك بدرًا يَسْطَعُ بالنورا

الأستاذ فاروق شوشة

وثالــث الزملاءِ الذين أشرف اليوم باستقبالهم: الأستاذ فاروق شوشة.. وهو كذلك من أرُومة كريمة، تنتمي إلى العلم والتعليم ، أنبتته نباتًا حسنًا ، حتى استقام عوده، ونما وترعرع، وأزْهر وأينع.. فقد كان والده من رجال التعليم الذين أخذوا أنفسهم بثقافة أدبية، جَعَلتْهم يَنْهَلُون من مصادرها القديمة ، والحديثة ، ومن مجلاتها الشائعة في النصف الأول من هذا القرن، كالهلال، والرسالة ، والرواية ، والثقافة.. فكانــت لــدى والــده مكتبة عامرة ، اجتذبــتْ فاروقًا وهو مازال يختلف إلى كُـتّاب القرية، حيث أخذ يتلقى مبادئ العلــوم، وأخــذت مخارج صوته تتلقى تدريبها الأول على ترتيل القرآن الكريم، حــتى تَخَرَّجَتْ في روضة تجويد القرآن ، مصقولة النبرات، محكمة الطّبقات، طلية الجرْس، مسدَّدة الإيقاع ، فأهله ذلك — مع فخامة صوته وعمقه — لأنْ يكون ذا صيت جهير، بعيد الصدى، في فَنِّ الإلقاء!

وأخــذ فاروق يتردد على مكتبة أبيه يقلــب فيما تحتويه من مجلات ، وكتب، ويتصفح ما يجتذبه منها، في فضول طفولي يدفعه إلى محاولة التعرف على ما تتضمنه ســطورها مــن قصص ، أو تاريخ ، أو شــعر، وغير ذلك .. وكان أبوه سعيدًا بإقــباله المبكر على مكتبته، فأخذ يرشده إلى ما تسهل عليه مطالعته ، وهو في هذه المــرحلة الغضة من صباه، موضحًا له ما يغمــض علــيه مــن كــلماتها ، أو موضوعاتها.. وفاروق يزداد وعيا بما يقرأ، فيزداد إقبالا ، وشجاعة ، على اقتحام ما يســتغلق عليه من مكتبة أبيه، حتى ألفها، وألفته ، وأسلمتْ له زمامها ، وصارت له مسترادًا ، ومرتعًا !

ولكن أباه أدركته خشية على تفوقه في أدائــه المدرســي ، وهو يجتاز المرحلة الابتدائــية إلى الثانوية ، حين رأى المكتبة تكــاد تستغرق وقته، وتستأثر باهتمامه ؛ فأخذ يردُّه عنها ردًّا رفيقًا ، أخذ يتصاعد حــتى صــار أمرًا يتوعَّدُه بالعقاب، عند اقــتراب الامــتحان، في آخر كلِّ سنة دراسيَّة!

ولكــن هيهات، هيهات .. ففاروق، قــد ولــع بالمكتــبة ولعًا بلغ حد الوله،

وبخاصة دواوين الشعراء ، كشوقي، وحافظ ومطران، وما نقله المنفلوطي من قصص أوربية، تترقرق بعواطف المحبين، وتُحلِّقُ في عوالم الرومانسيَّة الحالمة، وكذلك ما كان يُترجِمُه دريني خشبة من قصص أو ملاحم إغريقية ، تموجُ بسحر الأساطير !

وسرعان ما تَفتَّحتْ براعم الملكة الأدبية لفاروق ، وتنفَّسَتْ بعبير شعره، الذي تَغَنَّى بالحبِّ، والوطنية، واستَلْهَمَ التاريخ الإسلامي مسرحية شعرية ، في مأساة الفتنة الكبرى، التي أخذت تشتعل منذ عهد عثمان وعلي ، رضي الله عنهما، وكان عنوان مسرحيته "على مسرح التاريخ" ، وقد مثلها فريق التمثيل بمدرسته ، التي طبعتْ مسرحيته على نفقتها، وعلى غلافها صورة فاروق تقديرًا منها لشاعرها المسرحيِّ النابه، الذي كان في أواخر المرحلة الثانوية!

كان والده يزداد توجسًا وإشفاقًا على مستقبله المدرسي، كلما أحرز تفوقًا في مجال الشعر .. ولكن والدته – بفطرة الأمومة وعاطفتها الجياشة – كانت تتيح له فرص التردد على مكتبة أبيه، وممارسة هوايته في كتابة الشعر، وتزهو بتفوقه فيه، دون أن يخالجها شك في تفوقه المدرسي..

ولعل حبها للشعر نشأ منذ صباها، وهي ترى شاعر القرية يتحلَّق حوله الناسُ مأخوذين بما ينشده من ملاحم شعرية على أنغام ربابته، في السيرة الهلالية، وغيرها من سير البطولات العربية.. ولا عجب في ذلك فقد كانت منطقتهم حول دمياط مسرحًا للعديد من الشعراء ، الذين كانوا يتوافدون عليها منذ قرون، في عهود الحملات الصليبية التي كانت دمياط هدفًا لها، للدخول منها إلى سائر أنحاء مصر .. فكان هؤلاء الشعراء ينشدون الجنود المرابطين في هذا الثغر العريق أشعارًا حماسية في البطولات العربية والإسلامية .. ولذلك سُمِّيتْ القرية التي أنجبتْ شاعرنا فاروقًا قرية " الشعراء "، كما سميت "المنصورة" – القريبة منها – بهذا الاسم بعد انتصارها العظيم على حملة "لويس التاسع"،وأسره في دار"ابن لقمان"!

أنهى فاروق دراسته الثانوية ، والتحق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وتخرج

فيها عام ستة وخمسين، ليلتحق بكلية التربية بجامعة عين شمس، حيث يدرسُ التربية وعلم النفس ، ليتأهل بذلك للتدريس بمدارس وزارة التربية والتعليم، وكان أول دفعته في دبلومها، ورشحه ذلك لبعثة في التربية المقارنة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان فاروق قد عين مدرسًا بمدرسة النقراشي الثانوية النموذجية، في انتظار موعد سفره، ولكن إعلانا عن حاجة الإذاعة المصرية إلى مذيعين دفع به إلى أداء الامتحان الذي تعقده الإذاعة للمتقدمين إليها، وكان متفوقًا — كعادته — في اجتيازه، فاجتذبه بريق العمل الإذاعي، وصرفه عن الدرس التربوي ، والحصول على الدكتوراه .. وصار فاروق من شُداة الإذاعة ، ثم من أعلامها المرمُوقين، وشأنه في ذلك ذائع معروف للخاصَّة والعامَّة، مما يجعلُ حديثي فيه كمستبضع التمرْ إلى هجر ، أو من يحملُ قربة الماء إلى حي السَّقَّائين !

وتَدَرَّجَ فاروق في الإذاعة حتى صار رئيسًا لها، إلى أن أحيل إلى التقاعد الوظيفي، لا العملي عام سبعة وتسعين، فمازال تغريده يُشَرِّق ويغرب، عبر الأثير الإذاعي : المسموع والمرئي !

وقد حصل فاروق على الجائزة الدولية باسم الشاعر اليوناني كافافيس عام أربعة وتسعين ، وعلى جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ستة وتسعين.

وهو عضو مشارك في موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب . وهي موسوعة ضخمة ، في ثمانية مجلدات .. كما عهد إليه بالمراجعة والتقديم لديواني الشاعرين : عبد الرحمن شكري، وعبد الحميد الديب ، اللذين يَصْدران عن المجلس الأعلى للثقافة .

وانتخب هذا العام رئيسًا لاتحاد الكتاب المصريين .

ولا يفوتني في استقبال فاروق أن أُنَوِّه، بل أشيد، بجانب قد يَخْفَى على كثيرين، فقد ذهبت شهرة فاروق الإعلامية والشعرية بجهود له في دراسة اللغة العربية المعاصرة؛ ففي بحث له عنوانه "لغة الاتصال هي لغة الحاضر والمستقبل" تحدث عن أنماط ثلاثة للعربية المعاصرة، يتمثل أولها في "فصحى التراث"، وثانيها

في اللغــة الأدبــية، وثالثها في لغة العلم والحضــارة، التي يقول بشأنها:" هي اللغة الــتي تتســع لفروع العلوم وتطبيقاتها، وتتلقى الحضارات الوافدة، وتتفاعل معها، هــذه اللغــة يمكن أن تُسَمِّيها:لغة العلم والحضارة، وهي لغة تعتمد على الاشتقاق مــن العربــية، والنحــت، والــترجمة، والتعريب، والتّوسُّع في القواعد والأصول اللغويــة التقليدية، حرصًا على أن تتسع لغتنا العربية المعاصرة لمستَحدثاتِ العصر، وعلى أن تنهض بأعباء النهضة المعاصرة، وتلاحقها في تطوراتها السريعة في مجالات العلم والحضارة ".

وبعــد دراســة ضافية لهذه الأنماط اللغوية المعاصرة الثلاثة، يشير فاروق إلى نمــط رابــع أخذ يظهر، بل يزدهر، في الساحة اللغوية، وذلك حيث يقول: "لقد ولــدت لغــة رابعــة هي لغة الاتصال بالجمــاهير التي تبنتها الصحافة ثم آزرتها أجهزة الاتصال الأكثر حداثة، كالإذاعة، والتليفزيون.. وهذا النمط الرابع من اللغة العربــية المعاصــرة ليس مقطوع الصلة بالأنمــاط الثلاثة السابقة، فهو يأخذ من كــلٍّ مــنها، ويصــنع من هذه الحصيلة المشتركة لغة جديدة تحمل ملامح التميز والاخــتلاف، وتقــترب مــن وجدان الجمــاهير، وتعامــلهم اليوميِّ في حياتنا المعاصرة ...".

ولفاروق بحوث لغوية أخرى لا يتسع المقــام هنا للحديث عنها، ولكني لا أريد أن أختــتم كلمتي عن فاروق دون إشارة لماحــة ســريعة إلى شعره، الذي استأثر بملكاته الإبداعية الأدبية، ولقد بدأ فاروق مســيرته الشــعرية مع الشعر الذي يلتزم عمود الشعر العربي، ثم غازل الشعر الحر ملكــته الشــعرية حــتى مالــت إليه، واستجابت له، وأخذت ولائدها الشعرية تتوالى ، وتزاحم غيرها من قصائد الشعر الحــرّ ، الــذي انطلق من عقال العمود الشــعري العــربي .. واقتنصتها المذاهبُ السياســية الــتي كانــت تجتاح الساحة الأدبية، فصار كثيرٌ من الشعر الحرّ مقيدًا بحبائل هذه المذاهب والتيارات، واختلّتْ موازيــن الشّــعرِ، حتى صار قدر الشِّعْرِ يــوزن بقدر ما فيه من مضمون مذهبي: سياسي أو اجتماعي .. ولكن فاروقًا ابن

كتاب القرية، وابن التراث العربي الأصيل، لم تستغرقْه موجات هذا الشعر الحر ، فقد اعتصــم بموقف اختاره ، وارتضاه لشعره .. وفي ذلك يقول ، بعد حديثه عن جيل الــرواد للشعر الحر : "وانجرفتُ لأصْبح واحدًا من شعراء الموجة التالية لجيل الرواد .. ولكــن دون أن أفقد انتمائي العميق لشجرة الشعر العربي في عطائها المستمرّ، والمتجدد، عبر العصور.. وكان ما يشغلني أن يظــل النسق اللغوي لهذا الشعر عربي الوجه، غير هجين أو مسف، ولا يُحاكي أســاليب الترجمة، والمستحدثات الأجنبية الوافدة..".

ثم يتحدث فاروق عن نموذج شعري يــراه فيما يُسَمّيه "الكلاسيكية الجديدة" الــتي يقول عنها :"... هذه الكلاسيكية الجديــدة الــتي أجد فيها بعض حقيقتي الشعرية : لغة، وبناء، وتصورًا، وسعيًا إلى تقريــب المســافة بــين الكلمــتين : "الكلاسيكية " و "الجديدة"، وعبورًا على جســر الرغبة والحلم بصيغة كلاسيكية جديــدة ... وربما كانت قصيدة "للعبير اختناق " هي أقرب النماذج لها" .. وأنا لا أخــتار عــلى اختــيار فاروق، ولهذا ســأجعل هــذه القصــيدة خاتمة لكلمة استقبالي له .. وقد جاء فيها:

أخرستني العيونُ والأحداقُ
فكلامــي الشُّــرود والإطــراق
الخطا لهفة، وبعضُ انعطاف النفْس
وَجْــدٌ، ولهفَـــةٌ، واشــتياقُ
وجناحان من بعيد يرفّان ..
فهــذا المــدى : ضُحى،وانعتاق
والهوى مركبي لدار حماها
وحماهـــا الــنجومُ والأشــواقُ
قيدتني سبيكة العطْرِ ، فارتعْتُ
وللعطْــرِ ســطْوةٌ ووثـــاق
واسْتبحتْ ممالكي .. فخيالي
مشــرئب الخطـــا، وقلبي يساقُ

ثم يختتمها بهذين البيتين :

ما الذي الآن أشتكي ؟! ربَّ نعْمي
قتلــتني .. فللعــبير اختـــناق
قد يُطاقُ الجمالُ فردًا .. ولكنْ
كلُّ هذا الجمالِ .. كيف يطاقُ؟

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

إبراهيم الترزي

الأمين العام للمجمع

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر

في حفل استقباله عضوًا بالمجمع

أيها الزملاء الأعزاء

أيها السادة والسيدات الضيوف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فبقدر ما كانت سعادتي بعضوية المجمع اللغوي كانت رهبتي من الحديث إليكم. فهذا أول اختبار لي أمام هذا الحاشد من جلة العلماء، وحيرة رجال الفكر واللغة والأدب، وقد حمدت الله أن جاء هذا الاختبار بعد فوزي بالعضوية وليس قبله.

ثم إنني - ثانيًا - أتحدث بعد أديب متمكن ملك ناصية البيان، وفاقت فصاحته فصاحة سحبان، فأنّى لي أن أجاريه أو أقرب منه. وهو إلى جانب ذلك قد خلع علي من الصفات ما يناسب مكانة المُهدي لا المهدى له، مما زاد من صعوبة موقفي.

وأنا - ثالثًا - قد شغلت المكان الذي خلا بوفاة المرحوم العلامة الأستاذ / محمود محمد شاكر فحُملت بذلك أمانة ثقيلة قد تأبى حملها السموات والأرض والجبال، لأن مكان الأستاذ لا يمكن أن يشغله أحد سواه، ولكن هكذا أرادت الأقدار.

وأنا - رابعًا - مطالب بالحديث عن صاحب الكرسي الذي ودَّعنا بجسمه، ومازال علمه وفضله ملء السمع والبصر، والحديث عن المرحوم العلامة محمود شاكر نمط من الحديث صعب ومخيف لجملة أسباب منها:

أولا : قرب المرحوم العلامة محمود شاكر من تلامذته ومريديه، وللقرب الشديد - كما للبعد الشديد - مخاطره ومزالقه.

وثانيًا : لأن المرحوم العلامة محمود شاكر قد جمع العالم في واحد، وكل جانب من جوانب ثقافته لو وجد في شخص لكان كافيًا لأن يشتهر به، ويعد علمًا من أعلامه.

وثالثًا: لأنه شخصية أو أكثر من شخصية تتلاقى فيها الأضداد، وتجتمع المتناقضات. فهو: يحصل على البكالوريا (الثانوية العامة) من القسم العلمي ثم

يلتحق بكلية الآداب، ويختار من بين أقسامها قسم اللغة العربية بالذات . وهو يدخل كلية الآداب بعد شفاعة طه حسين له عند مدير الجامعة أحمد لطفي السيد ليقبله بشهادته من القسم العلمي ، ثم يخرج من الكلية ويترك الدراسة بسبب خلافه مع طه حسين. وهو يرسب في اللغة العربية في امتحان الشهادة الابتدائية، ويعيد العام كله من أجل هذه المادة، ثم يصبح – فيما بعد – المنافح الأول عن اللغة العربية وآدابها، وتزداد المفارقة باختياره عضوًا في مجمع اللغة العربية.

وهو إلى جانب ذلك يمد جلساته الطويلة مع أصدقائه ومعارفه وتلاميذه فتظن أنه لا يجد وقتًا للعمل ، وينشر إنتاجه الغزير الممتد على طول السنوات فتظن أنه لا يجد وقتًا للقاء أصدقائه.

وهو حاد الطبع، عنيف في خصومته، ومع ذلك تراه في أحواله العادية لين العريكة، مرهف الحس، شديد التأثر لفقد أصدقائه ومعارفه ، حتى إن حزنه لوفاة صديقه مصطفى صادق الرافعي عام ١٩٣٧م قد صرفه عن استكمال ردوده على طه حسين فيما اختلف معه فيه حول المتنبي. وقد انتهى محمود شاكر في دراسته للمتنبي إلى نتائج انفرد بها، منها نفيه أن يكون من أصل وضيع، وإثباته أنه كان علويًا هاشميا قرشيًا، ونفيه لنبوءة المتنبي خلافا لما تذكره المصادر.

إن محمود شاكر نموذج فريد بين بني البشر قلما أو يستحيل أن يتكرر ولو بصورة مقاربة. إنه نمط صعب من الرجال لا تجد له نظيرًا على امتداد الأحقاب والأجيال . وإذا كان معظم الناس تتفجر طاقاتهم من إحساسهم بالنقص، وشعورهم بالدونية فإن ما فجر طاقات محمود شاكر هو إحساسه بالتميز، وشعوره بالتفرد منذ اللحظات الأولى لنشأته:

فهو قد ولد وتربى في بيت توارثت أجياله المجد كابرًا عن كابر حتى انتهى إلى أبيه الشيخ محمد شاكر الذي كان مقدم الغلام فألا طيبًا له، ولعل الوالد كان قد توسم فيه ذلك فأسماه محمود سعد الدين، وقد تقلد الوالد في نفس عام مولده منصب الوكيل للجامع الأزهر، إلى جانب

مـــاتولاه من مناصب أخرى تشرئب لها الأعـــناق مـــثل قاضي قضاة السودان، وعضو الجمعية التشريعية.

لقـــد كان بيت الوالد يغص بأعلام الفكر والأدب والسياسة ، مما أتاح للفتى الناشـــئ أن يلـــتقي بهم، ويجلس إليهم، ويتشـــبع بأفكـــارهم مـــثل محب الدين الخطيب،وأحمد تيمور باشا، والشيخ محمد الخضر حسين. ولعل صورة هذه المجالس التي انطبعت في ذاكرته كانت الباعث له على أن يجعل من داره نسخة ثانية من دار والـــده، ومن مجالسه ملتقى لأعلام الفكر والأدب والسياسة ، من مثل أحمد حسن الـــباقوري، ورشـــاد مهنا، ويحيى حقي، ومحمود حسن إسماعيل، وإحسان عباس، وشـــاكر الفحـــام، ومحمد يوسف نجم، وناصر الدين الأسد،وأحمد راتب النفاخ.. وغيرهم وغيرهم ممن يجلون عن الحصر .

لقد نضج الفتى قبل الأوان ، أو لعله —على حد تعبير أبي على الفارسي لتلميذه ابن جني — قد تزبب قبل أن يتحصرم.

فمن يصدق أن يقدر فتى في التاسعة عشرة أن ينشئ مدرسة في مدينة جدة، ويعمل مديرًا لها؟

ومن يصدق أن ينصرف فتى في عمر الزهـــر عن لهو الشباب ويوجه طاقته إلى البحث، والتعمق في الفهم، فيحفظ ديوان المتـــنبي ويدرس الكامل للمبرد ، وحماسة أبي تمام ، وأمالي القالي، وأشعار الهذليين؟

ومـــن يصـــدق أن غلامًا في المرحلة الـــثانوية تجتذبه كتابات المستشرقين فيقرأ ضمن ما يقرأ مقال مرجليوث الذي نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عن "نشأة الشعر العربي"؟ ويقف من المقال وصاحبه موقفًا صارمًا في مناقشاته لطه حسين في نفس الموضوع؟

ومن يصدق أن شابًا في مقتبل عمره تخصـــص له مجلة المقتطف، (وهو بعدُ لم يـــبلغ السابعة والعشرين من عمره) عددًا كـــاملاً خاصًا عن المتـــنبـــي حيث قام بدراســـة فـــريدة لحياته من شعره، وقدم تفســـيرًا لما أشكل من هذا الشعر، وهي الدراســـة الـــتي نال بها بعد خمسين عامًا جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب؟

ومن يصدق أن شخصًا واحدًا — إلى جانب اهتماماته العلمية — يتصدى وحده

لعــدد مــن أعلام الفكر والأدب يفند آراءهــم ، ويقــوّم انحرافاتهم من أمثال ســلامة موســى، وطه حسين ، وسعيد الأفغــاني، ولويس عوض ، وعبد الغفار مكاوي...؟

ومــن يصدق أن يجتمع في شخص واحد أن يكون شاعرًا ، ومحققًا للتراث ، وأديــبًا ، ولغويًّــا وعالمًــا واسع العلم بالــتاريخ والتفســير، والجرح والتعديل؟ ويحتاج كل جانب من هذه الجوانب إلى دراسة مستقلة .

ومن يصدق أن شابًا في مقتبل عمره تتــنافس المجــلات الأدبية والثقافية على محاولــة اجتذابه، وتنشر له نتاجه بصورة تكــاد تكون دورية؟ وأن كتابته في مجلة المقتطف بدأت عام ١٩٣٢م ، وكان قد ســبق ذلــك نشره في مجلة الزهراء عام ١٩٢٦م، والبلاغ عام ١٩٣٠م ؟ ثم تلا ذلــك كتاباته في مجلة الرسالة، والفتح، والعصــور ، والكــتاب ، والمسلمون ، والثقافة ، والهلال وغيرها.

وبعد : فقد عرفت المرحوم الأستاذ محمود شاكر أو تتلمذت على يديه معاينة بعــد أن تتــلمذت على أفكاره وأبحاثه ودراساته —عرفته معاينة منذ عام ١٩٥٩م حينما كنت طالبًا متفرغًا للدراسات العليا أعــد لدرجة الماجستير . وأذكر أنني في مستهل اشتغالي بالتحقيق كانت تستغلق عــلى بعض الأمور فكنت أعرضها على شــيخ المحققين فيهرع إلى مكتبه ثم يعود بعــد دقائق وفي يده مفتاح الحل. وأذكر أنــنــي قد عجزت عن نسبة شطر بيت وتكملته، وهو قول الشاعر:

على كثرة الواشين أي معون

فأكمله لي في الحال ، ونسبه إلى جميل بن معمر، والبيت بتمامه:

بثين الزمي "لا" إن" لا" إن لزمته
على كثرة الواشين أيُّ مَعُونِ

وتكررت لقاءاتي به في منــزله بعد ذلــك لعدة سنوات.. إلى أن طوحت بي الأيام فعشت طويلا خارج مصر للدراسة أولا، ثم للعمــل ثانيًا ، فقلت زياراتي له، وإن تعددت لقاءاتي به في زياراته المتكررة للكويت .

وحينما اعتقل الأستاذ محمود شاكر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، (وقد

حدث ذلك مرتين: الأولى لمدة تسعة أشهر عام ١٩٥٩م ، والثانية لمدة ثمانية وعشرين شهرًا في الأعوام ١٩٦٥- ١٩٦٧) كنت ضمن تلامذته وأحبائه الحريصين على زيارته في المعتقل. ومع ذلك لم يكف لا قبل اعتقاله، ولا في أثنائه، ولا بعد الإفراج عنه عن مجاهرته في كل مجالسه برأيه في نظام الحكم، غير مبال بما يسببه له ذلك من متاعب، ولا عابئ برجال السلطة الذين كانوا يسجلون عليه أنفاسه، ويرصدون زائريه، ويراقبون الداخلين عليه والخارجين ، ويتنصتون على مكالماته الهاتفية .

رحم الله الفقيد الكريم كفاء ما قدمه للعروبة والإسلام من أياد بيضاء، وأثابه على جرأته في الحق، وصموده في الدفاع عن قضايا أمته العربية ، وتصديه لكل ما يراد لها من كيد في دينها ولغتها وأدبها وتراثها.

وصدق قول صديقه محمود حسن إسماعيل فيه:

وأراك أنت بكل لُجٍّ مَوْجها
والهادر المشبوب في شلالها
وأراك أنت عليمها وكليمها
والجاذر الشبهات في استدلالها

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد مختار عمر

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي

في حفل استقباله عضوًا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس الجليل الأستاذ الكبير شوقي ضيف ، رئيس مجمع اللغة العربية.

السادة العلماء الأجلاء : أعضاء مجمع اللغة العربية:

شاءت إرادة الله عز وجل أن أشغل مكان الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرازق البسيوني الذي أقبل علينا من أزهرنا الشريف شاعرًا أديبًا وسادنا جليلا من سدنة العربية، نهض برسالة إحياء الدراسات النحوية مع طليعة من زملائه وشيوخه الكبار: محمد علي النجار، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد رفعت فتح الله، وثلاثتهم من أعضاء المجمع الراحلين * ، وكان رحمه الله قيمة وقمة في عين من يتفق معه أو يختلف ، ومن آرائه الصائبة في العربية ، أن نعيد دراستها على منهج علمي قويم ؛ إذ يرى أن التجديد في اللغة والنحو يجب أن ينهض على الأصول الثابتة للغتنا ، وألا يخرج عن ضوابطها العامة، وفي ذلك يقول في كتابه "رحلة مع السماع والقياس" :"إذا أردنا إحياء العربية والمحافظة عليها ، وإذا أردنا تيسيرًا للنحو وتجديدًا لمناهجه ، ووضع قواعده في صورة حديثة تعتمد المنهج العلمي طريقًا، فلا مناص من استعراض الأصول التي نستمد منها قوانين لغتنا ، ونترسم هديها في تطبيق كلامنا ، ثم نسجل من جميعها الظواهر، ونتخذ من هذه الظواهر ، القواعد التي تربطنا بقرآننا وتراثنا الحضاري الخالد في جميع المجالات، وأنواع المعارف والفنون".

والدكتور البسيوني يكرر النظر إلى التجديد في العربية من جميع نواحيها ومناهجها ، ويقرر : بأن المحافظة على ما

---

*حصل الفقيد على الدكتوراه من كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ثم ترقى في الوظائف العلمية، أستاذا فوكيلا للكلية ، فرئيسا لقسم اللغويات ، كما اشتغل بالصحافة في أخبار اليوم فترة طويلة .

ورثه لنا الأقدمون في العربية إنما يكون بتغذيته بعناصر جديدة للحياة والنماء، بالزيادة عليه ونفي ما فيه من ضعف. أما أن نصبه هياكل ونقوم دونها سدنة، فإننا بذلك نمكن له في التجمد والتخلف، وإذا بالركب يمضي، ويتركه حيث هو – غير عابئ بنواح النائحين"!

على أنه يجب أن ننوه بأن بحوث شيخنا البسيوني أكثرها غير مطبوع، ولعل تلاميذه – وهم كثر – ينهضون بطبعها، ليفيد الباحثون من علم شيخهم العام الفذ.

ذلكم أيها السادة هو الرجل الذي ودعه مجمعكم الكريم بعد صفحة حافلة بجلائل الأعمال التي سجلها له التاريخ، والمجمع يذكر الخالدين من رجاله، ولا ينساهم، وشيء من الوفاء يجعل الحياة أجمل.

وما أظن أنني استطعت الوفاء له بما هو أهل له من الثناء، وما ينبغي لمثله من الإطراء والذكر الخالد.

فلتتقبل روحه الطاهرة من أخيه البار هذه التحية التي مهما تكن فهي أقل وأهون مما كان ينبغي أن يقال فيه، ومعذرة إذا جئت بعد دكتور بسيوني على استحياء، لأحمل الأمانة ظلومًا جهولا، تغمد الله الفقيد برحمته ورضوانه، وجزاه خير ما يجزى به العلماء العاملون، وسلام عليك إلى أن ألحق بك في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

سيدي الرئيس الجليل، سادتي العلماء الأجلاء في مجمع الخالدين، أيها الحفل الكريم:

لقد شرفتموني حين منحتموني ثقتكم الغالية، فصيرتموني زميلا لكم أحمل معكم أمانة الحفاظ على هذه اللغة الشريفة، لتبقى على الزمن خالدة خلود كتابها المعجز، وأشهدكم أيها السادة: أنني مازلت – كما كنت من قبل – طالب علم – شرفت بالعمل في مجمعكم خبيرًا في لجنة اللهجات قبل ربع قرن على يد مشيخة من علمائها، محمودة سيرهم خالدة آثارهم، وكأن شوقي يشير إليهم حين يقول:

كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانًا وأفخم مظهرًا

ومـــن أين لي أن أقتنص البيان الرائق بشـــكر الســـادة أعضاء المجمع، لانتخابي عضـــوًا معهـــم؛ لأكـــون معهم كالفنن المـــأمول الـــثمر، في دوحة فينانة، دانية الجني، مرموقة القطوف * .

وكـــيف لي أن أوفي أخـــي العزيز الأســـتاذ إبراهـــيم الترزي ، لما طوق به عنقي من ثنائه ، ولما أضفاه على شخصي الضعيف من فضله، ولما نوه به من ثمرات حـــبه، وما جبابي به من شمائله التي أراني عاجزًا عن بلوغها حتى ظننته يتحدث عن إنســـان آخر غيري ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

سيدي الرئيس ، السادة العلماء الأجلاء، أعضاء مجمع الخالدين :

الحديث عن مشكلات العربية يجب أن يكـــون صـــحيح المنهج لا يخضع إلى الخلط بين العاطفة والحقيقة . والازدواج اللغـــوي يصدع وحدتنا ويفرقها طبقات ثقافية ، فللمسرح أزمة وللصحافة أزمة وللإذاعـــة أزمـــة ، وللمدرسة والجامعة أزمـــة، وهذا كله له أثر واضح في عجز الأمة وجمعها على أمل موحد وغد كريم.

ومشكلات العربية قديمة جدًّا بدأت (بـــالجمع اللغوي) على يد أفراد كالخليل والكســـائي ولا يسعنا إلا حسن الإشادة بفضـــل أولئك اللغويين القدماء على أنهم كانوا أفرادا يقومون بالجمع وذلك شاق غير مأمون؛ إذ فلتت صيغ مسميات كثيرة نـــدت عـــن الجمع اللغوي — وأسقطتها المعـــاجم العربية بعد ذلك فلم تشر إليها، ولكـــن الخلاف نشأ بعدهم حولها وهل هي عامية أو فصحى، أو ...، وفيها: ما يظن صوابًا وهو خطأ وما يظن عاميًّا وهو فصيح، وكثر فيها الشاذ والنادر والقليل والضعيف والمتروك ... إلخ .

ومـــن أجل هذا ؛ قمت مع طلابي بجمع جديد في بقاع الجزيرة العربية سنة ثلاث وثمانين ١٩٨٣م واستمر أكثر من عشر سنين في جامعة أم القـــرى بمكـــة

---

*أنا بالخالديـــن أطـــول عمرا لي طول المدى وعرض الجنان .
كيف أخشى الفناء بين يديكم والذي تصنعـــونه غير فانـــي .

المكـــرمة وحددت لكل مجموعة عنوانا فمجموعة تختص بجمع الألفاظ في مناطق معينة حول معاطن الإبل والغنم في بوادي نجـــزان والليـــث ومجموعة أخرى حول الـــنخل في الأحســـاء والمدينة المنورة ، ومجموعـــة أخـــرى حـــول مسايل المياه والغدران ومجموعة أخرى حول الظواهر الجويـــة من رياح وشمس وظل وبرق في مـــناطق بني سعد جنوب الطائف وقبائل هذيـــل حول مكة وقبائل فهم في مطقة الليث ومجموعة أخرى تجمع أسماء النبات والـــزروع والحـــرث والحب، ومجموعة أخرى حول الأطعمة والأشربة، ومجموعة أخرى حول السلاح والسيوف والحراب .. إلخ .

وحـــددت لكـــل منطقة رواة ولهم شروط خاصة، وكان هدفي من ذلك بناء عمـــل جديد (لجمع اللغة) في هذا الوقت شمـــل القـــرى والوديـــان والســـوق والـــبوادي..إلخ ، يخـــرج كل فريق من الطـــلاب على حدة ليسأل عن كل ذي ســـلعة وكل ذي صنعة وكل ذي آلة ثم يدوّنـــون ذلك بأوصافه وصوره ثم بعد ذلـــك نقـــارن كل مجموعة ما جمعته في الحياة البدوية بالمعاجم العربية القديمة .

وهذا العمل لمحنا فيه حلقات التطور بـــين القديم والحديث وهي في نهاية الأمر قافلـــة تمشي في جوف الحياة إلى هدف وغايـــة وبعـــد جمـــع المادة مشافهة من الأعـــراب في مـــناطق مختلفة من الجزيرة العربـــية قارناها بالجمع الأول في كتب الخلـــيل والأصمعي وأبي زيد وأبي عبيد وغيرهـــم، ومكننا هذا الجمع اللغوي من المقارنة بين ماضي لغتنا العربية في الجمع اللغـــوي الأول القديم ، ومقارنته بالجمع الحاضر الذي نقوم به الآن، وتلك المقارنة أطلعتـــنا عـــلى مدى التغيير الذي حدث للألفاظ والتراكيب صوتيًّا وبنيويا ودلاليا وكـــم هـــي الألفاظ التي تكلم بها الرواة قديمًـــا في القـــرون الأولى من الهجرة ولا تزال تجري وتستعمل حتى الآن على ألسنة أبناء الجزيرة العربية في باديتها حتى اليوم ، وقـــد كنا في هذا الجمع اللغوي نستعين بالصور الفوتوغرافية والأجهزة التسجيلية والإحصـــائيات لســـماع (المادة اللغوية) أكـــثر من مرة ، وأن هذا الجمع اللغوي

الشاق لم يقم على الكتب القديمة وما فيها وإنما آزره وقواه رحلات حية معاصرة في أماكن وعرة متهمة ومنجدة وهده الدراسة تمكننا من أن نخرج التراث اللغوي القديم إخراجًا جديدًا في ضوء تلك الدراسة الميدانية المعاصرة، وهذا التقابل اللغوي على نمط جديد ، وهو الربط بين ماض تليد وحاضر مشرق، يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية والإسلام، وذلك أثبت أن في العربية وحدة تضم أطرافها وحيوية تستوعب كل ما اتصل بها ، وتصوغه في قالبه .

وخلص هذا (الجمع اللغوي) في مناطق أشرت إليها سابقًا في الجزيرة العربية إلى ما يلي:

١- أن العربية القديمة ولهجاتها — مازالت جذورها باقية بكثرة وبنسبة عالية في العربية المعاصرة في الجزيرة العربية، وأن لغة الأحفاد موصولة بلغة الأجداد، وإذا كان هناك من خلاف فقد حددناه (أ) في الأصوات(ب) في الصيغ (جـ)في الدلالة.

وقد شمل البحث دراسة لغوية قابلنا فيها بين الألفاظ وغيرها قديمًا وحديثا لمعرفة ما فيها من : أ- ألفاظ قديمة على الألسن حتى الآن . ب- ألفاظ قديمة أصابها تغيير في الصيغة جـ- ألفاظ استبدلت بها ألفاظ أخرى د — ألفاظ قديمة بطل استعمالها دون بديل لها.

وفي ضوء ما سبق فإن من يتصدى لإصلاح مشكلات العربية لابد أن يوجه همته أولا إلى دراسة حياة العربية وتطورها ومناهجها، وأن هذا التطور يخضع لقوانين ونظم لابد لأحد على وقف عملها، وأن العربية على الرغم مما بذل في صيانتها لم تلبث أن أفلتت من جميع الأغلال وسارت في السبيل التي أرادها على السير فيها سنن التفرع اللغوي حتى أصبحت على الحالة التي هي عليها الآن في اللغات العامية .

ولما سبق أرجو من المجمع أن يُقرِّب بين لغة اللسان ولغة القلم ، وتوسيع مجرى التعاون بين لغة الحياة ولغة الكتابة؛ وذلك لا يكون إلا بتتبع كتب أسلافنا في التصويب لقول العامة ، وعلى قرب منا (كتاب القول المقتضب في ما وافق لغة

أهل مصر من لغة العرب)؛ وبذلك نصحح الصلة بين المجمع والحياة؛ بأن يكون تعامله معها أخذًا وإعطاءً معًا ، لا إعطاء فقط (لسان العرب اليوم . أمين الخولي . مؤتمر الجلسة الثانية ٧ شوال سنة ١٣٨١هـ) .

وفي ضوء ذلك يصنع معجمًا يحتوي على صحاح العاميات العربية وما في المعاجم اللغوية؛ ليكون هذا المعجم وسيلة للتقارب والتفاهم على ما عرف الناس واستعملوه ؛ ليعرف المعلمون صوابه فلا يسرفون في تخطئة المتعلمين ، وليرجع إليه المتعلمون فيشعروا أنهم يعيشون بلغتهم على أن هذا العامي — يرتد كثير منه إلى لغات القبائل العربية القديمة ، وقد رأينا كثيرًا من علمائنا أقدموا على جمع الألفاظ العامية التي لها أصول عربية من مثل قول العامة : (فلان تريش) أي ظهرت عليه النعمة وفي المعاجم : ارتاش وتريّش: أصاب خيرًا فظهر عليه أثره، وقول العامة: فلان (يُرَمْرِم) أي يخلط طعامه، وهذا المعنى جاء استعماله في إحدى روايات حديث الهرّة (ولا هي أرسلتها تُرمرم من خشاش الأرض) وقول العامة (الوقيد) يعنون ما تطعم به النار ، والمشهور في الفصحى : (الوقود) والذي يستعمله العامة وارد في اللغة، وآية نسبته إلى الفصحى أنه ورد في القراءات القرآنية (وقودها الناس والحجارة) قُرئ أيضًا (وقيدها) بدلا من (وقودها) والاستشهاد بالقراءات لا خلاف عليه، وإذن فاستعمال العامة (للوقيد) من الفصيح.

على أن كثيرًا من القراءات الشاذة في القرآن الكريم قد صورتها لهجات قبائل عربية، ويكفي مراجعة كتب شواذ القراءات على ما عندنا من لهجات وعاميات في عالمنا المعاصر لنرى أن هذه العاميات قد ارتكزت على ركن ركين، يقول ابن جني في محتسبه عن الشاذ "إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيرًا منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم: وربما كان فيه ما تلطف صنعته.. المحتسب ٣٢/١ لابن جني". وكثير من اللهجات القرآنية عُزلت عن (لغة الدراسة) حفظًا لوحدة التعبير. وهذا

الـــدي عزل عن الدراسة رسب كثير منه في لغـــة التخاطـــب ، ومن هنا تشعبت الـــلهجات العامية (انظر شواهد وقراءات قرآنية لذلك في " مارسب في اللغة العامية من اللهجات القرآنية:محمد الملاح.بغداد).

وهـــذه القـــراءات القرآنية — ولو كانت شاذة — تعد كنـــزاً لغويًا بما تثيره من حوار أخصب التفكير اللغوي صوتيًّا وصـــرفيًّا ونحويًا ودلاليًّا وأسلوبيًا — لأنها هـــي المـــثال الحي لنطق الفصحى قديمًا وحديـــثًا ؛ ولهـــذا يمكـــن الاستهداء بها واســـتثمارها في تيســـير الفكـــر اللغوي المعاصر، وأشير إلى شاهد واحد منها: في قوله تعالى: " وما قدروا الله حـــق قدره" (الأنعام ٩١) من الفعل الثلاثي المخفف، وفي لغـــة العصر الحديث نستعمل (قدّر) بالتضعيف بمعنى (احترم) وتسكت المعاجم عن التضعيف ولكن يقرأ الحسن وعيسى الـــثقفي بالتضعيف بمعنى: التعظيم(*) . وجـــاءت لغتنا العصرية على هذه القراءة الأخيرة؛ فالقراءة هذه استثمرت في تيسير اللغة على مستوياتها المختلفة . ومن ذلك أن الأستاذ (فاروق شوشة) استغل قراءة قرآنـــية شـــاذة، وسمى بها أحد دواوينه، وأطلـــق علـــيه (هئْتُ لك) وهي قراءة قرآنية في (هيت لك . يوسف٢٣) .

وفي درس العامية إدراك لحق التطور، وفي الدرس التاريخي لا يصح لعالم لغة أن يهمل العاميات، إذ ربما غامت ظاهرة في الفصحى لضياع مفرداتها ، ومن الممكن أن تكشف عنها عامية ما، يؤكد هذا أن الأســـتاذ حفني ناصف ألف كتابًا سماه: مـــيزات لغـــات العرب وتخريج اللغات العامـــية عليها، وهو بحث قدمه إلى مؤتمر المستشرقين في مدينة (ديانا) بالنمسا .ط. جامعة القاهرة ١٩٥٧ وقد ربط في بحثه هذا بين لغات القبائل العربية القديمة وبين لهجـــات مصر المعاصرة في قراها ومدنها وقارن بينها في الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية .

وإلـــيك هذه اللمحات بين الفصحى والعامـــية . الفصحى هي القالب المختار لمخـــتلف اللهجات . الفروق بين العامية والفصحى تتـــفاوت منازلها وأقدارهـــا

(*) البحر المحيط ١٧٧/٤ .

العامـــية عريقة في نسب العربية . العامية صنعها مجتمع عربي . الكلمات العامية لا تكون مبتذلة متى أبدت وظيفتها . العامية تستند إلى انبثاقها بلهجات العرب القديمة ولهـــذا يقول ابن جني: "إن الناطق على قـــياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ".لا خير في الدعوة إلى إحياء العامية واتخاذها لغة كتابة وتدوين ، ولكن الخير كل الخير في أن ندرس قواعد هذه العامية ومـــراجعها من اللهجات العربية القديمة عســـى أن نســـتعين بها في إمداد قواعد الفصـــحى بمـــا يوسّع أقيستها ، ويعالج مشـــكلاتها التي تعانيها في الوفاء بحاجات مجتمعـــنا الراهن؛ لكي نكفل لها أسباب اليســـر، ونواتـــيها بمـــزيد مـــن المرونة والطواعية، وبذلك نزودها بعوامل النماء والازدهار ، فنقارب بين أسلوب الكتابة وأسلوب التخاطب ؛ لنيسر للقارئ سبيل التبـــيين والفهـــم، ونيسر للكاتب سبيل الإبانـــة والإفهام. معظم كلمات العامية عربي، فالحروف عربية ، وطريق الاشتقاق عربي، والمنحى في الانتقـــال من المعنى الأصيل إلى المعنى الدارج عربي فهي كما يقـــول أحد الكاتبين (مصنوعات وطنية) نســـجت من خيوط عربية، ويؤسسا في ذلـــك من ألف في فصيح العامة وله وجه مـــن الصحة اللغوية من مثل (كتاب رفع الإصر عن كلام أهل مصر)، (الاقتضاب في مـــا وافـــق لغـــة أهل مصر من كلام الأعراب) ، و(المحكم في أصول الكلمات العامـــية)، (رد العـــامي إلى الفصيح)، وجميع هذه المؤلفات وهي : قل من كثر- تعتبر خطوة واسعة على طريق التفصيح. ولهـــذا لم يجانـــب الأستاذ محمود تيمور الصواب حين يقول : على أن الصواب في اللغة : مناطه الشيوع فمتى شاعت الكلمة في الأفواه فقد ظفرت بحجتها في الاعتداد بهـــا وأصـــبح لها في الحياة حق معلوم .. فغلـــبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهان عـــلى صلاحيته وأقوم دليل على صدق الحاجـــة إليه، بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية في بنية اللغة(*).

إن اللهجات العامية قد اشتملت على كثير من الألفاظ الصالحة للاســـتعمال

*مشكلات اللغة العربية لمحمود تيمور ٢٧ فما بعدها ط . أولى سنة ١٩٥٦.

الفصيح، وقد أهملتها الفصحى — وفيها معين لا ينضب للاستعمالات الجديدة .
إن بعض الأساليب العامية قد يشيع على ألسنة المتعلمين للفصحى مع سهولة تخريجه وقوة دلالته، فدراسة العامية تُعين على سهولة التخريج، ولعلنا إن تأملنا كتب اللغة نرى أنها قد غفلت عن أشياء مازالت تحتفظ بها اللغة الدارجة من مثل: شاف يشوف. والاستعمال الدائر السائر في كل بلاد العربية الآن من (أن شاف معناها نظر . ورأى) صحيح. وذكر صاحب التاج عن ابن الأعرابي قوله:"بعث القوم شيِّفة لهم " — أي طليعة لهم" . وفي القاموس: اشتاف الرجل- إذا تطاول ونظر .
فالعامية الفصحى فيها نَفَسٌ من روح البيان الأصيل، ولهذا كان الإمام (البعْلي) وهو من أعلام المذهب الحنبلي ت.٧٠٩هـ — كان ينظر إلى العرف وإلى لغة العصر مع احتفاله بآراء اللغويين والفقهاء، وعنايته بها ، و لم يمنعه ذلك من تفسير بعض الكلمات بلغة عصره مثل :
الوقاية : الطرحه (١)
ومن واجبنا حيال ذلك :
أ- إيجاد لغة (مشتركة) أداة للتواصل بين أفراد المجتمع الواحد مهما تعددت لهجاته وألسنته الخاصة .
ب- التقريب بين الفصحى ولهجاتها عن طريق منابع شتى: كطرق التعليم العام وأجهزة الإعلام المختلفة التي يمكن أن تقوم بتوظيف عربية سهلة مشتركة من شأنها جمع الأفراد والجماعات حولها من غير بغض لها أو تنفير منها (٢)
وأرى أن الفصيح لا يخَطِّأ، وإنما يُترخَّصُ إذا آنس أمن اللبس ، كما أن الترخص درجة من درجات الصواب مع أنه يخالف القاعدة والعرف الشائع في التراث، وقد سمى اللغويون المحدثون: الترخص (الابتداع في اللغة) وهو في بعض صوره يستهوي المجتمع فيصبح سنة في الكلام، وقد ترخص مجمعكم اللغوي في تصحيح بعض الأساليب والتعبيرات الشائعة التي

---

(١) البعلى اللغوى ٨٤ تح — سليمان العايد . مكة المكرمة .
(٢) جريدة الأهرام القاهرية ٦ أغسطس ١٩٩٩م.

كان يكرها الأقدمون أو التي لم تسجلها المعاجم اللغوية القديمة، وذلك بعد تخريجها على وجه من الوجوه يصححها ويرد لها وجهها العربي، ويرى صديقنا الدكتور أحمد مختار عمر؛ وهو على حق فيما ذهب إليه من تصحيح كل ما يمكن تصحيحه من العبارات والأساليب وقبول ما له وجه في العربية يخرج عليه ما دام قد وجد رواجا من أبناء اللغة أنفسهم وبذا نرد الطمأنينة إلى نفوس الكثيرين الذين تاهوا بين الصواب والخطأ ..)(*)

والقاعدة في هذا الباب: أن كل كلمة يمكن أن تخرج في العربية فلا مانع من استعمالها، وعن طريق هذا التخريج يكون التطور .

وهدفي من وراء ذلك هو خدمة اللغة العربية وإغناؤها ، لنكشف أولا عن كلماتها العتيقة التي لا تزال تحتفظ بها لغة العامة ، وكان الكتاب قد هجروها لعدم تيقنهم من صدق فصاحتها مع أنها فصيحة ، ووضعها من جديد ليتداولها الكتاب والقصصيون والمسرحيون والمذيعون والمعلمون وبذلك يتم لنا القضاء على من يقول بوجود هوة عميقة بين لغة النطق ولغة الكتابة أو بين العامية والفصحى ، واللسان العربي مرن يقبل ما يضاف إليه مما لا يخالف الأصول المقررة.

نداء ومقترحات

أ- في المشرق العربي نعترف بأن (الإعلام) يرتكب خطيئة مزدوجة، فلا يمارس التشويه في حق العربية فحسب، ولكنه يمارس التشويه في حق اللغة العامية أيضًا، فالأولى (وهي العربية) تهان ، والثانية (وهي العامية) تُبتذل ، بل كثيرا ما تجنح إلى السوقية والإسفاف. (والإعلام) في النهاية بحاجة ماسة إلى أن يراجع خطابه احترامًا لرسالته وللغته التي ينطق بها.

ب- لا تقف العربية في مسيرتها إلى حدود ثابتة، بل لابد أن تتجاوز هذه الحدود في القرن الجديد لتلاحق منجزات العصر في الابتكار والإبداع وامتلاك المعرفة لتعزيز مكانتها بين لغات العالم المعاصر ، وعلى اليونسكو الآن وهو مرجعية علمية ولغوية وثقافية أن يعد تقريرًا عن الحالة اللغوية

* العربية الصحيحة أ.د. احمد مختار عمر ط عالم الكتب ص ١١٥ .

في العربية المعاصرة يعلن فيها وثيقة عامة لحقوق الإنسان العربي في لغته .

جـ - إن ضعف العربية في أوطان العربية جميعًا دليل على انكسار هذه الأمة وفي ذلك يقول ابن حزم" إن اللغة يسقط أكثرها بسقوط همة أهلها" الأمر الذي يعني أن محنتنا في عمقها ليست في عثرات اللسان وإنما في اعوجاج عموم الحال، والدفاع عن اللغة الوطنية دفاع عن الذات، وانتهاك حرمتها احتقار للذات.

د- على العربية اليوم أن تقتحم تقنية المعلومات الجديدة - حتى لا تتخلف عن غيرها من اللغات ، ووضع البرامج لاختيار الأقوم والأنسب لتعليم العربية في ضوء الحاسوب والمعلومات الجديدة كأدوات البحث على الإنترنت والتشكيل والتلخيص وأدوات الكلام الآلي وهي أدوات لازمة لمواكبة ركب الحضارة.

هـ - ولا مبرر أن نلقي بمسؤولية تدهور لغتنا على (مجمع اللغة العربية) - صحيح أن المجمع هو الضمير اللغوي للأمة وعصب التكامل الاجتماعي والقومي فيها، ولكن صحيح أيضًا أن اللغة وهي المعيار الحقيقي للتواصل بين فئات المجتمع المختلفة هي أمر يخصنا جميعًا وليس مجمع الخالدين وحده ، وإن إنجاز العلم والعلّماء في أي مجتمع، يكون بقدر استعداد المجتمع من ناحية، والثقافة العلمية للمجتمع من ناحية ثانية، وإذا كان المجتمع غير مؤهل للتعامل مع جهود العلماء ، ومع نتائج العلم ، فلابد أن يذبل العلم في هذا المجتمع، واللغة لا تتطور إلا على أيدي عاشقيها، ولا تتوسع مقاييسها إلا طبقًا لحاجات مجتمع يطالبها بهذا التوسيع.

والذي أرجوه إذا صلحت النيات وصحت العزائم - أن تشكل اللغة العربية حضورًا وبعثا من جديد، وأن تجسد روح مرحلة جديدة في ضوء صحوة لغوية مرتقبة بإذن الله، وبذلك تدفع شبهات القصور الأبدي المفترى على أم عريقة، ولغة عريقة ، كان لها فضل وغلبة، ويرجى أن يكون لها فضل وعلبة وانتصار، وذلك منهج من يحترم لغته، والأمم ما عاشت لهم لغتهم، عاشوا

علـيها موصـولة، تـردهم إلى غابر ، وتجمعهـم عـلى حاضـر ، وتربطهم بمستقبل.

وعلى الله قصد السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد علم الدين الجندي

عضو المجمع

كلمة الأستاذ فاروق شوشة
في حفل استقباله عضوًا بالمجمع

الأستـــاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

العالم الكبير الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع

الأخ الكبير الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع

الضيوف الكرام:

أبدأ بموفور الشكر وعاطره لأسرة المجمع الموقرة، التي شرفتني باختياري عضوا فيه، وأتاحـــت لي فرصـــة الانـــتماء إلى هذه الشـــجرة الطيـــبة العـــريقة أصلها ثابت وفرعها في السماء وأن أكون بينكم اليوم واحدا من متحدثي هذا الحفل الكريم.

والشكرُ أعمقُ الشكر للأخ الكريم والصـــديق العزيز الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع على كلمته الضَافية عـــن ثلاثتـــنا التي أرجو أن أكون أهلا لـــبعض مـــا جاء فيها، ومستحقا لبعض سطورها الناطقة بفضله، وكريم سجاياه وجمـــيل لغته، وبيانه، ولأن الحديث ذو شـــجون . فإني أستأذنكم في العودة إلى الـــوراء قـــرابة أربعين عامًا، حين بدأت علاقتي الأولى بمجمع اللغة العربية. وكان الفضـــل فى هـــذه العلاقـــة للأخ الأكبر إبراهـــيم الترزي الذي أتاحت لي صداقته وأخوته أن أتنفس مبكرًا هواء المجمع، وأن أعـــيش جَـــوه العلمي، قريبا من جلساته ومؤتمراته، وقراراته وتوصياته، وأن أتابع عن كثب حركة الأجيال فيه، كوكبةً بعد كوكبة إسهاما وعطاء، حوارا ومداخلة، موافقة ومخالفة. فضلاً عن الصلة الحميمة الـــتي أتيحـــت لي بالعديد من رجالاته وأعلامه. وحين بدأت في تقديم البرنامج الإذاعي اليومي "لغتنا الجميلة" في مستهل شـــهر سبتمبر سنة ألف وتسعمئة وسبع وســـتين، كـــان الصديق العزيز إبراهيم الـــترزي أول مـــن عاونني، ومنحني رأيه ومشـــورته واهتمامه، كما كان الراحل

الكـريم الأسـتاذ شوقي أمين مسعفًا لي بالموفور من علمه وكنوز تحقيقاته اللغوية، وكانـت مكتـبة المجمع في شارع مراد بالجيزة، ثم في شارع عزيز أباظة بالزمالك زادي ومـلاذي في كثير مما قدمت عبر حلقات البرنامج لسنوات طويلة متصلة. وكان اهتمامي بمتابعة ما يصدر عن المجمع مـن مطبوعات، ومن قرارات وتوصيات ومن تصويبات لأخطاء شائعة، ومن صيغ لألفـاظ الحضارة ومصطلحات العلوم، كـان ذلك كلُّه يجد طريقه إلى الناس من خـلال زاويـة ثابتة في البرنامج عنوانها "جديد أقرّه المجمع".

لقد بدأ البرنامج في عام النكسة التي كـان مـن إيجابـياتها أنها جعلتنا نؤمن بضرورة العودة إلى الجذور، والبحث عن هويتـنا الحقيقـية، والكشف عن ينابيع الـثقافة العربية والإسلامية، وفى ظل هذا المناخ وافقت الإذاعة على تقديم البرنامج لشـهر واحد هو شهر رمضان من عام سـبعة وسـتين، ثم لدورة إذاعية واحدة مدتها ثلاثة أشهُر، ثم لعام واحد، ثم لمدى يـتجاوز الآن اثنين وثلاثين عامًا متصلة، تحقق من خلالها ما كنت أحلم به، وهو أن يلتفت الناس إلى كنوز هذه اللغة، وأن يشـيع هـذا التعبير " لغتنا الجميلة" على الألسـنة والأقلام، تعبيرًا عن حقيقة اللغة العربـية وتمييزًا لها عن غيرها من اللغات، وقـد كـان من أسباب نجاح البرنامج وقدرته على الاستمرار منذ خطواته الأولى مكتبة المجمع وعلماؤه وباحثوه وأصدقاؤه أقـول هذا، لأن للمجمع ورجاله دينًا في عـنقي. منذ كان الدكتور إبراهيم أنيس أستاذي في دار العلوم ورائدُ الدراسات اللغويـة الحديثة وعضوُ المجمع يعلمني أن نطق الجيم المصرية نطق عربي فصيح يعود إلى أصـول يمنية، وأن تعطيش الجيم هو لهجـة قريش التي نزل بها القرآن الكريم. ومـنذ كان الأستاذ عباس حسن أستادي بالكلية وعضو المجمع يُنبهني - من خلال متابعته المستمرة للبرنامج-إلى عدم التسرع في تخطئة كلمة أو تعبير عندما نقول : قل ولا تقل، موضحًا أن كثيرًا مما نعّده خاطئًا قد يكون له- من حيث لا ندرى- وجه من الصحة، وأنّ من بين أُمور اللغة ما هو حمال أوجه وموضعُ خلاف واحتهاد.

هذا الدين للمجمع في عنقي، يجاوز ديـنا قديمًا لكُتاب قريتي، حين قدم لي الكُتاب- فضلا عن الخبرة الدينية الأولى- خـبرة لغوية كبيرة الأهمية تمثلت في ذلك التدريب الصوتي المبكر والمران الذي مارسته مع مخارج الأصوات والحروف وقواعد الـتجويد من مد ونبر ووقف، وتدريب الجهاز الصوتي على النطق السليم المبين، ثم جاءت علاقتي المبكرة مع تراثنا الشعري قراءة وتذوقا وتأملا أول الأمر، ثم تقليدا ومحاكاة في تجاوز وابتكار بعد ذلك، ليكتمل لي بهذين الجناحين: الكلمة القرآنية والكلمة الشاعرة، قدرة مرجوّة على التحليق، ونفاذ إلى بعض أسرار هذا العالم الرحب الفسيح، عالم لغتنا الجميلة، بكل ما يحويه من كنوز، وبكل ما يشرق فيه من تجليات الإبداع، وبكل ما يمتلئ به من أشواق الإنسان العربي ومطامحه وتطلعاته، والقدرة على الوفاء باحتياجاته- عبر العصور والأزمان. في تعبيره عن الواقع المتغير، وانفتاحه على عالم زاخر بالحضارات والثقافات واللغات.

لأشد ما أدركتُ - عبر هذه السنوات الطويلة الحافلة بكل تقلباتها وتغيراتها، وبكل ما اعترى لغتنا الجميلة على ألسنة الناس وأقلامهم- ما أدركه شاعر النيل حافظ إبراهيم في مستهل هذا القرن، حين نشر بكائيته المشهورة : اللغة العربية تَنْعَى حظها بين أهلها عام ألف وتسعمئة وثلاثين، تلك التي يقول فيها:

وسعت كتاب الله لفظًا وغاية
وما ضقتُ عن آي به وعظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ
وتنسيق أسماءٍ لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
ومنكم - وإن عزّ الدواء - أُساتي
فلا تكلوني للزمان، فإنني
أخاف عليكم أن تحين وفاتي

ولم يكن اختياري لبيته المُعبّر:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

ليكون شعارا ثابتا لبرنامج لغتنا الجميلة إلا تأكيدا لهذا الوعي

الكاشف، وحفزا لهمم الغواصين الباحثين عن الصدفات واللآلئ في بحر هذه اللغة الزاخر.

وأدركت بمتابعتي -عن كثب- لجهود رجالات المجمع وعلمائه، كم ظُلم هذا المجمع على مدى تاريخه الطويل، وكم كان مجالاً للتندر والتفكّه عند من لا يعرفون ولا يتابعون. فالمجمع في زعم هؤلاء مسؤول عن التدهور المستمر في علاقة الأجيال الجديدة بلغتها القومية وعن الفشل المتراكم في تعليم النشء لغته العربية. وكأنَّ المجمع بديلٌ للمدرسة والجامعة أو بديلٌ لوزارات التعليم. مسؤول - في زعمهم - عن انتشار الأخطاء وشيوع اللحن على الألسنة والأقلام، وكأن المجمع قوام على أجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون فضلاً عن الهيئات الثقافية والعلمية في المجتمع. مسؤول عن شيوع المسميات الأجنبية التي أطلقناها على الشوارع والمحال والميادين والفنادق والمؤسسات والشركات والقرى السياحية وغيرها. وكأن المجمع بديل للوزارات المعنية في الدولة. يملك أن يصدر القرار فيلتزم به الجميع، لكن هذا كلّه يؤكد حقيقة واضحة وهى أن المجمع يظل ملاذ الناس ومُعتصَمهم حين يستشعرون الخشية على لغتهم والخوف على حاضرها ومستقبلها.

الأمر إذن مرجعه إلى الدولة، حين تصبح قضية اللغة العربية قضية قومية ومشروعًا قوميًا، تتوحد من أجله الرؤى وتُحشد له الجهود وتُوحد الميزانيات؛ لأنه مشروع الوجود والهُويّة والانتماء، يسبق في أهميته وجمع آثاره وخطره كلَّ المشاريع الأخرى. ثم هو مشروع الكيان البشرى والحضاري في عصر اختلاط الحضارات وتفاعل الثقافات وسيطرة لغات على لغات وهُويات على هويات.

أذكر هذا كُلّه وأستشعره، وأنا بين أيديكم الآن في موقف الشكر والعرفان. مُعبرًا عن تقديري العميق لما خصَّني به المجمع من تكريم، حين جعلني في المكان الذي خلا برحيل الكاتب الكبير الأستاذ مصطفى أمين. وهو تكريم أعتَز به وأشرُف. فلم يكن مصطفى أمين مجرد رائد كبير من رواد الصحافة المصرية

والعربية، أو مدرسة من مدارسها الكبرى. ولا بمجرد كاتب كبير تابعه الملايين من القراء جيلا بعد جيل. وارتبطوا بكتاباته في كل مجال صحفي عمل فيه. في الرغائب وروز اليوسف والفكاهة وآخر ساعة والجهاد والأهرام والاثنين والدنيا وأخبار اليوم والجيل والأخبار ولا كان بمجرد فارس عنيد من فرسان الحرية الذين جعلوا من قلمهم سلاحًا للحق يُشهرهُ على أعداء الحرية، ويُنطقه بالرأي الآخر، ويواجهُ به الظالم والمستبد والطاغية، وينير الطريق للباحثين عن العدل، ويعمق من ساحة الوعي لدى قارئه.

أجل، لم يكن مصطفى أمين بمجرد هذا كله. لكنه كان - قبل هذا وبعده - علمًا من أعلام لغتنا الجميلة في العصر الحديث. فهو صاحبُ مدرسة أسلوبية في الكتابة، التزمت بالمستوى العصري من مستويات لغتنا الجميلة، واتسعت لهموم العصر وحاجاته، والوفاء بمطالب العلوم والفنون في تقدمها المستمر. وأصبح نهجُ هذه المدرسة الأسلوبية مشاعًا لدى أجيال عدة من تلاميذه،كتاب الصحافة ونجومها اليوم، متمثلاً في العبارة القصيرة الرشيقة، المتصفة بالحتمية والموضوعية والإيجاز والمباشرة، والنفاذ إلى الهدف في سرعة وحسم. غير المثقلة بالإيماءات أو الجمل الاعتراضية أو تتابع الإضافات أو مخالفة المعهود لهندسة تركيب الكلام. وهو نهج أسلوب متميز يستحق دراسةً متعمقة من باحثينا اللغويين باعتباره نموذجًا للدفع بلغتنا الجميلة إلى مواجهة العصر والتفاعل معه.

كان مصطفى أمين كاتبًا يقرؤه الملايين. وكانت بساطة لغته ويسرها- وهي اللغة السهلة الممتعة التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها- سببًا في ذيوع كتاباته.

وهو دور لا ينفصل عما قامت به الصحافة المصرية والعربية من جهد في تطويع اللغة لمطالب العصر والتوسع في القياس والاشتقاق والتعريب وصلة المصطلح وتسمية ألفاظ الحضارة وسبق الجميع في صوغ ما تراه ملائمًا للتعبير عن الجديد الوافد الذي تقذف به أجهزة الاتصال الحديثة ليل نهار، حتى يتصدى له المجمعيون وغيرُهم بالتصحيح والتقعيد.

هذا هو دور مصطفى أمين اللغوي قام به ومعه نفر من رفاقه الرّواد الصحفيين أصحاب الأساليب: أنطون الجميل وتوفيق دياب وإسماعيل مظهر وعبد القادر حمزة وفارس نمر ومحمد ركي عبد القادر وعيسى إسكندر المعلوف وعلى أمين ومحمد التابعي وفكري أباظة وغيرهم. وكثير منهم شرفوا بعضوية هذا المجمع، وازدان المجمع بهم نشاطًا وفكرًا وحيوية، وقدرة على التغيير والتطوير.

أما مصطفى أمين الكاتب والمفكر وفارس الحرية، فآراؤه مبثوثة في ثنايا كتاباته بدءا بعموده اليومي "فكرة" الذي ظل يكتبه لسنوات طويلة حتى اليوم الأخير في حياته. وانتهاء بكتبه ومؤلفاته الكثيرة: مائتا فكرة، أفكار ممنوعة، أمريكا الضاحكة، وكتبه الخمسة من سنة أولى سجن إلى سنة خامسة سجن، وعمالقة وأقزام، وصاحبة الجلالة في الزنزانة، وصاحب الجلالة الحب، وشخصيات لا تُنسى، وأسماء لا تموت، وقلمي يضحك ويبكي، ومن فكرة إلى فكرة وتحيا الديمقراطية ومن واحد إلى عشرة وغيرها.

وهو الذي نشأ في بيت زعيم الأمة سعد زغلول، ورضع فيه معنى الوطنية وتنفس عبير الحرية، وكان يردد دومًا معالمه الخالدة، الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة. وقوله المشهور يجبُ أن ينظر كل فرد من أفراد الشعب إلى حكامه نظر الجندي إلى القائد لا نظر الطير إلى الصائد.

وكان مصطفى أمين يقول: لقد عَرفتْ مصر طريقها عندما عرفَت طريق الحرية، وستعرف عن هذا الطريق، الطريق إلى الرخاء، والذين يقاومون الحرية والديمقراطية والعدالة في بلادنا يريدون منا أن نبقى فقراء ضعفاء مسحوقين، لأنهم يعلمون أنهم لا يستطيعون السيطرة على الأحرار، وإنما يستطيعون أن يسيطروا على العبيد المستسلمين، ولن تستسلم مصر لأحد بعد اليوم.

ثم يقول: إن الرخاء لا يعيش بين الأسلاك الشائكة، ولا في ظل التهديد والوعيد، وإنما يعيش حيث يوجد الأمن والأمان، ويستقر حيث يوجد القانون والحرية، وفي عصور الحكم الفردي تختنق

الكفايـــات، وتمـــوت المعنويات ويصبح النبوغ جريمة يعاقب عليها القانون.

وأخـــيرا يقـــول مصطفى أمين وهو يخاطـــب المجمع في حفل استقباله. لست أكثر من كاتب صحفي، يقول ما يعتقد، ويؤمن بما يقول، ويرى أن الصحافة هي أن نقـــول للحاكم ما يريدُه الشعب، قبل أن نقول للشعب ما يريده الحاكم.

أيها السادة الأجلاء:

في مـــثل هذا الكاتب، وفى كل من يـــؤدى رسالته المقدسة نحو وطنه وأمته، وفي كل من يضمهم هذا المجمع العتيد من عـــلماءَ ومُفكـــرين وأساتذة وباحثين، غـــيورين عـــلى لغتهم الجميلة، حريصين على هويتهم الثقافية، يقول أبو تمام وهو يقدم هذه الصورة الشعرية الوصفية:

هُذِّبَ في جِنْســـــِه، ونال المدى
بنفســـــه، فهـــو وحده جِنْـــسُ
ضُمِّخَ من لونه، فجـــــاء كأنْ قَدْ
كُســـفت في أديـــمـــه الشمسُ
يشـــــــتاقهُ من جماله غَـــــدُه
ويُكـــثر الوجْـــدَ نحوه الأمـــسُ
أيامـــــــُنا فى ظـــــــلاله أبدًا
فصـــلُ ربـــيع، ودهُـــرنا عُرسُ
لا كأناسٍ قد أصبحوا صدأ العيش
كـــأن الدنـــيا بهـــم جِـــنْـــسُ
القرب منهـــــــم بعدٌ من الروح
والوحشـــة من قربهم هي الأُنسُ

أيهـــا المحفل الجليل شكرًا أعمق الشكر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاروق شوشة

عضو المجمع

رابعًا- استقبال عضو جديد من أعضاء المجمع التسعة

هو : الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي

في الســـاعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢٨ من شعبان سنة ١٤٢٠هـــ الموافق ٦ من ديسمبر سنة ١٩٩٩م، عقد المجمع جلسة علنية لاستقبال عضو جديد بالمجمع هو :

- الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي .

وقـــد ألقى كلمة المجمع في استقباله الأستاذ الدكتور محمود علي مكي عضو المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في هذه الجلسة :

افتتاح الجلسة

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا اليوم يوم العيد الرابع من أعياد مجمع اللغة العربية، في استقبال الأعضاء العاملين الجدد، واليوم نستقبل علامة كبيرًا هو الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي، أستاذ الأدب الأندلسي في كلية دار العلوم، وأستاذ الأدب العربي كله في جميع العصور، لأنه كتب عن امرئ القيس، أول شاعر عربي مهم في العصر الجاهلي، وكتب عن الشعر العربي المعاصر، وكتب عن القصة المعاصرة، أما تخصصه في الأندلس فقد كتب فيه كتابات كثيرة تأليفًا وترجمة ، وليس هناك كتاب فريد بديع في الأدب الأندلسي كنا نتمنى ترجمته إلا ترجمه هو، فحقيقة عمله واسع في الأدب الأندلسي ، والأدب العربي قديمًا وحديثًا .

والمجمع يهنأ بدخوله فيه هو والثمانية من زملائه الذين شرف بهم المجمع في هذه الدورة الجديدة ولا شك أن المجمع سيبدأ بهم عهدًا جديدًا. ويتفضل الآن الأستاذ الدكتور محمود علي مكي عضو المجمع بإلقاء كلمته في استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي .

كلمة الأستاذ الدكتور محمود علي مكي عضو المجمع
في حفل استقبال الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي عضوًا جديدًا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم: أستاذي رئيس مجمع اللغة العربية ، الأستاذ الدكتور شوقي ضيف:

الإخوان والزملاء:

السيدات والسادة:

استميحكم أولاً عذرًا لأنني قادم من فراش مرضي والتهاب شديد أخذ أكثر من نصف صوتي، وأرجو أن يعينني الله على أن أكمل هذا اليوم في استقبال أخي وزميلي الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي، وأرجو ألا تذهب بقية صوتي في هذا المجال الذي كنت أود أن أكون في حال أحسن مما أنا عليه الآن .

لست أكتمكم سعادتي بأن وَكَّل إليَّ مجلس المجمع الموقر وأستاذي رئيسه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، شرف استقبال عضونا الجديد الذي نحتفل بانضمامه إلى مجلس المجمع، وهو بغير شك كسب كبير لهذه الهيئة التي تضم سدنة اللغة العربية والقائمة على رعايتها والحفاظ على تراثها ، وذلك أن الطاهر أحمد مكي تربطني به أكثر من وشيجة لعل أولها،مما يلفت النظر هو الاشتراك في لقب العائلة حتى إن كثيرين كانوا يخلطون بيننا فيحسبوننا شخصًا واحدًا أو يرون بيننا لحمة نسب،وهو أمر كان يسعدني لو أنه كان حقيقة، وما أكثر ما كانت الرسائل الموجهة إلى كل منا تختلف فيما بيننا فتتصل إليَّ رسائله، وتصل إليه رسائلي، أو يخلط بين اسمينا من يكاتبني أو يكاتبه، فيحتاج الأمر إلى فك اشتباك .

وثانية هذه الوشائج: أن كلينا ينتمي إلى نفس المحافظة من محافظة أقصى الصعيد وهي قنا ، فأنا من هذه المدينة، وهو من أعمال مدينة إسنا، وقد جمع بين المدينتين أحد أعلام العربية في مطلع هذا القرن هو الأستاذ حفني ناصف الذي نقل إلى قنا مغضوبًا عليه، فقد كانت محافظتنا

المسكينة منفى للمغضوب عليهم، لا الضالين من موظفي الحكومة ، غير أن الرجل بإبائه وكبريائه خاطب الشامتين فيه من أجل ذلك بقوله :

قالوا نقلت إلى قنا

يا مرحبًا بقنا وإسنا

قالوا قنا حر فقلت(م)

وهل يرد الحُرّ قِنًّا

ولعلكم ترون ما في هذا البيت الثاني من فكاهات ودعابات، كان حفني ناصف رحمه الله معروفًا بها، وترتب عليه على ذلك أن نشأتنا الأولى كانت متقاربة في تلك البيئة البعيدة عن مركز الثقافة والنشاط الأدبي، ومع ذلك فقد كان أهل هذه البيئة من أكثر الناس طموحًا ورغبة في العلم وأخذًا بمبدأ التثاقف الذاتي ، وإذا كان طريقانا في تحصيل العلم مختلفين ؛ إذ كان توجهه إلى التعليم الأزهري الذي أوصله إلى دار العلوم، وكان تعلمي في المدارس المدنية التي انتهت بي إلى كلية الآداب - جامعة القاهرة؛ فسرعان ما التقينا بعد ذلك حينما جمع بيننا التخصص في الدراسات العليا على أرض الأندلس ، فحصل كلانا على إجازة الدكتوراه من جامعة مدريد في ميدان الدراسات الأندلسية، ومن هنا أتت هذه الرابطة العلمية الأخرى التي وحدت بين طريقينا منذ ذلك التاريخ حتى اليوم. على أنني لم آت للتحدث عن نفسي وإنما عن ذلك الزميل الجديد الذي سوف نشرف برفقته.

لقد أورد الطاهر مكي في مقال له بمجلة الهلال ذكرياته عن نشأته الأولى، وهو مقال كنت أود أن أنقل بعضه لما فيه من حرارة وصدق وحنين إلى تلك الأيام من المقاسات والكفاح ، لولا أن الوقت المتاح لا يسمح بذلك ، وأذكر أنه تخرج في دار العلوم بجامعة القاهرة بمرتبة الشرف في سنة ١٩٥٢م وبعد تجارب مرت له بالتدريس في مصر أوفد في بعثة إلى إسبانيا حيث أنجز رسالة في الدكتوراه بدرجة ممتاز في جامعة مدريد سنة ١٩٦١م، وعاد إلى مصر فعمل في كلية دار العلوم مدرسًا فأستاذًا مساعدًا فأستاذًا ، ثم رئيسًا لقسم الدراسات الأدبية ووكيلاً للكلية للدراسات العليا والبحوث ، وقضى الطاهر مكي سنوات أستاذًا زائرًا في

جامعة بوجوتا عاصمة كولومبيا ومكنته هذه الإقامة والاتصال المباشر بشعب من شعوب أمريكا اللاتينية إلى جانب اهتمامه بآداب تلك البلاد، من التعرف الوثيق من الأدب المكتوب بالإسبانية في هذه القارة، حتى أصبح واحدًا من تخصصاته الأدبية الكثيرة، وكان في هذه الجامعة الأمريكية اللاتينية يحاضرهم في الثقافة العربية والإسلامية، فكان نعم السفير لثقافتنا في ذلك العالم الجديد. كما أنه دعي أستاذًا زائرًا في جامعات كثيرة في العالم العربي أذكر منها: تونس والمغرب والجزائر والإمارات العربية المتحدة، إلى جانب الدعوات التي توجه إليه من جامعات إسبانيا ومؤسساتها العلمية ، فإذا نظرنا إلى الإنتاج العلمي للطاهر مكي فإنه يروعنا بغزارته وخصوبته دون أن ينال ذلك من جودته الفائقة وتنوعه الكبير، ولقد أصابتني الحيرة حينما استعرضت كتبه ودراساته وحاولت أن أقوم لها بتصنيف ييسر عليَّ أمر عرضها والحديث عنها، فلم أدر هل أقوم بهذا التصنيف على أساس الأنواع الأدبية البحثية أو على ألوان التأليف ، وآثرت في النهاية أن يكون التصنيف على هذا الأساس الأخير، وأعني بذلك الألوان المختلفة التي توزِّع إنتاج عضونا الجديد على ثلاثة مجالات: منها ما هو تأليف، ومنها تحقيق لنصوص تراثية مشفوعة بدراسات ، ومنها ترجمات عن لغات أجنبية.

أما الكتب المؤلفة ، فمن أولها كتابه عن امرئ القيس – حياته وشعره ، الذي صدرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٨م، وعلى كثرة ما كتب عن امرئ القيس فإن لهذا الكتاب مذاقًا خاصًا جمع فيه صاحبه بين حساسية الفنان وحسن تذوقه ، ودقة العالم وصداقة منهجه ، وفيه يبدأ بعرض الحياة ببلاد العرب الجنوبية وتاريخها اعتمادًا على النقوش التي عثر عليها في بلاد اليمن، يلي ذلك بحث للغة العربية في جنوب الجزيرة وشمالها وكيف أدت الهجرات المستمرة من قبائل الجنوب إلى الشمال، وتعرض بلاد اليمن إلى غزوات أجنبية من حبشية وفارسية، إلى سيادة لهجات الشمال ، وهكذا اتخذ أهل الجنوب لغة أهل الشمال الأدبية الراقية،ثم

عرض لنا تاريخ قبيلة كندة التي بدأ نزوحها من الجنوب إلى قلب الجزيرة في نجد من النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي ، فأنشؤوا مملكة على الأراضي السحدية، وتتبع بعد ذلك تاريخ ملوك كندة حتى حُوجر بن الحارث والد امرئ القيس الذي كان حاكمًا على أسد وغطفان، وثورة قبائل أسد عليه ومقتله ومن هنا يتبع سيرة ابنه الشاعر امرئ القيس الدي قدر عليه أن يقضي حياته بعد ذلك في محاولة الثأر لأبيه ومحاولة استرداد ملك أجداده؛ حتى أدى به الأمر إلى الرحلة إلى قيصر بيزنطة، وكان فيها ختام حياته قرب أنقرة في نحو سنة ٥٦٥م وهو في كل ذلك يناقش الروايات المتضاربة ، ويعتمد على نصوص ديوان امرئ القيس التي ارتضى صحتها رافضًا ما أحاط بحياة الشاعر من تفاصيل تصطدم بمنطق التاريخ.

والباحث يبحث بعد ذلك روايات ديوان امرئ القيس في مخطوطاته الأصلية وفي طبعاته المختلفة ثم يفرد دراسات لقضايا ذات أهمية بالغة منها: أولية الشعر الجاهلي، وتطوره من الناحية العروضية، وبيئات الشعر القديم، وتنقله بين القبائل، والشعراء السابقون على امرئ القيس والمعاصرون له ، وأبرزهم زهير بن جنابل الكلبي، وعمرو بن قميئة رفيق امرئ القيس في رحلته، وهذه كلها قضايا اختلف حولها الدارسون ومازالت محل مثار وبحث، وبقية فصول الكتاب دراسة تحليلية لموضوعات شعر امرئ القيس في مقدماته الطللية وغزلياته ولوحاته الوصفية للطبيعة المتحركة والصامتة، وهنا تتجلى حساسية الفنان في تحليل تلك الصور البصرية وفي مناقشته لأبي بكر الباقلاني الذي أسرف في نقده لمعلقة امرئ القيس على نفسه وعلى الذوق الأدبي حين جعل من الجدل والمنطق عماده في الفهم والتفسير، وهما في نظر الباحث آخر ما ينبغي أن يستخدم في تذوق الشعر.

الكتاب الثاني الذي يستوقف النظر هو (دراسة في مصادر الأدب) وهو يتوزع على خمسة عشر مبحثًا، الخمسة الأولى تتناول موضوعات مختلفة متصلة بتاريخ التراث العربي وقضاياه، وهي حول رحلة

الشعر العربي من الشفاهية إلى التدوين ، وجهود رواة البصرة والكوفة، ثم الخط العربي وتطوره، وما سماه عصر المخطوطات، وفيه يتحدث عن مرحلة جديدة للتدوين، مرتبطة بالتوسع في صناعة الورق، والمبحث الرابع حول طرق التدوين، وشرائط النسخ وما ينبغي أن يتسلح به محقق النص المخطوط أو دارسه، والخامس عن مصادر الشعر الأول، ابتداءً من دواوين القبائل، والشعراء، وكتب المختارات، حتى كتب شروح الشواهد النحوية. وأما المباحث العشرة التالية فقد أفردها لعدد من أهم كتب التراث التي لا غنى لدارس الأدب عنها: طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والحيوان للجاحظ ، وهنا يفرد الفصل لترجمة بحث المستشرق الإسباني بلاسيوث عن الكتاب ومعه كشف تحليلي لمادته. وتلي ذلك دراسات لكتاب الكامل للمبرد، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه والفهرست لابن النديم، والذخيرة لابن بسام، ونفح الطيب للمقرى .

وهو في هذه الدراسات العشر يقدم تحليلا دقيقًا لمادة كل كتاب ويختم ذلك بصفحات مختارة منه.

ونأتي بعد ذلك إلى كتابين يدخلان في مجال الدراسات الأندلسية: أولهما (دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة)، وهو دراسة مفصلة لكتاب الطوق، مع ما أحاط بتأليفه من ظروف اجتماعية وسياسية ومحاولة لتفسير هذا الاتجاه غير المنتظر من ذلك الفقيه الذي كان يعد من المتشددين في مذهبه المقاومين للتيار الفقهي السائد في عصره حتى إن لسانه كان يقرن بسيف الحجاج ابن يوسف الثقفي ، ثم إذا به يؤلف كتابًا في الحب، نلمس فيه مدى رقة عواطفه، وعمق إنسانيته ، ثم نجد في الدراسة تحليلا لمادة الكتاب وتأثيره فيما ألف في هذا الموضوع بعده، ومناقشة لآراء المستشرقين حول طبيعة ابن حزم، وما زعمه البعض من أنه يمثل حساسية أعجمية في الإسبانية.

والكتاب الآخر هو (دراسات أندلسية في الأدب والفلسفة والتاريخ)

وهـــو مجموعة من الدراسات يبلغ عددها أربـــع عشرة أكثرها مؤلف ، وأربع منها تـــرجمة عن الإسبانية، وتبدأ هذه الأبحاث بدراسة لغوية تاريخية حول اسم الأندلس، وفيه يتتبع المؤلف بداية استخدام المسلمين لهـــذا اللفظ، ويبين أن أصله wandalos الجرماني الذي كان يدل على مجموعة من قـــبائل القوط هم الذين عرفوا بالوندال وانـــتقلوا بعـــد غزوهم لشبه الجزيرة إلى شمال إفريقية، وهناك اصطدم بهم العرب الفـــاتحون القادمون من مصر. وهو يفسر تحول الواو في ولندلس إلى همزة لأن اللفظ انـــتقل عـــن اللغة البربرية ؛ لأن انقلاب الواو همزة لا تعرفه اللغة العربية أبدًا. وقد علـــق العلامة محمود شاكر رحمه الله على هـــذا التفسير، فأورد شواهد على تحول الواو إلى همزة في العربية؛ مما يدل على أن لفـــظ الأندلس انتقل عن العربية مباشرة دون حاجـــة إلى تلك الواسطة البربرية، وعقـــب الطاهـــر مكي على رأي محمود شاكر تعقيبًا فيه كثير من التوقير والتأدب في الحوار؛ وإن لم يبد اقتناعًا كاملا لرأي الشيخ الجليل .

تلى ذلك أبحاث أخرى أفرد من بينها مقاله المترجم عن المستشرق خوليان ريبيرا وهـــو في المقارنـــة بين كتابين لمؤرخين أندلسيين أحدهما ابن القوطية وهو (تاريخ افتـــتاح الأندلس) والآخر مجهول المؤلف وهـــو (أخـــبار مجموعة)، والمقال تحليل للكـــتابين ومحاولـــة لحل مشكلة حقيقة تأليفيهما وزمن هذا التأليف، وبعد ذلك دراســـة قصيدة لأبي إسحق الإلبيري هذه القصيدة التي فجرت ثورة آل عرناطة على الـــيهود، وفيها حرض هذا الشاعر الزاهد جمـــاهير المسلمين على يوسف بن النغرلة وزير الأمير باديس بن حبوس بعد أن كان أمعـــن في الإســـاءة إلى المســـلمين والاستخفاف بالإسلام.

وتتوالى الدراسات بعد ذلك، إحداها عـــن الشاعرة العاشقة حفصة بنت الحاج الركونـــية، التي انعقدت صلة حب بينها وبـــين أبي جعفـــر بن سعيد؛ مما أدى إلى إيقـــاع منافسة والي غرناطة أبي سعيد بن عبـــد المؤمـــن به ، ومع هذه الدراسة ما جمعـــه الباحـــث مـــن شـــعر حفصـــة الركونية .

وتلى ذلك ثلاث دراسات مترجمة . الأولى لمستشـــرقة في جامعة مدريد عن شاعر المرينية أبي جعفر خاتمة، وكانت قد حققت ديوانه، ودرست شعره وأسلوبه، وتـــأثيره المحـــتمل في الشعراء الإسبان، وكذلـــك لموشـــحاته وهـــي من أمتع الدراســـات حول هذا الشاعر الأندلسي الـــذي يمثل مع صاحبه ابن الخطيب آخر ومضـــة مـــن ذهـــاب الشعر في غرناطة الإسلامية، والثانية عن الأصول العربية في فلســـفة ريمون دولوليو هو بحث لخوليان ريبيرا حول هذا المتصوف المسيحي المتأثر بـــابن عـــربي، والـــذي كان يكن حبًّا للمســـلمين وإعجابًـــا بحياتهم الروحية، والثالـــثة عن الشعر الأندلسي وتأثيره في الشـــعر الأوربي، وهي في الأصل محاضرة للأســـتاذ بالينثيا ألقاها في المعهد الإسباني في نـــيويورك ســـنة ١٩٣٥م، وفيها فهم جديـــد متفـــتح للوجـــود الإسلامي في إســـبانيا، وإشـــادة بالحضارة الإسلامية والشعر الأندلسي وبيان لتأثيره في الشعر الأوربي انطلاقًـــا مـــن الشـــعر الإيطالي والـــبرتغالي وشعر التروبادور، وهناك في هذا الكتاب دراسات أخرى لا تقل عن تلك قيمة وأهمية؛ غير أن الوقت لا يسمح بعـــرض كـــل الدراســـات التي تبلغ في مجموعها أربع عشرة.

يـــلي ذلك كتابان يربط بينهما اتجاه جـــامع ومـــيدان واحد وهما في الأدب العـــربي الحديـــث، وكلاهما مدخل يعين الـــدارس على الولوج إليهما. الأول عن (الشـــعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته)،وفيه يؤرخ للشعر العربي الحديث مـــن خلال نصوصه المختلفة التي تتوزع على كافة الاتجاهات والمدارس والأغراض عـــلى امـــتداد الوطن العربي، مع مقدمة موجـــزة أدارها حول أربعة محاور رئيسية هـــي: طبيعة الإبداع ، والمذاهب الأدبية المخـــتلفة، والشعر والشاعر والقارئ، ثم نظـــرة إجمالـــية على واقع الشعر العربي الحديث، منذ البارودي حتى آخر درجات الحداثة، وأما الكتاب الثاني فيماثل سابقه في اتجاهه وفي الهدف من كتابته ، فهو عن (القصـــة القصـــيرة دراسة ومختارات)، والهدف من الكتاب هو أن يضع بين يدي القـــارئ تصورًا عامًّا موجزًا للقصة عبر

التاريخ في الشرق والغرب وخطوطًا عريضة لتقنية القصة الحديثة، واتجاهاتها في الأدب العربي وألوانًا مختارة منها، لا تقف عند بلد عربي بعينه، وهو يبدأ بعرض تاريخي لنشأة القصة وأصولها البعيدة منذ وجدت أيام المصريين القدماء، وقد وصلتنا منها المجموعة التي عثر عليها ماسبيرو ونشرها في أواخر القرن الماضي، وانتقالها إلى اليونان ممثلة في إيسفت، وعالج المؤلف بعد ذلك أساطير عرب الجاهلية، والقصص القرآني، والقصة في مصر الوسيطة، حيث تمت الصياغة الأخيرة لمجموعة ألف ليلة وليلة.

ومن القصص العربي المقامات التي بدت لونًا من ألوان القصة القصيرة على يدي بديع الزمان والحريري، وتناول الحديث بعد ذلك هجرة القصة إلى أوربا من خلال الأندلس، ونهضة هذا الفن في إيطاليا خلال القرن الرابع عشر، وانتقالها إلى فرنسا وإسبانيا ، وبعد فترة من الركود خلال القرن الثامن عشر، عادت القصة في ثوب جديد خلال القرن التاسع عشر بفصل الصحافة، ووقف عند أربعة من رواد القصة القصيرة اثنان دفعا بها إلى الوجود هما الأمريكي بلوتو، والروسي نيقولاي جوى، واثنان أعطياها شكلها الفني المكتمل هما باسان الفرنسي ، وأنطون شيخوف الروسي ، وكان هذان هما أكثر الكتاب الأوربيين تأثيرًا في مولد القصة العربية الحديثة وتطورها.

بعد ذلك يتناول الكاتب تحديد خصائص القصة القصيرة، ويهتم بقضية لغة الحوار في القصة، وقد كان موقف الطاهر مكي في هذه القضية مؤيدًا لموقف محمود تيمور الذي بدأ بكتاب الحوار بالعامية، ثم عدل عن ذلك إلى العربية الفصيحة؛ لما رأى أن اختلاف مستويات اللغة بين القصة والحوار يخل بوحدة النص الأدبي واتساقه، ويفقده قيمته الجمالية، ويلي ذلك عرض لتاريخ القصة القصيرة في عالمنا منذ بدايتها على أيدي الأخوين محمد ومحمود تيمور.

ويأتي بعد ذلك قسم المختارات، وفيه قصص لواحد وعشرين كاتبًا عربيًّا معظمهم من المصريين وبينهم أربعة من البلاد العربية، ومن القصص العالمية وقع

اختياره على ثمانية كُتاب كتبوا بالروسية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية.

ومن آخر مؤلفات الطاهر مكي وأكثرها قيمة كتابه عن (الأدب المقارن: أصوله وتطوره ومناهجه)، وهو يعد أوفى ما كتب في هذا المجال، وفيه يتناول تاريخ هذا العلم منذ نشأته ثم استقلاله، ومناهجه المختلفة، ولاسيما في مدرستيه الكبريين الفرنسية والأمريكية، ووجوه الاختلاف بينهما، ثم بيان الفرق بين الأدب المقارن والأدب العام، وما بين هذين والأدب العالمي، ويلحق بهذا الكتاب كتابه الآخر الذي يشترك معه في المجال نفسه في الأدب المقارن، (دراسات نظرية وتطبيقية)، وفيه يتناول مباحث متنوعة منها: الجاحظ وماله من آراء تدخل في هذا الميدان قبل أن يولد هذا العلم بقرون كثيرة، وموضوع الصالونات الأدبية، ومصادر مي زيادة الأجنبية، والأندلس في الأدب الأمريكي، وتأثر شعراء التروبادور بالشعر الأندلسي، ثم العالم العربي في القرن الماضي كما رآه أحد الرحالة الإسبان، الذي يسمى في العالم العربي بعلي بك العباسي، ومن مؤلفات الطاهر مكي التي كانت ثمرة لصلته بأمريكا اللاتينية كتابه (Pablo Niruda الشيلي)الذي نال جائزة نوبل لعام ١٩٧١ وفيه يتناول بالدرس سيرة حياة هذا الشاعر المناضل، ويتحدث عن فنه وخصائصه، ومدى التزامه سياسيًّا واجتماعيًّا وفنيًّا .

ونأتي إلى الميدان الثاني الذي وسعه نشاط الطاهر مكي واهتمامه، وهو تحقيق التراث، وأذكر من نماذجه عملين، كلاهما لشخصية العالم الأندلسي الفذ الذي كان دائمًا مسار إعجاب الطاهر مكي ابن حزم الظاهري، الأول كتابه (الأخلاق والسير)، وهو كتاب على صغره يعد من أجمل ما خطه قلم المفكر القرطبي الكبير، ففيه يقدم خلاصة تجاربه في الحياة، وفيه صفحات يكشف فيها عن مشاعره الحميمة، فجاءت أشبه شيء بالاعترافات، وتصويرًا دقيقًا صادقًا لنفسيته، ونفسيات نماذج بشرية التقى بهم وعرفهم عن كثب وكشف عن دخائلهم بثاقب بصره، وقدم

للكتاب بمدخل وافٍ عن حياة هذا الإمام العظيم، وروافد ثقافته العلمية ومؤلفاته، ويعد تحقيقه لهذا الكتاب مع كثرة مؤلفاته أصح وأوثق رواياته. والكتاب الثاني هو رائعته وأجمل كتاباته الإبداعية، (طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف) ، وهو بدوره كتاب نشر نشرات عديدة من قبل عن النسخة الوحيدة المخطوطة المحفوظة في خِزانة هولندا، والكتاب يقدم لنا أيضًا صفحات عن حياة مؤلفة وسجلاً للحياة العاطفية في أندلس القرن الرابع الهجري، والنصف الأول من القرن الخامس، ولهذا لم يكن من العجيب أن يظفر بترجمات أكثر من ثلاث عشرة لغة.

ونأتي إلى الميدان الثالث الذي شق فيه قلم الطاهر مكي معالم مضيئة في لون من الكتابة، لا يثبت فيه إلا قلم الراسخ في العلم، وهو الترجمة، والترجمة فن لا يقل الإبداع فيه عن الأعمال المؤلفة، وكثيرًا ما يغري من ليس مؤهلاً له فيكون نكبة على صاحبه، وعلى من قام بالترجمة عنه، إذ هو أشبه ما يكون بالشعر:

الشعر صعب وطويل سُلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
هوت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

وترجمات الطاهر مكي نموذج للإتقان والجمال الفني، نرى فيه التوازن الذي لابد أن يتوافر بين معرفة النص المترجم عنه وفهم مقاصده، وبين تمكنه من اللغة التي يترجم إليها، وأول ما أشير إليه من ترجماته نقله لملحمة السِّيد، وهي أول شعر إسباني يصل إلينا بكل ما تحمله إلينا من خشونة وبداوة في لغة بينة الصعوبة، ومع ذلك فقد قدَّم إلينا الطاهر مكي هذا النص العسير في لغة جزلة قويمة، استطاعت أن تحمل إلينا قيمه الجمالية وقد قدم للنص المترجم بدراسة وافية في حياة هذا المغامر القشتالي الذي عاش فيه بيئة عربية، وتأثر بحياة المسلمين الذين عايشهم، وكانوا يؤلفون شطرًا كبيرًا من جنوده، ثم استقر في نهاية حياته في بلنسية، وكأنه أحد ملوك الطوائف المسلمين، وقد نختلف مع الطاهر مكي في بعض تأويلاته مثل رده اللقب الذي عرف

بـه هـذا المغامر وهو (السِّيد) إلى معنى (الذئـب) مخالفًا بذلك ما اتفق عليه أكثر الباحـثين من أنه الصيغة الدارجة للقب السَّيد العربي، ولكن فيما عدا ذلك ترى في ترجمته مغامرة كبيرة تكللت بالنجاح والتوفيق .

وتـلى ذلـك تـرجمات لعديد من دراسات المستشرقين الفرنسيين والإسبان حول مختلف الموضوعات الأندلسية، كان مـن بيـنها، كتابه عن (شعراء الأندلس والمتـنبي) وهو ترجمة لكتاب المستشرق الإسـباني الكـبير إميلو غرسيه غومث (خمسة شعراء مسلمين)، والكتاب يضم دراسات عن المتنبي ومعه عدة شعراء من الأندلـس هـم: الشريف المروني، وأبو إسـحاق الإلـبيري، وابن الزقاق، وابن خفاجـة، وابن قزمان الزجال الذي اتخذ المؤلـف لدراسـته عـنوان (صوت في الطـريق)، وهو يشير في ذلك إلى الطابع الشعبي في أزجاله، وأخيرًا ابن زمرة آخر كبار الشعراء الأندلسيين.

وعـن الفرنسية ترجم الطاهر مكي كـتابًا لبروفنسـال (الحضارة العربية في إسبانيا) ، وهو مجموعة محاضرات تتناول بعـض جوانب الحضارة الأندلسية. وعن الفرنسـية أيضًـا تـرجم كتاب (الشعر الأندلسـي في عصـر الطوائف) ، ويعد أوفى دراسـة ظهرت حتى الآن لفترة من أزهر فترات الشعر الأندلسي وهي عصر الطوائف الذي كان عصر تدهور سياسي واجـتماعي؛ ولكنه كان على الرغم من ذلـك، عصر نهضة كبيرة في سائر ألوان الـثقافة، وفي الشعر بخاصة. وعن الألمانية كانـت ترجمـته لجـزأين لمؤلف كبير للمستشرق فون شاك بعنوان (شعر العرب وفـنهم في إسبانيا وصقلية) وهو كتاب يـرجع تأليفه إلى سنة ١٨٦٥م، وكانت طبعـته الثانـية سنة ١٩٧٧م من القرن الماضـي، وكان يعد عند ظهوره وحتى سـنوات قليلة بعد ذلك أحسن ما كُتب عـن الشعر الأندلسي ، ولهذا فقد سارع بترجمـته إلى الإسـبانية أديـب لم يكن مستشرقًا إلا أنه كان شاعرًا وكاتبًا ذواقًا للأدب الجيد هو خوان باليلا، وكان إلى جانـب ذلك أندلسيًا من مدينة قبرة مهد أول مبتكر للموشحات الأندلسية، مقدم

ابـــن معـــاني أو محمد بن محمود القبري، فاســـتطاع أن يقـــدم ترجمة رائعة للنص الألمـــاني ، أعانه على ذلك أيضًا إعجابه وتقديره لحضارة المسلمين في الأندلس ، وعـــلى الرغم من قدم هذا الكتاب الذي كان اعتماده في المقام الأول على كتابات المستشرق الهولندي دوري ، وأن ما نشر حـــتى أيامه من النصوص الأندلسية كان قليلا فإنه استطاع أن يحسن استخدام ما توافـــر له من مادة شعرية على نحو جدير بكل تقدير ، ولهذا فإن الطاهر مكي لم ير بأسًا في الإقدام على ترجمة الكتاب لا عن أصله الألماني ، وإنما عن ترجمته الإسبانية ، ونحن نعلم ما يكتنف مثل هذه الترجمات عـــن لغة الوسيط من مخاطر ، ومع ذلك فقـــد جاءت ترجمته لهذين القسمين من كـــتاب دوزي على ما عهدنا من سلامة وجمال أداء ، وكان الجزآن اللذان نشرهما مـــن هـــذا الكتاب هما القسم الأول من المجلـــد الخـــاص بالشعر ، والمجلد الأخير الخـــاص بالفن، أما الجزء الخاص بالشعر فإنـــه عـــرض عام للشعر الأندلسي مع مختارات أحسن انتقاءها ، وملاحظات لا تخلـــو من القيمة، وأما الجزء الخاص بفن العمـــارة ففيه ملاحظات لم تفقد حدتها حـــول الإســـلام وموقفه من التصوير ، وربمـــا كـــان أهـــم مـــا في هذا الجزء ملاحظاته حول الفن الإسلامي في صقلية، ثم المعمـــار العـــربي الإسلامي في جزيرة (مالطة).

أطلـــنا الرحلة مع هذا الإنتاج العزيز الخصـــيب للطاهر مكي ولولا أن الوقت ضيق فإني كنت أسترسل في عرض بعض الكتب الأخرى له، الذي عودنا قلمه على أنه كان ثريًا دائمًا ، لا يكاد ينضب.

أود أن أشير في النهاية إلى جانب من الجوانـــب الإنسانية من شخصية الطاهر مكي، وهو حنوه على تلاميذه، ورعايته لهـــم حـــنوًا أبويًا صادقًا عرفه له تلاميذه ومحـــبوه ومـــريدوه فأصبحوا متعلقين به تعلـــيقًا كبيرًا، وهذا الوفاء الذي نراه في كثير من تلاميذه هو الشيء الذي نفتقده أحيانًا ، في من يحيط بنا من تلاميذنا، وقد أكرمه الله بهذه الميزة التي نرجو أن يديمها علـــيه، وكما يقول الشاعر الأندلسي ابن عبد ربه:

وإذا أحب الله يومًا عبده

ألقى عليه محبة الناس

وأخـــيرًا أعود إلى ما كنت بدأت به الحديـــث وهو تلك الوشائج التي تربطني بالطاهـــر مكـــي ولا أملك إزاءها إلا أن أردد مع أبي تمام قوله:

إن يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخاء فإننا

نغدو ونسري في إخاء تالدِ

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا

عذب تحدر من غمامٍ واحدِ

أو يفترق نسبٌ يؤلف بيننا

أدب أقمناه مُقام الوالدِ

وشكرًا لحسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود علي مكي

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي
في حفل استقباله عضوًا بالمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله بداية كل خير، وتمام كل نعمة، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، وعلى النعمة المسداة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أستاذنا الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع:

الأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع:

الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام للمجمع :

الأخوة المجمعيون الفضلاء:

السيدات والسادة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد... فمنذ أن عرفت أنكم قبلتم في أريحية كريمة صحبتي لكم في هذه المؤسسة العلمية الرفيعة، التي تنهض على حماية العربية والذود عنها، وتجديدها وتجويدها، وتطويرها، وشعوران عميقان يملآن وجداني وعقلي، إحساس قوي بجلال المسؤولية وخطرها وعرفان صادق بكرم الاختيار ونبله، ودون أن أتخفى وراء تواضع باهت ، أقدم لكم شكري خالصًا للشرف العظيم الذي أوليتموني إياه حين فكرتم في شخصي الضعيف وانتخبتموني لمجمعكم الموقر؛ لأسهم معكم في مهمتكم الجليلة والخطيرة، أشكركم أعمق الشكر على ما أسبغتم عليَّ وعلى ما رأيتم أنني أهل له وأقدر اختياركم لي وكرم استقبالكم ، ويدي المتواضعة واهية في أيديكم القوية، ويد الله مع الجماعة، كما أشكر زميلي وصديقي الفاضل العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمود علي مكي، على شهادته الطيبة عني،فقد أخجل تواضعي، وآمل أن أكون عند حسن ظنه، وأن يجدني كما أملني.

الأخوة المجمعيون :

السيدات والسادة:

يجيء لقاؤكم الطيب هذا في خواتم شهر شعبان المكرم، وقبل أيام من بداية

شــهر الصوم المبارك وعلى مسيرة شهر ويوم من بداية القرن الحادي والعشرين. وهــذا القــرن يرهص بأمرين عظيمين متصــلين ومفــترقين، العولمــة وصحوة الإسلام . وعلى الرغم من أن العولمة أعلى صــخبًا لمن يجهلون حركة تاريخنا وتراثنا مــن بين قومنا، ويتخيلون أنها أمر جديد وافد، وهي ليست كذلك؛ لأن الإسلام دينًا ورسالة موجهة إلى الناس كافة، على مختلف أجناســهم وألوانهم وطبقاتهم، يؤاخي بينهم جميعًا، ويربطهم بوثاق قوي مــن المحــبة والعقيدة والفكر. يقول الله تــبارك وتعــالى في محكم كتابه لرسوله الأمــين:"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وخــلال رحلة الإسلام على امتداد أكثر من أربعة عشر قرنًا لم يعادِ حضارة ، ولا اضطهد فكرًا ، ولا صادر علمًا، وأفاد من كــل ما أبدعته الإنسانية من تراث خير ومفــيد لغــير المسلمين في أزمان سبقت ظهوره أو رافق انتشاره .

وصحوة الإسلام تشغل الدنيا كلها علانية أو همسًا، وإن كان الحديث عنها في أمتنا العربية يجيء هينًا لينًا حييًا خافتًا، ولكــن ذلك لا يقلل من شأن المحضات الإسلامية المتعددة، تشهدها أقطار كثيرة، تســتجمع قواهــا لتنهض من كبوتها أو تجــاهد في إيمــان صامد لتدفع غازيًا أو تتحرر من استعمار جاسم أو تعمل جادة في خطــى واسعة لتلتحق بركب العلم، والشواهد على ذلك لا تخطئ في بلاد ما وراء الــنهر وإيــران وباكستان وتركيا والــبلقان وماليزيا والفلبين وإندونيسيا ، وفي عمــق العــالم العربي وأطرافه، وفي أفريقــيا حتى تبلغ جزر القمر والمالديف وغيرها .

وحيما ينهض الإسلام تنهض اللغة العربــية، ترافقه أو تسبق نهضته أو تجيء بعدهــا فهي لسانه ولغة قرآنه ، وبينهما علاقــة جدلية أخذًا وعطاءً، وأحسب أن العربــية اللغــة الوحــيدة في العالم التي ارتبطت بدين سماوي وجاءت وحيًا إلهيا وأنا على أبواب المجمع في أولى خطايا لا أســتبق الأمــر ، ولكني أتمنى إن لم يكن الأمر كذلك أن يكون من بين لجان المجمع ونشاطاته لجنة ترعى اللغة العربية خارج الوطــن العــربي، تتابع سيرها وتتعهدها

أصــواتًا وحروفًا ودلالات وتراثًا ، تقدم لأهلها النصح، وتهديهم إلى الخير. وتمضي بي الأحلام إلى ما هو أبعد، أن يجيء اليوم الــذي تتضــمن فيه المعاجم الكبرى التي يصــدرها المجمع الدلالات المحدثة لألفاظ العربية في تلك البلاد، ذلك حلم قد يبطئه الزمن ولكنه قادم لا محالة .

الأستاذ الدكتور رئيس المجمع :

المجمعيون الفضلاء:

السيدات والسادة :

أستشــعر شيئًا من الرهبة في هذه اللحظة حــين أعرض للعالم الجليل الذي سوف أشغل مكانه، المرحوم الأستاذ عبد الكريم إبراهــيم العزباوي، لقد أمضى هذا العالم الفذ حياته الوظيفية كلها في المجمع، على امتداد ستة وثلاثين عامًا، منذ أن تخرج في دار العلــوم ، وهــذا الاهتمام باللغة هو الــذي حمله إلى المجمع ولم يكن عمله فيه هــو الذي دفعه إلى التخصص فيها، لقد كانــت فكــرة المجمع قبل قليل من قرن مضــى هاجسًــا دار بخلــد صفوة من الدرعميين حين التقوا في نادي دار العلوم سنة سبع وتسعمئة بعد الألف حول فكرة تألــيف هيــئة تنهض على دراسة اللغة العربــية، وتيسّر المصطلحات التي كانت تتطلبها حركة الترجمة النشطة التي كانت إذ ذاك، وكــان على رأس هذه الجماعة الشاعر الكبير حفني بك ناصف، والعالم الجليل أحمد الإسكندري، وسوف يصبح فــيما بعد مجمعيًا مرموقًا، غير أن الحرب العالمــية الأولى وثورة ١٩١٩م والأزمة الاقتصادية ألقت بثقلها على الحياة الثقافية فأغلق نادي دار العلوم، وانفضت الجماعة إلى حــين، فلما هدأت الأحوال وتحقق للمصــريين شــيء مــن الاستقلال عاد الــتفكير في الأمــر من جديد، فتحول الهــاجس إلى فكرة، والفكرة إلى واقع، وأنشــئ مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٢م، وفي هذا العام نفسه قام الأستاذ محمد عبد الجــواد الأصمعي أستاذ فقه اللغة في دار العلــوم بإنشــاء مــا أسماه قاعة البحث اللغــوي، يكون نشاطها اللغوي في غير أوقــات الدرس، وتصدر صحيفة لغوية طلابية تحمل اسم (أبابيش) يحررها بعض الأساتذة ضاربين المثل القدوة إلى جانب النابغين من الطلاب تدريسًا لهم وإعدادًا.

وجمعت الأبحاث كلها في كتاب بعد دلك حمل اسم (البحاثة اللغوي) يتضمن حططًا لدراسة اللغة، ورياضات لغوية في قراءة القاموس المحيط والغوص وراء الغريب الصالح للبحث اللغوي، والمصطلح الذي تحتاجه الحياة المعاصرة، وأبحاثًا أحرى.

كانت الغاية من القاعة اللغوية وما تتبنى من أقطار وما تعد من طلاب وباحثين أن تمد المجمع اللغوي الناشئ بالمشروعات اللغوية، والأفكار التي تنهض بالعربية وإعداد الشبان الباحثين الدين تدربوا على هذا العمل كي يعينوهم على أداء رسالته، غير أن الصحيفة والقاعة توقفتا عن العمل بعد سنوات أربع بانتقال الأستاد المشرف عليها، كان من بين أنشط أعضاء هذه القاعة اللغوية، ثلاثة طلاب نابهين سوف يقودهم استعدادهم ودراساتهم إلى المجمع اللغوي، مصريان وعراقي .

أما العراقي فهو الدكتور عبد الرزاق محي الدين، وكان في وطنه جامعيًا مرموقًا ووزيرًا للوحدة المصرية العراقية ورئيسًا للمجمع العلمي العراقي وأخيرًا عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام ١٩٦٨م.

وأما المصريان فهما محمد عبد الحليم عبد الله الروائي الشهير وعمل في المجمع منذ تخرجه إلى أن بلغ سن التقاعد، وأما الآخر فهو أغزر الثلاثة إنتاجًا وتأليفًا ودرسًا فهو المرحوم الأستاذ عبد الكريم العزباوي الدي أشرف بأن أشغل مكانه اختيارًا ، وآمل أن يتحقق ذلك واقعًا؛ ذلك أن الأستاذ العزباوي كما ترون أعدته الحياة مذ كان طالبًا في دار العلوم لأن يعمل في المجمع اللغوي باحثًا، وقد تسلح بالعلم والمعرفة، والمنهج والإرادة، وهي أدوات ثقلتها الدربة والتجربة وزمالة الفضلاء من أعضاء المجمع فكان عطاؤه في مجال التحقيق ثرًا، ودوره في نشاطات المجمع متواصلاً ، ففي العام نفسه الذي تخرج فيه في دار العلوم اجتاز الامتحان الذي عقده المجمع أمام لجنة كان يرأسها أحمد الإسكندري؛ ليعمل محررًا في المعجم الوسيط، وهو خير المعاجم العربية الحديثة، ولا سبيل إلى مقارنته حتى الآن بأي معجم من معاجم القرن العشرين

وضوحًا ودقة وضبطًا وتجديدًا ومعاصرة والشيء نفسه يمكن أن يقال عن المعجم الوجيز وكلاهما يتزاحم الوراقون المحترفون الآن في العالم العربي أجمع على نشرهما وطبعهما على ورق ثقيل في أحبار متنوعة وأشكال مزخرفة ومجلدة، وأرسل ماعداهما من معاجم حديثة أخرى إلى زوايا النسيان،كما شارك في إعداد المعجم الكبير وهو من مفاخر المجمع الكبرى، رغم أن العمل فيه يمشي الهوينى، وعند إحالته إلى التقاعد قدرت له لجنة المعجم دوره وعلمه ورشحته خبيرًا بها .

ومنذ اللحظة التي دخل فيها الأستاذ العزباوي المجمع لم يتوقف نشاطه في المعاجم واللجان ومع علمائه وبين أبحاثه أمضى عصارة حياته باحثًا ودارسًا ومنقبًا إلى أن أحيل إلى التقاعد عام ١٩٧٣م، وما كان للمجمع أن ينسى فضله أو يزهد في علمه فاختير في العام نفسه مستشارًا بالمجمع، وفي عام ١٩٧٦م اختارته جامعة أم القرى في مكة المكرمة ليشارك في تأسيس مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي ، وعهدت إليه بمراجعة الكتب التي حققها بعض الأساتذة ويقوم المركز بنشرها أو البحوث التي يرغب أصحابها في نشرها بالمركز ، كانت هذه وتلك مساحة واسعة من علوم العربية، اللغة، والنحو والصرف، والبلاغة ، والحديث.

شُغل الأستاذ العزباوي بتحقيق التراث طوال حياته وكانت خطاه الأولى في هذا المجال تحقيق أجزاء من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني حقق منه وحده الأجزاء : الثامن، والتاسع عشر وحقق الجزء الحادي والعشرين بالاشتراك مع الشاعر الكبير محمود غنيم، والثاني والعشرين بالاشتراك مع أستاذنا علي السباعي عضو المجمع، والرابع والعشرين بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عبد العزيز مطر،وصدرت كل هذه الكتب في ما بين عامي ١٩٧٠ – ١٩٧٤م بإشراف المحقق الأستاذ المرحوم محمد أبو الفضل إبراهيم، غير أن اللغة وهي متعته الأولى ما لبثت أن شدته إليها فحقق الجزء الرابع والعشرين من تهذيب اللغة للأزهري، وطبع لأول مرة في القاهرة عام ١٩٦٧م ، وحقق من

تـاج العروس للزبيدي الأجزاء: الثالث، والحـادي عشـر، والعشرين،والسادس والعشـرين، والثامن والثلاثين، والسادس والثلاثين ، وحقق مىه الجزء الخامس عشر بالاشتراك .

كمـا حقق كتاب الجيم لأبي عمرو الشـيباني، أخـرجه مجمـع اللغة العربية وكتاب (فعل وأفعل) للأصمعي، ونشره في مجلـة كلـية الشـريعة والدراسات الإسـلامية في جامعـة أم القرى. وهو كـتاب يتناول قضايا لغوية دقيقة اختلف أبـو حـاتم السجسـتاني في بعضها مع الأصـمعي، وكل واحد مىهما يؤيد رأيه بالقـرآن والحديث والشعر ، وهو مبني عـلى أسئلة يوجهها أبو حاتم للأصمعي ويـرد هـدا عليها، وأبو حاتم هو الذي روى الكـتاب عـن الأصمعي، يقول: "سـألته عنه حرفًا حرفًا" فالكتاب نتاج هذيـن العالمين الجليلين ، وأنا أؤكد على هذه الحقيقة، التي كان المرحوم العزباوي يعرفها جيدًا، وأشار إليها في مقدمة بحثه، لأن هـناك مـن أعاد نشر النص بعده، ونسبه إلى أبي حاتم السجستاني موهمًا أنه اكتشف حديدًا .

غـير أن عملـه في جامعة أم القرى وإقامته في مكة المكرمة وما أحاط به مس جـو روحـي هناك وحه جهده وجهة إسـلامية فحقق كتاب (غريب الحديت) للإمام الخطابي، ونشرته جامعة أم القرى في ثلاثـة مجلدات، كما حقق (المجموع المغيـث في غريـي القرآن والحديث) للإمـام الحـافظ الأصـفهاني في أربعة مجلـدات، ونشرته جامعة أم القرى أيضًا في لفتة بارعة ذكية يسهم في إلقاء الضوء على تراثنا العلمي فيحقق كتاب (الموجز في الطب) لابن النفيس وهو عالم انتهت إلـيه رئاسـة الطب في مصر في عصره وخلف ثروة واسعة وقفها وداره وأملاكه وكتبه على البيمارستان المنصوري، ويقول عنه أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي: " كان إمامًا أوحد في الطب" لا يضاهى في ذلك ولا يبارى استحضارًا واستنباطًا. وبدلـك التحقيق أسهم في إزاحة الستار عـن مؤلف جيد لطبيب عظيم يقول عنه العـالم الطبيـب الدكتور بولغيوندي في كـتابه الجيد عن ابن النفيس :"إنه كان

يؤمن بتفوق الملاحظة الشخصية والبحث الأصيل على مجرد نقل أقوال الأقدمين مهما كانت منزلتهم ، ويرفض كل ما لا تقره العين والتجربة .

وإلى جانب الطب صنف ابن النفيس في علوم اللغة وملك ناصيتها ومدلولاتها الدقيقة، وكان ابن النحاس النحوي يقول عنه:"لا أرضى بكلام أحد بالقاهرة في النحو غير كلام ابن النفيس" وقد راجع التحقيق الدكتور الطبيب أحمد عمار النائب السابق لرئيس المجمع اللغوي بالقاهرة ، ونشرته لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٨٦م.

كان المرحوم الأستاذ العزباوي يسير في منهجه محققًا على خطى المدرسة المصرية العريقة، ذات التقاليد الجليلة التي أرسى قواعدها وأقام بناءها علماؤنا الأجلاء: الشاكران أحمد ومحمود، وعبد السلام هارون، والشيخ محي الدين عبد الحميد، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيد صقر، وشوقي ضيف، ومصطفى حجازي ، وآخرون ، فجاءت لها تمكنًا جيدًا من التراث، وإحاطة واسعة بالتاريخ وأسلوبه فيها أدبي رفيع، يتسم بالجزالة والقوة والوضوح، وكان إلى جانب ذلك يتسم بالتواضع الجم، يؤثر أن يختم مقدماته بمقولة للخطابي نفسه صاحب كتاب غريب الحديث، يقول:" وكل من عثر منه – غريب الحديث – على حرف أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله إصلاحه، وأداء حق النصيحة فيه، فإن الإنسان ضعيف إلا أن يعصم الله بتوفيقه".وأنا بدوري استميحكم عذرًا إذا كنت قد قصرت في حق هذا العالم الجليل، وبحسبه وحسبي أن أعماله تشهد بفضله وتهدي إلى شيء من جهده وعلمه فجزاه الله عن اللغة العربية وأهلها وتراثها خير الجزاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الطاهر مكي

عضو المجمع

كلمة الختام للأستاذ الدكتور
شوقي ضيف رئيس المجمع
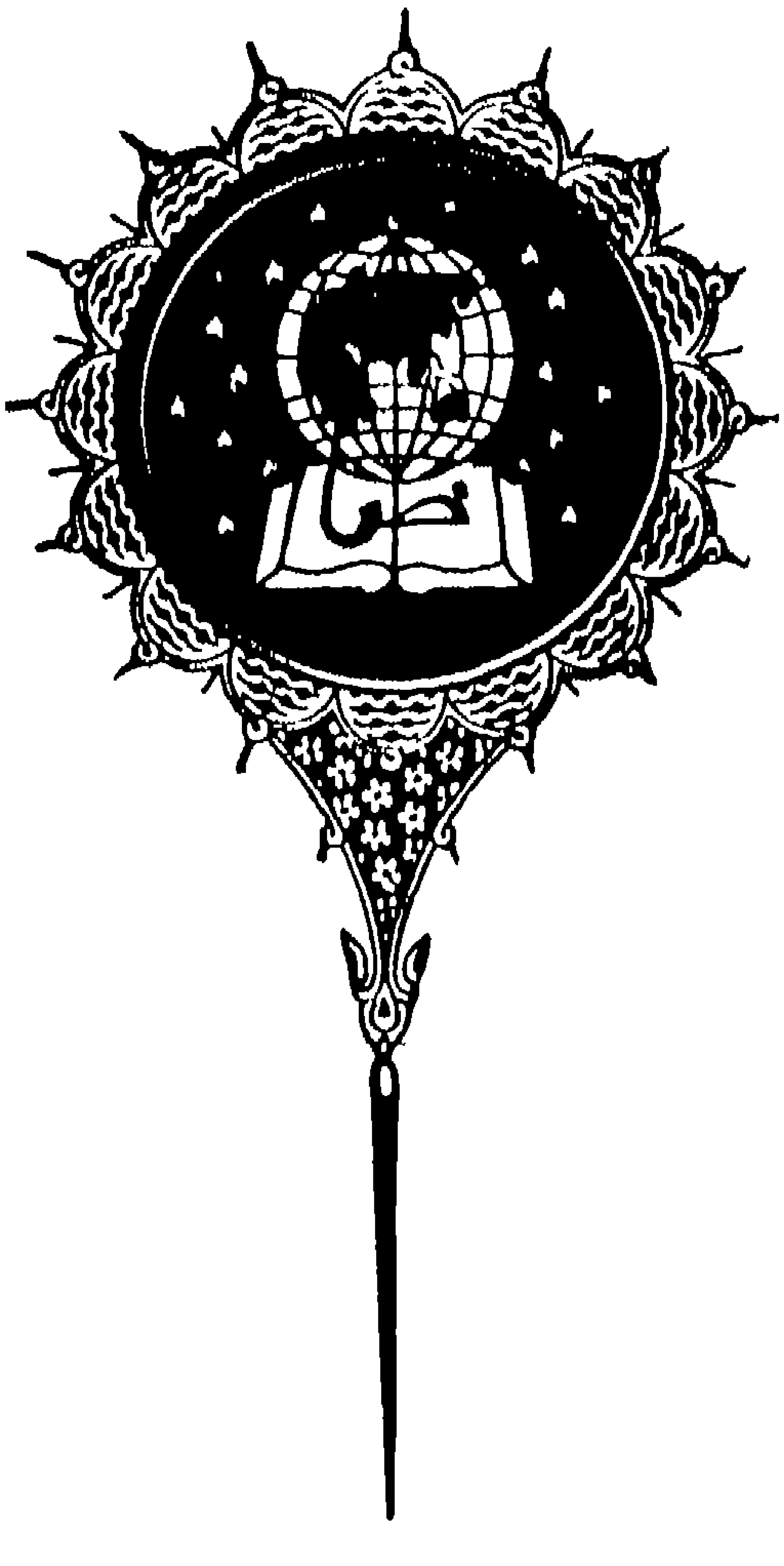
أشكر للأستاذ الجليل الدكتور الطاهر أحمد مكي هذه الكلمة الطيبة القيمة، وأعود إلى ما قلته أولا من أنني أهنئ المجمع بدخوله فيه ، ودخول زملائه من الأعضاء الثمانية الذين استقبلهم المجمع هذا العام، ومما لا شك فيه أنهم سيقدمون إلى المجمع ويثرونه ببحوثهم اللغوية والأدبية البارعة ، وشكرًا لحضراتكم على تجشمكم المشقة والمجيء لنا واستماعكم إلى هذه الكلمات وأكرر الشكر .